
T.C.
Kitaplığı Başmemurluğu

كتاب الشفاء بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم

تاليف الشيخ الامام العالم الاوحد المحقق المدقق اوحد الزمان وقطب الدهر والاوان ذي التصانيف المفيدة والمؤلفات الحميدة القاضي ابي الفضل عياض جزاه الله تعالى

افضل الجزاء وقسم له من
شفاعة نبيه اوفر الجزاء
واسكنه جنة مع النبيين
والشهداء بجاه سيد
المرسلين واله
اجمعين
آمين

قد وقفت هذا الكتاب شفاء الشريف بدكيزلي
عائشة بنت فاطمه ساكن محلة قبه اعلا وقفا
صحيحا شرعيا مرعيا لايباع ولا يرهن
ولا يوهب فمن بدله بعد ما سمعه فانما
اثمه على الذين يبدلونه



وقف

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم ٥

قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل عياض بن موسى بن
عياض اليحصبي رضي الله عنه الحمد لله المنفرد باسمه
الاسمى ٥ المختص بالملك الاعز الاحمى ٥ الذي ليس دونه منتهى
ولا وراءه مرمى ٥ الظاهر لا تخيلا ووهما ٥ الباطن
تقدسا لا عدما ٥ وسع كل شيء رحمة وعلما ٥ واسبغ على
اوليائه نعما عما ٥ وبعث فيهم رسولا من انفسهم
عربا وعجما ٥ وازكاهم محتدا ومنمى ٥ وارجحهم عقلا وحلما
٥ واوفرهم علما وفهما ٥ واقواهم يقينا وعزما ٥ واشدهم
بهم رأفة ورحما ٥ زكاه روحا وجسما ٥ وحاشاه عيبا ووصما
٥ وآتاه حكمة وحكما ٥ وفتح به اعينا عميا ٥ وقلوبا غلفا ٥
وآذانا صما ٥ فآمن به وعزروه ونصره ووقره من جعل الله
عز وجل له في مغنم السعادة قسما ٥ وكذب به وصدف
عن آياته من كتب الله عز وجل عليه الشقاء حتما ٥ ومن كان
في هذه اعمى فهو في الآخرة اعمى صلى الله تعالى عليه وسلم صلوة

تنمو وتنمى

تنمو وتنمى ٥ وعلى آله وسلم تسليما كثيرا اما بعد اشرق الله
قلبي وقلبك بانوار اليقين ٥ ولطف لي ولك بما لطف به
لاوليائه المتقين الذين شرفهم بنزل قدسه ٥ واوحشهم من
الخليقة بانسه ٥ وخصهم من معرفته ٥ ومشاهدة عجايب ملكوته
٥ وآثار قدرته بما ملأ قلوبهم حبرة ٥ ووله عقولهم في عظمته
حيرة ٥ فجعلوا همهم به واحدا ٥ ولم يروا في الدارين غيره
مشاهدا ٥ فهم بمشاهدة جماله وجلاله يتنعمون ٥ و
بين آثار قدرته وعجايب عظمته يترددون ٥ وبالانقطاع اليه
٥ والتوكل عليه يتعززون ٥ لهجين بصادق قوله تعالى
قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون فانك كررت على السؤال
في مجموع يتضمن التعريف بقدر المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم
وما يجب له من توقير واكرام ٥ وما حكم من لم يوف واجب عظيم ذلك القدر
او قصر في حق منصبه الجليل قلامة ظفر وان اجمع لك ما لاسلافنا وائمتنا
في ذلك من مقال ٥ وابينه بتنزيل صور وامثال فاعلم اكرمك الله
انك ٥ حملتني من ذلك امرا امرا ٥ وارهقتني فيما ندبتني اليه عسرا
٥ وارقيتني بما كلفتني مرتقا صعبا ٥ ملأ قلبي رعبا ٥ فان الكلام
في ذلك يستدعي تقرير اصول وتحرير فصول ٥ والكشف عن غوامض
ودقايق من علم الحقايق مما يجب للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم ويضاف اليه
او يمتنع او يجوز عليه ومعرفة النبي والرسول والرسالة والنبوة والمحبة

قوله لهجين بفتح اللام وكسر الهاء جمع لهج كعلم وفرح من باب الرابع واللهج بالشيء الولوع به اي الحريص عليه والعشق به كذا في القاموس والترجمان والشرح حريصين وعاشقين

قوله قل الله اي القرآن ثم ذرهم الآية اي دعهم في اباطيلهم الذي يخوضون فيها فما لكونهم يفعلون ما لا ينفعون فلا عليك بعد التبليغ والزام الحجة كذا في البيضاوي وغيره في الانعام

والخلة وخصائص هذه الدرجة العلية وههنا مهامه
فيح تحار فيها القطا وتقصر بها الخطا ومجاهل تضل فيها
الأحلام إن لم تهتد بعلم علم ونظر سديد ومداحض تزل بها
الأقدام إن لم تعتمد على توفيق من الله وتأييد لكني لما
رجوته لي ولك في هذا السؤال والجواب من نوال وثواب بتعريف
قدره الجسيم وخلقه العظيم وبيان خصائصه التي لم تجتمع قبل
في مخلوق وما يدان الله تعالى به من حقه الذي هو أرفع الحقوق
ليستيقن الذين أوتوا الكتاب ويزداد الذين آمنوا إيمانا ولما
أخذ الله تعالى على الذين أوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه
ولما حدثنا به أبو الوليد هشام بن أحمد الفقيه رحمه الله بقراءتي
عليه قال ثنا الحسين بن محمد ثنا أبو عمر النمري ثنا أبو محمد بن
عبد المؤمن ثنا أبو بكر محمد بن بكر ثنا سليمان بن الأشعث ثنا
موسى بن إسمعيل ثنا حماد أخبرنا علي بن الحكم عن عطاء عن أبي
هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من سئل عن علم فكتمه ألجمه الله بلجام من نار يوم القيمة
فبادرت إلى نكت سفرة عن وجه الغرض مؤديا من ذلك الحق
المفترض اختلستها على استعجال لما المرء بصدده من شغل البدن
والبال بما طوقه الإنسان من مقاليد المحنة التي ابتلي بها
فكادت تشغل عن كل فرض ونفل وترد بعد حسن التقويم إلى

أسفل سفل

إلى أسفل سفل ولو أراد الله بالإنسان خيرا لجعل شغله وهمه
كله فيما يحمد غدا أو يذم محله فليس ثم سوى حضرة النعيم
أو عذاب الجحيم ولكان عليه بخويصته واستنقاذ مهجته وعمل
صالح يستزيده وعلم نافع يفيده أو يستفيده جبر الله تعالى صدع
قلوبنا وغفر عظيم ذنوبنا وجعل جميع استعدادنا لمعادنا و
توفر دواعينا فيما ينجينا ويقربنا إليه تعالى زلفى ويحظينا بمنه ورحمته
ولما نويت تقريبه ودرجت تبويبه ومهدت تأصيله وخلصت
تفصيله وانتحيت حصره وتحصيله ترجمته بالشفاء بتعريف
حقوق المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم وحصرت فيه في أربعة
أقسام القسم الأول في تعظيم العلي الأعلى لقدر هذا النبي صلى الله
تعالى عليه وسلم قولا وفعلا وتوجه الكلام فيه في أربعة أبواب
الباب الأول في ثنائه تعالى عليه وإظهاره عظيم قدره لديه وفيه
عشرة فصول الباب الثاني في تكميله تعالى له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه
جميع الفضائل الدينية والدنيوية فيه نسقا وفيه سبعة
وعشرون فصلا الباب الثالث فيما ورد من صحيح الأخبار ومشهورها
بعظيم قدره عند ربه ومنزلته وما خصه به في الدارين من كرامته
وفيه اثنى عشر فصلا الباب الرابع فيما أظهره الله تعالى على يديه من الآيات
والمعجزات وشرفه به من الخصائص والكرامات وفيه ثلاثون فصلا
القسم الثاني فيما يجب على الأنام من حقوقه عليه السلام ويترتب

ويحظينا بالحظوة المهداة والنظر البهي
أي يخصنا لغيرنا
صح

القول فيه اربعة ابواب الباب الاول في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته وفيه خمسة فصول الباب الثاني في لزوم محبته ومناصحته وفيه ستة فصول الباب الثالث في تعظيم امره ولزوم توقيره وبره وفيه سبعة فصول الباب الرابع في حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته القسم الثالث فيما يستحيل في حقه وما يجوز عليه وما يمتنع ويصح من الامور البشرية ان يضاف اليه وهذا القسم اكرمك الله هو سر الكتاب ولباب ثمرة هذه الابواب وما قبله له كالقواعد والتمهيدات والدلائل على ما نورده فيه من النكت البينات وهو الحاكم على ما بعده و المنجز من غرض هذا التاليف وعده وعند التقصي لموعدته و التفصي عن عهدته يشرق صدر العدو اللعين ويشرق قلب المؤمن باليقين وتملأ انواره جوانح صدره ويقدر العاقل النبي صلى الله عليه وسلم حق قدره ويتحرر الكلام فيه في بابين الباب الاول يختص بالامور الدينية ويتشبث به القول في العصمة وفيه ستة عشر فصلا الباب الثاني في احواله الدنيوية وما يجوز طروه عليه من الاعراض البشرية وفيه تسعة فصول القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام على من تنقصه او سبه عليه السلام وينقسم الكلام فيه في بابين الباب الاول في بيان ما هو في حقه سب ونقص من تعريض او نص وفيه عشرة فصول الباب الثاني في حكم شانئه ومؤذيه ومتنقصه

وعقوبته وذكر استتابته والصلوة عليه ووراثته وفيه عشرة فصول وختمناه بباب ثالث جعلناه تكملة لهذه المسئلة ووصلة للبابين الذين قبله في حكم من سب الله تعالى ورسله وملائكته وكتبه وآل النبي صلى الله عليه وسلم وصحبه واختصر الكلام فيه في خمسة فصول وبتمامها ينتجز الكلام وتتم الاقسام والابواب ويلوح في غرة الايمان لمعة منيرة وفي تاج التراجم درة خطيرة تزيح كل لبس وتوضح كل تخمين وحدس وتشفي صدور قوم مؤمنين وتصدع بالحق وتعرض عن الجاهلين وبالله تعالى لا اله سواه

استعين وقف

القسم الاول

في تعظيم العلي الاعلى لقدر النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل رحمه الله تعالى لا خفاء على من مارس شيئا من العلم او خص بادنى لمحة من فهم بتعظيم الله تعالى قدر نبينا عليه الصلوة والسلام وخصوصه اياه بفضائل ومحاسن ومناقب لا تنضبط لزمام وتنويهه من عظيم قدره بما تكل عنه الالسنة والاقلام فمنها ما صرح به تعالى في كتابه ونبه به على جليل نصابه واثنى به عليه من اخلاقه وادابه وحض العباد على التزامه وتقلد ايجابه فكان جل جلاله هو الذي تفضل واولى ثم طهر وزكى ثم مدح بذلك واثنى ثم اثاب عليه الجزاء الاوفى فله الفضل بدأ وعودا والحمد اولى واخرى ومنها ما ابرزه للعيان

من خلقه على اتم وجوه الكمال والجلال وتخصيصه بالمحاسن الجميلة
والاخلاق الحميدة والمذاهب الكريمة والفضائل العديدة وتاييده
بالمعجزات الباهرة والبراهين الواضحة والكرامات البينة التي شاهدها
من عاصره ورآها من ادركه وعلمها علم يقين من جاء بعده حتى انتهى
علم حقيقة ذلك الينا وفاضت انواره علينا صلى الله عليه وسلم
تسليما كثيرا ثنا القاضي الشهيد ابو علي الحسين بن محمد الحافظ رحمه الله
قراءة مني عليه قال ثنا ابو الحسين المبارك بن عبد الجبار وابو الفضل احمد
بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي قال ثنا ابو علي السنجي قال ثنا
محمد بن احمد بن محبوب قال ثنا ابو عيسى بن سورة الحافظ قال ثنا اسحق
بن منصور ثنا عبد الرزاق قال اخبرنا معمر عن قتادة عن انس رضي الله
عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اُتي بالبراق ليلة اسري به
ملجما مسرجا فاستصعب عليه فقال له جبريل عليه السلام تفعل
هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه قال فارفض عرقا

وقف | الباب الاول | وقف

في ثناء الله تعالى عليه واظهاره عظيم قدره لديه اعلم ان في كتاب
الله العزيز آيات كثيرة مفصحة بجميل ذكر المصطفى صلى الله تعالى
عليه وسلم وعد محاسنه وتعظيم امره وتنويه قدره اعتمدنا منها
على ما ظهر معناه وبان فحواه وجمعنا ذلك في عشرة فصول الفصل
الاول فيما جاء من ذلك مجيء المدح والثناء وتعداد المحاسن كقوله تعالى

كقوله تعالى لقد جاءكم رسول من انفسكم الآية قال السمرقندي و
قرأ بعضهم من انفسكم بفتح الفاء وقراءة الجمهور بالضم قال الفقيه القاضي
الامام ابو الفضل رضي الله عنه اعلم الله تعالى المؤمنين او العرب او اهل
مكة او جميع الناس على اختلاف المفسرين من المواجه بهذا الخطاب انه
بعث فيهم رسولا من انفسهم يعرفونه ويتحققون مكانه ويعلمون صدقه
وامانته فلا يتهمونه بالكذب وترك النصيحة لهم لكونه منهم وانه
لم تكن في العرب قبيلة الا ولها على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولادة
او قرابة وهو عند ابن عباس وغيره معنى قوله تعالى الا المودة في القربى
ولكونه من اشرفهم وارفعهم وافضلهم على قراءة الفتح وهذه نهاية
المدح ثم وصفه بعد باوصاف حميدة واثنى عليه بمحامد كثيرة من
حرصه على هدايتهم ورشدهم واسلامهم وشدة ما يعنتهم ويضرهم
في دنياهم واخراهم وعزته عليه ورأفته ورحمته بمؤمنيهم قال بعضهم
اعطاه اسمين من اسمائه رؤوف رحيم ومثله في الآية الاخرى قوله
تعالى لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم
الآية وفي الآية الاخرى هو الذي بعث في الاميين رسولا منهم الآية
وقوله تعالى كما ارسلنا فيكم رسولا منكم الآية وروى عن
علي بن ابي طالب كرم الله وجهه عنه عليه السلام في قوله تعالى من
انفسكم قال نسبا وصهرا وحسبا ليس في آبائي من لدن آدم سفاح
كلنا نكاح قال ابن الكلبي كتبت للنبي صلى الله عليه وسلم خمسمائة ام

فما وجدت فيهن سفاحا ولا شيئا مما كان عليه الجاهلية وعن ابن عباس
رضي الله عنهما في قوله تعا وتقلبك في الساجدين قال من نبي الى نبي
حتى اخرجتك نبيا وقال جعفر بن محمد علم الله عجز خلقه عن طاعته
فعرفهم ذلك لكي يعلموا انهم لا ينالون الصفو من خدمته فاقام
بينهم وبينه مخلوقا من جنسهم في الصورة البسه من نعته الرأفة
والرحمة واخرجه الى الخلق سفيرا صادقا وجعل طاعته طاعته موافقته
موافقته فقال عز وجل من يطع الرسول فقد اطاع الله وقال الله تعا
وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال ابو بكر بن طاهر زين الله محمدا
بزينة الرحمة فكان كونه رحمة وجميع شمائله وصفاته رحمة على الخلق فمن
اصابه شيء من رحمته فهو الناجي في الدارين من كل مكروه والواصل فيهما
الى كل محبوب الا ترى ان الله تعا يقول وما ارسلناك الا رحمة
للعالمين فكانت حياته رحمة ومماته رحمة كما قال عليه الصلوة و
السلام حياتي خير لكم وموتي خير لكم وكما قال عليه الصلوة والسلام
اذا اراد الله رحمة بامة قبض نبيها قبلها فجعله لها فرطا وسلفا
وقال السمرقندي رحمة للعالمين يعني للجن والانس وقيل لجميع الخلق للمؤمن
رحمة بالهداية ورحمة للمنافق بالامان من القتل ورحمة للكافر بتأخير
العذاب قال ابن عباس رضي الله عنهما هو رحمة للمؤمنين والكافرين
اذ عوفوا مما اصاب غيرهم من الامم المكذبة وحكي ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال لجبريل عليه السلام هل اصابك من هذه الرحمة شيء قال نعم

كنت

كنت اخشى العاقبة فامنت لثناء الله عز وجل علي بقوله ذي قوة
عند ذي العرش مكين مطاع ثم امين وروي عن جعفر بن محمد الصادق
رضي الله عنهما في قوله تعا فسلام لك من اصحاب اليمين اي بك انما وقعت
سلامتهم من اجل كرامة محمد صلى الله عليه وسلم وقال الله تعا الله نور السموات
والارض الاية قال كعب بن جبير المراد بالنور الثاني هنا محمد صلى الله عليه
وسلم وقوله تعا مثل نوره اي نور محمد صلى الله عليه وسلم وقال سهل بن
عبد الله المعنى الله تعا هادي اهل السموات والارض ثم قال مثل نور محمد اذ كان
مستودعا في الاصلاب كمشكاة صفتها كذا واراد بالمصباح قلبه والزجاجة
صدره اي كانه كوكب دري لما فيه من الايمان والحكمة يوقد من شجرة
مباركة اي من نور ابراهيم وضرب المثل بالشجرة المباركة وقوله تعا يكاد
زيتها يضيء اي يكاد نبوة محمد عليه الصلوة والسلام تبين للناس
قبل كلامه كهذا الزيت وقد قيل في هذه الاية غير هذا والله تعا اعلم
وقد سماه الله تعا في القرآن في غير هذا الموضع نورا وسراجا منيرا
فقال قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين وقال انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ومن هذا
قوله تعا الم نشرح لك صدرك الى اخر السورة شرح وسع والمراد
بالصدر هنا القلب قال ابن عباس رضي الله عنهما شرحه بالاسلام
وقال سهل بنور الرسالة وقال الحسن ملاه حكما وعلما وقيل معناه
الم نطهر قلبك حتى لا يؤذيك الوسواس ووضعنا عنك وزرك

الذى انقض ظهرك قيل ما سلف من ذنبك يعنى قبل النبوة وقيل
اراد ثقل ايام الجاهلية وقيل اراد ما اثقل ظهره من الرسالة حتى بلغها
حكاه الماوردى والسلمى وقيل عصمناك ولولا ذلك لاثقلت الذنوب
ظهرك حكاه السمرقندى ورفعنا لك ذكرك قال يحيى بن ادم بالنبوة وقيل
اذا ذكرت ذكرت معى قول لا اله الا الله محمد رسول الله وقيل فى الاذان
قال القاضى ابو الفضل وفقه الله هذا تقرير من الله جل اسمه لنبيه صلى
الله عليه وسلم على عظيم نعمه لديه وشريف منزلته عنده وكرامته عليه
بان شرح قلبه للايمان والهداية ووسعه لوعى العلم وحمل الحكمة
ورفع عنه ثقل امور الجاهلية عليه وبغضه لسيرها وما كانت عليه
بظهور دينه على الدين كله وحط عنه عهدة اعباء الرسالة والنبوة
لتبليغه للناس ما نزل اليهم وتنويهه بعظيم مكانه وجليل رتبته و
رفعه ذكره وقرانه مع اسمه اسمه قال قتادة رضى الله عنه رفع الله
ذكره فى الدنيا والاخرة فليس خطيب ولا متشهد ولا صاحب صلوة
الا يقول اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وروى ابو
سعيد الخدرى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال اتانى جبرائيل فقال
ان ربى وربك يقول تدرى كيف رفعت ذكرك قلت الله ورسوله اعلم
قال اذا ذكرت ذكرت معى قال ابن عطاء جعلت تمام الايمان بذكرى
معك وقال ايضا جعلتك ذكرا من ذكرى فمن ذكرك ذكرنى قال جعفر
بن محمد الصادق رضى الله عنه لا يذكرك احد بالرسالة الا ذكرنى بالربوبية

وأشار

الظاهر ان قوله ورسوله سهو قلم وان وقع فى نسخة زيادة يعنى جبرائيل فانه لا يلائم المقام

وأشار بعضهم بذلك الى مقام الشفاعة ومن ذكره معه تعالى
قرن طاعته طاعته واسمه باسمه فقال واطيعوا الله والرسول وامنوا
بالله ورسوله فجمع بينهما بواو العطف المشتركة ولا يجوز جمع هذا الكلام
فى غير حقه عليه السلام ثنا الشيخ ابو على الحسين بن محمد الجيانى الحافظ
فيما اجازنيه وقرأته على الثقة عنه وقال ثنا ابو عمر النمرى قال ثنا ابو
محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود السجزى ثنا
ابو وليد الطيالسى ثنا شعبة عن منصور عن عبد الله بن يسار
عن حذيفة عن النبى صلى الله عليه وسلم قال لا يقولن
احدكم ما شاء الله وشاء فلان ثم شاء فلان قال الخطابى ارشدهم
صلى الله عليه وسلم الى الادب فى تقديم مشية الله تعالى على مشية من سواه
واختارها بثم التى هى للنسق والتراخى بخلاف الواو التى هى للاشتراك
ومثله الحديث الاخر ان خطيبا خطب عند النبى صلى الله عليه وسلم
فقال من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
فقال له النبى صلى الله عليه وسلم بئس خطيب القوم انت قم او قال
اذهب قال ابو سليمان كره منه الجمع بين الاسمين بحرف الكناية لما فيه
من التسوية وذهب غيره الى انه انما كره له الوقوف على يعصهما وقول
ابى سليمان اصح لما روى فى الحديث الصحيح انه قال ومن يعصهما فقد غوى
ولم يذكر الوقوف على يعصهما وقد اختلف المفسرون واصحاب المعانى فى قوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبى هل يصلون راجعة على الله تعالى والملائكة

ام لا فاجازه بعضهم ومنعه آخرون لعلة التشريك وخصوا الضمير
بالملئكة وقدروا الآية ان الله يصلي وملائكته يصلون وقد روى
عن عمر رضي الله عنه انه قال من فضيلتك عند الله ان جعل طاعتك طاعته فقال
من يطع الرسول فقد اطاع الله وقد قال تعالى قل ان كنتم تحبون الله
فاتبعوني يحببكم الله الآيتين وروى انه لما نزلت هذه الآية قالوا
ان محمدا يريد ان نتخذه حنانا كما اتخذت النصارى عيسى فانزل الله
تعالى قل اطيعوا الله والرسول فقرن طاعته بطاعته رغما لهم فقد
اختلف المفسرون في معنى قوله تعالى في ام الكتاب اهدنا الصراط المستقيم
صراط الذين انعمت عليهم فقال ابو العالية والحسن البصري الصراط
المستقيم هو رسول الله صلى الله عليه وسلم وخيار اهل بيته واصحابه
حكاه عنهما ابو الحسن الماوردي وحكى مكي عنهما نحوه وقال هو رسول الله
صلى الله عليه وسلم وصاحباه ابو بكر وعمر رضي الله عنهما وحكى ابو الليث
السمرقندي مثله عن ابي العالية في قوله تعالى صراط الذين انعمت عليهم قال
فبلغ ذلك الحسن فقال صدق والله ونصح وحكى الماوردي ذلك في تفسير
صراط الذين انعمت عليهم عن عبد الرحمن بن زيد وحكى ابو عبد الرحمن السلمي
عن بعضهم في تفسير قوله تعالى فقد استمسك بالعروة الوثقى انه
محمد صلى الله عليه وسلم وقيل الاسلام وقيل شهادة التوحيد وقال
سهل في قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها قال نعمته بمحمد
صلى الله تعالى عليه وسلم وقال تعالى والذي جاء بالصدق وصدق به

اولئك

[margin:] الحنان العطف والرحمة والبركة دمتري ورقه فقال
بن نوفل بيلال رضي الله عنه وهو يعذب
والله لئن قتلتموه لاتخذنه حنانا اي متمسحا
حاشية

اولئك هم المتقون الآيتين اكثر المفسرين على ان الذي جاء بالصدق
وهو محمد صلى الله عليه وسلم وقال بعضهم وهو الذي صدق به وقرئ
صدق بالتخفيف وقال غيرهم الذي صدق به المؤمنون وقيل ابو بكر
وقيل علي رضي الله عنهما وقيل غير هذا من الاقوال وعن مجاهد في قوله تعالى
الا بذكر الله تطمئن القلوب قال بمحمد صلى الله عليه وسلم واصحابه الفصل
الثاني في وصفه تعالى له بالشهادة وما يتعلق بها من الثناء والكرامة
قال الله تعالى يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا الآية جمع
الله تعالى له في هذه الآية ضروبا من رتب الاثرة وجملة اوصاف من المدحة
فجعله شاهدا على امته لنفسه بابلاغهم الرسالة وهي من خصائصه
عليه الصلوة والسلام ومبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته
وداعيا الى توحيده وعبادته وسراجا منيرا يهتدى به للحق ثنا الشيخ
ابو محمد بن عتاب رحمه الله قال ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن
القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا البخاري
ثنا محمد بن سنان ثنا فليح ثنا هلال عن عطاء بن يسار قال لقيت
عبد الله بن عمرو بن العاص فقلت اخبرني عن صفة رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال اجل والله انه لموصوف في التورية ببعض صفته في القرآن
يا ايها النبي انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للاميين انت
عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب
في الاسواق ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر ولن يقبضه

[margin:] يتعلق به نسخة
صلى الله عليه وسلم لاهل المعصية نسخة نسخة
رضي الله عنه
فقلت لعبد الله بن عمرو بن العاص اخبرني نسخة
في التورية ن

الله تعالى حتى يقيم به الملة العوجاء بان يقولوا لا اله الا الله ويفتح
به اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا وذكر مثله عن عبد الله بن
سلام وكعب الاحبار وفي بعض طرقه عن ابن اسحق ولا صخب في الاسواق
ولا متزين بالفحش ولا قوال للخنا اسدده لكل جميل واهب له كل
خلق كريم واجعل السكينة لباسه والبر شعاره والتقوى
ضميره والحكمة معقوله والصدق والوفاء طبيعته والعفو
والمعروف خلقه والعدل سيرته والحق شريعته والهدى امامه
والاسلام ملته واحمد اسمه اهدي به بعد الضلالة واعلم به
بعد الجهالة وارفع به بعد الخمالة واسمي به بعد النكرة واكثر به
بعد القلة واغني به بعد العيلة واجمع به بعد الفرقة واولف به
بين قلوب مختلفة واهواء متشتتة وامم متفرقة واجعل امته
خير امة اخرجت للناس وفي حديث آخر اخبرنا رسول الله صلى الله عليه
وسلم عن صفته في التورية عبدي احمد المختار مولده بمكة ومهاجره
بالمدينة او قال طيبة امته الحامدون لله على كل حال وقال تعالى الذين
يتبعون الرسول النبي الامي الايتين وقد قال تعالى فبما رحمة من
الله لنت لهم الاية قال السمرقندي ذكرهم الله منته انه جعل رسوله
رحيما بالمؤمنين رؤفا لين الجانب ولو كان فظا خشنا في القول
لتفرقوا من حوله لكن جعله الله سمحا سهلا طلقا برا لطيفا هكذا
قاله الضحاك وقال تعالى وكذلك جعلناكم امة وسطا لتكونوا

شهداء

نسخة

ثم اجعل نسخة
الخنا بوزن سوز نسويلك فحشيات ومهملات
كبي اخترى كبير
والمعروف اي الاحسان فعلا وتركا وعفوا عن الفاري
والعدل اي في حكمه او الاعتدال في فعاله
امامه اي قدوته في جميع حالاته
وفي نسخة معتقده بالفتح اي قدامه
ونصب عينيه لا يميل عنه
والاسلام اي الاستسلام الظاهر والباطن
دينه الذي يعليه ويؤده
وملته عن القاري رحمه الباري
بتشديد اللام المكسورة اي
اجعل الناس ذوي المعرفة بالوحي
اليه وانزل القرآن عليه بعد الجهالة
زمان الجاهلية ايام الفترة
عن القاري رحمه الباري

شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا قال ابو
الحسن القابسي ابان الله تعالى فضل نبينا صلى الله عليه وسلم وفضل امته
بهذه الاية وفي قوله تعالى في الاية الاخرى وفي هذا ليكون الرسول
شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس وكذلك قوله تعالى فكيف
اذا جئنا من كل امة بشهيد الاية وقوله وسطا اي عدلا خيارا و
معنى هذه الاية وكما هديناكم فكذلك خصصناكم وفضلناكم بان
جعلناكم امة خيارا عدولا لتشهدوا للانبياء على اممهم ويشهد
لكم الرسول بالصدق قيل ان الله جل جلاله اذا سئل الانبياء هل
بلغتم فيقولون نعم فيقول اممهم ما جاءنا من بشير ولا نذير فتشهد
امة محمد للانبياء عليهم السلام ويزكيهم النبي صلى الله عليه
وسلم وقيل معنى الاية انكم حجة على كل من خالفكم والرسول عليكم
حكاه السمرقندي وقال تعالى وبشر الذين امنوا ان لهم قدم صدق عند
ربهم قال قتادة والحسن وزيد بن اسلم قدم صدق هو محمد صلى الله عليه
وسلم يشفع لهم وعن الحسن ايضا هي مصيبتهم بنبيهم وعن ابي سعيد
الخدري هي شفاعة نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم هو شفيع صدق عند ربهم
وقال سهل بن عبد الله التستري هي سابقة رحمة اودعها في محمد صلى الله
عليه وسلم وقال محمد بن علي الترمذي هو امام الصادقين والصديقين
الشفيع المطاع والسائل المجاب محمد صلى الله عليه وسلم حكاه عنه السلمي
الفصل الثالث فيما ورد في خطابه اياه مورد الملاطفة والمبرة

من ذلك قوله تعالى عفا الله عنك لم اذنت لهم قال ابو محمد المكي قيل هذا
افتتاح كلام بمنزلة اصلحك الله واعزك وقال عون بن عبد الله اخبره
بالعفو قبل ان يخبره بالذنب حكى السمرقندي عن بعضهم ان معناه عافاك
الله يا سليم القلب لم اذنت لهم قال ولو بدأ النبي صلى الله عليه وسلم بقوله
لم اذنت لهم لخيف عليه ان ينشق قلبه من هيبة هذا الكلام لكن الله تعالى
برحمته اخبره بالعفو حتى سكن قلبه ثم قال له لم اذنت لهم بالتخلف حتى
يتبين الصادق في عذره من الكاذب وفي هذا من عظيم منزلته عند الله
تعالى ما لا يخفى على ذي لب ومن اكرامه اياه وبره به ما ينقطع دون معرفة
غايته نياط القلب قال نفطويه ذهب ناس الى ان النبي صلى الله عليه و
سلم معاتب بهذه الآية وحاشاه من ذلك بل كان مخيرا فلما اذن لهم
اعلمه الله انه لو لم ياذن لهم لقعدوا للنفاقهم وانه لا حرج عليه في الاذن
لهم قال الفقيه القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى يجب على المسلم المجاهد نفسه
الرائض بزمام الشريعة خلقه ان يتأدب باداب القرآن في قوله وفعله
ومعاطاته ومحاوراته فهو عنصر المعارف الحقيقية وروضة الاداب
الدينية والدنيوية وليتأمل هذه الملاطفة العجيبة في السؤال من
رب الارباب المنعم على الكل المستغني عن الجميع ويستثير ما فيها من الفوائد
وكيف ابتدأ بالاكرام قبل العتب وآنس بالعفو قبل ذكر الذنب ان كان
ثم ذنب وقال تعالى ولولا ان ثبتناك لقد كدت تركن اليهم شيئا
قليلا قال بعض المتكلمين عاتب الله تعالى الانبياء بعد الزلات وعاتب

عون بن عبد الله وهو الفقيه الزاهد احد الفقهاء السبعة بمدينة النبي عليه السلام روى ابو هريرة وابن عباس وعن الزهري وابو حنيفة رحمه الله توفي سنة ١٠٦ على القاري

حتى يسكن نسخ

النياط بكسر النون عرق متعلق بالقلب من الوتين فاذا قطع مات صاحبه ابن

باداب القرآن نسخ

ويستغني عن نسخ

نسخ

ذكره

نبينا

نبينا صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ليكون بذلك اشد انتهاء و
محافظة لشرائط المحبة وهذه غاية العناية ثم انظر كيف بدأ بثباته و
سلامته قبل ذكر ما عتبه عليه وخيف ان يركن اليه ففي اثناء عتبه براءة
وفي طي تخويفه تامينه وكرامته ومثله قوله قد نعلم انه ليحزنك الذي
يقولون فانهم لا يكذبونك قال علي رضي الله عنه قال ابو جهل للنبي صلى الله
عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما جئت به فانزل الله تعالى فانهم
لا يكذبونك الآية وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كذبه قومه
حزن فجاءه جبرائيل عليه السلام فقال ما يحزنك قال كذبني قومي فقال
انهم يعلمون انك صادق فانزل الله الآية ففي هذه الآية منزع لطيف
المأخذ من تسليته تعالى عليه السلام والطافه في القول بان قرر عنده
انه صادق عندهم وانهم غير مكذبين له معترفون بصدقه قولا
واعتقادا وقد كانوا يسمونه قبل النبوة الامين فدفع بهذا التقرير
ارتماض نفسه بسمة الكذب ثم جعل الذم لهم بتسميتهم جاحدين ظالمين
فقال تعالى ولكن الظالمين بايات الله يجحدون فحاشاه من الوصم وطوقهم
بالمعاندة بتكذيب الايات حقيقة الظلم اذ الجحد انما يكون ممن علم الشيء
ثم انكره كقوله تعالى وجحدوا بها واستيقنتها انفسهم ظلما وعلوا ثم
عزاه وآنسه بما ذكره عمن قبله ووعده النصر بقوله ولقد كذبت
رسل من قبلك الآية فمن قرأ يكذبونك بالتخفيف فمعناه لا يجدونك
كاذبا وقال الفراء والكسائي لا يقولون انك كاذب وقيل لا يحتجون على

على كذبك ولا يثبتونه ومن قرأ بالتشديد فمعناه لا ينسبونك الى
الكذب وقيل لا يعتقدون كذبا وثمّا ذكر من خصائصه وبرّ الله تعالى به ان
الله تعالى خاطب جميع الانبياء باسمائهم فقال يا آدم يا نوح يا ابراهيم
يا موسى يا داوود يا عيسى يا زكريا يا يحيى ولم يخاطب هو الا يا ايها
النبي يا ايها المزمل يا ايها المدثر الفصل الرابع في قسمه تعالى بعظيم
قدره قال الله تعالى لعمرك انهم لفي سكرتهم يعمهون اتفق اهل التفسير
في هذا انه قسم من الله جل جلاله بمدة حيوة محمد صلى الله عليه وسلم واصله ضم العين
من العمر ولكنها فتحت لكثرة الاستعمال ومعناه وبقائك يا محمد وقيل
وعيشك وقيل وحياتك وهذه نهاية التعظيم وغاية في البر والتشريف
قال ابن عباس رضي الله عنهما ما خلق الله وما ذرأ وما برأ نفسا اكرم
عليه من محمد صلى الله عليه وسلم وما سمعت الله تعالى اقسم بحياة احد
غيره قال ابو الجوزاء ما اقسم الله عز وجل بحياة احد غير محمد صلى الله عليه
وسلم لانه اكرم البرية عنده وقال تعالى يس والقرآن الحكيم الايات اختلف
المفسرون في معنى يس على اقوال فحكى ابو محمد مكي انه روي عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال لي عند ربي عشرة اسماء ذكر ان منها طه ويس اسمان
له وحكى ابو عبد الرحمن السلمي عن جعفر الصادق رضي الله عنه انه اراد
يا سيد مخاطبة لنبيه صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس رضي الله عنه
يس يا انسان اراد محمدا صلى الله عليه وسلم وقال هو قسم وهو اسم
من اسماء الله وقال الزجاج قيل معناه يا محمد وقيل يا رجل وقيل يا انسان

بطريق الايماء على

وعن

وعن ابن الحنفية رضي الله عنه يس يا محمد وعن كعب يس قسم اقسم الله
تعالى به قبل ان يخلق السماء والارض بالفي عام يا محمد انك لمن المرسلين
ثم قال تعالى والقرآن الحكيم انك لمن المرسلين فان قدر انه من اسمائه صلى الله
عليه وسلم وصح فيه انه قسم كان فيه من التعظيم ما تقدم ويؤكد فيه القسم
عطف القسم الآخر عليه وان كان بمعنى النداء فقد جاء قسم آخر بعده لتحقيق
رسالته والشهادة بهدايته اقسم الله تعالى باسمه وكتابه انه لمن
المرسلين بوحيه الى عباده وعلى صراط مستقيم من ايمانه اي طريق لا اعوجاج
فيه ولا عدول عن الحق قال النقاش لم يقسم الله تعالى لاحد من انبيائه عليهم
السلام بالرسالة في كتابه الا له عليه السلام وفيه من تعظيمه وتمجيده
على تأويل من قال انه يا سيد ما فيه وقد قال عليه السلام انا سيد ولد آدم
ولا فخر وقال تعالى لا اقسم بهذا البلد وانت حل بهذا البلد قيل لا اقسم به اذا
لم تكن فيه بعد خروجك منه حكاه مكي وقيل لا زائدة اي اقسم به وانت
يا محمد حلال او حل لك ما فعلت فيه على التفسيرين والمراد بالبلد عند هؤلاء
مكة وقال الواسطي اي نحلف لك بهذا البلد الذي شرفته بمكانك فيه حيا
وبركتك ميتا يعني المدينة والاول اصح لان السورة مكية وما بعده
يصححه قوله تعالى وانت حل بهذا البلد ونحوه قول ابن عطاء في تفسير قوله تعالى
وهذا البلد الامين قال امنها الله بمقامه فيها وكونه بها فان كونه عليه السلام
امان حيث كان ثم قال عز وجل ووالد وما ولد من قال اراد آدم عليه
السلام فهو عام ومن قال هو ابراهيم عم وما ولده فهي ان شاء الله اشارة

الى محمد صلى الله عليه وسلم فتضمنت السورة القسم في موضعين وقال
تعالى الم ذلك الكتاب قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه هذه الحروف
اقسام اقسم الله بها وعنه وعن غيره فيها غير ذلك وقال سهل بن عبد الله
التستري الالف هو الله تعالى واللام جبريل عليه السلام والميم محمد عليه
الصلوة والسلام وحكى هذا القول السمرقندي ولم ينسبه الى سهل
وجعل معناه الله انزل جبريل على محمد بهذا القرآن لا ريب فيه وعلى الوجه
الاول يحتمل القسم ان هذا الكتاب حق لا ريب فيه ثم فيه من فضيلة قران اسمه
باسمه نحو ما تقدم وقال ابن عطاء في قوله تعالى ق والقرآن المجيد اقسم
بقوة قلب حبيبه محمد صلى الله وسلم حيث حمل الخطاب والمشاهدة ولم
يؤثر ذلك فيه لعلو حاله وقيل هو اسم للقرآن وقيل هو اسم الله و
قيل جبل محيط بالارض وقيل غير هذا وقال جعفر بن محمد الصادق في تفسير
والنجم اذا هوى انه محمد صلى الله عليه وسلم وقال النجم قلب محمد صلى الله عليه وسلم
هوى انشرح من الانوار وقال انقطع عن غير الله وقال ابن عطاء في قوله
تعالى والفجر وليال عشر الفجر محمد صلى الله عليه وسلم لان منه تفجر الايمان
صلى الله عليه وسلم الفصل الخامس في قسمه تعالى جده له عليه السلام
لتحقيق مكانته عنده قال جل اسمه والضحى والليل اذا سجى السورة و
اختلف في سبب نزول هذه السورة فقيل كان ترك النبي صلى الله عليه
وسلم قيام الليل لعذر نزل به فتكلمت امرأة في ذلك بكلام وقيل بل تكلم به
المشركون عند فترة الوحي فنزلت السورة قال الفقيه القاضي الامام ابو الفضل

رحمه الله

مكية وهي احدى عشرة آية

رحمه الله تضمنت هذه السورة من كرامة الله تعالى له صلى الله عليه وسلم وتنويهه
به وتعظيمه اياه ستة وجوه الاول القسم له عما اخبره به من حاله بقوله
تعالى والضحى والليل اذا سجى اي ورب الضحى وهذا من اعظم درجات
المبرة الثاني بيان مكانته عنده وحظوته لديه بقوله ما ودعك
ربك وما قلى اي ما تركك وما ابغضك وقيل ما اهملك بعد ان
اصطفاك الثالث قوله تعالى وللآخرة خير لك من الاولى قال ابن اسحق
اي ما لك في مرجعك عند الله اعظم مما اعطاك من كرامة الدنيا
وقال سهل اي ما ذخرت لك من الشفاعة والمقام المحمود خير لك مما اعطيتك
في الدنيا الرابع قوله تعالى ولسوف يعطيك ربك فترضى وهذه آية جامعة
لوجوه الكرامة وانواع السعادة وشتات الانعام في الدارين والزيادة
قال ابن اسحق يرضيه بالفلج في الدنيا والثواب في الآخرة وقيل يعطيه الحوض
والشفاعة وروي عن بعض آل النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ليس آية في
القرآن ارجى منها ولا يرضى رسول الله صلى الله عليه وسلم ان يدخل احد
من امته النار الخامس ما عده الله تعالى عليه من نعمه وقرره من آلائه
قبله من بقية السورة من هدايته الى ما هداه له او هداية الناس
على اختلاف التفاسير ولا مال له فاغناه بما آتاه او بما جعله
في قلبه من القناعة والغنى ويتيما فحدب عليه عمه واواه اليه
وقيل آواه الى الله وقيل يتيما لا مثال لك فآواك اليه وقيل المعنى
الم يجدك فهدى بك ضالا واغنى بك عائلا وآوى بك يتيما ذكره

بهذه المنن وانه على المعلوم من التفسير لم يهمله في حال صغره وعيلته
اي لم يتركه ربه على
ويتمه وقبل معرفته ولا ودعه ولا قلاه فكيف بعد اختصاصه و
اصطفائه السادس امره باظهار نعمته عليه وشكر ما شرفه به بنشره
واشارة ذكره بقوله واما بنعمة ربك فحدث فان من شكر النعمة التحدث
بها وهذا خاص له وعام لامته وقال الله تعالى والنجم اذا هوى الى قوله
لقد رأى من ايات ربه الكبرى اختلف المفسرون في قوله تعالى والنجم
باقاويل معروفة منها النجم على ظاهره ومنها القرآن وعن جعفر بن محمد انه
محمد صلى الله عليه وسلم وقال هو قلب محمد صلى الله عليه وسلم وقد قيل
في قوله تعالى والسماء والطارق وما ادريك ما الطارق النجم الثاقب
ان النجم هنا ايضا محمد صلى الله عليه وسلم حكاه السلمي تضمنت هذه
الايات من فضله وشرفه العد ما يقف دونه العد واقسم جل اسمه
على هداية المصطفى وتنزيهه عن الهوى وصدقه فيما تلى وانه وحي
يوحى اوصله اليه عن الله جبريل عليه السلام وهو الشديد القوى
ثم اخبر تعالى عن فضيلته بقصة الاسراء وانتهائه الى سدرة المنتهى
وتصديق بصره فيما راى وانه رأى من ايات ربه الكبرى وقد نبه تعالى
على مثل هذا في اول سورة الاسراء ولما كان ما كاشفه عليه السلام
من ذلك الجبروت وشاهده من عجائب الملكوت لا تحيط به العبادات
ولا تستقل بحمل سماع ادناه العقول رمز عنه تعالى بالايماء والكناية الدالة
جواب لما
على التعظيم فقال تعالى فاوحى الى عبده ما اوحى وهذا النوع من

الكلام يسميه اهل النقد والبلاغة بالوحي والاشارة وهو عندهم ابلغ
ابواب الايجاز وقال تعالى لقد رأى من ايات ربه الكبرى انحسرت الافهام عن
تفصيل ما اوحى وتاهت الاحلام في تعيين تلك الايات الكبرى قال القاضي
ابو الفضل واشتملت هذه الايات على اعلام الله تعالى بتزكية جملته عليه
السلام وعصمتها من الافات في هذا المسرى فزكى فؤاده ولسانه وجوارحه
وقلبه بقوله ما كذب الفؤاد ما رأى ولسانه بقوله وما ينطق عن الهوى
وبصره بقوله ما زاغ البصر وما طغى وقال تعالى فلا اقسم بالخنس الجوار
الكنس الى قوله وما هو بقول شيطان رجيم لا اقسم اي اقسم انه لقول
رسول كريم اي كريم عند مرسله ذي قوة على تبليغ ما حمله من الوحي مكين
اي متمكن المنزلة من ربه رفيع المحل عنده مطاع ثم اي في السماء
امين على الوحي قال علي بن عيسى وغيره الرسول الكريم هنا محمد صلى الله
عليه وسلم فجميع الاوصاف بعد على هذا له صلى الله عليه وسلم وقال غيره هو
جبريل عليه السلام فترجع الاوصاف اليه ولقد رآه يعني محمدا
قيل رأى ربه وقيل رأى جبرائيل في صورته وما هو على الغيب بضنين
اي بمتهم ومن قرأه بالضاد فمعناه ما هو ببخيل بالدعاء به والتذكير
بحكمه وبعلمه وهذه لمحمد صلى الله عليه وسلم باتفاق وقال تعالى ن
والقلم وما يسطرون الايات اقسم الله تعالى بما اقسم به من عظيم قسمه
على تنزيه المصطفى مما غمصته الكفرة به وتكذيبهم له وانسه
وبسط امله بقوله محسنا خطابه ما انت بنعمة ربك بمجنون

وهذه نهاية المبرة في المخاطبة واعلى درجات الاداب في المحاورة
ثم اعلمه بما له عنده من نعيم دائم وثواب غير منقطع لا ياخذه عدّ ولا
يمتن به عليه فقال وان لك لاجرا غير ممنون ثم اثنى عليه بما منحه من
هباته وهداه اليه واكد ذلك تتميما للتمجيد بحرفي التاكيد فقال و
انك لعلى خلق عظيم قيل القرآن وقيل الاسلام وقيل الطبع الكريم وقيل ليس لك
همة الا الله قال الواسطي اثنى عليه بحسن قبوله لما اسداه اليه من نعمه وفضله
بذلك على غيره لانه جبله على ذلك الخلق فسبحان اللطيف الكريم المحسن الجواد
الحميد الذي يسر للخير وهدى اليه ثم اثنى على فاعله وجازاه عليه سبحانه
ما اغمر نواله واوسع افضاله ثم سلاه عن قولهم بعد هذا بما وعدهم به
من عقابهم وتوعدهم بقوله فستبصر ويبصرون الثلاث الآيات ثم عطف
بعد مدحه على ذم عدوه وذكر سوء خلقه وعد معايبه متوليا ذلك
بفضله ومنتصرا لنبيه عليه السلام فذكر بضع عشرة خصلة من خصال
الذم فيه بقوله فلا تطع المكذبين الى قوله اساطير الاولين ثم ختم
ذلك بالوعيد الصادق بتمام شقائه وخاتمة بواره بقوله سنسمه على
الخرطوم فكانت نصرة الله له اتم من نصرته لنفسه ورده تعالى على عدوه
ابلغ من رده عليه واثبت في ديوان مجده الفصل السادس فيما ورد
من قوله تعالى في جهته عليه السلام مورد الشفقة والاكرام قال تعالى
طه ما انزلنا عليك القرآن لتشقى قيل طه اسم من اسمائه عليه السلام
وقيل هو اسم لله تعالى وقيل معناه يا رجل وقيل يا انسان وقيل هي حروف

مقطعة

مقطعة لمعان قال الواسطي اراد يا طاهر يا هادي وقيل هو امر من
الوطء والهاء كناية عن الارض اي اعتمد على الارض بقدميك
ولا تتعب نفسك بالاعتماد على قدم واحدة وهو قوله تعالى ما انزلنا
عليك القرآن لتشقى ونزلت الآية فيما كان النبي صلى الله عليه وسلم
يتكلفه من السهر والتعب وقيام الليل اخبرنا القاضي ابو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغير واحد عن القاضي ابي الوليد الباجي اجازة ومن
اصله نقلت قال ثنا ابو ذر الحافظ قال ثنا ابو محمد الحموي ثنا
ابراهيم بن خريم الشاشي قال ثنا عبد بن حميد ثنا هاشم بن القاسم
عن ابي جعفر عن الربيع بن انس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا صلى قام على رجل ورفع الاخرى فانزل الله تعالى طه يعني طإ الارض
يا محمد ما انزلنا عليك القرآن لتشقى ولا خفاء بما في هذا كله من
الاكرام وحسن المعاملة وان جعلنا طه من اسمائه عليه السلام
كما قيل او جعلت قسما لحق الفصل بما قبله ومثل هذا من نمط الشفقة
والمبرة قوله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث
اسفا اي قاتل نفسك لذلك غضبا او غيظا او جزعا ومثله قوله
ايضا لعلك باخع نفسك الا يكونوا مؤمنين ثم قال ان نشأ ننزل عليهم
من السماء آية فظلت اعناقهم لها خاضعين ومن هذا الباب قوله تعالى فاصدع
بما تؤمر واعرض عن المشركين الى قوله ولقد نعلم انك يضيق صدرك بما
يقولون الى آخر السورة وقوله تعالى ولقد استهزئ برسل من قبلك الآية

قال مكي سلاه الله تعالى بما ذكر وهون عليه ما يلقى من المشركين واعلمه
ان من تمادى على ذلك يحل به ما حل بمن قبله ومثل هذه التسلية قوله تعالى و
ان يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك ومن هذه قوله تعالى كذلك ما اتى الذين
من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر او مجنون عزاه الله تعالى بما اخبره به عن
الامم السالفة ومقالها لانبيائهم قبله ومحنتهم بهم وسلاه بذلك عن
محنته بمثله من كفار مكة وانه ليس اول من لقي ذلك ثم طيب نفسه و
ابان عذره بقوله تعالى فتول عنهم اي اعرض عنهم فما انت بملوم اي في اداء
ما بلغت وابلاغ ما حملت ومثله قوله تعالى واصبر لحكم ربك فانك
باعيننا اي اصبر على اذاهم فانك بحيث نراك ونحفظك سلاه الله تعالى
بهذا في اي كثيرة من هذا المعنى **الفصل السابع** فيما اخبر الله تعالى
به في كتابه العزيز من عظيم قدره وشريف منزلته على الانبياء وحظوة
رتبته عليهم قوله تعالى واذ اخذ الله ميثاق النبيين لما اتيتكم من كتاب
وحكمة الى قوله من الشاهدين قال ابو الحسن القابسي استخص الله تعالى
محمدا صلى الله عليه وسلم بفضل لم يؤته غيره ابانه به وهو ما ذكره في هذه
الاية قال المفسرون اخذ الله الميثاق بالوحي فلم يبعث نبيا الا ذكر له محمدا
صلى الله عليه وسلم ونعته واخذ عليه ميثاقه ان ادركه ليؤمنن به وقيل
ان يبينه لقومه ويأخذ ميثاقهم ان يبينوه لمن بعدهم وقوله ثم جاءكم
الخطاب لاهل الكتاب المعاصرين لمحمد صلى الله عليه وسلم قال علي بن ابي طالب
رضي الله عنه لم يبعث الله نبيا من آدم فمن بعده الا اخذ عليه العهد في محمد

صلى الله

صلى الله عليه وسلم لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ويأخذ
العهد بذلك على قومه ونحوه عن السدي وقتادة في اي تضمنت فضله
من غير وجه واحد قال الله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك
ومن نوح الاية وقال انا اوحينا اليك كما اوحينا الى نوح الى قوله
وكيلا روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال في كلام بكى
به النبي صلى الله عليه وسلم فقال بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ
من فضيلتك عند الله ان بعثك آخر الانبياء عليهم السلام وذكرك
في اولهم فقال واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
الاية بابي انت وامي يا رسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده
ان اهل النار يودون ان يكونوا اطاعوك وهم بين اطباقها يعذبون
يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسولا قال قتادة ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث
فلذلك وقع ذكره مقدما هنا قبل نوح وغيره قال السمرقندي في هذا
تفضيل نبينا صلى الله عليه وسلم لتخصيصه بالذكر قبلهم وهو آخرهم
المعنى اخذ الله عليهم الميثاق اذ اخرجهم من ظهر آدم كالذر وقال
تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض الاية وقال اهل التفسير
اراد بقوله ورفع بعضهم درجات محمدا صلى الله عليه وسلم
لانه بعث الى الاحمر والاسود واحلت له الغنائم وظهرت على يديه
المعجزات وليس احد من الانبياء عليهم السلام اعطي فضيلة او كرامة

الا وقد اعطى محمدا صلى الله عليه وسلم مثلها قال بعضهم ومن فضله ان الله تعالى
خاطب الانبياء باسمائهم وخاطبه بالنبوة والرسالة في كتابه فقال
يا ايها النبي ويا ايها الرسول وحكى السمرقندي عن الكلبي في قوله تعالى وان
من شيعته لابراهيم لان الهاء عائدة على محمد صلى الله عليه وسلم اي من
شيعة محمد لابراهيم اي على دينه ومنهاجه واجازه الفراء وحكى عنه
مكي وقيل المراد نوح ويروى على نوح عليه السلام الفصل الثامن
في اعلام الله تعالى خلقه بصلوته عليه وولايته له ورفعه العذاب بسببه
قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم اي ما كنت بمكة فلما خرج
النبي صلى الله عليه وعليه وسلم من مكة وبقي فيها من بقي من المؤمنين
نزل وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون وهذا مثل قوله لو
تزيلوا لعذبنا الاية وقوله ولولا رجال مؤمنون الاية فلما هاجر المؤمنون
نزلت وما لهم الا يعذبهم الله وهذا من ابين ما يظهر مكانته صلى الله
عليه وسلم ودرئه العذاب عن اهل مكة بسبب كونه ثم كون اصحابه بعده
بين اظهرهم فلما خلت مكة منهم عذبهم بتسليط المؤمنين عليهم وغلبتهم
اياهم وحكم فيهم سيوفهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم وفي الاية
ايضا تاويل اخر ثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل
بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى بن زوج الحرة ثنا
ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا
سفيان بن وكيع ثنا ابن نمير عن اسمعيل بن ابراهيم بن مهاجر عن عباد بن يوسف

قال البرهان كان في الاصل ابو الحسين فصحح في التلاوة الحسين بالتصغير وهو الصواب

عن ابي

عن ابي بردة بن ابي موسى عن ابيه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انزل الله تعالى علي امانين لامتي وما كان الله ليعذبهم وانت وما كان الله
معذبهم وهم يستغفرون فاذا مضيت تركت فيكم الاستغفار ونحو منه
قوله تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين وقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم انا امان لاصحابي قيل من البدع وقيل من الاختلاف والاهواء والفتن
قال بعضهم الرسول صلى الله عليه وسلم هو الامان الاعظم ما عاش وما
دامت سنته باقية فهو باق فاذا اميتت سنته فانتظروا البلاء والفتن
وقال الله تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي يا ايها الذين امنوا
صلوا عليه وسلموا تسليما ابان الله تعالى فضل نبيه عليه السلام بصلاته
عليه ثم بصلاة ملائكته وامر عباده بالصلوة والتسليم عليه وقد حكى
ابو بكر بن فورك ان بعض العلماء تاول قوله عليه السلام وجعلت قرة
عيني في الصلوة على هذا اي في صلوة الله تعالى علي وملائكته وامره الامة
بذلك الى يوم القيمة والصلوة من الملائكة الاستغفار ومنا له دعاء
ومن الله رحمة وقيل يصلون يباركون وقد فرق النبي صلى الله عليه و
سلم حين علم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة والبركة وسنذكر حكم
الصلوة عليه وذكر بعض المتكلمين في تفسير حروف كهيعص ان الكاف
كاف اي كفاية الله لنبيه صلى الله عليه وسلم قال اليس الله بكاف عبده
والهاء هدايته له قال الله تعالى ويهديك صراطا مستقيما والياء
تاييده له قال وايدك بنصره والعين عصمته له قال والله يعصمك

من الناس والصادة صلوة عليه قال ان الله وملائكته يصلون على النبي
وقال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان الله هو موليه وجبريل وصالح المؤمنين
الآية مولاه اى وليه وصالح المؤمنين قيل الانبياء وقيل الملئكة وقيل
ابوبكر وعمر وقيل على وقيل المؤمنون على ظاهره

الفصل التاسع

فيما تضمنته سورة الفتح من كراماته صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى انا فتحنا لك
فتحا مبينا الى قوله يد الله فوق ايديهم تضمنت هذه الآيات من فضله والثناء
عليه وكريم منزلته عند الله ونعمته لديه ما يقصر الوصف عن الانتهاء اليه
فابتدأ جل جلاله باعلامه بما قضاه له من القضاء البين بظهوره و
غلبته على عدوه وعلو كلمته وشريعته وانه مغفور له غير مواخذ بما كان
وما يكون قال بعضهم اراد غفران ما وقع وما لم يقع اى انك مغفور لك
وقال مكي جعل الله المنة سببا للمغفرة وكل من عنده لا اله غيره منة بعد
منة وفضلا بعد فضل وقيل بفتح مكة والطائف وقيل يرفع ذكرك في الدنيا
وينصرك ويغفر لك فاعلمه بتمام نعمته عليه بخضوع متكبري عدوه له و
فتح اهم البلاد عليه واحبها له ورفع ذكره وهدايته الصراط المستقيم
المبلغ الجنة والسعادة ونصره النصر العزيز ومنته على امته المؤمنين
بالسكينة والطمانينة التي جعلها في قلوبهم وبشارتهم بما لهم بعد وفوزهم
العظيم والعفو عنهم والستر لذنوبهم وهلاك عدوه في الدنيا والآخرة
ولعنهم وبعدهم من رحمته وسوء منقلبهم ثم قال تعالى انا ارسلناك شاهدا
ومبشرا ونذيرا الآية فعدد محاسنه وخصائصه من شهادته على امته

لنفسه

لنفسه بتبليغ الرسالة لهم وقيل شاهدا لهم بالتوحيد ومبشرا لامته بالثواب
وقيل بالمغفرة ومنذرا عدوه بالعذاب وقيل محذرا من الضلالات ليؤمن بالله
ثم به من سبقت له من الله الحسنى وتعزروه اى تجلوه وقيل ينصرونه وقيل
يبالغون في تعظيمه وتوقروه وقرأ بعضهم تعززوه بزايين من العز والاكثر
والاظهر ان هذا في حق محمد صلى الله عليه وسلم ثم قال وتسبحوه فهذا راجع
الى الله تعالى قال ابن عطاء جمع للنبي صلى الله عليه وسلم في هذه السورة نعم مختلفة
من الفتح المبين وهو من اعلام الاجابة والمغفرة وهي من اعلام المحبة وتمام النعمة
وهي من اعلام الاختصاص والهداية وهي من اعلام الولاية فالمغفرة تبرئة من
العيوب وتمام النعمة ابلاغ الدرجة الكاملة والهداية وهي الدعوة الى المشاهدة
وقال جعفر بن محمد من تمام نعمته عليه ان جعله حبيبه واقسم بحياته ونسخ به
شرائع غيره وعرج به الى المحل الاعلى وحفظه في المعراج حتى ما زاغ البصر
وما طغى وبعثه الى الاسود والاحمر واحل له ولامته الغنائم وجعله
شفيعا مشفعا وسيد ولد آدم وقرن ذكره بذكره ورضاه برضاه
وجعله احد ركني التوحيد ثم قال ان الذين يبايعون الله يعني بيعة
الرضوان اى انما يبايعون الله ببيعتهم اياك يد الله فوق ايديهم يريد
عند البيعة قيل قوة الله وقيل ثوابه وقيل منته وقيل عقده وهذه استعارة
وتجنيس في الكلام وتاكيد لعقد بيعتهم اياه وعظيم شان المبايع صلى
الله عليه وسلم وقد يكون من هذا قوله تعالى فلم تقتلوهم ولكن الله قتلهم
وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى وان كان الاول في باب المجاز

وهذا في باب الحقيقة لان القاتل والرامي بالحقيقة هو الله وهو خالق
فعله ورميه وقدرته عليه ومسببه ولانه ليس في قدرة البشر
توصيل تلك الرمية حيث وصلت حتى لم يبق منهم من لم تملأ عينيه
وكذلك قتل الملائكة لهم حقيقة وقد قيل في هذه الآية الاخرى انها
على المجاز العربي ومقابلة اللفظ ومناسبته اي ما قتلتموهم وما
رميتهم انت اذ رميت وجوههم بالحصباء والتراب ولكن الله رمى
قلوبهم بالجزع اي ان منفعة الرمي كانت من فعل الله تعالى فهو القاتل و
الرامي بالمعنى وانت بالاسم

الفصل العاشر

فيما اظهره الله في كتابه
العزيز من كرامته عليه ومكانته عنده وما خصه به من ذلك سوى
ما انتظم فيما ذكرناه قبل من ذلك ما نصه الله تعالى من قصة الاسراء في سورة
سبحان والنجم وما انطوت عليه القصة من عظيم منزلته وقربه ومشاهدته
ما شاهد من العجائب ومن ذلك عصمته من الناس بقوله والله يعصمك
من الناس وقوله واذ يمكر بك الذين كفروا الآية وقوله الا تنصروه
فقد نصره الله وما دفع الله به عنه في هذه القصة من اذاهم بعد
تحزبهم لهلكه وخلوصهم نجيا في امره والاخذ على ابصارهم عند خروجه
عليهم وذهولهم عن طلبه في الغار وما ظهر في ذلك من الآيات و
نزول السكينة عليه وقصة سراقة بن مالك حسب ما ذكره اهل الحديث
والسير في قصة الغار وحديث الهجرة ومنه قوله تعالى انا اعطيناك
الكوثر فصل لربك وانحر ان شانئك هو الابتر اعلمه الله

بما اعطاه والكوثر حوضه وقيل نهر في الجنة وقيل الخير الكثير وقيل الشفاعة
وقيل المعجزات الكثيرة وقيل النبوة وقيل المعرفة ثم اجاب عنه عدوه ورد
عليه قوله فقال تعالى ان شانئك هو الابتر اي عدوك ومبغضك والابتر
الحقير الذليل او المفرد الوحيد او الذي لا خير فيه وقال تعالى ولقد آتيناك
سبعا من المثاني والقرآن العظيم قيل السبع المثاني السور الطوال الاول
والقرآن العظيم ام القرآن وقيل السبع المثاني ام القرآن والقرآن العظيم
سائره وقيل السبع المثاني ما في القرآن من امر ونهي وبشرى وانذار و
ضرب مثل واعداد نعم وآتيناك نبأ القرآن العظيم وسميت ام القرآن
مثاني لانها تثنى في كل ركعة وقيل بل الله استثناها لمحمد صلى الله
عليه وسلم وذخرها له دون الانبياء وسمى القرآن مثاني لان القصص

ادخرها نسخ

تثنى فيه وقيل السبع المثاني اكرمناك بسبع كرامات الهدى والنبوة و
الرحمة والشفاعة والولاية والتعظيم والسكينة وقال تعالى وانزلنا اليك
الذكر الآية وقال تعالى وما ارسلناك الا كافة للناس بشيرا ونذيرا
وقال تعالى يا ايها الناس اني رسول الله اليكم جميعا الآية قال القاضي
رحمه الله فهذه من خصائصه وقال تعالى وما ارسلنا من رسول الا بلسان
قومه ليبين لهم فخصهم بقومهم وبعث محمدا صلى الله عليه وسلم الى الخلق
كافة كما قال عليه السلام بعثت الى الاحمر والاسود وقال تعالى النبي
اولى بالمؤمنين من انفسهم وازواجه امهاتهم قال اهل التفسير اولى
بالمؤمنين من انفسهم اي انفذ فيهم من امره هو ماض عليهم كما يمضي حكم

على عبده وقيل اتباع امره اولى من اتباع رأى النفس وازواجه امهاتهم
اى هن فى الحرمة كالامهات حرم نكاحهن عليهم بعده تكرمة له وخصوصية
ولانهن له ازواج فى الاخرة حرم وقد قرئ وهو اب لهم ولا يقرأ به الان
لمخالفته المصحف وقال تعالى وانزل الله عليك والحكمة الاية قيل فضله العظيم
بالنبوة وقيل بما سبق له فى الازل واشار الواسطى الى انها اشارة الى احتمال
الرؤية التى لم يحتملها موسى صلى الله عليه وسلم

الباب الثانى

فى تكميل الله له المحاسن خلقا وخلقا وقرانه جميع الفضائل الدينية
والدنيوية فيه نسقا اعلم ايها المحب لهذا النبى الكريم الباحث تفاصيل
جمل قدره العظيم ان خصال الجمال والكمال فى البشر نوعان ضرورى دنيوى
اقتضته الجبلة وضرورة الحيوة الدنيا ومكتسب دينى وهو ما يحمد
فاعله ويتقرب الى الله زلفى ثم هى على فنين ايضا منهما ما يتخلص لاحد
الوصفين ومنهما ما يتمازج ويتداخل فاما الضرورى المحض فما ليس للمرء
فيه اختيار ولا اكتساب مثل ما كان فى جبلته من كمال خلقته وجمال صورته
وقوة عقله وصحة فهمه وفصاحة لسانه وقوة حواسه واعضائه واعتدال
حركاته وشرف نسبه وعزة قومه وكرم ارضه ويلحق به ما تدعوه ضرورة
حياته اليه من غذائه ونومه وملبسه ومسكنه ومنكحه وماله وجاهه
وقد تلحق هذه الخصال الاخرة بالاخروية اذا قصد بها التقوى ومعونة
البدن على سلوك طريقها وكانت على حدود الضرورة وقوانين الشريعة

ايضا قال بعضهم الفضائل سبعة الصدق والحياء والسخاوة والوفاء والتواضع والحلم وأداء الامانة ولم يجتمع ذلك الا فى رسول الله صلى الله عليه وسلم لانه قال ادبنى ربى فاحسن تاديبى من التبيان

واما

واما المكتسبة الاخروية فسائر الاخلاق العلية والاداب الشرعية من الدين
والعلم والحلم والصبر والشكر والعدل والزهد والتواضع والعفو و
العفة والجود والشجاعة والحياء والمروءة والصمت والتؤدة والوقار و
الرحمة وحسن الادب والمعاشرة واخواتها وهى التى جماعها حسن الخلق
وقد يكون من هذه الاخلاق ما هو فى الغريزة واصل الجبلة لبعض الناس
وبعضهم لا تكون فيه فيكتسبها ولكنه لا بد ان يكون فيه من اصولها
فى اصل الجبلة شعبة كما سنبينه ان شاء الله تعالى وتكون هذه الاخلاق
دنيوية اذا لم يرد بها وجه الله والدار الاخرة ولكنها كلها محاسن وفضائل
باتفاق اصحاب العقول السليمة وان اختلفوا فى موجب حسنها وتفضيلها
فصل قال القاضى رضى الله اذا كانت خصال الكمال والجلال ما ذكرناه
ووجدنا الواحد منا يشرف بواحدة منها او اثنتين ان اتفقت له فى كل
عصر اما من نسب او جمال او قوة او علم او حلم او شجاعة او سماحة حتى قدره ويضرب
باسمه الامثال ويتقرر له بالوصف بذلك فى القلوب اثرة وعظمة وهو منذ عصور
خوال رمم بوال فما ظنك بعظيم قدر من اجتمعت فيه كل هذه الخصال الى ما
لا يأخذه عد ولا يعبر عنه مقال ولا ينال بكسب ولا حيلة الا بتخصيص الكبير
المتعال من فضيلة النبوة والرسالة والخلة والمحبة والاصطفاء والاسراء
والرؤية والقرب والدنو والوحى والشفاعة والوسيلة والفضيلة
والدرجة الرفيعة والمقام المحمود والبراق والمعراج والبعث الى الاحمر والاسود
والصلوة بالانبياء والشهادة بين الانبياء والامم وسيادة ولد آدم

التودد ٤٢

ولواء الحمد والبشارة والنذارة والمكانة عند ذي العرش والطاعة ثم
والامانة والهداية ورحمة للعالمين واعطاء الرضى والسؤل والكوثر وسماع
القول واتمام النعمة والعفو عما تقدم وتاخر وشرح الصدر ووضع الوزر
ورفع الذكر وعزة النصر ونزول السكينة والتاييد بالملئكة وايتاء
الكتاب والحكمة والسبع المثاني والقرآن العظيم وتزكية الامة والدعاء
الى الله وصلاة الله والملائكة والحكم بين الناس بما اراه الله ووضع
الاصر والاغلال عنهم والقسم باسمه واجابة دعوته وتكليم الجمادات والعجم
واحياء الموتى واسماع الصم ونبع الماء من بين اصابعه وتكثير القليل و
انشقاق القمر ورد الشمس وقلب الاعيان والنصر بالرعب والاطلاع على الغيب
وظل الغمام وتسبيح الحصا وابراء الآلام والعصمة من الناس الى ما لا يحويه
محتفل ولا يحيط بعلمه الا مانحه ذلك ومفضله به لا اله غيره الى ما اعد له
في الدار الآخرة من منازل الكرامة ودرجات القدس ومراتب السعادة و
الحسنى والزيادة التي تقف دونها العقول ويحار دون ادانيها الوهم

بفتح الياء اي يتحير في معرفتها وتحصيل احاطتها

فصل ان قلت اكرمك الله لا خفاء على القطع بالجملة انه صلى الله عليه
وسلم اعلى الناس قدرا واعظمهم محلا واكملهم محاسن وفضلا وقد
ذهبت في تفاصيل خصال الكمال مذهبا جميلا شوقني الى ان اقف عليها من
اوصافه صلى الله عليه وسلم تفصيلا فاعلم نور الله قلبي وقلبك وضاعف
في هذا النبي الكريم حبي وحبك انك اذا نظرت الى خصال الكمال التي هي غير
مكتسبة وفي جبلة الخلقة وجدته حائزا لجميعها محيطا بشتات محاسنها دون

دون خلاف

دون خلاف بين نقلة الاخبار لذلك بل قد بلغ بعضها مبلغ القطع
اما الصورة وجمالها وتناسب اعضائه في حسنها فقد جاءت الآثار الصحيحة
والمشهورة الكثيرة بذلك من حديث علي وانس بن مالك وابي هريرة والبراء
بن عازب وعائشة ام المؤمنين وابن ابي هالة وابي جحيفة وجابر بن سمرة
وام معبد وابن عباس ومعرض بن معيقيب وابي الطفيل والعداء بن خالد
وخريم بن فاتك وحكيم بن حزام وغيرهم رضي الله عنهم من انه صلى الله عليه
وسلم كان ازهر اللون ادعج انجل اشكل اهدب الاشفار ابلج ازج اقنى
افلج مدور الوجه واسع الجبين كث اللحية تملأ صدره سواء البطن
والصدر واسع الصدر عظيم المنكبين ضخم العظام عبل العضدين
والذراعين والاسافل رحب الكفين والقدمين سائل الاطراف
انور المتجرد دقيق المسربة ربعة القد ليس بالطويل البائن ولا
بالقصير المتردد ومع ذلك فلم يكن يماشيه احد ينسب الى الطول
الا طاله صلى الله عليه وسلم رجل الشعر اذا افتر ضاحكا افتر عن مثل
سنا البرق وعن مثل حب الغمام اذا تكلم رئي كالنور يخرج من
ثناياه احسن الناس عنقا ليس بمطهم ولا بمكلثم متماسك
البدن ضرب اللحم قال البراء ما رايت من ذي لمة في حلة حمراء احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو هريرة ما رايت شيئا احسن
من رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الشمس تجري في وجهه واذا ضحك
يتلألأ في الجدر وقال جابر بن سمرة وقال له رجل كان وجهه صلى الله

عليه وسلم مثل السيف فقال لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديرًا
وقالت ام معبد في بعض ما وصفته به اجمل الناس من بعيد واحلاه
واحسنه من قريب وفي حديث ابن ابي هالة يتلألؤ وجهه تلألؤ القمر
ليلة البدر وقال علي رضي الله عنه في اخر وصفه له من رآه بديهة
هابه ومن خالطه معرفة احبه يقول ناعته لم ار قبله ولا بعده مثله
صلى الله عليه وسلم والاحاديث في بسط صفته مشهورة كثيرة فلا نطول
بسردها وقد اختصرنا في وصفه نكت ما جاء فيها وجملة مما فيه الكفاية
في القصد الى المطلوب وختمنا هذه الفصول بحديث جامع لذلك تقف عليه
هنالك ان شاء الله تعالى فصل واما نظافة جسمه وطيب ريحه
وعرقه ونزاهته عن الاقذار وعورات الجسد فكان قد خصه الله في ذلك
بخصائص لم توجد في غيره ثم تممها بنظافة الشرع وخصال الفطرة
العشر وقال بني الدين على النظافة ثنا سفيان بن العاص وغير واحد قالوا
ثنا احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا
مسلم ثنا قتيبة ثنا جعفر ابن سليمان عن ثابت عن انس رضي الله عنه
قال ما شممت عنبرًا قط ولا مسكًا ولا شيئًا اطيب من ريح رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن سمرة انه صلى الله عليه وسلم مسح خده
قال فوجدت ليده بردًا وريحًا كأنما اخرجها من جونة عطار قال غيره
مسها بطيب ولم يمسها يصافح المصافح فيظل يومه يجد ريحها ويضع
يده على رأس الصبي فيعرف من بين الصبيان بريحها ونام رسول الله صلى

الله عليه

الله عليه وسلم في دار انس فعرق فجاءت امه بقارورة تجمع فيها
عرقه فسألها رسول الله صلى الله عليه وسلم عن ذلك فقالت نجعله
في طيبنا وهو من اطيب الطيب وذكر البخاري في تاريخه الكبير عن
جابر لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم يمر في طريق فيتبعه احد الا
عرف انه سلكه من طيبه وذكر اسحق بن راهويه ان تلك كانت رائحته
بلا طيب صلى الله عليه وسلم وروى المزني عن جابر رضي الله عنه قال اردفني
النبي صلى الله عليه وسلم فالتقمت خاتم النبوة بفمي فكان ينم علي مسكًا وقد
حكى بعض المعتنين باخباره وشمائله صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
اراد ان يتغوط انشقت الارض فابتلعت غائطه وبوله وفاحت
لذلك رائحة طيبة صلى الله عليه وسلم واسند محمد بن سعد كاتب الواقدي
في هذا خبرًا عن عائشة رضي الله عنها انها قالت للنبي صلى الله عليه وسلم
انك تأتي الخلاء فلا نرى منك شيئًا من الاذى فقال يا عائشة
وما علمت ان الارض تبتلع ما يخرج من الانبياء فلا يرى منه شيء
وهذا الخبر وان لم يكن مشهورًا فقد قال قوم من اهل العلم بطهارة
الحدثين منه صلى الله عليه وسلم وهو قول بعض اصحاب الشافعي حكاه
الامام ابو نصر بن الصباغ في شامله وقد حكى القولين عن العلماء
في ذلك ابو بكر بن سابق المالكي في كتاب البديع في فروع المالكية
وتخريج ما لم تقع لهم منها على مذهبهم من تفاريع الشافعية و
شاهد هذا انه صلى الله عليه وسلم لم يكن منه شيء يكره ولا غير طيب

وفي نسخة يبتلع [illegible]

ومنه حديث علي رضي الله عنه غسلت النبي صلى الله عليه وسلم
فذهبت انظر ما يكون الميت فلم اجد شيئا فقلت طبت حيا وميتا
قال وسطعت منه ريح طيبة لم نجد مثلها قط ومثله قال ابو بكر
رضي الله عنه حين قبل النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته ومنه شرب مالك
بن سنان دمه يوم احد ومصه اياه وتسويغه صلى الله عليه وسلم ذلك له
وقوله لن تصيبه النار ومثله شرب عبد الله بن الزبير دم حجامته فقال
له عليه السلام ويل لك من الناس وويل لهم منك ولم ينكر عليه وقد روي
نحو من هذا عنه في امرأة شربت بوله فقال لها لن تشتكي وجع بطنك
ابدا ولم يامر واحدا منهم بغسل فم ولا نهاه عن عوده وحديث هذه المرأة
التي شربت بوله صحيح الزم الدارقطني مسلما والبخاري اخراجه في الصحيح
واسم هذه المرأة بركة واختلف في نسبها وقيل هي ام ايمن وكانت تخدم
رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وكان لرسول الله صلى الله عليه وسلم
قدح من عيدان يوضع تحت سريره يبول فيه من الليل فبال فيه ليلة ثم
افتقده فلم يجد فيه شيئا فسأل بركة عنه فقالت قمت وانا عطشانة
فشربته وانا لا اعلم وروى حديثها ابن جريج وغيره وكان صلى الله
عليه وسلم قد ولد مختونا مقطوع السرة وروي عن امه امنة
قالت ولدته نظيفا ما به قذر وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت
فرج رسول الله صلى الله عليه وسلم قط وعن علي رضي الله عنه اوصاني
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يغسله غيري فانه لا يرى احد عورتي الا طمست

عيناه

عيناه وفي حديث عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما انه صلى الله عليه
وسلم نام حتى سمع له غطيط فقام فصلى ولم يتوضأ قال عكرمة لانه صلى
الله عليه وسلم كان محفوظا فصل واما وفور عقله وذكاء لبه وقوة
حواسه وفصاحة لسانه واعتدال حركاته وحسن شمائله فلا مرية انه كان
اعقل الناس واذكاهم ومن تأمل تدبيره امر بواطن الخلق وظواهرهم و
سياسة العامة والخاصة مع عجيب شمائله وبديع سيره فضلا عما افاضه
من العلم وقرره من الشرع دون تعلم سبق ولا ممارسة تقدمت ولا مطالعة
للكتب منه لم يمتر في رجحان عقله وثقوب فهمه لاول بديهة وهذا مما لا يحتاج
الى تقرير لتحقيقه وقد قال وهب بن منبه قرأت في احد وسبعين كتابا
فوجدت في جميعها ان النبي صلى الله عليه وسلم ارجح الناس عقلا وافضلهم رأيا
وفي رواية اخرى فوجدت في جميعها ان الله تعالى لم يعط جميع الناس من بدء الدنيا
الى انقضائها من العقل في جنب عقله صلى الله عليه وسلم الا كحبة رمل من بين رمال الدنيا
وقال مجاهد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا قام في الصلوة يرى
من خلفه كما يرى من بين يديه وبه فسر قوله تعالى وتقلبك في الساجدين وفي
الموطأ عنه عليه السلام اني لاراكم من وراء ظهري ونحوه عن انس في
الصحيحين وعن عائشة رضي الله عنها مثله قالت زيادة زاده الله
اياها في حجته وفي بعض الروايات اني لانظر من ورائي كما انظر الى من بين يدي
وفي اخرى اني لابصر من قفاي كما ابصر من بين يدي وحكى بقي بن مخلد عن
عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم يرى في الظلمة كما يرى في الضوء

والاخبار كثيرة صحيحة في رؤيته صلى الله عليه وسلم للملئكة والشياطين
ورفع النجاشي له حتى صلى عليه وبيت المقدس حين وصفه لقريش
والكعبة حين بنى مسجده وقد حكي عنه صلى الله عليه وسلم انه كان يرى في
الثريا احد عشر نجما وهذه كلها محمولة على رؤية العين وهو قول احمد
بن حنبل وغيره وذهب بعضهم الى ردها الى العلم والظواهر تخالفه ولا
في ذلك وهي من خواص الانبياء وخصالهم كما اخبرنا ابو محمد عبد الله بن احمد
العدل من كتابه ثنا ابو الحسن المقري الفرغاني ثنا ام القاسم بنت ابي بكر
عن ابيها ثنا الشريف ابو الحسن علي بن محمد الحسني ثنا محمد بن محمد
بن سعيد ثنا محمد بن احمد بن سليمان ثنا محمد بن محمد مرزوق ثنا همام
ثنا الحسن عن قتادة عن يحيى بن وثاب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن
النبي صلى الله عليه وسلم قال لما تجلى الله تعالى لموسى عليه السلام كان يبصر النملة
على الصفاء في الليلة الظلماء مسيرة عشرة فراسخ ولا يبعد على هذا
ان يختص نبينا بما ذكرناه صلى الله عليه وسلم من هذا الباب بعد الاسراء
والحظوة بما رأى من آيات ربه الكبرى وقد جاءت الاخبار بانه صرع ركانة
اشد اهل وقته وكان دعاه الى الاسلام وصارع ابا ركانة في الجاهلية
وكان شديدا وعاوده ثلاث مرات كل ذلك يصرعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقال ابو هريرة رضي الله عنه ما رايت احدا اسرع من رسول الله صلى
الله عليه وسلم في مشيه كانما الارض تطوى له انا لنجهد انفسنا وهو غير
مكترث وفي صفته ان ضحكه كان تبسما واذا التفت التفت معا

واذا

واذا مشى مشى تقلعا كانما ينحط من صبب فصل واما فصاحة
اللسان وبلاغة القول فقد كان صلى الله عليه وسلم من ذلك بالمحل
الافضل والموضع الذي لا يجهل سلاسة طبع وبراعة منزع وايجاز مقطع
ونصاعة لفظ وجزالة قول وصحة معان وقلة تكلف واوتي جوامع الكلم
وخص ببدايع الحكم وعلم السنة العرب فكان يخاطب كل امة منها بلسانها
ويحاورها بلغتها ويباريها في منزع بلاغتها حتى كان كثير من اصحابه
يسئلونه في غير موطن عن شرح كلامه وتفسير قوله من تامل حديثه وسير
علم ذلك وتحققه وليس كلامه مع قريش والانصار واهل الحجاز
ونجد ككلامه مع ذي المشعار الهمداني وطهفة النهدي وقطن بن
حارثة العليمي والاشعث بن قيس ووائل بن حجر الكندي وغيرهم من
اقيال حضرموت وملوك اليمن وانظر كتابه الى همدان ان لكم فراعها ووها
طها وعزازها تاكلون علافها وترعون عفاءها لنا من دفئهم وصرامهم
ما سلموا بالميثاق والامانة ولهم من الصدقة الثلب والناب والفصيل
والفارض والداجن والكبش الحوري وعليهم فيها الصالغ والقارح
وقوله لنهد اللهم بارك لهم في محضها ومخضها ومذقها وابعث راعيها
في الدثر وافجر له الثمد وبارك لهم في المال والولد من اقام الصلوة
كان مسلما ومن اتى الزكوة كان محسنا ومن شهد ان لا اله الا الله
كان مخلصا لكم يا بني نهد ودايع الشرك ووضايع الملك لا
تلطط في الزكوة ولا تلحد في الحيوة ولا تتثاقل عن الصلوة

وكتب لهم في الوظيفة الفريضة ولكم الفارض والفريش وذو العنان
الركوب والفلو الضبيس ولا يمنع سرحكم ولا يعضد طلحكم ولا يحبس
دركم ما لم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق ومن اقر فله الوفاء
بالعهد والذمة ومن ابى فعليه الربوة ومن كتابه لوائل بن
حجر الى الاقيال العباهلة والارواع المشابيب وفيه في التيعة
شاة لا مقورة الالياط ولا ضناك وانطوا الثبجة وفي السيوب الخمس
ومن زنى مم بكر فاصقعوه مائة واستوفضوه عاما ومن زنى
مم ثيب فضرجوه بالاضاميم ولا توصيم في الدين ولا غمة في
فرائض الله وكل مسكر حرام ووائل بن حجر يترفل على الاقيال اين هذا
من كتابه لانس في الصدقة المشهور لما كان كلام هؤلاء على هذا الحد
وبلاغتهم هذا النمط واكثر استعمالهم هذه الالفاظ استعملها معهم
ليبين للناس ما نزل اليهم وليحدث الناس بما يعلمون وكقوله في
حديث عطية السعدي فان اليد العليا هي المنطية واليد السفلى
هي المنطاة قال فكلمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بلغتنا وقوله في
حديث العامري حين سأله فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سل عنك
اي سل عما شئت وهو لغة بني عامر واما كلامه المعتاد وفصاحته
المعلومة وجوامع كلمه وحكمه المأثورة فقد الف الناس فيها الدواوين
وجمعت في الفاظها ومعانيها الكتب ومنها ما لا يوازى فصاحة ولا يبارى
بلاغة كقوله المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم ادناهم وهم يد

على من

على من سواهم وقوله الناس كاسنان المشط والمرء مع من احب
ولا خير في صحبة من لا يرى لك ما يرى له والناس معادن وما
هلك امرؤ عرف قدره والمستشار مؤتمن وهو بالخيار ما لم يتكلم
ورحم الله عبدا قال خيرا فغنم او سكت فسلم وقوله اسلم تسلم واسلم
يؤتك الله اجرك مرتين وان احبكم الي واقربكم مني مجالس يوم القيمة
احاسنكم اخلاقا الموطؤون اكنافا الذين يألفون ويؤلفون
وقوله لعله كان يتكلم بما لا يعنيه ويبخل بما لا يغنيه وقوله ذو الوجهين
لا يكون عند الله وجيها ونهيه عن قيل وقال وكثرة السؤال واضاعة المال
ومنع وهات وعقوق الامهات ووأد البنات وقوله اتق الله حيثما كنت واتبع
السيئة الحسنة تمحها وخالق الناس بخلق حسن وخير الامور اوساطها
وقوله احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك يوما ما وقوله الظلم
ظلمات يوم القيمة وقوله في بعض دعائه اللهم اني اسئلك رحمة من
عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها امري وتلم بها شعثي وتصلح بها
غائبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها عملي وتلهمني بها رشدي وترد
بها الفتي وتعصمني بها من كل سوء اللهم اني اسئلك الفوز في
القضاء ونزل الشهداء وعيش السعداء ومرافقة الانبياء و
النصر على الاعداء الى ما روته الكافة عن الكافة من مقاماته
ومحاضراته وخطبه وادعيته ومخاطباته وعهوده مما لا خلاف
انه نزل من ذلك مرتبة لا يقاس بها غيره وحاز فيها سبقا لا يقدر قدره

وقد جمعت من كلماته التي لم يسبق اليها ولا قدر احد ان يفرغ في قالبه عليها
كقوله حمي الوطيس ومات حتف انفه ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين و
السعيد من وعظ بغيره في اخوانها مما يدرك الناظر العجب من مضمنها
ويذهب به الفكر في ادانى حكمها وقد قال له اصحابه ما راينا الذي
هو افصح منك فقال وما يمنعني وانما انزل القرآن بلساني لسان عربي مبين
وقال مرة انا افصح العرب بيد اني من قريش ونشأت في بني سعد فجمع له بذلك صلى الله
عليه وسلم قوة عارضة البادية وجزالتها ونصاعة الفاظ الحاضرة
ورونق كلامها الى التاييد الالهي الذي مدده الوحي الذي لا يحيط
بعلمه بشري وقالت ام معبد في وصفها له حلو المنطق فصل لا نزر
ولا هذر كان منطقه خرزات نظمن وكان جهير الصوت حسن النغمة
صلى الله عليه وسلم فصل واما شرف نسبه وكرم بلده ومنشاه
فما لا يحتاج الى اقامة دليل عليه ولا بيان مشكل ولا خفي منه فانه
صلى الله عليه وسلم نخبة بني هاشم وسلالة قريش وصميمها واشرف العرب
واعزهم نفراً من قبل ابيه وامه ومن اهل مكة من اكرم بلاد الله على الله
وعلى عباده ثنا قاضي القضاة حسين بن محمد الصدفي رحمه الله ثنا القاضي
ابو الوليد سليمان بن خلف ثنا ابو ذر عبد بن احمد ثنا ابو محمد السرخسي وابو
اسحق وابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا قتيبة بن
سعيد ثنا يعقوب بن عبد الرحمن عن عمرو عن سعيد المقبري عن ابي هريرة
رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعثت من خير قرون بني آدم

قرناً

قرناً فقرناً حتى كنت من القرن الذي كنت منه وعن العباس رضي الله عنه
قال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله خلق الخلق فجعلني من خيرهم من
خير قرنهم ثم تخير القبائل فجعلني من خير قبيلة ثم تخير البيوت فجعلني
من خير بيوتهم فانا خيرهم نفساً وخيرهم بيتاً وعن واثلة بن الاسقع قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد ابراهيم اسمعيل
واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة واصطفى من قريش بني هاشم واصطفاني
من بني هاشم قال الترمذي هذا حديث صحيح وفي حديث عن ابن عمر رواه الطبري
انه صلى الله عليه وسلم قال ان الله اختار خلقه فاختار منهم بني آدم ثم اختار بني آدم فا
ختار منهم العرب ثم اختار العرب فاختار منهم قريشاً ثم اختار قريشاً فا
ختار بني هاشم ثم اختار بني هاشم فاختارني فلم ازل خياراً من خيار الا من
احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغض العرب فببغضي ابغضهم وعن ابن
عباس رضي الله عنهما ان قريشاً كانت نوراً بين يدي الله تعالى قبل ان يخلق
آدم بالفي عام يسبح ذلك النور وتسبح الملائكة بتسبيحه فلما خلق
الله آدم القى ذلك النور في صلبه فقال رسول الله صلى الله عليه
وسلم فاهبطني الله الى الارض في صلب آدم وجعلني في صلب نوح وقذف بي
في صلب ابراهيم ثم لم يزل الله تعالى ينقلني من الاصلاب الكريمة والارحام
الطاهرة حتى اخرجني من ابوي لم يلتقيا على سفاح قط ويشهد بصحة
هذا الخبر شعر العباس المشهور في مدح النبي صلى الله عليه وسلم فصل
واما ما تدعو ضرورة الحيوة اليه مما فصلناه فعلى ثلاثة ضروب

ضرب الفضل في قلته وضرب الفضل في كثرته وضرب تختلف الاحوال فيه
فاما النجح والكمال بقلته اتفاقا وعلى كل حال عادة وشريعة
كالغذاء والنوم ولم تزل العرب والحكماء تتمادح بقلتهما وتذم
بكثرتهما لان كثرة الاكل والشرب دليل على النهم والحرص والشره
وغلبة الشهوة مسبب لمضار الدنيا والآخرة جالب لادواء الجسد
وخثارة النفس وامتلاء الدماغ وقلته دليل على القناعة وملك
النفس وقمع الشهوة مسبب للصحة وصفاء الخاطر وحدة الذهن
كما ان كثرة النوم دليل على الفسولة والضعف وعدم الذكاء
والفطنة مسبب للكسل وعادة العجز وتضييع العمر في غير
نفع وقساوة القلب وغفلته وموته والشاهد على هذا ما يعلم
ضرورة ويوجد مشاهدة وينقل متواترا من كلام الامم المتقدمة
والحكماء السالفين واشعار العرب واخبارها وصحيح الحديث وآثار من
سلف وخلف مما لا يحتاج الى الاستشهاد عليه اختصارا على اشتهار
العلم به وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد اخذ من هذين الفنين بالاقل
هذا ما لا يدفع من سيرته وهو الذي امر به وحض عليه لا سيما
بارتباط احدهما بالآخر ثنا ابو علي الصدفي الحافظ بقراءتي عليه
ثنا ابو الفضل الاصفهاني ثنا ابو نعيم الحافظ ثنا سليمان بن احمد
ثنا بكر بن سهل ثنا عبد الله بن صالح حدثني معاوية بن صالح ان يحيى
جابر حدثه عن المقدام بن معدي كرب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال ما

قال ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطنه حسب ابن آدم اكلات
يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث
لنفسه ولان كثرة النوم من كثرة الشرب والاكل قال سفيان الثوري
بقلة الطعام يملك سهر الليل وقال بعض السلف لا تاكلوا كثيرا
فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا كثيرا وقد روي عنه صلى الله
عليه وسلم احب الطعام اليه ما كان على ضفف اي كثرة الايدي و
عن عائشة رضها لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعا قط
وانه كان في اهله لا يسالهم طعاما ولا يتشهاه ان اطعموه اكل
وما اطعموه قبل وما سقوه شرب ولا يعترض على هذا بحديث بريرة
وقوله الم ار برمة فيها لحم اذ لعل سبب سؤاله ظنه صلى الله
عليه وسلم اعتقادهم انه لا يحل له فاراد بيان سنته اذ رآهم لم يقدموه
اليه مع علمه انهم لا يستأثرون عليه به فصدق عليهم ظنه وبين
لهم ما جهلوه من امره بقوله هو لها صدقة ولنا هدية وفي حكمة
لقمان يا بني اذا امتلأت المعدة نامت الفكرة وخرست الحكمة و
قعدت الاعضاء عن العبادة وقال سحنون لا يصلح العلم لمن
ياكل حتى يشبع وفي صحيح الحديث قوله صلى الله عليه وسلم اما انا
آكل متكئا والاتكاء هو التمكن للاكل والتقعدد في الجلوس
له كالمتربع وشبهه من تمكن الجلسات التي يعتمد فيها الجالس على
ما تحته والجالس على هذه الهيئة يستدعي الاكل ويستكثر منه
والنبي صلى الله عليه وسلم انما كان جلوسه للاكل جلوس المستوفز

مقعيًا ويقول انما انا عبد آكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس
العبد وليس معنى الحديث فى الاتكاء الميل على شق عند المحققين وكذلك
نومه صلى الله عليه وسلم كان قليلا شهدت بذلك الاثار الصحيحة ومع
ذلك فقد ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وكان نومه على جانبه الايمن
استظهارا على قلة النوم لانه على الجانب الايسر اهنا لهدو القلب و
ما يتعلق به من الاعضاء الباطنة حينئذ لميلها الى الجانب الايسر فيستدعى
ذلك الاستثقال فيه والطول واذا نام النائم على الايمن تعلق القلب
وقلق فاسرع الافاقة ولم يغمره الاستغراق فصل والضرب الثانى
ما يتفق التمدح بكثرته والفخر بوفوره كالنكاح والجاه اما النكاح
فمتفق فيه شرعا وعادة فانه دليل الكمال وصحة الذكورية ولم يزل
التفاخر بكثرته عادة معروفة والتمادح به سيرة ماضية واما فى الشرع
فسنة ماثورة وقد قال ابن عباس رضى افضل هذه الامة اكثرها نساء
مشيرا اليه صلى الله عليه وسلم وقد قال صلى الله عليه وسلم تناكحوا تناسلوا
فانى مباه بكم الامم ونهى عن التبتل مع ما فيه من قمع الشهوة وغض البصر
اللذين نبه عليهما صلى الله عليه وسلم بقوله من كان ذا طول فليتزوج فانه
اغض للبصر واحصن للفرج حتى لم يره العلماء مما يقدح فى الزهد وقال
سهل بن عبد الله قد حببن الى سيد المرسلين فكيف يزهد فيهن ونحوه
لابن عيينة وقد كان زهاد الصحابة كثيرى الزوجات والسرارى و
كثيرى النكاح وحكى فى ذلك عن على والحسن رضى وابن عمر رضى وغيرهم

غير شئ

وكان يحبّ المرحوم على المثنى يقول
كل شهوة يظلم القلب الا النكاح فانه
ينوره ويصفيه
وقد تزوج عليه السلام احدى عشرة
توفى قبله اثنان خديجة وزينب و
الباقيات بعده

غير شئ وقد كره غير واحد ان يلقى الله عزبا فان قلت كيف يكون النكاح
وكثرته من الفضائل وهذا يحيى بن زكريا قد اثنى الله عليه انه كان حصورا
فكيف يثنى الله عليه بالعجز عما تعده فضيلة وهذا عيسى عليه السلام
تبتل من النساء ولو كان كما قررته لنكح فاعلم ان ثناء الله على يحيى بانه
حصور ليس كما قال بعضهم انه كان هيوبا او لا ذكر له بل قد انكر هذا
حذاق المفسرين ونقاد العلماء وقالوا هذه نقيصة وعيب ولا تليق
بالانبياء وانما معناه انه معصوم من الذنوب اى لا ياتيها كانه حصر
عنها وقيل مانعا نفسه من الشهوات وقيل ليست له شهوة فى النساء فقد
بان لك من هذا ان عدم القدرة على النكاح نقص وانما الفضل فى
كونها موجودة ثم قمعها اما بمجاهدة كعيسى عليه السلام او بكفاية
من الله تعالى كيحيى عليه السلام فضيلة زائدة لكونها مشغلة فى كثير
من الاوقات حاطة الى الدنيا ثم هى فى حق من اقدر عليها وملكها وقام
بالواجب فيها ولم تشغله عن ربه درجة علياء وهى درجة نبينا محمد صلى
الله عليه وسلم الذى لم تشغله كثرتهن عن عبادة ربه بل زاده ذلك
عبادة لتحصينهن وقيامه بحقوقهن واكتسابه لهن وهدايته اياهن
بل صرح انها ليست من حظوظ دنياه هو وان كانت من حظوظ دنيا غيره
فقال حبب الى من دنياكم فدل على ان حبه لما ذكر من النساء والطيب
اللذين هما من امور دنيا غيره واستعماله لذلك ليس لدنياه بل للاخرة
للفوائد التى ذكرناها فى التزويج وللقاء الملائكة فى الطيب ولانه

ايضا مما يحض على الجماع ويعين عليه ويحرك اسبابه وكان حبه لهاتين
الخصلتين لاجل غيره وقمع شهوته وكان حبه الحقيقي المختص بذاته في
مشاهدة جبروت مولاه ومناجاته ولذلك ميز بين الحبين وفصل بين
الحالين فقال وجعلت قرة عيني في الصلوة فقد ساوى يحيى وعيسى في
كفاية فتنتهن وزاد فضيلة بالقيام بهن وكان صلى الله عليه وسلم ممن اقدر
على القوة في هذا واعطي الكثير منه ولهذا ابيح له من عدد الحرائر ما لم يبح
لغيره وقد روينا عن انس انه صلى الله عليه وسلم كان يدور على نسائه في الساعة
من الليل والنهار وهن احدى عشرة قال انس وكنا نتحدث انه اعطي قوة
ثلثين رجلا خرجه النسائي وروي نحوه عن ابي رافع وعن طاوس اعطي
عليه السلام قوة اربعين رجلا في الجماع ومثله عن صفوان بن سليم
وقالت سلمى مولاته طاف النبي صلى الله عليه وسلم ليلة على نسائه التسع
وتطهر من كل واحدة قبل ان ياتي الاخرى وقال هذا اطهر واطيب و
قد قال سليمان عليه السلام لاطوفن الليلة على مائة امرأة او تسع
وتسعين وانه فعل ذلك قال ابن عباس رضي الله عنه كان في ظهر سليمان
عليه السلام ماء مائة رجل وكان له ثلثمائة امرأة وثلثمائة سرية وحكى
النقاش وغيره سبعمائة امرأة وثلثمائة سرية وقد كان لداود عليه
السلام على زهده واكله من عمل يده تسع وتسعون امرأة وتمت بزوج
اوريا مائة وقد نبه على ذلك في الكتاب العزيز بقوله تعالى ان هذا اخي
له تسع وتسعون نعجة وفي حديث انس رضي الله عنه عنه عليه السلام

فضلت

فضلت على الناس باربع بالسخاء والشجاعة وكثرة الجماع وقوة البطش
واما الجاه فمحمود عند العقلاء عادة وبقدر جاهه عظمه في القلوب وقد
قال تعالى في صفة عيسى عليه السلام وجيها في الدنيا والاخرة لكن افاته
كثيرة فهو مضر لبعض الناس لعقبى الاخرة فلذلك ذمه من ذمه و
مدح ضده وورد في الشرع مدح الخمول وذم العلو في الارض و
كان صلى الله عليه وسلم قد رزق من الحشمة والمكانة في القلوب والعظمة
قبل النبوة عند الجاهلية وبعدها وهم يكذبونه ويؤذون اصحابه
ويقصدون اذاه في نفسه خفية حتى اذا واجههم اعظموا امره وقضوا
حاجته واخبار في ذلك معروفة سياتي بعضها وقد كان يبهت ويفرق
لرؤيته من لم يره كما روي عن قيلة انها لما راته ارعدت من الفرق فقال
يا مسكينة عليك السكينة وفي حديث ابي مسعود ان رجلا قام بين يديه
فارعد فقال هون عليك فاني لست بملك الحديث فاما عظيم قدره بالنبوة
وشريف منزلته بالرسالة وانافة رتبته بالاصطفاء والكرامة في الدنيا
فامر هو مبلغ النهاية ثم هو في الاخرة سيد ولد ادم وعلى معنى هذا الفصل نظمنا
هذا القسم باسره فصل واما الضرب الثالث فهو ما تختلف الحالات
في التمدح به والتفاخر بسببه والتفضيل لاجله ككثرة المال فصاحبه
على الجملة معظم عند العامة لاعتقادها توصله به الى حاجاته وتمكن
اغراضه بسببه والا فليس فضيلة في نفسه فمتى كان المال بهذه الصورة
وصاحبه منفقا له في مهماته ومهمات من اعتراه وامله وتصريفه في مواضعه

مشتريا به المعالي والثناء الحسن والمنزلة من القلوب كان فضيلة في صاحبه
عند اهل الدنيا واذا صرفه في وجوه البر وانفقه في سبيل الخير وقصد
بذلك الله والدار الآخرة كان فضيلة عند الكل بكل حال ومتى كان
صاحبه ممسكا له غير موجهه وجوهه حريصا على جمعه عاد كثره كالعدم
وكان منقصة في صاحبه ولم يقف به على جدد السلامة بل اوقعه في هوة
رذيلة البخل ومذلة النذالة فاذا التمدح بالمال وفضيلته عند مفضله
ليست لنفسه وانما هو للتوصل به الى غيره وتصريفه في متصرفاته فجامعه
اذا لم يضعه مواضعه ولا وجهه وجوهه غير ملي بالحقيقة ولا غني بالمعنى
ولا ممتدح عند احد من العقلاء بل هو فقير ابدا غير واصل الى غرض من
اغراضه اذ ما بيده من المال الموصل لها لم يسلط عليه فاشبه خازن
مال لغيره ولا مال له فكانه ليس في يده منه شيء والمنفق ملي غني
بتحصيله فوائد المال وان لم يبق في يده من المال شيء فانظر سيرة
نبينا صلى الله عليه وسلم وخلقه في المال تجده قد اوتي خزائن الارض ومفاتيح
البلاد واحلت له الغنائم ولم تحل لنبي قبله وفتح عليه في حياته صلى الله عليه
وسلم بلاد الحجاز واليمن وجميع جزيرة العرب وما دانى ذلك من الشام والعراق
وجلب اليه من اخماسها وجزيتها وصدقاتها ما لا يجبى للملوك الا بعضه
وهادته جماعة من ملوك الاقاليم فما استأثر بشيء منه ولا امسك منه
درهما بل صرفه مصارفه واغنى به غيره وقوى به المسلمين وقال ما يسرني
ان لي احدا ذهبا يبيت عندي منه دينار الا دينارا ارصده لديني واتته

دنانير

دنانير مرة فقسمها وبقيت منها ستة فدفعها لبعض نسائه فلم يأخذه
نوم حتى قام وقسمها وقال الآن استرحت ومات ودرعه مرهونة
في نفقة عياله واقتصر من نفقته وملبسه ومسكنه على ما تدعوه
ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس في الغالب
الشملة والكساء الخشن والبرد الغليظ ويقسم على من حضره اقبية
الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر اذ المباهاة في الملابس
والتزين بها ليست من خصال الشرف والجلالة وهي من سمات النساء
والمحمود منها نقاوة الثوب والتوسط في جنسه وكونه لبس مثله غير
مسقط لمروءة جنسه مما لا يؤدي الى الشهرة في الطرفين وقد ذم
الشرع ذلك وغاية الفخر فيه في العادة عند الناس انما تعود الى
الفخر بكثرة الموجود ووفور الحال وكذلك التباهي بجودة
المسكن وسعة المنزل وتكثير آلاته وخدمه ومركوباته ومن ملك
الارض وجبي اليه ما فيها فترك زهدا وتنزها فهو حائز لفضيلة
المالية ومالك للفخر بهذه الخصلة ان كانت فضيلة زائدا عليها في
الفخر ومعرق في المدح باضرابه عنها وزهده في فانيها وبذلها في مظانها

فصل واما الخصال المكتسبة من الاخلاق الحميدة والآداب
الشريفة التي اتفق جميع العقلاء على تفضيل صاحبها وتعظيم المتصف
بالخلق الواحد منها فضلا عما فوقه واثنى الشرع على جميعها وامر بها و
وعد السعادة الدائمة للمتخلق بها ووصف بعضها بانه من اجزاء النبوة

وهي المسماة بحسن الخلق وهو الاعتدال في قوى النفس واوصافها والتوسط
فيها دون الميل الى منحرف اطرافها بجميعها فقد كانت خلق نبينا صلى الله عليه
[وسلم] على الانتهاء في كمالها والاعتدال الى غايتها حتى اثنى الله عليه بذلك
فقال وانك لعلى خلق عظيم قالت عائشة رضي الله عنها كان خلقه القرآن
يرضى برضاه ويسخط بسخطه يعني التأدب بادابه والتخلق بمحاسنه و
الالتزام لاوامره وزواجره وقال عليه السلام بعثت لاتمم مكارم الاخلاق
قال انس رضي الله عنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم احسن الناس خلقا
وعن علي بن ابي طالب رضي الله عنه مثله وكان فيما ذكره المحققون مجبولا عليها
من اصل خلقته واول فطرته لم تحصل له باكتساب ولا رياضة الا بجود الهي
وخصوصية ربانية وهكذا لسائر الانبياء ومن طالع سيرهم منذ صباهم
الى مبعثهم حقق ذلك كما عرف من حال عيسى وموسى ويحيى وسليمان وغيرهم
عليهم السلام بل غرزت فيهم هذه الاخلاق في الجبلة واودعوا العلم و
الحكم في الفطرة قال الله تعالى وآتيناه الحكم صبيا قال المفسرون اعطى
يحيى العلم بكتاب الله في حال صباه وقال معمر كان ابن سنتين او ثلاث
فقال له الصبيان لم لا تلعب فقال اللعب خلقت وقيل في قوله تعالى مصدقا
بكلمة من الله صدق يحيى بعيسى وهو ابن ثلث سنين فشهد له انه كلمة الله
وروحه وقيل صدقه وهو في بطن امه فكانت ام يحيى تقول لمريم اني
اجد ما في بطني يسجد لما في بطنك تحية له وقد نص الله على كلام عيسى
لامه عند ولادتها اياه بقوله لها لا تحزني على قراءة من قرأ من تحتها وعلى قول

من قال

من قال ان المنادي عيسى ونص على كلامه في مهده فقال اني عبد الله آتاني
الكتاب وجعلني نبيا وقال ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما وقد
ذكر من حكم سليمان وهو صبي يلعب في قصة المرجومة وفي قصة الصبي ما
اقتدى به داود ابوه وحكى الطبري ان عمره كان حين اوتي الملك اثني
عشر عاما وكذلك قصة موسى مع فرعون واخذه بلحيته وهو طفل وقال
المفسرون في قوله تعالى ولقد آتينا ابراهيم رشده من قبل اي هديناه
صغيرا قاله مجاهد وغيره وقال ابن عطاء اصطفاه قبل بدو خلقه وقال
بعضهم لما ولد ابراهيم بعث الله تعالى اليه ملكا يأمره عن الله تعالى ان يعرفه
بقلبه ويذكره بلسانه فقال قد فعلت ولم يقل افعل فذلك رشده و
قيل ان القاء ابرهيم عليه السلام في النار ومحنته كانت وهو ابن ست
عشرة سنة وان ابتلاء اسحق بالذبح كان وهو ابن سبع سنين
وان استدلال ابرهيم بالكواكب والقمر والشمس كان وهو ابن خمسة
عشر شهرا وقيل اوحي الى يوسف وهو صبي عندما هم اخوته بالقائه في
الجب بقول الله تعالى واوحينا اليه لتنبئنهم بامرهم هذا الآية الى غير
ذلك من اخبارهم وقد حكى اهل السير ان آمنة بنت وهب اخبرت
ان نبينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولد باسطا يديه الى الارض رافعا راسه
الى السماء وقال في حديثه صلى الله عليه وسلم لما نشأت بغضت الي
الاوثان وبغض الي الشعر ولم اهم بشيء مما كانت الجاهلية تفعله
الا مرتين فعصمني الله منهما ثم لم اعد ثم يتمكن الامر لهم وتترادف

نفحات الله عليهم وتشرق انوار المعارف في قلوبهم حتى يصلوا الغاية
ويبلغوا باصطفاء الله تعالى لهم بالنبوة في تحصيل هذه الخصال الشريفة
النهاية دون ممارسة ولا رياضة قال الله تعالى ولما بلغ اشده و
استوى آتيناه حكما وعلما وقد نجد غيرهم يطبع على بعض هذه
الاخلاق دون جميعها ويولد عليها فيسهل عليه اكتساب تمامها
عناية من الله كما نشاهد من خلقة بعض الصبيان على حسن السمت
او الشهامة او صدق اللسان او السماحة وكما نجد بعضهم على ضدها
فبالاكتساب يكمل ناقصها وبالرياضة والمجاهدة يستجلب معدومها ويعتدل
منحرفها وباختلاف هذين الحالين يتفاوت الناس فيها وكل ميسر لما
خلق له ولهذا ما قد اختلف السلف فيها هل هذا الخلق جبلة او
مكتسبة فحكى الطبري عن بعض السلف ان الخلق الحسن جبلة و
غريزة في العبد وحكاه عن عبد الله بن مسعود والحسن وبه قال و
الصواب ما اصلناه وقد روى سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كل
الخلال يطبع عليها المؤمن الا الخيانة والكذب وقال عمر بن الخطاب
رضي الله عنه في حديثه والجرأة والجبن غرائز يضعها الله حيث يشاء وهذه
الاخلاق المحمودة والخصال الشريفة كثيرة ولكن نذكر اصولها ونشير
الى جميعها ونحقق وصفه صلى الله عليه وسلم بها ان شاء الله تعالى فصل
اما اصل فروعها وعنصر ينابيعها ونقطة دائرتها فالعقل الذي
منه ينبعث العلم والمعرفة ويتفرع عن هذا ثقوب الرأي وجودة

الفطنة

هل هذا نسخ

الفطنة والاصابة وصدق الظن والنظر للعواقب ومصالح النفس
ومجاهدة الشهوة وحسن السياسة والتدبير واقتناء الفضائل وتجنب
الرذائل وقد اشرنا الى مكانه منه صلى الله عليه وسلم وبلوغه منه ومن العلم
الغاية التي لم يبلغها بشر سواه واذ جلالة محله من ذلك ومما تفرع منه متحقق
عند من تتبع مجاري احواله واطراد سيره وطالع جوامع كلامه وحسن شمائله
وبدائع سيره وحكم حديثه وعلمه بما في التوراة والانجيل والكتب المنزلة
وحكم الحكماء وسير الامم الخالية وايامها وضرب الامثال وسياسات
الانام وتقرير الشرائع وتاصيل الآداب النفيسة والشيم الحميدة الى فنون
العلوم التي اتخذ اهلها كلامه عليه السلام فيها قدوة واشاراته حجة كالعبارة و
الطب والحساب والفرائض والنسب وغير ذلك مما سنبينه في معجزاته ان شاء
الله تعالى دون تعليم ولا مدارسة ولا مطالعة كتب من تقدم ولا الجلوس الى
علمائهم بل نبي امي لم يعرف بشيء من ذلك حتى شرح الله صدره وابان امره وعلمه
واقراه يعلم ذلك بالمطالعة والبحث من حاله ضرورة وبالبرهان القاطع على نبوته
نظرا فلا نطول بسرد الاقاصيص وآحاد القضايا اذ مجموعها ما لا ياخذه حصر
ولا يحيط به حفظ جامع وبحسب عقله كانت معارفه صلى الله عليه وسلم الى سائر ما علمه
الله واطلعه عليه من علم ما يكون وما كان وعجائب قدرته وعظيم ملكوته قال
الله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم وكان فضل الله عليك عظيما حارت العقول في
تقدير فضله عليه وخرست الالسن دون وصف يحيط بذلك او ينتهي اليه
فصل واما الحلم والاحتمال والعفو مع المقدرة والصبر على ما يكره

النفيسة
صح

وبين هذه الالقاب فرق فان الحلم حالة توقر وثبات عند الاسباب المحركات والاحتمال
حبس النفس عند الالام والمؤذيات ومثلها الصبر ومعانيها متقاربة واما
العفو فهو ترك المؤاخذة وهذا كله مما ادب الله تعالى به نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم
فقال خذ العفو وامر بالعرف الاية روي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت عليه هذه
الاية سال جبريل عليه السلام عن تاويلها فقال له حتى اسال العالم ثم ذهب فاتاه
فقال يا محمد ان الله يامرك ان تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك
وقال له واصبر على ما اصابك الاية وقال فاصبر كما صبر اولوا العزم من الرسل
وقال له وليعفوا وليصفحوا الاية وقال ولمن صبر وغفر ان ذلك لمن عزم الامور
ولا خفاء بما يؤثر من حلمه واحتماله وان كل حليم قد عرفت منه زلة وحفظت عنه
هفوة وهو صلى الله عليه وسلم لا يزيد مع كثرة الاذى الا صبرا وعلى اسراف الجاهل
الا حلما حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن علي التغلبي وغيره قالوا ثنا محمد بن عتاب
نا ابو بكر بن واقد القاضي وغيره ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله نا يحيى بن يحيى نا مالك
عن ابن شهاب عن عروة عن عائشة قالت رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله
عليه وسلم في امرين قط الا اختار ايسرهما ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد
الناس منه وما انتقم رسول الله صلى الله عليه وسلم لنفسه الا ان تنتهك حرمة الله
فينتقم لله بها وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما كسرت رباعيته وشج وجهه
يوم احد شق ذلك على اصحابه شديدا وقالوا لو دعوت عليهم فقال اني لم ابعث
لعانا ولكن بعثت داعيا ورحمة اللهم اهد قومي فانهم لا يعلمون وروي عن عمر رضي
انه قال في بعض كلامه بابي انت وامي يا رسول الله لقد دعا نوح على قومه فقال رب لا تذر

على الارض

على الارض من الكافرين ديارا الاية ولو دعوت علينا مثلها لهلكنا من
عند اخرنا فلقد وطئ ظهرك وادمي وجهك وكسرت رباعيتك فابيت ان
تقول الا خيرا فقلت اللهم اغفر لقومي فانهم لا يعلمون قال القاضي ابو الفضل
رضي الله عنه انظر ما في هذا القول من جماع الفضل ودرجات الاحسان وحسن
الخلق وكرم النفس وغاية الصبر والحلم اذ لم يقتصر صلى الله عليه وسلم
على السكوت عنهم حتى عفا عنهم ثم اشفق عليهم ورحمهم ودعا و
شفع لهم فقال اغفر او اهد ثم اظهر بسبب الشفقة والرحمة بقوله لقومي
ثم اعتذر عنهم بجهلهم فقال فانهم لا يعلمون ولما قال له الرجل اعدل فان هذه
قسمة ما اريد بها وجه الله لم يزده في جوابه ان بين له ما جهله ووعظ
نفسه وذكرها بما قال له فقال ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت و
خسرت ان لم اعدل ونهى من اراد من اصحابه قتله ولما تصدى له غورث بن
الحارث ليفتك به ورسول الله صلى الله عليه وسلم منتبذ تحت شجرة وحده قائلا
والناس قائلون في غزاة فلم ينتبه رسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو قائم
والسيف صلتا في يده فقال من يمنعك مني فقال الله فسقط السيف من
يده فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم وقال من يمنعك مني قال كن خير اخذ فتركه
وعفا عنه فجاء الى قومه فقال جئتكم من عند خير الناس ومن عظيم خبره
في العفو عفوه عن اليهودية التي سمته في الشاة بعد اعترافها على الصحيح من
الرواية وانه لم يؤاخذ لبيد بن الاعصم اذ سحره وقد علم به واوحي اليه بشرح
امره ولا عتب عليه فضلا عن معاقبته وكذلك لم يؤاخذ عبد الله بن ابي واشباههم

من المنافقين بعظيم ما نقل عنهم في جهته قولا وفعلا بل قال لمن اشار
بقتل بعضهم لا يتحدث ان محمدا يقتل اصحابه وعن انس كنت مع النبي صلى
الله عليه وسلم وعليه برد غليظ الحاشية فجبذه اعرابي بردائه جبذة شديدة
حتى اثرت حاشية البرد في صفحة عاتقه ثم قال يا محمد احمل لي على بعيري
هذين من مال الله الذي عندك فانك لا تحمل لي من مالك ولا مال ابيك
فسكت النبي صلى الله عليه وسلم ثم قال المال مال الله وانا عبده ثم قال و
يقاد منك يا اعرابي ما فعلت بي قال لا قال لم قال لانك لا تكافي بالسيئة
السيئة فضحك النبي صلى الله عليه وسلم ثم امر ان يحمل على بعير شعير وعلى الآخر تمر
قالت عائشة رضي الله عنها ما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم منتصرا من مظلمة
ظلمها قط ما لم تكن حرمة من محارم الله وما ضرب بيده شيئا قط الا ان
يجاهد في سبيل الله وما ضرب خادما ولا امرأة وجيء برجل فقيل هذا اراد
ان يقتلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن تراع لن تراع ولو اردت
ذلك لم تسلط علي وجاءه زيد بن سعنة قبل اسلامه يتقاضاه دينا عليه
فجبذ ثوبه عن منكبه واخذ بمجامع ثيابه واغلظ له ثم قال يا بني عبد
المطلب مطل فانتهره عمر رضي الله عنه وشدد له في القول والنبي صلى الله
عليه وسلم يتبسم فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا وهو كنا الى غير هذا
منك احوج يا عمر تامرني بحسن القضاء وتامره بحسن التقاضي ثم قال لقد بقي
من اجله ثلاث وامر عمر يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعا لما روعه فكان
سبب اسلامه وذلك انه كان يقول ما بقي من علامات النبوة شيء الا وقد عرفتها

فيه

في محمد الا اثنتين لم اخبرهما يسبق حلمه جهله ولا تزيده شدة الجهل الا حلما
فاختبرته بهذا فوجدته كما وصف والحديث عن حلمه عليه السلام وصبره وعفوه
عند المقدرة اكثر من ان ناتي عليه وحسبك ما ذكرناه مما في الصحيح والمصنفات
الثابتة الى ما بلغ متواترا مبلغ اليقين من صبره على مقاساة قريش واذى الجاهلية
ومصابرته الشدائد الصعبة معهم الى ان اظفره الله عليهم وحكمه فيهم وهم
لا يشكون في استيصال شافتهم وابادة خضرائهم فما زاد على ان عفى وصفح
وقال ما تقولون اني فاعل بكم قالوا خيرا اخ كريم وابن اخ كريم
فقال اقول كما قال اخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم الآية
اذهبوا فانتم الطلقاء وقال انس رضي الله عنه هبط ثمانون رجلا من
التنعيم صلوة الصبح ليقتلوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فاخذوا فا
عتقهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فانزل الله تعالى وهو الذي كف ايديهم
عنكم الآية وقال لابي سفيان وقد سيق اليه بعد ان جلب اليه الاحزاب
وقتل عمه واصحابه ومثل بهم فعفا عنه ولاطفه في القول ويحك يا ابا سفيان
الم يان لك ان تعلم ان لا اله الا الله فقال بابي انت وامي ما احلمك
واوصلك واكرمك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم ابعد الناس
غضبا واسرعهم رضى صلى الله عليه وسلم فصل واما الجود والكرم
والسخاء والسماحة فمعانيها متقاربة وقد فرق بعضهم بينها بفروق
فجعلوا الكرم الانفاق بطيب النفس فيما يعظم خطره ونفعه وسموه ايضا
حرية وهو ضد النذالة والسماحة التجافي عما يستحقه المرء عند غيره

بطيب نفس وهو ضد الشكاسة والسخاء سهولة الانفاق وتجنب
اكتساب ما لا يحمد وهو الجود وهو ضد التقتير فكان صلى الله عليه وسلم
لا يوازى فى هذه الاخلاق الكريمة ولا يبارى بهذا وصفه كل من عرفه ثنا
القاضى الشهيد ابو على الصدفى رحمه الله ثنا القاضى ابو الوليد الباجى ثنا ابو ذر
الهروى ثنا ابو الهيثم الكشميهنى وابو محمد السرخسى وابو اسحق البلخى
قالوا ثنا ابو عبد الله الفربرى ثنا البخارى ثنا محمد بن كثير ثنا سفيان
عن ابن المنكدر سمعت جابر بن عبد الله يقول ما سئل النبى صلى الله عليه وسلم
عن شىء فقال لا وعن انس وسهل بن سعد رضى الله عنهما مثله وقال
ابن عباس رضى الله عنهما كان النبى صلى الله عليه وسلم اجود الناس بالخير
واجود ما كان فى شهر رمضان وكان اذا لقيه جبريل اجود بالخير من الريح
المرسلة وعن انس رضى الله عنه ان رجلا سأله فاعطاه غنما بين جبلين
فرجع الى بلده وقال اسلموا فان محمدا يعطى عطاء من لا يخشى فاقة و
اعطى غير واحد مائة من الابل واعطى صفوان مائة ثم مائة ثم مائة و
هذه كانت حاله صلى الله عليه وسلم قبل ان يبعث وقد قال له ورقة
ابن نوفل انك تحمل الكل وتكسب المعدوم ورد على هوازن سباياها
وكانوا ستة الاف واعطى العباس من الذهب ما لم يطق حمله وحمل
اليه تسعون الف درهم فوضعت على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد
سائلا حتى فرغ منها وجاءه رجل فسأله فقال ما عندى شىء ولكن
ابتع على فاذا جاءنا شىء قضيناه فقال له عمر ما كلفك الله ما لا تقدر

عليه

عليه فكره النبى صلى الله عليه وسلم ذلك فقال له رجل من الانصار
يا رسول الله انفق ولا تخش من ذى العرش اقلالا فتبسم رسول
الله صلى الله عليه وسلم وعرف البشر فى وجهه وقال بهذا امرت ذكره
الترمذى وذكر عن معوذ بن عفراء اتيت النبى صلى الله عليه وسلم بقناع
من رطب يريد طبقا واجر زغب يريد قثاء فاعطانى ملء كفه حليا
وذهبا قال انس كان النبى صلى الله عليه وسلم لا يدخر شيئا لغد والخير
بجوده وكرمه صلى الله عليه وسلم وعن ابى هريرة اتى رجل النبى صلى
الله عليه وسلم يسأله فاستسلف له رسول الله صلى الله عليه وسلم نصف
وسق فجاء الرجل يتقاضاه فاعطاه وسقا وقال نصفه قضاء ونصف
نائل فصل واما الشجاعة والنجدة فالشجاعة فضيلة قوة الغضب
وانقيادها للعقل والنجدة ثقة النفس عند استرسالها الى الموت حيث يحمد
فعلها دون خوف وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم منها بالمكان الذى لا يجهل
قد حضر المواقف الصعبة وفر الكماة والابطال عنه غير مرة وهو ثابت
لا يبرح ومقبل لا يدبر ولا يتزحزح وما شجاع الا وقد احصيت له فرة
وحفظت عنه جولة سواه حدثنا ابو على الجيانى فيما كتب لى ثنا القاضى
سراج ثنا ابو محمد الاصيلى ثنا ابو زيد الفقيه ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا محمد بن بشار ثنا غندر ثنا شعبة عن ابى اسحق سمع البراء
وسأله رجل افررتم يوم حنين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال نعم
لكن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يفر ثم قال لقد رأيته على بغلته البيضاء

وابو السفيان آخذ بلجامها والنبي صلى الله عليه وسلم يقول انا النبي
لا كذب وزاد غيره انا ابن عبد المطلب قيل فما روي يومئذ احد كان
اشد منه وقال غيره نزل النبي صلى الله عليه وسلم عن بغلته وذكر مسلم
عن العباس قال فلما التقى المسلمون والكفار ولى المسلمون مدبرين
فطفق رسول الله صلى الله عليه وسلم يركض بغلته نحو الكفار وانا
آخذ بلجامها اكفها ارادة ان لا تسرع وابو سفيان اخذ بركابه ثم نادى
يا للمسلمين الحديث وقيل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا غضب ولا
يغضب الا لله لم يقم لغضبه شيء وقال ابن عمر ما رايت اشجع ولا انجد
ولا اجود ولا ارضى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال علي رضي
الله عنه انا كنا اذا حمي الباس ويروى اشتد الباس واحمرت الحدق
اتقينا برسول الله صلى الله عليه وسلم فما يكون احد اقرب الى العدو منه
ولقد رايتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو
اقربنا الى العدو وكان من اشد الناس يومئذ باسا وقيل كان
الشجاع هو الذي يقرب منه صلى الله عليه وسلم اذا دنا العدو لقربه منه و
عن انس رضيه كان النبي صلى الله عليه وسلم احسن الناس واجود الناس و
اشجع الناس لقد فزع اهل المدينة ليلة فانطلق ناس قبل الصوت
فتلقاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم راجعا قد سبقهم الى الصوت
واستبرا الخبر على فرس لابي طلحة عري والسيف في عنقه وهو
يقول لن تراعوا وقال عمران بن حصين ما لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتيبة

كتيبة الا كان اول من يضرب ولما راه ابي بن خلف يوم احد وهو
يقول اين محمد لا نجوت ان نجا وقد كان يقول للنبي صلى الله عليه وسلم حين
افتدي يوم بدر عندي فرس اعلفها كل يوم فرقا من ذرة اقتلك عليها
فقال النبي صلى الله عليه وسلم انا اقتلك ان شاء الله فلما راه يوم احد شد
ابي على فرسه على رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعترضه رجال من المسلمين
فقال النبي صلى الله عليه وسلم هكذا اي خلوا طريقه وتناول الحربة من الحارث
بن الصمة فانتفض بها انتفاضة تطايروا عنه تطاير الشعراء عن
ظهر البعير اذا انتفض ثم استقبله النبي صلى الله عليه وسلم فطعنه في
عنقه طعنة تدأدأ منها عن فرسه مرارا وقيل بل كسر ضلعا من اضلاعه
فرجع الى قريش يقول قتلني محمد وهم يقولون لا باس بك فقال لو كان
ما بي بجميع الناس لقتلهم اليس قد قال انا اقتلك والله لو بصق علي
لقتلني فمات بسرف في قفولهم الى مكة فصل واما الحياء والاغضاء
فالحياء رقة تعتري وجه الانسان عند فعل ما يتوقع كراهيته او ما يكون
تركه خيرا من فعله والاغضاء التغافل عما يكره الانسان بطبيعته
وكان النبي صلى الله عليه وسلم اشد الناس حياء واكثرهم عن العورات اغضاء
قال الله سبحانه ان ذلكم كان يؤذي النبي فيستحيي منكم الاية و
حدثنا ابو محمد بن عتاب رحمه الله بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم
بن محمد ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا عبدان ثنا عبد الله انا شعبة عن قتادة سمعت عبد الله مولى انس

عن ابي سعيد الخدري كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اشد حياء من
العذراء في خدرها وكان اذا كره شيئا عرفناه في وجهه وكان النبي
صلى الله عليه وسلم لطيف البشرة دقيق الظاهر لا يشافه احدا بما يكرهه
حياء وكرم نفس وعن عائشة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا بلغه عن احد ما يكرهه لم يقل ما بال فلان يقول كذا ولكن يقول
ما بال اقوام يصنعون او يقولون كذا ينهى عنه ولا يسمي فاعله وروى
انس انه دخل عليه رجل به اثر صفرة فلم يقل له شيئا وكان لا يواجه احدا
بما يكره فلما خرج قال لو قلتم له يغسل هذا ويروى ينزعها قالت عائشة رضي
الله عنها في الصحيح لم يكن النبي صلى الله عليه وسلم فاحشا ولا متفحشا ولا صخابا
بالاسواق ولا يجزي بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويصفح وقد حكي مثل
هذا الكلام عن التورية من رواية ابن سلام وعبد الله بن عمرو بن العاص و
روي عنه انه كان من حيائه لا يثبت بصره في وجه احد وانه كان يكني
عما اضطره الكلام اليه مما يكره وعن عائشة رضي الله عنها ما رأيت فرج
رسول الله صلى الله عليه وسلم قط فصل واما حسن عشرته وادبه وبسط
خلقه صلى الله عليه وسلم مع اصناف الخلق فبحيث انتشرت به الاخبار الصحيحة
قال علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام كان اجود الناس صدرا واصدق
الناس لهجة والينهم عريكة واكرمهم عشرة حدثنا ابو الحسين علي بن مشرف
الانماطي فيما اجازنيه وقرأته على غيره قال ثنا ابو اسحق الحبال ثنا ابو
محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا هشام ابو مروان ومحمد بن

المثنى

المثنى قالا ثنا الاوزاعي سمعت يحيى بن ابي كثير يقول حدثني محمد بن
عبد الرحمن بن اسعد بن زرارة عن قيس بن سعد قال زارنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم وذكر قصة في آخرها فلما اراد الانصراف قرب له سعد
حمارا وطأ عليه بقطيفة فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال سعد
يا قيس اصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قيس فقال لي رسول الله صلى الله
عليه وسلم اركب فابيت فقال اما ان تركب واما ان تنصرف فانصرفت وفي رواية
اخرى اركب امامي فصاحب الدابة اولى بمقدمها وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يؤلفهم ولا ينفرهم ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر الناس ويحترس
منهم من غير ان يطوي عن احد منهم بشره ولا خلقه يتفقد اصحابه ويعطي كل
جلسائه نصيبه لا يحسب جليسه ان احدا اكرم عليه منه من جالسه او قاربه لحاجة
صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ومن سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور
من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه فصار لهم ابا وصاروا عنده
في الحق سواء بهذا وصفه ابن ابي هالة قال وكان دائم البشر سهل الخلق
لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب ولا فحاش ولا عياب
ولا مداح يتغافل عما لا يشتهي ولا يؤيس منه وقال الله تعالى فبما رحمة
من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك وقال تعالى
ادفع بالتي هي احسن الاية وكان يجيب من دعاه ويقبل الهدية ولو كانت كراعا ويكافئ
عليها قال انس رضي الله عنه خدمت رسول الله صلى الله عليه وسلم عشر سنين
فما قال لي اف قط وما قال لشيء صنعته لم صنعته ولا لشيء تركته لم تركته

وعن عائشة رضي الله عنها ما كان احد احسن خلقاً من رسول الله صلى
الله عليه وسلم ما دعاه احد من اصحابه ولا اهل بيته الا قال لبيك وقال
جرير بن عبد الله رضي الله عنه ما حجبني رسول الله صلى الله عليه وسلم
قط منذ اسلمت ولا رآني الا تبسم وكان يمازح اصحابه ويخالطهم و
يحادثهم ويداعب صبيانهم ويجلسهم في حجره ويجيب دعوة الحر والعبد
والامة والمسكين ويعود المرضى في اقصى المدينة ويقبل المعذرة وقال
انس رضي الله عنه ما التقم احد اذن رسول الله صلى الله عليه وسلم فينحي
رأسه حتى يكون الرجل هو الذي ينحي رأسه وما اخذ احد بيده فيرسل
يده حتى يرسلها الآخر ولم ير مقدماً ركبتيه بين يدي جليس له وكان
يبدأ من لقيه بالسلام ويبدأ اصحابه بالمصافحة لم ير قط مادّاً رجليه بين
اصحابه حتى يضيق بهما على احد يكرم من يدخل عليه وربما بسط له ثوبه
ويؤثره بالوسادة التي تحته ويعزم عليه في الجلوس عليها ان ابى ويكني
اصحابه ويدعوهم باحب اسمائهم تكرمة لهم ولا يقطع على احد حديثه حتى
يتجوز فيقطعه بنهي او قيام ويروى بانتهاء او قيام وروي انه كان لا
يجلس اليه احد وهو يصلي الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ
عاد الى صلاته وكان اكثر الناس تبسماً واطيبهم نفساً ما لم ينزل عليه قرآن او يعظ
او يخطب قال عبد الله بن الحارث ما رأيت احداً اكثر تبسماً من رسول الله صلى الله
عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه كان خدم المدينة يأتون رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا صلى الغدوة بآنيتهم فيها الماء فما يؤتى بآنية الا غمس يده فيها وربما كان

ذلك

ذلك في الغدوة الباردة يريدون به التبرك فصل واما الشفقة
والرأفة والرحمة بجميع الخلق فقد قال الله تعالى فيه لقد جاءكم رسول
من انفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم
وقال تعالى وما ارسلناك الا رحمة للعالمين قال بعضهم من فضله عليه
السلام ان الله اعطاه اسمين من اسمائه فقال بالمؤمنين رؤوف رحيم وحكى
نحوه الامام ابو بكر بن فورك حدثنا الفقيه ابو محمد عبد الله بن محمد الخشني
بقراءتي عليه ثنا امام الحرمين ثنا ابو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا ابو الطاهر
انا ابن وهب انا يونس عن ابن شهاب قال غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم
غزوة وذكر حنيناً قال فاعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم صفوان بن امية
مائة من النعم ثم مائة ثم مائة قال ابن شهاب ثنا سعيد بن المسيب ان صفوان
قال والله لقد اعطاني ما اعطاني وانه لابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى
انه لاحب الخلق الي وروي ان اعرابياً جاءه يطلب منه شيئاً فاعطاه ثم قال
احسنت اليك قال الاعرابي لا ولا اجملت فغضب المسلمون وقاموا اليه فاشار
اليهم ان كفوا ثم قام ودخل منزله فارسل اليه وزاده شيئاً ثم قال احسنت
اليك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً فقال له النبي صلى الله عليه وسلم
انك قلت ما قلت وفي انفس اصحابي من ذلك شيء فان احببت فقل بين ايديهم
مثل ما قلت بين يدي حتى يذهب ما في صدورهم عليك قال نعم فلما كان
الغد او العشي جاء فقال صلى الله عليه وسلم ان هذا الاعرابي قال ما قال

فزدناه فزعم انه رضي كذلك قال نعم فجزاك الله من اهل وعشيرة خيراً
فقال النبي صلى الله عليه وسلم مثلي ومثل هذا مثل رجل له ناقة شردت عليه فاتبعها
الناس فلم يزيدوها الا نفوراً فناداهم صاحبها خلوا بيني وبين ناقتي فاني
بها ارفق منكم واعلم فتوجه لها بين يديها فاخذ لها من قمام الارض فردها حتى
جاءت واستناخت وشد عليها رحلها واستوى عليها واني لو تركتكم
حيث قال الرجل ما قال فقتلتموه دخل النار وروى عنه صلى الله عليه وسلم
انه قال لا يبلغني احد منكم عن احد من اصحابي شيئاً فاني احب ان اخرج اليكم
وانا سليم الصدر ومن شفقته على امته عليه السلام تخفيفه وتسهيله
عليهم وكراهته اشياء مخافة ان تفرض عليهم كقوله صلى الله عليه وسلم لولا
ان اشق على امتي لامرتهم بالسواك مع كل وضوء وخبر صلوة الليل و
نهيهم عن الوصال وكراهته دخول الكعبة لئلا يتعب امته ورغبته لربه
ان يجعل سبه ولعنه لهم رحمة بهم وانه كان يسمع بكاء الصبي فيتجوز
في صلاته ومن شفقته صلى الله عليه وسلم ان دعا ربه وعاهده فقال ايما
رجل سببته او لعنته فاجعل ذلك له زكاة ورحمة وصلاة وطهورا و
قربة تقربه بها اليك يوم القيمة ولما كذبه قومه اتاه جبريل عليه السلام
فقال له ان الله قد سمع قول قومك لك وما ردوا عليك وقد امر ملك
الجبال لتامره بما شئت فيهم فناداه ملك الجبال وسلم عليه وقال مرني
بما شئت ان شئت ان اطبق عليهم الاخشبين فقال النبي صلى الله عليه وسلم
بل ارجوا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد الله وحده ولا يشرك به شيئا

وروى

وروى ابن المنكدر ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم
ان الله امر السماء والارض والجبال ان تطيعك فقال اوخر عن امتي لعل
الله ان يتوب عليهم قالت عائشة رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى
الله عليه وسلم بين امرين الا اختار ايسرهما وقال ابن مسعود رضي الله عنه كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يتخولنا بالموعظة مخافة السامة علينا وعن
عائشة رضي الله عنها انها ركبت بعيرا وفيه صعوبة فجعلت تردده
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليك بالرفق فصل واما خلقه
صلى الله عليه وسلم في الوفاء وحسن العهد وصلة الرحم فحدثنا القاضي
ابو عامر محمد بن اسمعيل القرائي عليه قال ثنا ابو بكر محمد بن محمد ثنا ابو اسحق
الحبال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الاعرابي ثنا ابو داود ثنا محمد بن يحيى
ثنا محمد بن سنان ثنا ابراهيم بن طهمان عن بديل عن عبد الكريم بن عبد
الله بن شقيق عن ابيه عن عبد الله بن ابي الحمساء قال بايعت النبي صلى الله
عليه وسلم ببيع قبل ان يبعث وبقيت له بقية فواعدته ان اتيه بها في مكانه
فنسيت ثم ذكرت بعد ثلاث فجئت فاذا هو في مكانه فقال يا فتى لقد شققت
علي انا ههنا منذ ثلاث انتظرك وعن انس رضي الله عنه كان النبي صلى الله
عليه وسلم اذا اتي بهدية قال اذهبوا بها الى بيت فلانة فانها كانت صديقة
لخديجة انها كانت تحب خديجة وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما غرت على
امراة ما غرت على خديجة لما كنت اسمعه يذكرها وان كان ليذبح الشاة فيهديها
الى خلائلها واستاذنت عليه اختها فارتاح لها ودخلت عليه امراة فهش لها

واحسن السؤال عنها فلما خرجت قال انها كانت تاتينا ايام خديجة وان
حسن العهد من الايمان ووصفه بعضهم فقال كان يصل ذوي رحمه
من غير ان يؤثرهم على من هو افضل منهم وقال صلى الله عليه وسلم ان آل بني فلان
ليسوا لي باولياء غير ان لهم رحما سابلها ببلالها وقد صلى عليه السلام بامامة ابنة
ابنة زينب يحملها على عاتقه فاذا سجد وضعها واذا قام حملها وعن ابي قتادة
رضي الله عنه وفد وفد للنجاشي فقام النبي صلى الله عليه وسلم يخدمهم
فقال له اصحابه نكفيك فقال انهم كانوا لاصحابنا مكرمين واني احب ان
اكافئهم ولما جيء باخته من الرضاعة الشيماء في سبايا هوازن وتعرفت له
بسط لها رداءه وقال لها ان احببت فعندي مكرمة محببة او
متعتك ورجعت الى قومك فاختارت قومها فمتعها وقال ابو الطفيل
رأيت النبي صلى الله عليه وسلم وانا غلام اذ اقبلت امرأة حتى دنت منه فبسط لها
رداءه فجلست عليه فقلت من هذه قالوا امه التي ارضعته وعن عمرو
بن السايب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا يوما فاقبل ابوه من
الرضاعة فوضع له بعض ثوبه فقعد عليه ثم اقبلت امه فوضع لها شق
ثوبه من جانبه الاخر فجلست عليه ثم اقبل اخوه من الرضاعة فقام رسول
الله صلى الله عليه وسلم فاجلسه بين يديه وكان يبعث الى ثويبة مولاة
ابي لهب مرضعته بصلة وكسوة فلما ماتت سال من بقي من قرابتها
فقيل لا احد وفي حديث خديجة رضي الله عنها انها قالت له صلى الله عليه وسلم
ابشر فوالله لا يخزيك الله ابدا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب

المعدوم

رتبة نسخه
واعدمهم نسخه

المعدوم وتقري الضيف وتعين على نوائب الحق فصل واما تواضعه
صلى الله عليه وسلم على علو منصبه ورفعة رتبته فكان صلى الله عليه وسلم
اشد الناس تواضعا واقلهم كبرا وحسبك انه خير بين ان يكون نبيا
ملكا ونبيا عبدا فاختار ان يكون نبيا عبدا فقال له اسرافيل عند ذلك
فان الله قد اعطاك بما تواضعت له انك سيد ولد آدم يوم القيمة و
اول من تنشق الارض عنه واول شافع حدثنا الفقيه ابو الوليد ابن العواد
رحمه الله بقراءتي عليه في منزله بقرطبة سنة سبع وخمسماة قال ثنا ابو علي
الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة ثنا ابو داود ثنا ابو بكر
بن ابي شيبة ثنا عَبْدُ اللهِ بْنُ نُمَيْرٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ اَبِي الْعَنْبَسِ عَنْ اَبِي الْعَدَبَّسِ عَنْ
اَبِي مَرْزُوقٍ عَنْ اَبِي غَالِبٍ عَنْ اَبِي اُمَامَةَ قال خرج علينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم متوكئا على عصا فقمنا له فقال لا تقوموا كما يقوم الاعاجم يعظم بعضها بعضا
وقال صلى الله عليه وسلم انما انا عبد اكل كما ياكل العبد واجلس كما يجلس العبد
وكان صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويردف خلفه ويعود المساكين ويجالس
الفقراء ويجيب دعوة العبد ويجلس بين اصحابه مختلطا بهم حيثما انتهى
به المجلس جلس وفي حديث عمر رضي الله عنه صلى الله عليه وسلم لا تطروني كما
اطرت النصارى عيسى بن مريم انما انا عبد فقولوا عبد الله ورسوله وعن
انس رضي الله عنه ان امرأة كان في عقلها شيء جاءته فقالت ان لي اليك حاجة قال اجلسي
يا ام فلان في اي طرق المدينة شئت اجلس اليك حتى اقضي حاجتك قال
فجلست فجلس النبي صلى الله عليه وسلم اليها حتى فرغت من حاجتها قال انس رضي الله عنه

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يركب الحمار ويجيب دعوة العبد وكان يوم بني
قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه اكاف قال وكان يدعى الى خبز
الشعير والاهالة السنخة فيجيب قال وحج صلى الله عليه وسلم على رحل رث
وعليه قطيفة ما تساوي اربعة دراهم فقال اللهم اجعله حجا
مبرورا لا رياء فيه ولا سمعة هذا وقد فتحت عليه الارض واهدى
في حجه ذلك مائة بدنة ولما فتحت عليه مكة ودخلها بجيوش
المسلمين طاطا على رحله راسه حتى كاد يمس قادمته تواضعا لله تعالى
ومن تواضعه صلى الله عليه وسلم قوله لا تفضلوني على يونس بن متى ولا تفضلوا
بين الانبياء ولا تخيروني على موسى ونحن احق بالشك من ابراهيم ولو لبثت
ما لبث يوسف في السجن لاجبت الداعي وقال للذي قال له يا خير البرية ذاك
ابراهيم وسياتي الكلام على هذه الاحاديث بعد هذا ان شاء الله تعالى وعن
عائشة رضي الله عنها والحسن وابي سعيد وغيرهم في صفته وبعضهم يزيد على
بعض كان في بيته في مهنة اهله يفلي ثوبه ويحلب شاته ويرقع ثوبه ويخصف
نعله ويخدم نفسه ويقم البيت ويعقل البعير ويعلف ناضحه وياكل مع
الخادم ويعجن معها ويحمل بضاعته من السوق وعن انس رضي الله عنه كانت الامة
من اماء اهل المدينة لتاخذ بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم فتنطلق به حيث شاءت
حتى تقضي حاجتها ودخل عليه رجل فاصابته من هيبته رعدة فقال له هون
عليك فاني لست بملك انما انا ابن امراة من قريش تاكل القديد وعن ابي هريرة
رضي الله عنه دخلت السوق مع النبي صلى الله عليه وسلم فاشترى سراويل وقال

للوزان

للوزان زن وارجح وذكر القصة قال فوثب الى يد النبي صلى الله عليه وسلم يقبلها
وقال هذا تفعله الاعاجم بملوكها ولست بملك انما انا رجل منكم ثم اخذ
السراويل فذهبت لاحمله فقال صاحب الشيء احق بشيئه ان يحمله
فصل واما عدله صلى الله عليه وسلم وامانته وعفته وصدق
لهجته فكان صلى الله عليه وسلم امن الناس واعدل الناس واعف الناس
واصدقهم لهجة منذ كان اعترف له بذلك محادوه وعداه وكان يسمى
قبل نبوته الامين قال ابن اسحق كان يسمى الامين بما جمع الله فيه من الاخلاق
الصالحة وقال تعالى مطاع ثم امين اكثر المفسرين على انه محمد صلى الله عليه وسلم
ولما اختلفت قريش وتحازبت عند بناء الكعبة فيمن يضع الحجر حكموا اول داخل
عليهم فاذا بالنبي صلى الله عليه وسلم داخل وذلك قبل نبوته فقالوا هذا محمد
هذا الامين قد رضينا به وعن الربيع بن خثيم كان يتحاكم الى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في الجاهلية قبل الاسلام وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
والله اني لامين في السماء امين في الارض حدثنا ابو علي الصدفي
الحافظ بقراءتي عليه ثنا ابو الفضل ابن خيرون ثنا ابو يعلى ابن زوج الحرة
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا ابو
كريب ثنا معاوية بن هشام عن سفيان عن ابي اسحق عن ناجية بن كعب عن علي
رضي الله عنه ان ابا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم انا لا نكذبك ولكن نكذب بما
جئت به فانزل الله تعالى فانهم لا يكذبونك الاية وروى غيره لا نكذبك
وما انت فينا بمكذب وقيل ان الاخنس بن شريق لقي ابا جهل يوم بدر

فقال له يا ابا الحكم ليس هنا غيري وغيرك يسمع كلامنا تخبرني عن محمد صادق
ام كاذب فقال ابو جهل والله ان محمدا لصادق وما كذب محمد قط وسأل
هرقل عنه ابا سفيان فقال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل ان يقول ما قال قال
لا وقال النضر بن الحارث لقريش قد كان محمد فيكم غلاما حدثا ارضاكم فيكم واصدقكم
حديثا واعظمكم امانة حتى اذا رايتم في صدغيه الشيب وجاءكم بما جاءكم به قلتم ساحر
لا والله ما هو بساحر وفي الحديث عنه ما لمست يده يد امرأة قط لا يملك رقها
وفي حديث علي رضي الله عنه في وصفه عليه السلام اصدق الناس لهجة وقال
في الصحيح ويحك فمن يعدل ان لم اعدل خبت وخسرت ان لم اعدل قالت عائشة
رضي الله عنها ما خير رسول الله صلى الله عليه وسلم في امرين الا اختار ايسرهما
ما لم يكن اثما فان كان اثما كان ابعد الناس منه قال ابو العباس المبرد قسم
كسرى ايامه فقال يصلح يوم الريح للنوم ويوم الغيم للصيد ويوم المطر
للشرب واللهو ويوم الشمس للحوائج قال ابن خالويه ما كان اعرفهم بسياسة
دنياهم يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ولكن
نبينا صلى الله عليه وسلم جزأ نهاره ثلثة اجزاء جزأ لله وجزأ لاهله وجزأ
لنفسه ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فكان يستعين بالخاصة على العامة
ويقول ابلغوا حاجة من لا يستطيع ابلاغي فانه من ابلغ حاجة من لا يستطيع
ابلاغها امنه الله يوم الفزع الاكبر وعن الحسن كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم لا ياخذ احدا بقرف احد ولا يصدق احدا على احد وذكر ابو جعفر
الطبري عن علي رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما هممت بشيء مما كان

اهل الجاهلية

الجاهلية يعملون به غير مرتين كل ذلك يحول الله بيني وبين ما اريد من
ذلك ثم ما هممت بسوء حتى اكرمني الله برسالته قلت ليلة لغلام كان
يرعى معي لو ابصرت لي غنمي حتى ادخل مكة فاسمر بها كما يسمر الشباب فخرجت
لذلك حتى جئت اول دار من مكة سمعت عزفا بالدفوف والمزامير لعرس
بعضهم فجلست انظر فضرب على اذني فنمت فما ايقظني الا مس الشمس
فرجعت ولم اقض شيئا ثم عراني مرة اخرى مثل ذلك ثم لم اهم بعد ذلك
بسوء فصل واما وقاره صلى الله عليه وسلم وصمته وتؤدته ومروته
فحدثنا ابو علي الجياني الحافظ اجازة وعارضت بكتابه قال ثنا ابو العباس
الدلائي ثنا ابو ذر الهروي ثنا ابو عبد الله الوراق ثنا اللؤلؤي ثنا ابو
داود ثنا عبد الرحمن قال حدثنا الحجاج بن سلام ثنا حجاج بن محمد عن
عبد الرحمن بن ابي الزناد عن عمر بن عبد العزيز بن وهيب سمعت خارجة
ابن زيد يقول كان النبي صلى الله عليه وسلم اوقر الناس في مجلسه لا يكاد
يخرج شيئا من اطرافه وروى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا جلس في المجلس احتبى بيديه وكذلك كان اكثر جلوسه
صلى الله عليه وسلم محتبيا وعن جابر بن سمرة انه تربع وربما جلس القرفصاء
وهو في حديث قيلة وكان كثير السكوت لا يتكلم في غير حاجة يعرض عمن
تكلم بغير جميل وكان ضحكه تبسما وكلامه فصلا لا فضول ولا تقصير
وكان ضحك اصحابه عنده التبسم توقيرا له واقتداء به مجلسه مجلس
حلم وحياء وخير وامانة لا ترفع فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم اذا تكلم

اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير وفي صفته يخطو تكفؤا ويمشي
هونا كانما ينحط من صبب وفي الحديث الآخر اذا مشى مشى مجتمعا يعرف في
مشيته انه غير غرض ولا وكل اي غير ضجر ولا كسلان وقال عبد الله بن مسعود
ان احسن الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه
كان في كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم ترتيل وترسيل قال ابن ابي هالة
وكان سكوته على اربع على الحلم والحذر والتقدير والتفكر قالت عائشة
رضي الله عنها كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث حديثا لو عده العاد
احصاه وكان يحب الطيب والرائحة الحسنة ويستعملهما كثيرا ويحض
عليهما ويقول حبب الي من دنياكم النساء والطيب وجعلت قرة عيني في
الصلوة ومروته صلى الله عليه وسلم نهيه عن النفخ في الطعام والشراب و
الامر بالاكل مما يلي والامر بالسواك وانقاء البراجم والرواجب واستعمال
خصال الفطرة **فصل** واما زهده في الدنيا فقد تقدم من الاخبار
اثناء هذه السيرة ما يكفي وحسبك تقلله منها واعراضه عن زهرتها
وقد سيقت اليه بحذافيرها وترادفت عليه فتوحها الى ان توفي صلى الله عليه وسلم
ودرعه مرهونة عند يهودي في نفقة عياله وهو يدعو ويقول اللهم
اجعل رزق آل محمد قوتا حدثنا سفيان بن العاصي والحسين بن محمد الحافظ
والقاضي ابو عبد الله التميمي قالوا ثنا احمد بن عمر قال ثنا ابو العباس الرازي قال
ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا ابو الحسين مسلم بن الحجاج ثنا
ابو بكر بن ابي شيبة ثنا ابو معاوية عن الاعمش عن ابراهيم عن الاسود

عن عائشة

عن عائشة رضي الله عنها قالت ما شبع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ايام
تباعا من خبز بر حتى مضى لسبيله وفي رواية اخرى من خبز شعير يومين
متواليين ولو شاء لاعطاه الله ما لا يخطر ببال وفي رواية اخرى ما
شبع آل رسول الله صلى الله عليه وسلم من خبز بر حتى لقي الله عز وجل وقالت
عائشة رضي الله عنها ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم دينارا ولا درهما
ولا شاة ولا بعيرا وفي حديث عمرو بن الحارث ما ترك رسول الله صلى الله عليه
وسلم الا سلاحه وبغلته وارضا جعلها صدقة قالت عائشة رضي الله عنها
ولقد مات وما في بيتي شيء يأكله ذو كبد الا شطر شعير في رف لي وقال ان ربي
عرض علي ان يجعل لي بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يا رب اجوع يوما واشبع يوما
فاما اليوم الذي اجوع فيه فاتضرع اليك وادعوك واما اليوم الذي
اشبع فيه فاحمدك واثني عليك وفي حديث آخر ان جبريل نزل عليه فقال
ان الله يقرئك السلام ويقول لك اتحب ان اجعل هذه الجبال ذهبا
وتكون معك حيث ما كنت فاطرق ساعة ثم قال يا جبريل ان الدنيا دار
من لا دار له ومال من لا مال له قد يجمعها من لا عقل له فقال له جبريل
ثبتك الله يا محمد بالقول الثابت وعن عائشة رضي الله عنها قالت ان كنا
آل محمد لنمكث شهرا ما نستوقد نارا ان هو الا التمر والماء وعن عبد
الرحمن بن عوف قال هلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يشبع هو واهل
بيته من خبز الشعير وعن عائشة وابي امامة وابن عباس نحوه رضي الله
عنهم قال ابن عباس كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبيت هو واهله الليالي

المتتابعة طاوياً لا يجدون عشاء وعن انس رضي الله عنه قال ما
اكل رسول الله صلى الله عليه وسلم على خوان ولا في سكرجة ولا خبز له مرقق
ولا رأى شاة سميطاً قط وعن عائشة رضي الله عنها انما كان فراشه
الذي ينام عليه ادماً حشوه ليف وعن حفصة رضي الله عنها
كان فراش رسول الله صلى الله عليه وسلم في بيته مسحاً نثنيه ثنتين
فينام عليه فثنيناه له ليلة باربع فلما اصبح قال ما فرشتم لي
الليلة فذكرنا ذلك له فقال ردوه بحاله فان وطأته منعتني الليلة
صلاتي وكان ينام احياناً على سرير مرمول بشريط حتى يؤثر في جنبه وعن
عائشة رضي الله عنها قالت لم يمتلئ جوف النبي صلى الله عليه وسلم شبعاً
قط ولم يبث شكوى الى احد وكانت الفاقة احب اليه من الغنى وان كان
ليظل جائعاً يلتوي طول ليلته من الجوع فلا يمنعه صيام يومه ولو شاء سأل
ربه جميع كنوز الارض وثمارها ورغد عيشها ولقد كنت ابكي له رحمة مما
ارى به وامسح بيدي على بطنه مما به من الجوع واقول نفسي لك الفداء لو
تبلغت من الدنيا بما يقوتك فيقول يا عائشة ما لي وللدنيا اخواني من
اولي العزم من الرسل صبروا على ما هو اشد من هذا فمضوا على حالهم فقدموا
على ربهم فاكرم مآبهم واجزل ثوابهم فاجدني استحيي ان ترفهت معيشتي
ان يقصر بي غداً دونهم وما من شيء هو احب الي من اللحوق باخواني
واخلائي قالت فما اقام بعد الا شهراً حتى توفي صلى الله عليه وسلم فصل
واما خوفه ربه وطاعته له وشدة عبادته فعلى قدر علمه بربه ولذلك

في بيتي نسخ
غنياً نسخ

قال فيما

قال فيما حدثناه ابو محمد بن عتاب قراءة مني عليه قال ثنا ابو القاسم
الطرابلسي ثنا ابو الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا ابو عبد الله
الفربري ثنا ابو محمد بن اسمعيل ثنا يحيى بن بكير عن الليث عن عقيل عن
ابن شهاب عن سعيد بن المسيب ان ابا هريرة رضي الله عنه كان يقول قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً زاد في روايتنا عن ابي عيسى الترمذي رفعه الى اني ارى
ما لا ترون واسمع ما لا تسمعون اطت السماء وحق لها ان
تئط ما فيها موضع اربع اصابع الا وملك واضع جبهته ساجداً لله تعالى
والله لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وما تلذذتم با
لنساء على الفرش ولخرجتم الى الصعدات تجأرون الى الله لوددت اني
شجرة تعضد روي هذا الكلام وددت اني شجرة تعضد من قول ابي ذر
نفسه وهو اصح وفي حديث المغيرة صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت قدماه
وفي رواية كان يصلي حتى ترم قدماه فقيل له اتكلف هذا وقد غفر لك ما تقدم
من ذنبك وما تأخر قال افلا اكون عبداً شكوراً ونحوه عن ابي سلمة و
ابي هريرة وقالت عائشة رضي الله عنها كان عمل رسول الله صلى الله عليه وسلم
ديمة وايكم يطيق ما كان يطيق وقالت كان يصوم حتى نقول لا يفطر و
يفطر حتى نقول لا يصوم ونحوه عن ابن عباس وام سلمة وانس رضي الله عنهم
وقال كنت لا تشاء ان تراه من الليل مصلياً الا رأيته مصلياً ولا نائماً الا رأيته
نائماً وقال عوف بن مالك رضي الله عنه كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم

ليلة فاستاك ثم توضأ ثم قام يصلي فقمت معه فبدأ فاستفتح البقرة
فلا يمر باية رحمة الا وقف فسأل ولا يمر باية عذاب الا وقف فتعوذ ثم
ركع فمكث بقدر قيامه يقول سبحان ذي الجبروت والملكوت والعظمة ثم
سجد وقال مثل ذلك ثم قرأ آل عمران ثم سورة سورة يفعل مثل ذلك
عن حذيفة مثله وقال سجد نحواً من قيامه وجلس بين السجدتين نحواً منه
وقال حتى قرأ البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وعن عائشة رضي
الله عنها قالت قام رسول الله صلى الله عليه وسلم باية من القرآن ليلة وعن
عبد الله بن الشخير اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصلي ولجوفه ازيز
كازيز المرجل قال ابن ابي هالة كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان
دائم الفكرة ليست له راحة وقال عليه السلام اني لاستغفر الله في
اليوم مائة مرة وروي سبعين مرة وعن علي رضي الله عنه قال سألت
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سنته فقال المعرفة رأس مالي والعقل
اصل ديني والحب اساسي والشوق مركبي وذكر الله انيسي والثقة كنزي
والحزن رفيقي والعلم سلاحي والصبر ردائي والرضا غنيمتي والعجز
فخري والزهد حرفتي واليقين قوتي والصدق شفيعي والطاعة حسبي
والجهاد خلقي وقرة عيني في الصلاة وفي حديث اخر وثمرة فؤادي في ذكره
وغمي لاجل امتي وشوقي الى ربي فصل اعلم وفقنا الله واياك
ان صفات جميع الانبياء والرسل صلوات الله عليهم من كمال الخلق وحسن
الصورة وشرف النسب وحسن الخلق وجميع المحاسن هي هذه الصفة

والفقر فخري
نسخ

لانها صفات

لانها صفات الكمال والكمال والتمام البشري والفضل الجميع لهم صلوات
الله عليهم اذ رتبتهم اشرف الرتب ودرجاتهم ارفع الدرجات ولكن فضل
الله بعضهم على بعض قال الله تعالى تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض
وقال تعالى ولقد اخترناهم على علم على العالمين وقد قال عليه السلام ان اول
زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر ثم قال آخر هذا الحديث على
خلق رجل واحد على صورة ابيهم آدم عليه السلام طول ستون ذراعاً في السماء
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه رأيت موسى فاذا رجل ضرب رجل اقنى كانه من
رجال شنوءة ورأيت عيسى فاذا هو رجل ربعة كثير خيلان الوجه احمر
كانما خرج من ديماس وفي حديث آخر مبطن مثل السيف قال وانا اشبه ولد
ابراهيم به وقال في حديث آخر في صفة موسى عليه السلام كاحسن ما انت
راء من ادم الرجال وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
ما بعث الله من بعد لوط نبياً الا في ذروة من قومه ويروى في ثروة
اي كثرة ومنعة وحكى الترمذي عن قتادة ورواه الدارقطني من
حديث قتادة عن انس ما بعث الله نبياً الا حسن الوجه حسن الصوت وكان
نبيكم احسنهم وجهاً واحسنهم صوتاً وفي حديث هرقل وسألتك عن نسبه
فذكرت انه فيكم ذو نسب وكذلك الرسل تبعث في انساب قومها وقال تعالى
في ايوب انا وجدناه صابراً نعم العبد انه اواب وقال الله تعالى يا يحيى خذ
الكتاب بقوة الى قوله ويوم يبعث حياً وقال ان الله يبشرك بيحيى
الى الصالحين وقال ان الله اصطفى آدم ونوحاً وآل ابراهيم وآل عمران

على العالمين الاثنين وقال في نوح انه كان عبدا شكورا وقال ان
الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح الى الصالحين وقال تعالى اني عبد الله
اتاني الكتاب الى ما دمت حيا وقال يا ايها الذين امنوا لا تكونوا كالذين اذوا
موسى الاية قال النبي صلى الله عليه وسلم كان موسى رجلا حييا ستيرا ما يرى
من جسده شي باستحيا الحديث وقال تعالى عنه فوهب لي ربي حكما الاية و
قال في وصف جماعة منهم اني لكم رسول امين وقال فاصبر كما صبر اولو
العزم من الرسل وقال ووهبنا له اسحق ويعقوب كلا هدينا الى
قوله فبهديهم اقتده فوصفهم باوصاف جمة من الصلاح والهدى
والاجتباء والحكم والنبوة وقال فبشرناه بغلام عليم وحليم وقال
ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم الحليمين وقال ستجدني
ان شاء الله من الصابرين وقال في اسمعيل انه كان صادق الوعد الايتين
وفي موسى انه كان مخلصا وفي سليمان نعم العبد انه اواب وقال واذكر
عبادنا ابراهيم واسحق ويعقوب اولي الايدي والابصار الى الاخيار
وفي داود داود ذا الايد انه اواب ثم قال وشددنا ملكه واتيناه الحكمة وفصل
الخطاب وقال عن يوسف اجعلني على خزائن الارض اني حفيظ عليم وقال
تعالى عن شعيب ستجدني ان شاء الله من الصالحين وفي موسى ستجدني ان شاء
الله صابرا وقال وما اريد ان اخالفكم الى ما انهيكم عنه ان اريد الا
الاصلاح ما استطعت وقال ولوطا اتيناه حكما وعلما وقال انهم كانوا
يسارعون في الخيرات الاية قال سفيان هو الحزن الدائم في اي كثيرة ذكر فيها

من خصالهم

من خصالهم ومحاسن اخلاقهم الدالة على كمالهم وجاء من ذلك في الاحاديث
كثير كقوله انما الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم يوسف بن يعقوب بن اسحق بن
ابراهيم نبي بن نبي بن نبي بن نبي وفي حديث انس رضي الله عنه وكذلك
الانبياء تنام عينهم ولا تنام قلوبهم وروي ان سليمان كان مع فيما
اعطي من الملك لا يرفع بصره الى السماء تخشعا وتواضعا لله وكان يطعم
الناس لذائذ الاطعمة ويأكل خبز الشعير واوحى الله اليه يا رأس العابدين
وابن محجة الزاهدين وكانت العجوز تعترضه وهو على الريح في جنوده
فيأمر الريح فتقف فينظر في حاجتها ويمضي وقيل ليوسف ما لك تجوع وانت
على خزائن الارض قال اخاف ان اشبع فانسى الجايع وروى ابو هريرة
رضي الله عنه عنه عليه السلام خفف على داود القرآن فكان
يأمر بدوابه فتسرج فيقرأ القرآن قبل ان تسرج ولا يأكل الا من عمل يديه
قال الله تعالى والنا له الحديد ان اعمل سابغات وقدر في السرد وكان
سأل ربه ان يرزقه عملا بيده يغنيه عن بيت المال وقال عليه السلام
احب الصلوة الى الله صلاة داود واحب الصيام الى الله صيام داود
وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه ويصوم يوما
ويفطر يوما وكان يلبس الصوف ويفترش الشعر ويأكل خبز الشعير
بالملح والرماد ويمزج شرابه بالدموع ولم ير ضاحكا بعد الخطيئة ولا
شاخصا ببصره الى السماء حياء من ربه ولم يزل باكيا حياته كلها
وقيل بكا حتى نبت العشب من دموعه وحتى اتخذت الدموع في خده

أخدودا وقيل كان يخرج متنكرا ليتعرف سيرته فيسمع الثناء عليه
فيزداد تواضعا وقيل لعيسى عليه السلام لو اتخذت حمارا قال انا اكرم على الله
من ان يشغلني بحمار وكان يلبس الشعر ويأكل الشجر ولم يكن له بيت اينما ادركه
النوم نام وكان احب الاسامي اليه ان يقال له مسكين وقيل ان موسى عليه
السلام لما ورد ماء مدين كانت ترى خضرة البقل في بطنه من الهزال وقال
عليه السلام لقد كان الانبياء قبلي يبتلى احدهم بالفقر والقمل وكان ذلك
احب اليهم من العطاء اليكم وقال عيسى عليه السلام لخنزير لقيه اذهب
بسلام فقيل له في ذلك فقال اكره ان اعود لساني المنطق بسوء وقال
مجاهد كان طعام يحيى عليه السلام العشب وكان يبكي من خشية الله عز وجل حتى
اتخذ الدمع مجرا في خده وكان ياكل مع الوحش لئلا يخالط الناس وحكى
الطبري عن وهب ان موسى كان يستظل بعريش ويأكل في نقرة من حجر ويكرع
فيها اذا اراد ان يشرب كما تكرع الدابة تواضعا لله بما اكرمه به من كلامه واخبارهم
في هذا كله مسطورة وصفاتهم في الكمال وجميل الاخلاق وحسن الصورة
والشمائل معروفة مشهورة فلا نطول بها ولا نلتفت الى ما تجده في كتب بعض
جهلة المورخين والمفسرين مما يخالف هذا فصل قد اتينا اكرمك
الله من ذكر الاخلاق الحميدة والفضائل المجيدة وخصال الكمال العديدة
واريناك صحتها له صلى الله عليه وسلم وجلبنا من الآثار ما فيه مقنع والامر اوسع
في هذا الباب فحقه صلى الله عليه وسلم ممتد تنقطع دون نفاده الادلاء و
بحر علم خصائصه زاخر لا تكدره الدلاء ولكنا اتينا فيه بالمعروف مما اكثره

في الصحيح

في الصحيح والمشهور من المصنفات واقتصرنا في ذلك بقل من كل وغيض من
فيض ورأينا ان نختم هذه الفصول بذكر حديث الحسن عن ابن ابي هالة لجمعه
من شمائله واوصافه كثيرا وادماجه جملة كافية من سيره وفضائله و
نصله بتنبيه لطيف على غريبه ومشكله حدثنا القاضي ابو علي الحسين
بن محمد الحافظ بقراءتي عليه سنة ثمان وخمسمائة قال ثنا الامام ابو القاسم
عبد الله بن طاهر التميمي قرأت عليه اخبركم الفقيه الاديب ابو بكر محمد بن
عبد الله بن الحسن النيسابوري والشيخ الفقيه ابو عبد الله محمد بن
احمد بن الحسن المحمدي والقاضي ابو علي الحسن بن علي بن جعفر الوخشي قالوا
ثنا ابو القاسم علي بن احمد بن محمد بن الحسن الخزاعي انا ابو سعيد الهيثم
بن كليب الشاشي انا ابو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الحافظ ثنا سفيان
بن وكيع ثنا جميع بن عمر بن عبد الرحمن العجلي املاء من كتابه قال حدثني رجل
من بني تميم من ولد ابي هالة زوج خديجة ام المؤمنين رضي الله عنها
يكنى ابا عبد الله عن ابن لابي هالة عن الحسن بن علي بن ابي طالب رضي الله
عنهما قال سألت خالي هند بن ابي هالة قال القاضي ابو علي رحمه الله وقرأت
على الشيخ ابي طاهر احمد بن الحسن بن احمد بن خذاذاذ الكرجي الباقلاني
قال واجاز لنا الشيخ الاجل ابو الفضل احمد بن الحسن بن خيرون
قالا ثنا ابو علي الحسن بن احمد بن ابراهيم بن الحسن بن محمد بن شاذان
بن حرب بن مهران الفارسي قراءة عليه فاقر به قال انا ابو محمد الحسن بن محمد
بن يحيى بن الحسين بن جعفر بن عبيد الله بن الحسين بن علي بن الحسين بن

علي بن ابي طالب المعروف بابن اخي طاهر العلوي قال حدثنا اسمعيل
بن محمد بن اسحق بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين عن اخيه موسى بن
جعفر عن جعفر بن محمد عن ابيه محمد بن علي عن علي بن الحسين قال الحسن
بن علي واللفظ لهذا السند سألت خالي هند بن ابي هالة عن حلية رسول
الله صلى الله عليه وسلم وكان وصافا وانا ارجوا ان يصف لي منها شيئا اتعلق به
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فخما مفخما يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة
البدر اطول من المربوع واقصر من المشذب عظيم الهامة رجل الشعر ان
انفرقت عقيقته فرق والا فلا يجاوز شعره شحمة اذنيه اذا هو وفره ازهر
اللون واسع الجبين ازج الحواجب سوابغ من غير قرن بينهما عرق يدره
الغضب اقنى العرنين له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله اشم كث
اللحية ادعج سهل الخدين ضليع الفم اشنب مفلج الاسنان
دقيق المسربة كان عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل
الخلق بادن متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر
بعيد ما بين المنكبين ضخم الكراديس انور المتجرد موصول ما بين اللبة
والسرة بشعر يجري كالخط عاري الثديين مما سوى ذلك اشعر الذراعين
والمنكبين واعالي الصدر طويل الزندين رحب الراحة شثن الكفين
والقدمين سائل الاطراف وقال سائن الاطراف وسائر الاطراف
سبط العصب خمصان الاخمصين مسيح القدمين ينبو عنهما الماء
اذا زال زال تقلعا ويخطو تكفؤا ويمشي هونا ذريع المشية

اذا مشى

اذا مشى كانما ينحط من صبب واذا التفت التفت جميعا خافض الطرف
نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء جل نظره الملاحظة
يسوق اصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام قلت صف لي منطقه قال
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم متواصل الاحزان دائم الفكرة ليست له
راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختم
باشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فصلا لا فضول فيه ولا تقصير
دمثا ليس بالجافي ولا المهين يعظم النعمة وان دقت لا يذم شيئا
لم يكن يذم ذواقا ولا يمدحه لا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء
حتى ينتصر له ولا يغضب لنفسه ولا ينتصر لها اذا اشار اشار
بكفه كلها واذا تعجب قلبها واذا تحدث اتصل بها فضرب بابهامه اليمنى
راحته اليسرى واذا غضب اعرض واشاح واذا فرح غض طرفه جل
ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام قال الحسن فكتمتها عن
الحسين بن علي زمانا ثم حدثته فوجدته قد سبقني اليه فسأل اباه
عن مدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ومخرجه ومجلسه وشكله فلم يدع
منه شيئا الا وقد سأله وحققه قال الحسين سألت ابي عن دخول رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقال كان دخوله لنفسه مأذونا له في ذلك فكان اذا اوى
الى منزله جزأ دخوله ثلثة اجزاء جزء لله تعالى وجزء لاهله وجزء لنفسه
ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس فيرد ذلك على العامة بالخاصة ولا يدخر
عنهم شيئا فكان من سيرته في جزء الامة ايثار اهل الفضل باذنه وقسمه

على قدر فضلهم في الدين منهم ذو الحاجة ومنهم ذو الحاجتين ومنهم
ذو الحوائج فيتشاغل منهم ويشغلهم فيما اصلحهم والامة من مسئلته عنهم
واخبارهم بالذي ينبغي لهم ويقول ليبلغ الشاهد منكم الغائب وابلغوني
حاجة من لا يستطيع ابلاغي حاجته فانه من ابلغ سلطانا حاجة من
لا يستطيع ابلاغها ثبت الله قدميه يوم القيمة لا يذكر عنده الا ذلك
ولا يقبل من احد غيره قال في حديث سفيان بن وكيع يدخلون روادا ولا
يتفرقون الا عن ذواق ويخرجون ادلة يعني فقهاء قلت فاخبرني عن
مخرجه كيف كان يصنع فيه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخزن لسانه
الا مما يعنيهم ويؤلفهم ولا ينفرهم يكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ويحذر
الناس ويحترس منهم من غير ان يطوي عن احد بشره وخلقه ويتفقد اصحابه و
يسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه
معتدل الامر غير مختلف لا يغفل مخافة ان يغفلوا ويملوا لكل حال عنده عتاد
لا يقصر عن الحق ولا يجاوزه الى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وافضلهم عنده
اعمهم نصيحة واعظمهم عنده منزلة احسنهم مواساة وموازرة فسألته عن
مجلسه عما كان يصنع فيه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجلس ولا يقوم الا
على ذكر ولا يوطن الاماكن وينهى عن ايطانها واذا انتهى الى القوم جلس حيث ينتهي
به المجلس ويأمر بذلك ويعطي كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه ان احدا
اكرم عليه منه جالسه او قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه
من سأله حاجة لم يرده الا بها او بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه

فصار لهم

فصار لهم ابا وصاروا عنده في الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى وفي الرواية
الاخرى صاروا عنده في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء وصبر وامانة لا ترفع
فيه الاصوات ولا تؤبن فيه الحرم ولا تثنى فلتاته وهذه الكلمة من غير الروايتين
يتعاطفون فيه بالتقوى متواضعين يوقرون فيه الكبير ويرحمون الصغير
ويرفدون ذا الحاجة ويرحمون الغريب فسألته عن سيرته صلى الله عليه وسلم في
جلسائه فقال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم دائم البشر سهل الخلق لين الجانب
ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح يتغافل عما لا
يشتهي ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث من الرياء والاكثار وما لا
يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم احدا ولا يعيره ولا يطلب عورته
ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على رؤسهم الطير
واذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث من تكلم عنده انصتوا له حتى
يفرغ حديثهم حديث اولهم يضحك مما يضحكون منه ويتعجب مما يتعجبون
منه ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق ويقول اذا رأيتم صاحب الحاجة
يطلبها فارفدوه لا يطلب الثناء الا من مكافئ ولا يقطع على احد حديثه
حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء او قيام هنا انتهى حديث سفيان بن وكيع وزاد
الاخر قلت كيف كان سكوته صلى الله عليه وسلم قال كان سكوته على اربع على الحلم
والحذر والتقدير والتفكر فاما تقديره ففي تسوية النظر والاستماع
بين الناس واما تفكره ففيما يبقى ويفنى وجمع له الحلم صلى الله عليه وسلم
في الصبر فكان لا يغضبه شيء يستفزه وجمع له في الحذر اربع

اخذه بالحسن ليقتدى به وتركه القبيح لينتهى عنه واجتهاد الرأى
بما اصلح امته والقيام لهم بما جمع لهم امر الدنيا والاخرة انتهى الوصف بحمد
الله تعالى وعونه فصل فى تفسير غريب هذا الحديث ومشكله قوله المشذب
اى البائن الطول فى نحافة وهو مثل قوله فى الحديث الاخر ليس بالطويل
الممغط والشعر الرجل الذى كانه مشط فتكسر قليلا ليس بسبط ولا
جعد والعقيقة شعر الرأس اراد ان انفرقت من ذات نفسها فرقها
والا تركها معقوصة ويروى عقيقته وازهر اللون نيره وقيل ازهر
حسن ومنه زهرة الحيوة الدنيا اى زينتها وهذا كما قال فى الحديث الاخر
ليس بالابيض الامهق ولا بالادم والامهق هو الناصع البياض والادم
الاسمر اللون ومثله فى الحديث الاخر ابيض مشرب اى فيه حمرة والحاجب الازج
المقوس الطويل الوافر الشعر والاقنى السائل الانف المرتفع وسطه
والاشم الطويل قصبة الانف والقرن اتصال شعر الحاجبين وضده
البلج ووقع فى حديث ام معبد وصفه بالقرن والادعج الشديد سواد
الحدقة وفى الحديث الاخر اشكل العين واسجر العين وهو الذى فى بياضها
حمرة والضليع الواسع والشنب رونق الاسنان وماؤها وقيل
رقتها وتحزيز فيها كما يوجد فى اسنان الشباب والفلج فرق بين الثنايا و
دقيق المسربة خيط الشعر الذى بين الصدر والسرة بادن ذو لحم و
متماسك معتدل الخلق يمسك بعضه بعضا مثل قوله فى الحديث الاخر لم يكن
بالمطهم ولا بالمكلثم اى ليس بمسترخى اللحم والمكلثم القصير الذقن

وسواء

وسواء البطن والصدر اى مستويهما ومشيح الصدر ان صحت هذه
اللفظة فتكون من الاقبال وهو احد معانى اشاح اى انه كان بادى
الصدر ولم يكن فى صدره قعس وهو تطامن فيه وبه يتضح قوله قبل
سواء البطن والصدر اى ليس بمتقاعس الصدر ولا مفاض البطن ولعل
اللفظ مسيح بالسين وفتح الميم بمعنى عريض كما وقع فى الرواية الاخرى وحكى
ابن دريد والكراديس رؤس العظام وهو مثل قوله فى الحديث الاخر جليل
المشاش والكتد والمشاش رؤس المناكب والكتد مجتمع الكتفين و
شثن الكفين والقدمين لحيمهما والزندان عظما الذراعين وسائل
الاطراف اى طويل الاصابع وذكر ابن الانبارى انه روى سائن الاطراف وقال
سائن بالنون قال وهما بمعنى تبدل اللام من النون ان صحت الرواية بها واما
على الرواية الاخرى وسائر الاطراف فاشارة الى فخامة جوارحه كما وقعت مفصلة
فى الحديث ورحب الراحة اى واسعها وقيل كنى به عن سعة العطاء والجود و
خمصان الاخمصين اى متجافى اخمص القدم وهو الموضع الذى لا تناله الارض
من وسط القدم ومسيح القدمين اى املسهما ولهذا قال ينبو عنهما الماء
وفى حديث ابى هريرة رضى الله عنه خلاف هذا قال فيه اذا وطئ بقدمه وطئ بكلها
ليس له اخمص وهذا يوافق معنى قوله مسيح القدمين وبه قالوا سمى المسيح بن
مريم اى لم يكن له اخمص وقيل مسيح لا لحم عليهما وهذا ايضا يخالف قوله
شثن القدمين والتقلع رفع الرجل بقوة والتكفؤ الميل الى سنن المشى
وقصده والهون الرفق والوقار والذريع الخطو اى ان مشيه كان يرفع فيه

رجليه بسرعة ويمد خطوه خلاف مشية المختال ويقصد سمته وكل ذلك برفق
وتثبت دون عجلة كما قال كانما ينحط من صبب وقوله يفتتح الكلام و
يختمه باشداقه اى لسعة فمه والعرب تتمادح بهذا وتذم بصغر الفم و
اشاح مال وانقبض وجب الغمام البرد وقوله فيرد ذلك بالخاصة على العامة
اى جعل من جزء نفسه ما يوصل الخاصة اليه فتوصل عنه للعامة وقيل
يجعل منه للخاصة ثم يبدلها فى جزء آخر بالعامة ويدخلون رواداً اى
محتاجين اليه وطالبين لما عنده ولا ينصرفون الا عن ذواق قيل عن علم
يتعلمونه ويشبه ان يكون على ظاهره اى فى الغالب والاكثر والعتاد
العدة والشىء الحاضر المعد والموازرة المعاونة وقوله لا يوطن الاماكن
اى لا يتخذ لمصلاه موضعا معلوما وقد ورد نهيه عن هذا مفسرا فى غير
هذا الحديث وصابره اى حبس نفسه على ما يريد صاحبه ولا يوبن فيه
الحرم اى لا يذكرن فيه بسوء ولا تثنى فلتاته اى لا يتحدث بها اى لم يكن فيه
فلتة وان كانت من احد سترت ويرفدون يعينون والسخاب الكثير الصياح
وقوله ولا يقبل الثناء الا من مكافئ قيل مقتصد فى ثنائه ومدحه وقيل
الا من مسلم وقيل الا من مكافئ على يد سبقت من النبى صلى الله عليه وسلم ويستفزه
يستخفه وفى حديث آخر فى وصفه صلى الله عليه وسلم منهوس العقب اى
قليل لحمها واهدب الاشفار اى طويل شعرها

الباب الثالث وفيه

فيما ورد من صحيح الاخبار ومشهورها بعظيم قدره عند ربه

ومنزلته

ومنزلته وما خصه به فى الدارين من كرامته عليه السلام لا خلاف انه صلى
الله عليه وسلم اكرم البشر وسيد ولد آدم وافضل الناس منزلة عند الله
عز وجل واعلاهم درجةً واقربهم زلفى واعلم ان الاحاديث الواردة فى ذلك
كثيرة جدا وقد اقتصرنا منها على صحيحها ومنتشرها وحصرنا معانى ما ورد
منها فى اثنى عشر فصلا الفصل الاول فيما ورد من ذكر مكانته عند ربه
والاصطفاء ورفعة الذكر والتفضيل وسيادة ولد آدم وما
خصه به فى الدنيا من مزايا الرتب وبركة اسمه الطيب اخبرنا الشيخ ابو محمد
عبد الله بن احمد العدل اذناً بلفظه ثنا ابو الحسن الفرغانى حدثتنا
ام القاسم بنت ابى بكر بن يعقوب عن ابيها ثنا حاتم هو ابن عقيل عن يحيى
وهو ابن اسمعيل عن يحيى الحمانى ثنا قيس عن الاعمش عن عباية بن ربعى
عن ابن عباس رضى الله عنهما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله قسم
الخلق قسمين فجعلنى من خيرهم قسما فذلك قوله واصحاب اليمين و
اصحاب الشمال فانا من اليمين وانا خير اصحاب اليمين ثم جعل القسمين
اثلاثا فجعلنى فى خيرها ثلثا وذلك قوله فاصحاب الميمنة واصحاب المشأمة
والسابقون السابقون فانا من السابقين وانا خير السابقين ثم جعل
الاثلاث قبائل فجعلنى من خيرها قبيلة وذلك قوله سبحانه وجعلناكم شعوبا
وقبائل لتعارفوا الآية فانا اتقى ولد آدم واكرمهم على الله ولا فخر ثم جعل
القبائل بيوتا فجعلنى فى خيرها بيتا فذلك قوله انما يريد الله ليذهب عنكم
الرجس اهل البيت الآية وعن ابى سلمة رضى الله عنه عن ابى هريرة رضى الله عنه

قال قالوا يا رسول الله متى وجبت لك النبوة قال وآدم بين الروح والجسد
وعن واثلة بن الاسقع قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله اصطفى من ولد
ابراهيم اسمعيل واصطفى من ولد اسمعيل بني كنانة قريشا واصطفى من قريش بني
هاشم واصطفاني من بني هاشم وعن حديث انس رضي الله عنه انا اكرم ولد آدم على ربي ولا
فخر وفي حديث ابن عباس رضي الله عنهما انا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن عائشة
رضي الله عنها عنه عليه السلام اتاني جبريل فقال قلبت مشارق الارض و
مغاربها فلم ار رجلا افضل من محمد ولم ار بني اب افضل من بني هاشم وعن انس
رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اتي بالبراق ليلة اسري به فاستصعب عليه
فقال له جبريل ابمحمد تفعل هذا فما ركبك احد اكرم على الله منه فارفض عرقا
وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام لما خلق الله آدم اهبطني
في صلبه الى الارض وجعلني في صلب نوح في السفينة وقذفني في النار في
صلب ابراهيم ثم لم يزل ينقلني في الاصلاب الكريمة الى الارحام الطاهرة حتى
اخرجني من ابوي لم يلتقيا على سفاح قط والى هذا اشار العباس بن عبد
المطلب رضي الله عنه فيه بقوله من قبلها طبت في الظلال وفي مستودع
حيث يخصف الورق ثم هبطت البلاد لا بشر انت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد الجم نسرا واهله الغرق تنقل من صالب الى رحم
اذا مضى عالم بدا طبق ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق
وانت لما ولدت اشرقت الارض ونارت بنورك الافق فنحن في ذلك الضياء
وفي النور وسبل الرشاد نخترق وروى عنه صلى الله عليه وسلم ابو ذر وعمر

وابن عباس

وابن عباس وابو هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهم انه قال اعطيت خمسا
وفي بعضها ستا لم يعطهن نبي قبلي نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الارض
مسجدا وطهورا فايما رجل من امتي ادركته الصلوة فليصل واحلت لي
الغنائم ولم تحل لنبي قبلي وبعثت الى الناس كافة واعطيت الشفاعة
وفي رواية اخرى بدل هذه الكلمة وقيل لي سل تعطه وفي رواية اخرى وعرض
علي امتي فلم يخف علي التابع من المتبوع وفي رواية بعثت الى الاحمر والاسود
قيل السود العرب لان الغالب على الوانهم الادمة فهم من السود والحمر العجم و
قيل البيض والسود من الامم وقيل الحمر الانس والسود الجن وفي الحديث الاخر عن
ابي هريرة رضي الله عنه نصرت بالرعب واوتيت جوامع الكلم وبينا انا نائم اذ جيء بمفاتيح
خزائن الارض فوضعت في يدي وفي رواية عنه وختم بي النبيون وعن عقبة
بن عامر رضي الله عنه انه قال عليه السلام اني فرط لكم وانا شهيد عليكم واني والله
لانظر الى حوضي الان واني قد اعطيت مفاتيح خزائن الارض واني والله ما اخاف
عليكم ان تشركوا بعدي ولكني اخاف عليكم ان تنافسوا فيها وعن عبد الله
بن عمرو رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا محمد النبي الامي لا نبي بعدي
اوتيت جوامع الكلم وخواتمه وعلمت خزنة النار وحملة العرش وعن ابن عمر رضي
الله عنهما بعثت بين يدي الساعة ومن رواية ابن وهب انه صلى الله عليه وسلم قال
قال الله تعالى سل يا محمد فقلت ما اسال يا رب اتخذت ابراهيم خليلا و
كلمت موسى تكليما واصطفيت نوحا واعطيت سليمان ملكا لا ينبغي لاحد
من بعده فقال الله تعالى ما اعطيتك خير من ذلك اعطيتك الكوثر

وجعلت اسمك مع اسمي ينادى به في جوف السماء وجعلت الارض طهورا لك
ولامتك وغفرت لك ما تقدم من ذنبك وما تاخر فانت تمشي في الناس مغفورا
لك ولم اصنع ذلك لاحد قبلك وجعلت قلوب امتك مصاحفها وخبأت
لك شفاعتك ولم اخبأها لنبي غيرك وفي حديث آخر رواه حذيفة رضي الله عنه
بشرني يعني ربي اول من يدخل الجنة معي من امتي سبعون الفا مع كل الف سبعون
الفا ليس عليهم حساب واعطاني ان لا تجوع امتي ولا تغلب واعطاني النصرة
والعزة والرعب يسعى بين يدي امتي شهرا وطيب لي ولامتي الغنائم واحل
لنا كثيرا مما شدد على من قبلنا ويجعل علينا في الدين من حرج وعن ابي هريرة
رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم ما من نبي من الانبياء الا وقد اعطي من الايات
ما مثله امن عليه البشر وانما كان الذي اوتيته وحيا اوحى الله الي فارجوا
ان اكون اكثرهم تابعا يوم القيمة معنى هذا عند المحققين بقاء معجزته ما بقيت
الدنيا وسائر معجزات الانبياء ذهبت للحين ولم يشاهدها الا الحاضر لها ومعجزة
القران يقف عليها قرن بعد قرن عيانا لا خبرا الى يوم القيمة وفيه كلام
يطول هذا نجتنه وقد بسطنا القول فيه وفيما ذكر فيه سوى هذا آخر
باب المعجزات وعن علي رضي الله عنه كل نبي اعطي سبعة نجباء من امته واعطى
نبيكم صلى الله عليه وسلم اربعة عشر نجيبا منهم ابو بكر وعمر وابن مسعود و
عمار رضي الله عنهم وقال صلى الله عليه وسلم ان الله قد حبس عن مكة الفيل
وسلط عليها رسوله والمؤمنين وانها لم تحل لاحد بعدي وانما احلت لي ساعة
من نهار وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم

يقول انى

يقول انى عبد الله وخاتم النبيين وان آدم لمنجدل في طينته وعدة ابى
ابراهيم وبشارة عيسى بن مريم وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان
الله فضل محمدا صلى الله عليه وسلم على اهل السماء وعلى الانبياء صلوات
الله وسلامه عليهم قالوا فما فضله على اهل السماء قال ان الله قال
لاهل السماء وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِنْ دُونِهِ الاية وقال لمحمد صلى
الله عليه وسلم إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا الاية قالوا فما فضله على الانبيا
قال ان الله قال وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ الاية وقال
لمحمد صلى الله عليه وسلم وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ وعن خالد ابن معدان
ان نفرا من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا يا رسول الله اخبرنا عن
نفسك وقد روي نحوه عن ابي ذر وشداد بن اوس وانس بن مالك رضي
الله عنهم فقال نعم انا دعوة ابي ابراهيم قوله رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا
مِنْهُمْ وبشرى عيسى ورأت امي حين حملت بي انه خرج منها نور اضاء له
قصور بصرى من ارض الشام واسترضعت في بني سعد بن بكر فبينا
انا مع اخ لي خلف بيوتنا نرعى بهما لنا اذ جاء رجلان عليهما ثياب بيض
وفي حديث آخر ثلثة رجال بطست من ذهب مملوءة ثلجا فاخذاني فشقا بطني قال
في غير هذا الحديث من نحري الى مراق بطني ثم استخرجا منه قلبي فشقاه فاستخرجا
منه علقة سوداء فطرحاها ثم غسلا قلبي وبطني بذلك الثلج حتى انقاه
قال في حديث آخر ثم تناول احدهما شيئا فاذا بخاتم في يده من نور يحار الناظر
دونه فختم به قلبي فامتلأ ايمانا وحكمة ثم اعاده مكانه وامر الاخر يده على مفرق

صدري

فالتأم وفي رواية ان جبرئيل قال قلب وكيع اي شديد فيه عينان تبصران
واذنان سميعتان ثم قال احدهما لصاحبه زنه بعشرة من امته فوزنني بهم
فرجحتهم ثم قال زنه بمائة من امته فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال زنه بالف من امته
فوزنني بهم فوزنتهم ثم قال دعه عنك فلو وزنته بامته لوزنها قال وفي الحديث
الآخر ثم ضموني الى صدورهم وقبلوا راسي وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع
انك لو تدري ما يراد بك من الخير لقرت عيناك وفي بقية هذا الحديث من قولهم ما
اكرمك على الله ان الله معك وملائكته قال في حديث ابي ذر فما هو الا ان وليا
عني فكانما ارى الامر معاينة وحكى ابو محمد مكي وابو الليث السمرقندي وغيرهما
ان ادم عليه السلام عند معصيته قال اللهم بحق محمد اغفر لي خطيئتي و
يروى تقبل توبتي فقال له الله من اين عرفت محمدا قال رايت في كل موضع من الجنة
مكتوبا لا اله الا الله محمد رسول الله ويروى محمد عبدي ورسولي فعلمت
انه اكرم خلقك عليك فتاب الله عليه وغفر له وهذا عند قائله تاويل قوله
تعالى فتلقى ادم من ربه كلمات وفي رواية الآجري فقال ادم لما خلقتني رفعت
راسي الى عرشك فاذا فيه مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله فعلمت
انه ليس احد اعظم قدرا عندك ممن جعلت اسمه مع اسمك فاوحى الله
اليه وعزتي وجلالي انه لآخر النبيين من ذريتك ولولاه ما خلقتك
قال وكان ادم عليه السلام يكنى بابي محمد وقيل بابي البشر وروى عن
سريج بن يونس انه قال ان لله ملائكة سياحين عبادتها على كل دار فيها
احمد او محمد اكراما منهم لمحمد صلى الله عليه وسلم وروى ابن قانع القاضي

عن ابي

عن ابي الحمراء قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لما اسري بي الى السماء
اذا على العرش مكتوب لا اله الا الله محمد رسول الله ايدته بعلي و
في التفسير عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى وكان تحته كنز لهما
قال لوح من ذهب فيه مكتوب عجبا لمن ايقن بالقدر كيف ينصب
عجبا لمن ايقن بالنار كيف يضحك عجبا لمن يرى الدنيا وتقلبها باهلها
كيف يطمئن اليها انا الله لا اله الا انا محمد عبدي ورسولي وعن ابن عباس
رضي الله عنهما على باب الجنة مكتوب اني انا الله لا اله الا انا محمد رسول الله
لا اعذب من قالها وذكر انه وجد على الحجارة القديمة مكتوب محمد تقي
مصلح وسيد امين وذكر السمنطاري انه شاهد في بعض بلاد خراسان
مولودا ولد على احد جنبيه مكتوب لا اله الا الله وعلى الآخر محمد ر
سول الله وذكر الاخباريون ان ببلاد الهند وردا احمر مكتوبا عليه بالا بيض
لا اله الا الله محمد رسول الله وروى عن جعفر بن محمد عن ابيه اذا كان
يوم القيمة نادى مناد الا ليقم من اسمه محمد فليدخل الجنة لكرامة اسمه
عليه السلام وروى ابن القاسم في سماعه وابن وهب في جامعه عن مالك سمعت
اهل مكة يقولون ما من بيت فيه اسم محمد الا نما ورزقوا ورزق جيرانهم
وعنه عليه السلام ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان وثلاثة
وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ان الله نظر الى قلوب العباد فا
ختار منها قلب محمد عليه السلام فاصطفاه لنفسه فبعثه برسالته و
حكى النقاش ان النبي صلى الله عليه وسلم لما نزلت وما كان لكم ان تؤذوا

رسول الله ولا ان تنكحوا ازواجه من بعده ابدا الآية قام خطيباً
فقال يا معشر اهل الايمان ان الله فضلني عليكم تفضيلا وفضل
نسائي على نسائكم تفضيلا الحديث فصل في تفضيله بما تضمنته
كرامة الاسراء من المناجاة والرؤية وامامة الانبياء والعروج به
الى سدرة المنتهى وما رأى من آيات ربه الكبرى ومن خصائصه
عليه السلام قصة الاسراء وما انطوت عليه من درجات الرفعة مما نبه
عليه الكتاب العزيز وشرحته صحاح الاخبار قال الله تبارك وتعالى
سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى
الآية وقال وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى الى قوله لقد رأى من آيات ربه الكبرى
ولا خلاف بين المسلمين في صحة الاسراء به عليه السلام اذ هو نص القرآن
وجاءت بتفصيله وشرح عجائبه وخواص محمد نبينا صلى الله عليه وسلم
فيه احاديث كثيرة منتشرة رأينا ان نقدم اكملها ونشير الى زيادة من غيره
يجب ذكرها حدثنا القاضي الشهيد ابو علي والفقيه ابو بحر سماعي عليهما والقاضي
ابو عبد الله التميمي وغير واحد من شيوخنا قالوا ثنا ابو العباس العذري
ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم
بن الحجاج ثنا شيبان بن فروخ ثنا حماد بن سلمة ثنا ثابت البناني عن انس بن
مالك رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اتيت بالبراق وهو
دابة ابيض طويل فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه
قال فركبته حتى اتيت بيت المقدس فربطته بالحلقة التي تربط بها الانبياء

ثم د

ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ثم خرجت فجاءني جبريل باناء من خمر
واناء من لبن فاخترت اللبن فقال جبريل اخترت الفطرة ثم عرج بنا الى
السماء فاستفتح جبريل فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال
محمد قيل وقد بعث اليه قال قد بعث اليه ففتح لنا فاذا بادم صلى الله
عليه وسلم فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثانية فاستفتح جبريل
فقيل من انت قال جبريل قيل ومن معك قال محمد قيل وقد بعث اليه قال قد
بعث اليه ففتح لنا فاذا انا بابني الخالة عيسى بن مريم ويحيى بن زكرياء صلى
الله عليهما وسلم فرحبا بي ودعوا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الثالثة فذكر مثل
الاول ففتح لنا فاذا انا بيوسف صلى الله عليه وسلم واذا هو قد اعطي شطر الحسن
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء الرابعة وذكر مثله فاذا انا بادريس
عليه السلام فرحب بي ودعا لي بخير قال الله تعالى وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا
ثم عرج بنا الى السماء الخامسة فذكر مثله فاذا انا بهرون فرحب بي
ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السادسة فذكر مثله فاذا انا بموسى
فرحب بي ودعا لي بخير ثم عرج بنا الى السماء السابعة فذكر مثله فاذا
انا بابراهيم مسندا ظهره الى البيت المعمور واذا هو يدخله كل يوم سبعون الف
ملك لا يعودون اليه ثم ذهب بي الى سدرة المنتهى فاذا ورقها كآذان
الفيلة واذا ثمرها كالقلال قال فلما غشيها من امر الله ما غشي
تغيرت فما احد من خلق الله يستطيع ان ينعتها من حسنها فاوحى الله
الي ما اوحى ففرض علي خمسين صلوة في كل يوم وليلة فنزلت الى موسى

فقال ما فرض ربك على امتك قلت خمسين صلوة قال ارجع الى ربك
فسئله التخفيف فان امتك لا يطيقون ذلك فاني قد بلوت بني
اسرائيل وخبرتهم قال فرجعت الى ربي فقلت يا رب خفف عن امتي فحط
عني خمسا فرجعت الى موسى فقلت حط عني خمسا قال ان امتك
لا يطيقون ذلك فارجع الى ربك فسئله التخفيف قال فلم ازل ارجع
بين ربي وبين موسى حتى قال يا محمد انهن خمس صلوات كل يوم وليلة لكل
صلوة عشر فتلك خمسون صلاة ومن هم بحسنة فلم يعملها كتبت له
حسنة فان عملها كتبت له عشرا ومن هم بسيئة فلم يعملها لم تكتب
شيئا فان عملها كتبت سيئة واحدة قال فنزلت حتى انتهيت
الى موسى فاخبرته فقال ارجع الى ربك فسئله التخفيف فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت قد رجعت الى ربي حتى استحييت منه قال القاضي
رضي الله عنه جود ثابت رحمه الله هذا الحديث عن انس ما شاء ولم يات
احد عنه باصوب من هذا وقد خلط فيه غيره عن انس تخليطا كثيرا
لا سيما من رواية شريك ابن ابي نمر فقد ذكر في اوله مجيء الملك له
وشق بطنه وغسله بماء زمزم وهذا انما كان وهو صبي وقبل الوحي
وقد قال شريك في حديثه وذلك قبل ان يوحى اليه وذكر قصة الاسراء
ولا خلاف انها كانت بعد الوحي وقد قال غير واحد انها كانت قبل الهجرة بسنة
وقيل قبل هذا وقد روى ثابت عن انس من رواية حماد بن سلمة ايضا مجيء
جبريل الى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يلعب مع الغلمان عند ظئره وشقه

قلبه

قلبه تلك القصة مفردة من حديث الاسراء كما رواه الناس فجود
في القصتين وفي ان الاسراء الى بيت المقدس والى سدرة المنتهى
كان قصة واحدة وانه وصل الى بيت المقدس ثم عرج من هناك فازاح
كل اشكال اوهمه غيره وقد روى يونس عن ابن شهاب عن انس قال كان ابو ذر
يحدث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فرج سقف بيتي فنزل جبريل
ففرج صدري ثم غسله بماء زمزم ثم جاء بطست من ذهب ممتلئ حكمة
وايمانا فافرغها في صدري ثم اطبقه ثم اخذ بيدي فعرج بنا الى السماء
فذكر القصة وروى قتادة الحديث بمثله عن انس عن مالك بن صعصعة
وفيها تقديم وتاخير وزيادة ونقص وخلاف في ترتيب الانبياء
في السموات وحديث ثابت عن انس اتقن واجود وقد وقعت في حديث
الاسراء زيادات نذكر منها نكتا مفيدة في غرضنا منها في حديث ابن
شهاب وفيه قول كل نبي له مرحبا بالنبي الصالح والاخ الصالح الا ادم
وابراهيم فقالا له والابن الصالح وفيه من طريق ابن عباس رضي الله
عنهما ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام وعن انس
رضي الله عنه ثم انطلق بي حتى اتيت سدرة المنتهى فغشيها الوان لا ادري
ما هي قال ثم ادخلت الجنة وفي حديث مالك بن صعصعة فلما جاوزته
يعني موسى بكى فنودي ما يبكيك قال رب هذا غلام بعثته بعدي يدخل
من امته الجنة اكثر مما يدخل من امتي وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه
ولقد رايتني في جماعة من الانبياء فحانت الصلوة فاممتهم فقال القائل

يا محمد هذا مالك خازن النار فسلم عليه فالتفت فبدأني بالسلام
وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه ثم سار حتى اتى بيت المقدس فنزل فربط
فرسه الى صخرة فصلى مع الملائكة فلما قضيت الصلوة قالوا يا
جبريل من هذا معك قال هذا محمد رسول الله خاتم النبيين قالوا
وقد ارسل اليه قال نعم قالوا حياه الله من اخ وخليفة فنعم الاخ
ونعم الخليفة ثم لقوا ارواح الانبياء فاثنوا على ربهم وذكر كلام
كل واحد منهم وهم ابراهيم وموسى وعيسى وداود وسليمان عليهم
السلام ثم ذكر كلام النبي صلى الله عليه وسلم فقال وان محمدا صلى الله
عليه وسلم اثنى على ربه عز وجل فقال كلكم اثنى على ربه وانا اثني على
ربي الحمد لله الذي ارسلني رحمة للعالمين وكافة للناس اجمعين
بشيرا ونذيرا وانزل علي الفرقان فيه تبيان كل شيء وجعل امتي خير
امة وجعل امتي امة وسطا وجعل امتي هم الاولون و
هم الاخرون وشرح لي صدري ووضع عني وزري ورفع لي ذكري
وجعلني فاتحا وخاتما فقال ابراهيم بهذا فضلكم محمد ثم ذكر انه عرج به
الى السماء الدنيا ومن سماء الى سماء نحو ما تقدم وفي حديث ابن مسعود
رضي الله عنه وانتهى بي جبريل الى سدرة المنتهى وهي في السماء السادسة
اليها ينتهي ما يعرج به من الارض فيقبض منها واليها ينتهي ما يهبط
من فوقها فيقبض منها قال اذ يغشى السدرة ما يغشى قال فراش من
ذهب وفي رواية ابي هريرة رضي الله عنه من طريق الربيع ابن انس رضي الله عنه

فقيل

فقيل لي هذه السدرة المنتهى ينتهي اليها كل احد من امتك خلا على
سبيلك وهي السدرة المنتهى يخرج من اصلها انهار من ماء غير آسن
وانهار من لبن لم يتغير طعمه وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من
عسل مصفى وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عاما وان
ورقة مظلة الخلق فغشيها نور وغشيتها الملائكة قال فهو قوله
تعالى اذ يغشى السدرة ما يغشى فقال تبارك وتعالى له سل فقال
انك اتخذت ابراهيم خليلا واعطيته ملكا عظيما وكلمت موسى تكليما
واعطيت داود ملكا عظيما والنت له الحديد وسخرت له الجبال
واعطيت سليمان ملكا عظيما وسخرت له الجن والانس والشياطين
والرياح واعطيته ملكا لا ينبغي لاحد من بعده وعلمت عيسى التورية
والانجيل وجعلته يبرئ الاكمه والابرص واعذته وامه من
الشيطان الرجيم فلم يكن له عليهما سبيل فقال له ربه تعالى قد
اتخذتك حبيبا فهو مكتوب في التورية محمد حبيب الرحمن وارسلتك
الى الناس كافة وجعلت امتك هم الاولون وهم الاخرون وجعلت
امتك لا تجوز لهم خطبة حتى يشهدوا انك عبدي ورسولي وجعلتك
اول النبيين خلقا وآخرهم بعثا واعطيتك سبعا من المثاني ولم اعطها
نبيا قبلك وجعلتك فاتحا وخاتما وفي الرواية الاخرى قال فاعطي رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثلاثا اعطي الصلوات الخمس واعطي خواتيم سورة البقرة
وغفر لمن لا يشرك بالله شيئا من امته المقحمات وقال ما كذب الفؤاد

المقحمات اى الذنوب العظام التي تقحم صاحبها

ما رأى الا بين رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح وفي حديث
شريك انه رأى موسى في السابعة قال بتفضيل كلام الله قال ثم علا به
فوق ذلك بما لا يعلمه الا الله فقال موسى لم اظن ان يرفع علي احد وقد
روي عن انس رضي الله عنه انه صلى الله عليه وسلم صلى بالانبياء ببيت المقدس
وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا
قاعد ذات يوم اذ دخل جبريل عليه السلام فوكز بين كتفي فقمت الى شجرة
فيها مثل وكري الطائر فقعد في واحدة وقعدت في الاخرى فنمت حتى سدت
الخافقين ولو شئت لمسست السماء وانا اقلب طرفي ونظرت جبريل
كانه حلس لاطئ فعرفت فضل علمه بالله سبحانه تعالى وفتح باب السماء
ورأيت النور الاعظم ولط دوني الحجاب وفرجة الدر والياقوت ثم اوحى
الله الي ما شاء ان يوحي وذكر البزار عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه لما
اراد الله تعالى ان يعلم رسوله الاذان جاءه جبريل بدابة يقال لها البراق
فذهب يركبها فاستصعبت عليه فقال لها جبريل عليه السلام اسكني
فوالله ما ركبك عبد اكرم على الله من محمد صلى الله عليه وسلم فركبها حتى اتى
بها الى الحجاب الذي يلي الرحمن تبارك وتعالى فبينا هو كذلك اذ خرج ملك
من الحجاب فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جبريل من هذا قال والذي بعثك
بالحق اني لاقرب الخلق مكانا وان هذا الملك ما رايته منذ خلقت قبل
ساعتي هذه فقال الملك الله اكبر الله اكبر فقيل له من وراء الحجاب صدق
عبدي انا اكبر انا اكبر ثم قال الملك اشهد ان لا اله الا الله فقيل

من وراء

من وراء الحجاب صدق عبدي انا الله لا اله الا انا وذكر مثل
هذا في بقية الاذان الا انه لم يذكر جوابا عن قول حي على الصلوة
حي على الفلاح وقال ثم اخذ الملك بيد محمد صلى الله عليه وسلم فقدمه فام
اهل السماء فيهم آدم ونوح قال ابو جعفر محمد بن علي بن الحسين راويه
اكمل الله لمحمد صلى الله عليه وسلم الشرف على اهل السموات والارض قال القاضي
رحمه الله ما في هذا الحديث من ذكر الحجاب فهو في حق المخلوق لا في حق الخالق
عز وجل فهم المحجوبون والباري جل اسمه منزه عما يحجبه اذ الحجب انما تحيط
بمقدر محسوس ولكن حجبه على ابصار خلقه وبصائرهم وادراكاتهم
بما شاء وكيف شاء ومتى شاء كقوله تعالى كلا انهم عن ربهم يومئذ
لمحجوبون فقوله في هذا الحديث الحجاب واذ خرج ملك من الحجاب يجب ان يقال
انه حجاب حجب به من وراءه من ملائكته عن الاطلاع على ما دونه من
سلطانه وعظمته وعجائب ملكوته وجبروته ويدل عليه من الحديث قول
جبريل عن الملك الذي خرج من وراءه ان هذا الملك ما رايته منذ
خلقت قبل ساعتي هذه فدل ان هذا الحجاب لم يختص بالذات ويدل
عليه قول كعب في تفسير سدرة المنتهى قال اليها ينتهي علم الملائكة وعندها
يجدون امر الله لا يجاوزها علمهم واما قوله الذي يلي الرحمن فيحمل على
حذف المضاف اي يلي عرش الرحمن او امرا ما من عظيم اياته او مبادي حقائق
معارفه مما هو اعلم به كما قال تعالى واسئل القرية اي اهلها وقوله فقيل
من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر فظاهره انه سمع في هذا الموطن

كلام الله تعالى ولكن من وراء حجاب كما قال تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا او من وراء حجاب اي وهو لا يراه حجب بصره عن رؤيته
فان صح القول بان محمدا صلى الله عليه وسلم رأى ربه فيحتمل انه في غير هذا
الموطن بعد هذا او قبله رفع الحجاب عن بصره حتى رآه والله سبحانه
اعلم فصل ثم اختلف السلف والعلماء هل كان اسراؤه بروحه او جسده
على ثلاث مقالات فذهبت طائفة الى ان الاسراء بالروح وانه رؤيا منام مع
اتفاقهم ان رؤيا الانبياء حق ووحي والى هذا ذهب معاوية رضي الله عنه
وحكي عن الحسن والمشهور عنه خلافه واليه اشار محمد بن اسحق وحجتهم قوله
تعالى وما جعلنا الرؤيا التي اريناك الا فتنة للناس وما حكوا
عن عائشة رضي الله عنها ما فقدت جسد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقوله بينا انا نائم وقول انس وهو نائم في المسجد الحرام وذكر القصة ثم
قال في آخرها فاستيقظت وانا بالمسجد الحرام وذهب معظم السلف
والمسلمين الى انه اسراء بالجسد وفي اليقظة وهذا هو الحق وهذا قول ابن
عباس وجابر وانس وحذيفة وعمر وابي هريرة ومالك بن صعصعة
وابي حبة البدري وابن مسعود رضي الله عنهم اجمعين والضحاك وسعيد
بن جبير وقتادة وابن المسيب وابن شهاب وابن زيد والحسن وابراهيم
ومسروق ومجاهد وعكرمة وابن جريج رحمهم الله وهو دليل قول عائشة
رضي الله عنها وهو قول الطبري وابن حنبل وجماعة عظيمة من المسلمين وهو قول
اكثر المتأخرين من الفقهاء والمحدثين والمتكلمين والمفسرين وقالت

طائفة

طائفة كان الاسراء بالجسد يقظة الى بيت المقدس والى السماء بالروح
واحتجوا بقوله تعالى سبحان الذي اسرى بعبده ليلا من المسجد
الحرام الى المسجد الاقصى فجعل الى المسجد الاقصى غاية الاسراء الذي
وقع التعجب فيه بعظيم القدرة والتمدح بتشريف النبي محمد صلى الله عليه وسلم
به واظهار الكرامة له بالاسراء اليه قال هؤلاء ولو كان الاسراء بجسده الى
زائد على المسجد الاقصى لذكره فيكون ابلغ في المدح ثم اختلفت هذه الفرقتان
هل صلى ببيت المقدس ام لا ففي حديث انس وغيره ما تقدم من صلاته فيه
وانكر ذلك حذيفة بن اليمان وقال والله ما زالا عن ظهر البراق حتى رجعا
قال القاضي رحمة الله عليه والحق من هذا والصحيح ان شاء الله تعالى انه اسراء
بالجسد والروح في القصة كلها وعليه تدل الآية وصحيح الاخبار والاعتبار
ولا يعدل عن الظاهر والحقيقة الى التأويل الا عند الاستحالة وليس
في الاسراء بجسده وحال يقظته استحالة اذ لو كان مناما لقال بروح
عبده ولم يقل بعبده وقوله ما زاغ البصر وما طغى ولو كان مناما
لما كانت فيه آية ولا معجزة ولما استبعده الكفار ولا كذبوه فيه ولا
ارتد به ضعفاء من اسلم وافتتنوا به اذ مثل هذا من المنامات لا ينكر بل
لم يكن ذلك منهم الا وقد علموا ان خبره انما كان عن جسمه وحال يقظته
الى ما ذكر في الحديث من ذكر صلاته بالانبياء ببيت المقدس في رواية انس
او في السماء على ما روى غيره وذكر مجيء جبريل عليه السلام بالبراق وخبر
المعراج واستفتاح السماء فيقال ومن معك فيقول محمد ولقائه الانبياء

فيها وخبرهم معه وترحيبهم به وشأنه في فرض الصلوة ومراجعته مع
موسى في ذلك وفي بعض هذه الاخبار فاخذ يعني جبريل بيدي فعرج
بي السماء الى قوله ثم عرج بي حتى ظهرت بمستوى اسمع فيه صريف الاقلام
واذا وصل الى سدرة المنتهى وانه دخل الجنة ورأى فيها ما ذكره قال ابن
عباس رضي الله عنهما هي رؤيا عين رآها النبي صلى الله عليه وسلم لا رؤيا منام
وعن الحسن فيه بينا انا نائم في الحجر جاءني جبريل فهمزني بعقبه فقمت
فجلست فلم ار شيئا فعدت لمضجعي ذكر ذلك ثلاثا فقال في الثالثة فاخذ
بعضدي فجرني الى باب المسجد فاذا بدابة وذكر خبر البراق وعن ام هانى
رضي الله عنها انها قالت ما اسري برسول الله صلى الله عليه وسلم الا وهو في بيتي
تلك الليلة صلى العشاء الآخرة ونام بيننا فلما كان قبيل الفجر اهبنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم فلما صلى الصبح وصلينا قال يا ام هانى لقد صليت معكم العشاء
الآخرة كما رأيت بهذا الوادي ثم جئت بيت المقدس فصليت فيه ثم صليت الغداة
معكم الآن كما ترون وهذا بين في انه بجسمه وعن ابي بكر رضي الله عنه من
رواية شداد بن اوس عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم ليلة اسري به طلبتك
يا رسول الله البارحة في مكانك فلم اجدك فاجابه ان جبريل حمله الى المسجد الاقصى
وعن عمر رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صليت ليلة اسري بي
في مقدم المسجد ثم دخلت الصخرة فاذا بملك قائم معه آنية ثلاث وذكر
الحديث وهذه التصريحات ظاهرة غير مستحيلة فتحمل على ظاهرها وعن ابي ذر رضي
الله عنه عنه عليه الصلوة والسلام فرج سقف بيتي وانا بمكة فنزل جبريل

ففتح

ففتح صدري ثم غسله بماء زمزم الى آخر القصة ثم اخذ بيدي فعرج بي
وعن انس رضي الله عنه اتيت فانطلقوا بي الى زمزم فشرح عن صدري
وعن ابي هريرة رضي الله عنه لقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي
فسألتني عن اشياء لم اثبتها فكربت كربا ما كربت مثله قط فرفعه الله لي
انظر اليه ونحوه عن جابر رضي الله عنه وقد روى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه
في حديث الاسراء عنه عليه السلام انه قال ثم رجعت الى خديجة وما تحولت عن
جانبها فصل في ابطال حجة من قال انها نوم احتجوا بقوله تعالى وما
جعلنا الرؤيا التي اريناك فسماها رؤيا قلنا قوله تعالى سبحان الذي
اسرى بعبده لانه لا يقال في النوم اسرى وقوله فتنة للناس يؤيد انها
رؤيا عين واسراء شخص اذ ليس في الحلم فتنة ولا يكذب به احد لان كل احد
يرى مثل ذلك في منامه من الكون في ساعة واحدة في اقطار متباينة على
ان المفسرين قد اختلفوا في هذه الآية فذهب بعضهم الى انها نزلت في
قضية الحديبية وما وقع في نفوس الناس من ذلك وقيل غير هذا
واما قولهم انه قد سماها في الحديث مناما وقوله في حديث اخر بين النائم واليقظان
وقوله ايضا وهو نائم وقوله ثم استيقظت فلا حجة فيه اذ قد يحتمل ان اول
وصول الملك اليه كان وهو نائم او اول حمله والاسراء به وهو نائم وليس في الحديث
انه كان نائما في القصة كلها الا ما يدل عليه ثم استيقظت وانا في المسجد الحرام
فلعل قوله استيقظت بمعنى اصبحت او استيقظ من نوم اخر بعد وصوله
بيته ويدل عليه ان مسراه لم يكن طول ليله وانما كان في بعضه وقد يكون

قوله استيقظت وانا في المسجد الحرام لما كان غمره من عجائب ما طالع من ملكوت السموات والارض
وخامر باطنه من مشاهدة الملأ الاعلى وما رأى من آيات ربه الكبرى فلم يستفق ويرجع
الى حال البشرية الا وهو بالمسجد الحرام ووجه ثالث ان يكون نومه واستيقاظه
حقيقة على مقتضى لفظه ولكنه اسري بجسده وقلبه حاضر ورؤيا الانبياء
حق تنام اعينهم ولا تنام قلوبهم وقد مال بعض اصحاب الاشارات الى نحو من هذا
قال تغميض عينيه لئلا يشغله شيء من المحسوسات عن الله عز وجل ولا يصح هذا ان
يكون في وقت صلاته بالانبياء ولعله كان له في هذا الاسراء حالات ووجه رابع
وهو ان يعبر بالنوم ههنا عن هيئة النائم من الاضطجاع ويقويه قوله في رواية
عبد بن حميد عن همام بينا انا نائم وربما قال مضطجع وفي رواية هدبة عنه
بينا انا في الحطيم وربما قال في الحجر مضطجع وقوله في الرواية الاخرى بين النائم
واليقظان فيكون سمى هيئته بالنوم لما كانت هيئة النائم غالبا وذهب بعضهم الى
ان هذه الزيادات من النوم وذكر شق البطن ودنو الرب الواقعة في هذا الحديث
انما هي من رواية شريك عن انس رضي الله عنه فهي منكرة من روايته اذ شق
البطن في الاحاديث الصحيحة انما كان في صغره عليه السلام وقبل النبوة ولانه قال
في الحديث قبل ان يبعث والاسراء باجماع كان بعد المبعث فهذا كله يوهن ما وقع في رواية انس
رضي الله عنه مع ان انسا قد بين من غير طريق انه انما رواه عن غيره وانه لم يسمعه
من النبي صلى الله عليه وسلم فقال مرة عن مالك بن صعصعة وفي كتاب مسلم لعله
عن مالك بن صعصعة على الشك وقال مرة كان ابو ذر يحدث واما قول عائشة
رضي الله عنها ما فقد جسده صلى الله عليه وسلم فعائشة رضها لم تحدث به عن مشاهدة

لانها

لانها لم تكن حينئذ زوجه ولا في سن من يضبط ولعلها لم تكن ولدت
بعد على الخلاف في الاسراء متى كان فان الاسراء كان في اول الاسلام على قول
الزهري ومن وافقه بعد المبعث بعام ونصف وكانت عائشة رضي الله عنها في
الهجرة بنت نحو ثمانية اعوام وقد قيل كان الاسراء لخمس قبل الهجرة وقيل قبل
الهجرة بعام والاشبه انه لخمس والحجة لذلك تطول ليست من غرضنا فاذا
لم تشاهد ذلك عائشة رضي الله عنها دل على انها حدثت بذلك عن غيرها
فلم يرجح خبرها على خبر غيرها وغيرها يقول خلافه مما وقع نصا في حديث
ام هانئ وغيره وايضا فليس حديث عائشة رضي الله عنها بالثابت والاحاديث
الاخر اثبت ولسنا نعني حديث ام هانئ وما ذكرت فيه خديجة وايضا فقد
روي في حديث عائشة رضي الله عنها ما فقدت ولم يدخل بها النبي صلى الله عليه وسلم
الا بالمدينة وكل هذا يوهنه بل الذي يدل عليه صحيح قولها انه بجسده لانكارها
ان يكون رؤيا لربه رؤيا عين ولو كانت عندها مناما لم تنكره فان قيل
فقد قال تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى فقد جعل ما رآه للقلب وهذا
يدل على انه رؤيا نوم ووحي لا مشاهدة عين وحس قلنا يقابله قوله تعالى
ما زاغ البصر وما طغى فقد اضافه الى البصر وقد قال اهل التفسير في قوله
ما كذب الفؤاد ما رأى اي لم يوهم القلب العين غير الحقيقة بل صدق رؤيتها
وقيل ما انكر قلبه ما رأته عينه **فصل** واما رؤيته صلى الله عليه وسلم
لربه جل وعز فاختلف السلف فيها فانكرته عائشة رضي الله عنها حدثنا ابو الحسين
سراج بن عبد الملك الحافظ بقراءتي عليه قال حدثني ابي وابو عبد الله بن عتاب

الفقيه قال اخبرنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن
قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا ثنا عبد الله بن علي ثنا محمود بن آدم ثنا
وكيع عن ابن ابي خالد عن عامر عن مسروق انه قال لعائشة رضي الله عنها يا ام
المؤمنين هل رأى محمد ربه فقالت لقد قف شعري مما قلت ثلاث من حدثك
بهن فقد كذب من حدثك ان محمدا رأى ربه فقد كذب ثم قرأت لا تدركه الابصار
الآية وذكر الحديث الى آخره وقال جماعة بقول عائشة وهو المشهور عن ابن مسعود
رضي الله عنه ومثله عن ابي هريرة رضي الله عنه انه انما رأى جبريل واختلف عنه و
قال بانكار هذا وامتناع رؤيته في الدنيا جماعة من المحدثين والفقهاء والمتكلمين
وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه رآه بعينه وروى عطاء عنه رآه بقلبه
وعن ابي العالية عنه رآه بفؤاده مرتين وذكر ابن اسحاق ان ابن عمر رضي الله
عنهما ارسل الى ابن عباس رضي الله عنهما يسأله هل رأى محمد ربه فقال نعم و
الاشهر عنه انه رأى ربه بعينيه روي ذلك عنه من طرق وقال ان الله اختص موسى
بالكلام وابراهيم بالخلة ومحمدا عليه الصلوة والسلام بالرؤية وحجته قوله
تعالى ما كذب الفؤاد ما رأى افتمارونه على ما يرى ولقد رآه نزلة اخرى
قال الماوردي قيل ان الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى ومحمد صلى الله عليه وسلم
فرآه محمد مرتين وكلمه موسى مرتين وحكى ابو الفتح الرازي وابو الليث السمرقندي الحكاية
عن كعب وروى عبد الله بن الحارث قال اجتمع ابن عباس وكعب فقال ابن عباس اما نحن
بنو هاشم فيقولون ان محمدا قد رأى ربه عز وجل مرتين فكبر كعب حتى جاوبته الجبال
وقال ان الله قسم رؤيته وكلامه بين محمد وموسى عليهما السلام فكلمه موسى

ورآه

ورآه محمد صلى الله عليه وسلم بقلبه وروى شريك عن ابي ذر في تفسير الآية
قال رأى النبي صلى الله عليه وسلم وحكى السمرقندي عن محمد بن كعب القرظي
وربيع بن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل هل رأيت ربك قال رأيته
بفؤادي ولم اره بعيني وروى مالك بن يخامر عن معاذ رضي الله عنه
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربي وذكر كلمة فقال يا محمد فيم يختصم
الملأ الاعلى الحديث وحكى عبد الرزاق ان الحسن كان يحلف بالله لقد رأى
محمد ربه وحكاه ابو عمر الطلمنكي عن عكرمة وحكى بعض المتكلمين
هذا المذهب عن ابن مسعود رضي الله عنه وحكى ابن اسحاق ان مروان سأل
ابا هريرة رضي الله عنه هل رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه فقال نعم وحكى
النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث ابن عباس رضي الله عنهما
بعينه رآه رآه حتى انقطع نفسه يعني نفس احمد وقال ابو عمر قال احمد
بن حنبل رآه بقلبه وجبن عن القول برؤيته في الدنيا بالابصار وقال
سعيد بن جبير لا اقول رآه ولا لم يره وقد اختلف في تاويل الآية عن ابن
عباس وعكرمة والحسن وابن مسعود رضي الله عنهم فحكي عن ابن
عباس وعكرمة رضي الله عنهم رآه بقلبه وعن الحسن وابن مسعود
رأى جبريل عليه السلام وحكى عبد الله بن احمد بن حنبل عن ابيه انه قال
رآه وعن ابن عطاء في قوله تعالى الم نشرح لك صدرك قال شرح
صدره للرؤية وشرح صدر موسى للكلام وقال ابو الحسن علي بن
اسمعيل الاشعري رضي الله عنه وجماعة من اصحابه انه رأى الله ببصره وعيني

رأسه

وقال كل آية اوتيها نبي من الانبياء عليهم السلام فقد اوتي مثلها نبينا صلى الله عليه وسلم وخص من بينهم بتفضيل الرؤية ووقف بعض مشايخنا وقال هذا وقال ليس عليه دليل واضح ولكنه جائز ان يكون قال القاضي ابو الفضل رحمه الله والحق الذي لا امتراء فيه ان رؤيته تعالى في الدنيا جائزة عقلا وليس في العقل ما يحيلها والدليل على جوازها في الدنيا سؤال موسى عليه السلام لها ومحال ان يجهل نبي ما يجوز على الله تعالى وما لا يجوز عليه بل لم يسأل الا جائزا غير مستحيل محال ولكن وقوعه ومشاهدته من الغيب الذي لا يعلمه الا من علمه الله تعالى فقال له الله تعالى لن تراني اي لن تطيق ولا تحتمل رؤيتي ثم ضرب له مثالا مما هو اقوى من بنية موسى و اثبت وهو الجبل وكل هذا ليس فيه ما يحيل رؤيته تعالى بل فيه جوازها على الجملة وليس في الشرع دليل قاطع على استحالتها ولا امتناعها اذ كل موجود فرؤيته جائزة غير مستحيلة ولا حجة لمن استدل على منعها بقوله تعالى لا تدركه الابصار لاختلاف التاويلات في الآية واذ ليس يقتضي قول من قال في الدنيا الاستحالة وقد استدل بعضهم بهذه الآية نفسها على جواز الرؤية وعدم استحالتها على الجملة وقد قيل لا تدركه الابصار الكفار وقيل لا تدركه الابصار لا تحيط به وهو قول ابن عباس رضي الله عنهما وقد قيل لا تدركه الابصار وانما تدركه المبصرون وكل هذه التاويلات لا تقتضي منع الرؤية ولا استحالتها وكذلك لا حجة لهم بقوله لن تراني الآية وقوله تبت اليك لما قدمناه ولانها ليست على العموم ولان من قال معناها

لن تراني

لن تراني في الدنيا انما هو تاويل وايضا ليس فيه نص الامتناع وانما جاءت في حق موسى عليه السلام وحيث تتطرق التاويلات وتتسلط الاحتمالات فليس للقطع اليه سبيل وقوله تبت اليك اي من سؤالي ما لم تقدره لي وقد قال ابو بكر الهذلي في قوله لن تراني اي ليس لبشر ان ينظر الي في الدنيا وانه من نظر الي مات وقد رايت لبعض السلف والمتاخرين ما معناه ان رؤيته تبارك وتعالى في الدنيا ممتنعة لضعف تراكيب اهل الدنيا وقواهم وكونها متغيرة غرضا للآفات والفناء فلم تكن لهم قوة على الرؤية فاذا كان في الآخرة وركبوا تركيبا آخر ورزقوا قوى ثابتة باقية واتم انوار ابصارهم وقلوبهم قووا بها على الرؤية وقد رايت نحو هذا لمالك بن انس رحمه الله قال لم ير في الدنيا لانه باق ولا يرى الباقي بالفاني فاذا كان في الآخرة ورزقوا ابصارا باقية رئي الباقي بالباقي وهذا كلام حسن مليح وليس فيه دليل على الاستحالة الا من حيث ضعف القدرة فاذا قوى الله تعالى من شاء من عباده واقدره على حمل اعباء الرؤية لم يمتنع في حقه وقد تقدم ما ذكر في قوة بصر موسى ومحمد عليهما السلام ونفوذ ادراكهما بقوة الهية منحاها لادراك ما ادركاه ورؤية ما رأياه والله تعالى اعلم وقد ذكر القاضي ابو بكر في اثناء اجوبته عن الآيتين ما معناه ان موسى عليه السلام رأى الله تعالى فلذلك خر صعقا و ان الجبل رأى ربه فصار دكا بادراك خلقه الله له واستنبط ذلك والله تعالى اعلم من قوله تعالى ولكن انظر الى الجبل فان استقر مكانه فسوف تراني ثم قال فلما تجلى ربه للجبل جعله دكا وخر موسى صعقا

وتجليه جل جلاله للجبل هو ظهوره له حتى رآه على هذا القول وقال جعفر بن
محمد رحمه الله شغله بالجبل حتى تجلى ولولا ذلك لمات صعقا بلا افاقة وقوله
هذا يدل على ان موسى رآه وقد وقع لبعض المفسرين في الجبل انه رآه وبرؤية
الجبل له استدل من قال برؤية محمد نبينا صلى الله عليه وسلم له اذ جعله دليلا على
الجواز ولا مرية في الجواز اذ ليس في الايات نص في المنع واما وجوبه لنبينا صلى
الله عليه وسلم والقول بانه رآه بعينه فليس فيه قاطع ايضا ولا نص اذ المعول فيه
على ايتي النجم والتنازع فيهما مأثور والاحتمال لهما ممكن ولا اثر قاطع متواتر
عن النبي صلى الله عليه وسلم بذلك وحديث ابن عباس رضي الله عنهما خبر عن اعتقاده
لم يسنده الى النبي صلى الله عليه وسلم فيجب العمل باعتقاد مضمنه ومثله حديث
ابي ذر في تفسير الاية وحديث معاذ محتمل للتأويل وهو مضطرب الاسناد والمتن
وحديث ابي ذر الاخر مختلف محتمل مشكل فروي نوراني اراه وحكى بعض شيوخنا
انه روي نور انى اراه وفي حديثه الاخر سألته فقال رأيت نورا وليس يمكن
الاحتجاج بواحد منهما على صحة الرؤية فان كان الصحيح رأيت نورا فهو قد
اخبر انه لم ير الله وانما رأى نورا منعه وحجبه عن رؤية الله تعالى والى
هذا يرجع قوله نور انى اراه اي كيف اراه مع حجاب النور المغشي للبصر و
هذا مثل ما في الحديث الاخر حجابه النور وفي الحديث الاخر لم اره بعيني ولكن
رأيت بقلبي مرتين وتلا ثم دنى فتدلى والله قادر على خلق الادراك الذي
في البصر في القلب وكيف شاء لا اله غيره فان ورد حديث نص بين في الباب
اعتقد وجب المصير اليه اذ لا استحالة فيه ولا مانع قطعي يرده والله

الموفق

الموفق للصواب. فصل واما ورد في هذه القصة من مناجاته
لله تعالى وكلامه معه بقوله فاوحى الى عبده ما اوحى الى ما تضمنته
الاحاديث فاكثر المفسرين على ان الموحي هو الله الى جبريل وجبريل الى محمد
الا شذوذا منهم فذكر عن جعفر بن محمد الصادق قال اوحى اليه بلا واسطة
ونحوه عن الواسطي والى هذا ذهب بعض المتكلمين ان محمدا كلم ربه في
الاسراء وحكي عن الاشعري وحكوه عن ابن مسعود وابن عباس
رضي الله عنه وانكره آخرون وذكر النقاش عن ابن عباس رضي الله عنهما
في قصة الاسراء عنه عليه السلام في قوله ثم دنا فتدلى قال فارقني
جبريل فانقطعت الاصوات عني فسمعت كلام ربي وهو يقول ليهدأ
روعك يا محمد ادن ادن وفي حديث انس رضي الله عنه في الاسراء
نحو منه وقد احتجوا في هذا بقوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله
الا وحيا او من وراء حجاب او يرسل رسولا فيوحي باذنه ما يشاء
فقالوا هي ثلاثة اقسام من وراء حجاب كتكليم موسى وبارسال
الملائكة كحال جميع الانبياء واكثر احوال نبينا صلى الله عليه وسلم
الثالث قوله وحيا فلم يبق من تقسيم صور الكلام الا المشافهة مع
المشاهدة وقد قيل الوحي هنا هو ما يلقيه في قلب النبي دون واسطة
وقد ذكر ابو بكر البزار عن علي رضي الله عنه في حديث الاسراء ما هو اوضح
في سماع النبي صلى الله عليه وسلم لكلام الله عز وجل فذكر فيه فقال الملك
الله اكبر الله اكبر فقيل لي من وراء الحجاب صدق عبدي انا اكبر انا اكبر

وقال في سائر كلمات الاذان مثل ذلك ويجيء الكلام في مشكل هذين الحديثين
في الفصل بعد هذا مع ما يشبهه وفي اول فصل من الباب منه وكلام الله
سبحانه لمحمد صلى الله عليه وسلم ومن اختصه من انبيائه جائز غير ممتنع عقلا
ولا ورد في الشرع قاطع يمنعه فان صح في ذلك خبر اعتمد عليه وكلامه تعالى
لموسى عليه السلام كائن حق مقطوع به نص ذلك في الكتاب واكده بالمصدر
دلالة على الحقيقة ورفع مكانه على ما ورد في الحديث في السماء السابعة بسبب
كلامه ورفع محمدا صلى الله عليه وسلم فوق هذا كله حتى بلغ مستوى وسمع
صريف الاقلام فكيف يستحيل في حق هذا او يبعد سماع الكلام فسبحان
من اختص من شاء بما شاء وجعل بعضهم فوق بعض درجات فصل
واما ورد في حديث الاسراء وظاهر الآية من الدنو والقرب من قوله تعالى دنا
فتدلى فكان قاب قوسين او ادنى فاكثر المفسرين ان الدنو والتدلي
منقسم ما بين محمد وجبريل عليهما السلام او مختص باحدهما من الآخر ومن
السدرة المنتهى قال الرازي وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو محمد صلى الله
عليه وسلم دنا فتدلى من ربه وقيل معنى دنا قرب وتدلى زاد في القرب وقيل
هما بمعنى واحد اي قرب وحكى مكي والماوردي عن ابن عباس رضي الله عنهما هو
الرب جل جلاله دنا من محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى اليه اي امره وحكمه وحكى النقاش
عن الحسن رحمه الله قال دنا من عبده محمد صلى الله عليه وسلم فتدلى فقرب منه فاراه
ما شاء ان يريه من قدرته وعظمته قال وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو مقدم
ومؤخر تدلى الرفرف لمحمد صلى الله عليه وسلم ليلة المعراج فجلس عليه ثم رفع فدنا

من ربه

من ربه قال فارقني جبريل وانقطعت عني الاصوات وسمعت كلام ربي وعن
انس رضي الله عنه في الصحيح عرج بي جبريل الى سدرة المنتهى ودنا الجبار رب العزة
جل وتعالى فتدلى حتى كان منه قاب قوسين او ادنى فاوحى اليه بما شاء واوحى
اليه خمسين صلاة وذكر حديث الاسراء وعن محمد بن كعب هو محمد صلى الله عليه وسلم
دنا من ربه فكان قاب قوسين قال وقال جعفر بن محمد ادناه ربه منه حتى كان منه
كقاب قوسين وقال جعفر بن محمد والدنو من الله تعالى لا حد له ومن العباد بالحدود
وقال ايضا انقطعت الكيفية عن الدنو الا ترى كيف حجب جبريل عن دنوه و
دنا محمد الى ما اودع قلبه من المعرفة والايمان فتدلى بسكون قلبه الى ما ادناه
وزال عن قلبه الشك والارتياب قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان ما وقع
من اضافة الدنو والقرب هنا من الله تعالى او الى الله عز وجل فليس بدنو مكان ولا قرب
مدى بل كما ذكرنا عن جعفر الصادق ليس بدنو حد وانما دنو النبي صلى الله
عليه وسلم من ربه عز وجل وقربه منه ابانة عظيم منزلته وتشريف رتبته واشراق
انوار معرفته ومشاهدة اسرار غيبه وقدرته ومن الله تعالى له مبرة وتانيس
وبسط واكرام ويتأول فيه ما يتأول في قوله ينزل ربنا الى السماء الدنيا
على احد الوجوه نزول افضال واجمال وقبول واحسان قال الواسطي
من توهم انه بنفسه دنا جعل ثم مسافة بل كلما دنا بنفسه من الحق تدلى بعدا
يعني عن درك حقيقته اذ لا دنو للحق ولا بعد وقوله قاب قوسين او ادنى
فمن جعل الضمير عائدا الى الله تعالى لا الى جبريل على هذا كان عبارة عن نهاية
القرب ولطف المحل وايضاح المعرفة والاشراف على الحقيقة من محمد صلى الله

عليه وسلم وعبارة عن اجابة الرغبة وقضاء المطالب واظهار التمني وانافة
المنزلة والمرتبة من الله تعالى وتاولوا فيه ما يتاول في قوله من تقرب مني
شبرا تقربت منه ذراعا ومن اتاني يمشي اتيته هرولة قرب بالاجابة والقبو
ل واتيانا بالاحسان وتعجيل المامول فصل في القيمة بخصوص الكرامة حدثنا
القاضي ابو علي ثنا ابو الفضل وابو الحسين قالا ثنا ابو يعلى ثنا السنجي ثنا
ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا الحسين بن يزيد الكوفي ثنا عبد السلام بن حرب
عن ليث عن الربيع بن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا اول
الناس خروجا اذا بعثوا وانا خطيبهم اذا وفدوا وانا مبشرهم اذا ايسوا لواء
الحمد بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر وفي رواية ابن زحر عن الربيع بن انس
في لفظ هذا الحديث انا اول الناس خروجا اذا بعثوا وانا قائدهم اذا وفدوا و
انا خطيبهم اذا انصتوا وانا شفيعهم اذا حبسوا وانا مبشرهم اذا ابلسوا
لواء الكرم بيدي وانا اكرم ولد ادم على ربي ولا فخر ويطوف علي الف
خادم كانهم لؤلؤ مكنون وعن ابي هريرة رضي الله عنه واكسى حلة من حلل
الجنة ثم اقوم عن يمين العرش ليس احد من الخلائق يقوم ذلك المقام غيري
وعن ابي سعيد رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انا سيد
ولد ادم يوم القيمة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يومئذ ادم
فمن سواه الا تحت لوائي وانا اول من تنشق عنه الارض ولا فخر وانا اول
شافع واول مشفع ولا فخر وعن ابي هريرة رضي الله عنه عنه صلى الله عليه وسلم
انا سيد ولد ادم يوم القيمة واول من ينشق عنه القبر واول شافع

واول مشفع وعن ابن عباس رضي الله عنهما انا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة فيفتح لي فادخلها فيدخلها ومعي
فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين والاخرين ولا فخر وعن انس
رضي الله عنه انا اول الناس يشفع في الجنة وانا اكثر الناس تبعا وعن
انس رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم انا سيد الناس يوم القيمة و
تدرون لم ذلك يجمع الله الاولين والاخرين وذكر حديث الشفاعة وعن
ابي هريرة رضي الله عنه انه عليه السلام قال اطمع ان اكون اعظم الانبيا اجرا
يوم القيمة وفي حديث اخر اما ترضون ان يكون ابرهيم وعيسى فيكم يوم القيمة
ثم قال انهما في امتي يوم القيمة اما ابرهيم فيقول انت دعوتي وذريتي
فاجعلني من امتك واما عيسى فالانبيا اخوة بنو علات امهاتهم شتى
وان عيسى اخي ليس بيني وبينه نبي وانا اولى الناس به قوله انا سيد
الناس يوم القيمة هو سيدهم في الدنيا ويوم القيمة ولكن اشار
اليه عليه السلام لانفراده فيه بالسودد والشفاعة دون غيره اذ
لجا الناس اليه في ذلك فلم يجدوا سواه والسيد هو الذي يلجا
الناس اليه في حوائجهم فكان حينئذ سيدا منفردا من بين البشر لم
يزاحمه احد في ذلك ولا ادعاه كما قال الله تعالى لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ
الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ والملك له تعالى في الدنيا والاخرة انقطعت
دعوى المدعين لذلك في الدنيا وكذلك لجا الى محمد صلى الله
عليه وسلم جميع الناس في الشفاعة فكان سيدهم في الاخرة وندعوى

وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم آتي باب الجنة يوم القيمة
فاستفتح فيقول الخازن من انت فاقول محمد فيقول بك امرت لا افتح لاحد
قبلك وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حوضي مسيرة شهر وزواياه سواء وماؤه ابيض من الورق وريحه اطيب
من المسك كيزانه كنجوم السماء من شرب منه لم يظما ابدا وعن ابي ذر رضي الله
عنه نحوه وقال طوله ما بين عمان الى ايلة يشخب فيه ميزابان من الجنة وعن
ثوبان رضي الله عنه مثله وقال احدهما من ذهب والآخر من ورق وفي رواية حارثة
بن وهب رضي الله عنه كما بين المدينة وصنعاء وقال انس رضي الله عنه ايلة
وصنعاء وقال ابن عمر كما بين الكوفة والحجر الاسود وروى حديث الحوض ايضا
انس وجابر بن سمرة وابن عمر وعقبة بن عامر وحارثة بن وهب الخزاعي و
المستورد وابو برزة الاسلمي وحذيفة بن اليمان وابو امامة وزيد بن ارقم
وابن مسعود وعبد الله بن زيد وسهل بن سعد وسويد بن جبلة وابو
بكر وعمر وابن بريدة وابو سعيد الخدري وعبد الله الصنابحي وابو هريرة
والبراء وجندب وعائشة واسماء بنت ابي بكر وابو بكرة وخولة بنت قيس
وغيرهم رضي الله عنهم اجمعين فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالمحبة
والخلة جاءت بذلك الآثار الصحيحة واختص صلى الله عليه وسلم على السنة
المسلمين بحبيب الله اخبرنا ابو القاسم بن ابراهيم الخطيب وغيره عن كريمة بنت احمد
حدثنا ابو الهيثم وحدثنا حسين بن محمد الحافظ سماعا عليه ثنا القاضي
ابو الوليد ثنا عبد بن احمد ثنا ابو الهيثم ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف

ثنا محمد بن

ثنا محمد بن اسمعيل ثنا عبد الله بن محمد ثنا ابو عامر ثنا فليح ثنا ابو النضر
عن بسر بن سعيد عن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لو كنت
متخذا خليلا غير ربي لاتخذت ابا بكر وفي حديث آخر وان صاحبكم خليل
الله ومن طريق عبد الله بن مسعود رضي الله عنه وقد اتخذ الله صاحبكم
خليلا وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال جلس ناس من اصحاب النبي صلى الله
عليه وسلم ينتظرونه قال فخرج حتى اذا دنا منهم سمعهم يتذاكرون
فسمع حديثهم فقال بعضهم عجبا ان الله اتخذ ابراهيم من خلقه خليلا
وقال آخر ماذا باعجب من كلام موسى كلمه الله تكليما وقال آخر فعيسى
كلمة الله وروحه وقال آخر آدم اصطفاه الله فخرج عليهم فسلم وقال
قد سمعت كلامكم وعجبكم ان الله اتخذ ابراهيم خليلا وهو كذلك و
موسى نجي الله وهو كذلك وعيسى روح الله وهو كذلك وآدم اصطفاه
الله وهو كذلك الا وانا حبيب الله ولا فخر وانا حامل لواء الحمد يوم القيمة
ولا فخر وانا اول شافع واول مشفع ولا فخر وانا اول من يحرك حلق الجنة
فيفتح الله لي فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر وانا اكرم الاولين
والآخرين ولا فخر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من قول الله تعالى لنبيه صلى الله
عليه وسلم اني اتخذتك خليلا فهو مكتوب في التوراة انت حبيب الرحمن قال
القاضي ابو الفضل رحمه الله اختلف في تفسير الخلة واصل اشتقاقها فقيل
الخليل المنقطع الى الله الذي ليس في انقطاعه اليه ومحبته له اختلال
وقيل الخليل المختص واختار هذا القول غير واحد وقال بعضهم اصل

الخلة الاستصفاء وسمي ابراهيم خليل الله لانه يوالي فيه ويعادي
فيه وخلة الله له نصره وجعله اماما لمن بعده وقيل الخليل اصله
الفقير المحتاج المنقطع ماخوذ من الخلة وهي الحاجة فسمي بها ابراهيم
لانه قصر حاجته على ربه وانقطع اليه بهمه ولم يجعله قبل غيره اذ
جاءه جبريل عليه السلام وهو في المنجنيق ليرمى في النار فقال الك
حاجة قال اما اليك فلا وقال ابو بكر بن فورك الخلة صفاء المودة
التي توجب الاختصاص بتخلل الاسرار وقال بعضهم اصل الخلة المحبة
ومعناها الاسعاف والالطاف والترفيع والتشفيع وقد بين ذلك في كتابه
بقوله وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبَّاؤُهُ قُلْ فَلِمَ
يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم فاوجب للمحبوب ان لا يؤاخذ بذنوبه قال هذا و
الخلة اقوى من البنوة لان البنوة قد تكون فيها العداوة كما قال تعالى
إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ الاية ولا يصح
ان تكون عداوة مع خلة فاذا تسمية ابراهيم ومحمد عليهما السلام
بالخلة اما بانقطاعهما الى الله تعالى ووقف حوائجهما عليه والانقطاع
عمن دونه والاضراب عن الوسائط والاسباب او لزيادة الاختصاص منه
تعالى لهما وخفي الطافه عندهما وما خالل بواطنهما من اسرار الهية ومكنون
غيوبه ومعرفته او لاستصفائه لهما واستصفاء قلوبهما عمن سواه حتى
لم يخاللهما حب لغيره ولهذا قال بعضهم الخليل من لا يتسع قلوبه لسواه
وهو عندهم معنى قوله عليه السلام ولو كنت متخذا خليلا لاتخذت

ابا بكر

ابا بكر خليلا لكن اخوة الاسلام واختلف العلماء وارباب القلوب ايهما
ارفع درجة الخلة او درجة المحبة فجعلهما بعضهم سواء فلا يكون الحبيب
الا خليلا ولا الخليل الا حبيبا لكنه خص ابراهيم عليه السلام بالخلة ومحمدا صلى
الله عليه وسلم بالمحبة وبعضهم قال درجة الخلة ارفع واحتج بقوله صلى الله عليه وسلم
لو كنت متخذا خليلا غير ربي فلم يتخذه وقد اطلق المحبة لفاطمة وابنيها و
اسامة وغيرهم واكثرهم جعل المحبة ارفع من الخلة لان درجة الحبيب نبينا ارفع
من درجة الخليل ابراهيم عليهما السلام واصل المحبة الميل الى ما يوافق المحبة
ولكن هذا في حق من يصح الميل منه والانتفاع بالوفق وهي درجة
المخلوق واما الخالق جل جلاله فمنزه عن الاغراض فمحبته لعبده تمكينه
من سعادته وعصمته وتوفيقه وتهيئة اسباب القرب وافاضة
رحمته عليه وقصواها كشف الحجب عن قلبه حتى يراه بقلبه وينظر
اليه ببصيرته فيكون كما قال في الحديث فاذا احببته كنت سمعه الذي
يسمع به وبصره الذي يبصر به ولسانه الذي ينطق به ولا ينبغي ان
يفهم من هذا سوى التجرد لله والانقطاع الى الله والاعراض عن غير
الله وصفاء القلب لله واخلاص الحركات لله كما قالت عائشة رضي الله
عنها كان خُلُقُهُ القرآن برضاه يرضى وبسخطه يسخط ومن هذا عبر
بعضهم عن الخلة بقوله قد تخللت مسلك الروح مني وبذا سمي الخليل
خليلا فاذا ما نطقت كنت حديثي واذا ما سكت كنت الغليلا فاذا مزية
الخلة وخصوصية المحبة حاصلة لنبينا صلى الله عليه وسلم بما دلت عليه

الآثار الصحيحة المنتشرة المتلقاة بالقبول من الامة وكفى بقوله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله الآية حكى اهل التفسير ان هذه الآية لما نزلت
قال الكفار انما يريد محمد ان نتخذه حنانا كما اتخذ النصارى عيسى بن
مريم فانزل الله غيظا لهم ورغما على مقالتهم هذه الآية قل اطيعوا الله
والرسول فزاده شرفا بامرهم بطاعته وقرنها بطاعته ثم توعدهم على
التولي عنه بقوله فان الله لا يحب الكافرين وقد نقل الامام ابو بكر
بن فورك عن بعض المتكلمين كلاما في الفرق بين المحبة والخلة يطول
جملة اشاراته الى تفضيل مقام المحبة على الخلة ونحن نذكر منه طرفا
يهدي لما بعده فمن ذلك قولهم الخليل يصل بالواسطة من قوله تعالى وكذلك
نري ابراهيم ملكوت السموات والارض والحبيب يصل اليه من قوله تعالى
فكان قاب قوسين او ادنى وقيل الخليل الذي تكون مغفرته في حد الطمع
من قوله والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي والحبيب هو الذي مغفرته في حد
اليقين من قوله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر الآية
والخليل قال ولا تخزني يوم يبعثون والحبيب قيل له يوم لا يخزي الله النبي
فابتدئ بالبشارة قبل السؤال والخليل قال في المحنة حسبي الله والحبيب
قيل له يا ايها النبي حسبك الله والخليل قال واجعل لي لسان صدق و
الحبيب قيل له ورفعنا لك ذكرك اعطي بلا سؤال والخليل قال واجنبني و
بني ان نعبد الاصنام والحبيب قيل له انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس
اهل البيت وفيما ذكرناه تنبيه على مقصد اصحاب هذا المقال من تفضيل

المقامات

المقامات والاحوال وكل يعمل على شاكلته فربكم اعلم بمن هو اهدى
سبيلا فصل في تفضيله صلى الله عليه وسلم بالشفاعة والمقام
المحمود قال الله تعالى عسى ان يبعثك ربك مقاما محمودا اخبرنا الشيخ
ابو علي الغساني الجياني فيما كتب به الي بخطه ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا
ابو محمد الاصيلي ثنا ابو زيد وابو احمد قالا ثنا محمد بن يوسف قال ثنا محمد
بن اسمعيل ثنا اسمعيل بن ابان ثنا ابو الاحوص عن آدم بن علي قال سمعت
ابن عمر رضي الله عنهما يقول ان الناس يصيرون يوم القيمة جثى كل امة
تتبع نبيها يقولون يا فلان اشفع لنا يا فلان اشفع لنا حتى تنتهي
الشفاعة الى النبي محمد صلى الله عليه وسلم فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود
وعن ابي هريرة رضي الله عنه سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم يعني قوله عسى
ان يبعثك ربك مقاما محمودا فقال هي الشفاعة وروى كعب بن مالك رضي الله
عنه عنه عليه السلام يحشر الناس يوم القيمة فاكون انا وامتي على تل ويكسوني
ربي حلة خضراء ثم يؤذن لي فاقول ما شاء الله ان اقول فذلك المقام المحمود
وعن ابن عمر رضي الله عنهما وذكر حديث الشفاعة قال فيمشي حتى يأخذ بحلقة
الجنة فيومئذ يبعثه الله المقام المحمود الذي وعده وعن ابن مسعود
رضي الله عنه عنه عليه السلام انه قيامه عن يمين العرش مقاما لا يقومه
غيره يغبطه فيه الاولون والآخرون ونحوه عن كعب والحسن وفي
رواية هو المقام الذي اشفع لامتي فيه وعن ابن مسعود رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اني لقائم المقام المحمود قيل وما

هو

قال ذلك يوم ينزل الله تبارك وتعالى على كرسيه الحديث وعن ابي موسى رضي الله
عنه عنه عليه السلام خيرت بين ان يدخل نصف امتي الجنة وبين الشفاعة فاخترت
الشفاعة لانها اعم اترونها للمتقين ولكنها للمذنبين الخطائين وعن ابي هريرة رضي الله عنه
قال قلت يا رسول الله ماذا ورد عليك في الشفاعة فقال شفاعتي لمن شهد ان لا اله الا
الله مخلصا يصدق لسانه قلبه وعن ام حبيبة رضي الله عنها قالت قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اريت ما تلقى امتي من بعدي وسفك بعضهم دماء بعض وسبق
لهم من الله ما سبق للامم قبلهم فسألت الله ان يوليني شفاعة يوم القيمة فيهم ففعل
وقال حذيفة رضي الله عنه يجمع الله الناس في صعيد واحد حيث يسمعهم الداعي
وينفذهم البصر حفاة عراة كما خلقوا سكوتا لا تكلم نفس الا باذنه فينادي
محمد فيقول لبيك وسعديك والخير في يديك والشر ليس اليك والمهدي
من هديت وعبدك بين يديك ولك واليك لا ملجأ ولا منجا منك الا اليك
تباركت وتعاليت سبحانك رب البيت قال فذلك المقام المحمود الذي ذكر
الله وقال ابن عباس رضي الله عنهما اذا دخل اهل النار النار واهل الجنة الجنة
فتبقى آخر زمرة من الجنة وآخر زمرة من النار فتقول زمرة النار لزمرة الجنة
ما نفعكم ايمانكم فيدعون ربهم ويضجون فيسمعهم اهل الجنة فيسألون
آدم وغيره بعده في الشفاعة لهم فكل يعتذر حتى يأتوا محمدا صلى الله عليه وسلم
فيشفع لهم فذلك المقام المحمود ونحوه عن ابن مسعود ايضا ومجاهد
وذكره علي بن الحسين عن النبي صلى الله عليه وسلم وقال جابر بن عبد الله
ليزيد الفقير سمعت بمقام محمد يعني الذي يبعثه الله فيه قال قلت نعم قال

فان مقام

فانه مقام محمد المحمود الذي يخرج الله به من يخرج يعني من النار وذكر حديث الشفاعة
في اخراج الجهنميين وعن انس رضي الله عنه نحوه قال فهذا المقام المحمود الذي وعده
وعن سلمان المقام المحمود الشفاعة لامته يوم القيمة ومثله عن ابي هريرة
رضي الله عنه وقال قتادة كان اهل العلم يرون ان المقام المحمود هو شفاعته يوم القيمة
وعلى ان المقام المحمود هو مقامه عليه السلام للشفاعة مذاهب السلف من
الصحابة والتابعين وعامة ائمة المسلمين رضي الله عنهم اجمعين وبذلك
جاءت الشفاعة مفسرة في صحيح الاخبار عنه صلى الله عليه وسلم وجاءت مقالة
في تفسيرها شاذة عن بعض السلف يجب ان لا تثبت اذ لم يعضدها صحيح
اثر ولا سند يد نظر ولو صحت لكان لها تأويل غير مستنكر لكن ما فسره
النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح الآثار يرده فلا يجب ان يلتفت اليه مع انه لم
يأت في كتاب ولا سنة ولا اتفق على المقالة به امة وفي اطلاق ظاهره منكر من
القول وشنعة وفي رواية انس وابي هريرة رضي الله عنهما وغيرهما دخل
حديث بعضهم في حديث بعض قال عليه السلام يجمع الله الاولين والآخرين
يوم القيمة فيهتمون او قال فيلهمون فيقولون لو استشفعنا الى ربنا
ومن طريق آخر عنه ماج الناس بعضهم في بعض وعن ابي هريرة رضي الله عنه
فتدنو الشمس فيبلغ الناس من الغم ما لا يطيقون ولا يحتملون
فيقولون الا تنظرون من يشفع لكم فيأتون آدم فيقولون زاد بعضهم
انت آدم ابو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسكنك جنته
واسجد لك ملائكته وعلمك اسماء كل شيء اشفع لنا عند ربك حتى يريحنا

من مكاننا الا ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي غضب اليوم غضبا لم يغضب
قبله مثله ولا يغضب بعده مثله ونهاني عن الشجرة فعصيت نفسي
نفسي اذهبوا الى غيري اذهبوا الى نوح فيقولون نوحا فيقولون انت
اول الرسل الى اهل الارض وسماك الله عبدا شكورا الا ترى ما نحن فيه
الا ترى ما بلغنا الا تستشفع لنا الى ربك فيقولون ان ربي غضب اليوم
غضبا لم يغضب قبله مثله ولا يغضب بعده مثله نفسي نفسي قال في رواية
انس رضي الله عنه ويذكر خطيئته التي اصاب سؤاله ربه بغير علم وفي رواية
ابي هريرة رضي الله عنه وقد كانت لي دعوة دعوتها على قومي اذهبوا الى
غيري اذهبوا الى ابراهيم فانه خليل الله فيأتون ابراهيم عليه السلام
فيقولون انت نبي الله وخليله من اهل الارض اشفع لنا الى ربك الا
ترى ما نحن فيه فيقول ان ربي قد غضب اليوم غضبا فذكر مثله و
يذكر ثلاث كلمات كذبهن نفسي نفسي لست لها ولكن عليكم بموسى فانه كليم
الله وفي رواية فانه عبد اتاه الله التوراة وكلمه وقربه نجيا قال فيأتون
موسى عليه السلام فيقول لست لها ويذكر خطيئته التي اصاب وقتل
النفس نفسي نفسي ولكن عليكم بعيسى فانه روح الله وكلمته فيأتون
عيسى عليه السلام فيقول لست لها ولكن عليكم بمحمد عبد غفر الله له ما
تقدم من ذنبه وما تأخر فيأتوني فاقول انا لها فانطلق فاستأذن على
ربي فيؤذن لي فاذا رأيته وقعت ساجدا وفي رواية فاتي تحت العرش
فاخر ساجدا وفي رواية فاقوم بين يديه فاحمده بمحامد لا اقدر الان عليها

الآن

الآن يلهمنيها الله وفي رواية فيفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه
شيئا لم يفتحه على احد قبلي قال في رواية ابي هريرة رضي الله عنه فيقال يا محمد
ارفع رأسك سل تعطه واشفع فارفع رأسي فاقول يا رب امتي يا رب امتي
فيقول ادخل من امتك من لا حساب عليه من الباب الايمن من ابواب الجنة وهم
شركاء الناس فيما سوى ذلك من الابواب ولم يذكر في رواية انس هذا الفصل
وقال مكانه ثم اخر ساجدا فيقال لي يا محمد ارفع رأسك وقل يسمع لك و
اشفع تشفع وسل تعطه فاقول يا رب امتي امتي فيقال انطلق فمن كان في
قلبه مثقال حبة من برة او شعيرة من ايمان فاخرجه فانطلق فافعل ثم
ارجع الى ربي فاحمده بتلك المحامد وذكر مثل الاول وقال فيه مثقال حبة
من خردل قال فافعل ثم ارجع وذكر مثل ما تقدم وقال فيه من كان في قلبه
ادنى ادنى ادنى من مثقال حبة من خردل فافعل وذكر في المرة الرابعة
فيقال لي ارفع رأسك وقل تسمع واشفع تشفع وسل تعطه فاقول
يا رب ائذن لي فيمن قال لا اله الا الله قال ليس ذلك اليك ولكن
وعزتي وكبريائي وعظمتي وجبريائي لاخرجن من النار من قال لا اله الا
الله ومن رواية قتادة رضي الله عنه عنه قال فلا ادري في الثالثة
او الرابعة فاقول يا رب ما بقي في النار الا من حبسه القرآن اي من وجب
عليه الخلود وعن ابي بكر وعقبة بن عامر وابي سعيد وحذيفة رضي
الله عنهم مثله قال فيأتون محمدا فيؤذن له وتأتي الامانة والرحم
فتقومان جنبتي الصراط فذكر في رواية ابي مالك عن حذيفة رضي الله عنه

فيأتون محمدا فيشفع فيضرب الصراط فيمرون عليه اولهم كالبرق ثم كالريح و
الطير وشد الرجال ونبيكم صلى الله عليه وسلم على الصراط يقول اللهم
سلم سلم حتى يجتاز الناس وذكر آخرهم جوازا الحديث وفي رواية ابي هريرة
رضي الله عنه فاكون اول من يجيز وعن ابن عباس رضي الله عنهما عنه عليه السلام
يوضع للانبياء منابر يجلسون عليها ويبقى منبري لا اجلس عليه قائما
بين يدي ربي منتصبا فيقول الله تبارك وتعالى ما تريد ان اصنع بامتك فاقول
يا رب عجل حسابهم فيدعى بهم فيحاسبون فمنهم من يدخل الجنة برحمته
ومنهم من يدخل الجنة بشفاعتي ولا ازال اشفع حتى اعطى صكاكا
برجال قد امر بهم الى النار حتى ان خازن النار ليقول يا محمد ما تركت
لغضب ربك في امتك من نقمة ومن طريق زياد النميري عن انس رضي
الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال انا اول من تنفلق
الارض عن جمجمته ولا فخر وانا سيد الناس يوم القيمة ولا فخر ومعي
لواء الحمد يوم القيمة وانا اول من تفتح له الجنة ولا فخر فآتي فآخذ
بحلقة الجنة فيقال من هذا فاقول محمد فيفتح لي فيستقبلني الجبار
تعالى فاخر له ساجدا وذكر نحو ما تقدم ومن رواية انس رضي الله عنه
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لاشفعن يوم القيمة لاكثر
مما في الارض من حجر وشجر فقد اجتمع من اختلاف الفاظ هذه الآثار
ان شفاعته عليه السلام ومقامه المحمود من اول الشفاعات الى آخرها من حين
يجتمع الناس للحشر وتضيق بهم الحناجر ويبلغ منهم العرق والشمس

والوقوف

والوقوف مبلغه وذلك قبل الحساب فيشفع حينئذ لازاحة الناس
من الموقف ثم يوضع الصراط ويحاسب الناس كما جاء في الحديث عن ابي هريرة
وحذيفة رضي الله عنهما وهذا الحديث اتقن فيشفع في تعجيل من لا حساب
عليه من امته الى الجنة كما تقدم في الحديث ثم يشفع فيمن وجب عليه العذاب
ودخل النار منهم حسب ما تقتضيه الاحاديث الصحيحة ثم فيمن قال
لا اله الا الله وليس هذا لسواه صلى الله عليه وسلم وفي الحديث المنتشر الصحيح
لكل نبي دعوة يدعو بها واختبأت دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة
قال اهل العلم معناه دعوة اعلم انها تستجاب لهم ويبلغ فيها مرغوبهم و
الا فكم لكل نبي منهم من دعوة مستجابة ولنبينا صلى الله عليه وسلم منها
ما لا يعد لكن حالهم عند الدعاء بها بين الرجاء والخوف وضمنت لهم
اجابة دعوة فيما شاؤه يدعون بها على يقين من الاجابة وقد قال محمد
بن زياد وابو صالح عن ابي هريرة في هذا الحديث لكل نبي دعوة دعا بها
في امته فاستجيب له وانا اريد ان اؤخر دعوتي شفاعة لامتي يوم القيمة و
في رواية ابي صالح لكل نبي دعوة مستجابة فتعجل كل نبي دعوته ونحوه في رواية
ابي زرعة رضه عن ابي هريرة رضه وعن انس رضي الله عنه مثل رواية ابن زياد
عن ابي هريرة رضي الله عنه فتكون هذه الدعوة المذكورة مخصوصة بالامة
مضمونة الاجابة والا فقد اخبر صلى الله عليه وسلم انه سأل لامته اشياء
من امور الدين والدنيا اعطي بعضها ومنع بعضها وادخر لهم هذه
الدعوة ليوم القيمة وخاتمة المحن وعظيم السؤال والرغبة جزاه الله

احسن ما جزى نبيا عن امته وصلى الله وسلم تسليما كثيرا فصل في
تفضيله صلى الله عليه وسلم في الجنة بالوسيلة والدرجة الرفيعة والكوثر والفضيلة
حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي والفقيه ابو الوليد هشام بن احمد
بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو علي الغساني ثنا النمري ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابو داود
ثنا محمد بن سلمة ثنا ابن وهب عن ابن لهيعة وحيوة وسعيد بن ابي ايوب عن كعب بن
علقمة عن عبد الرحمن بن جبير عن عبد الله بن عمرو بن العاص انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم
يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي فانه من صلى علي مرة
صلى الله عليه عشرا ثم اسئلوا الله لي الوسيلة فانها منزلة في الجنة لا تنبغي
الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون انا هو فمن سأل الله لي الوسيلة حلت
عليه الشفاعة وفي حديث اخر عن ابي هريرة رضي الله عنه الوسيلة اعلى درجة في الجنة
وعن انس رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بينا انا اسير في الجنة اذ
عرض لي نهر حافتاه قباب اللؤلؤ قلت لجبريل ما هذا قال هذا الكوثر الذي
اعطاك الله قال ثم ضرب بيده الى طينه فاستخرج مسكا وعن عائشة و
عبد الله بن عمر مثله قال ومجراه على الدر والياقوت وماؤه احلى من
العسل وابيض من الثلج وفي رواية عنه فاذا هو يجري ولم يشق شقا عليه
حوض ترد عليه امتي وذكر حديث الحوض ونحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما وعن
عباس رضي الله عنهما ايضا قال الكوثر الخير الذي اعطاه الله اياه وقال سعيد
بن جبير والنهر الذي في الجنة من الخير الذي اعطاه الله وعن حذيفة رضي الله
عنه فيما ذكر عليه السلام عن ربه واعطاني الكوثر نهرا من الجنة يسيل في حوضي

وعن ابن

وعن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله ولسوف يعطيك ربك فترضى
قال الف قصر من لؤلؤ ترابهن المسك وفيه ما يصلحهن وفي رواية اخرى و
فيه ما ينبغي له من الازواج والخدم فصل فان قلت اذا تقرر من دليل
القرآن وصحيح الاثر واجماع الامة كونه صلى الله عليه وسلم اكرم البشر وافضل
الانبياء فما معنى الاحاديث الواردة بنهيه صلى الله عليه وسلم عن التفضيل
كقوله فيما حدثناه الاسدي قال ثنا السمرقندي ثنا الفارسي ثنا الجلودي ثنا
ابن سفيان ثنا مسلم ثنا ابن مثنى ثنا محمد بن جعفر ثنا شعبة عن قتادة سمعت
ابا العالية يقول حدثني ابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم يعني ابن عباس رضي الله
عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما ينبغي لعبد ان يقول انا خير من يونس
بن متى وفي غير هذا الطريق عن ابي هريرة رضي الله عنه قال يعني رسول
الله صلى الله عليه وسلم ما ينبغي لعبد الحديث وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه في اليهودي
الذي قال والذي اصطفى موسى على البشر فلطمه رجل من الانصار وقال
تقول ذلك والنبي صلى الله عليه وسلم بين اظهرنا فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم
فقال لا تفضلوا بين الانبياء وفي رواية لا تخيروني على موسى فذكر
الحديث وفيه ولا اقول ان احدا افضل من يونس ابن متى وعن ابي
هريرة رضي الله عنه ومن قال انا خير من يونس بن متى فقد كذب
وعن ابن مسعود رضي الله عنه لا يقولن احدكم انا خير من يونس بن
متى وفي حديثه الاخر فجاءه رجل فقال يا خير البرية فقال ذاك
ابراهيم فاعلم ان للعلماء في هذه الاحاديث تاويلات احدها ان نهيه

عن التفضيل كما نقل ان يعلم انه سيد ولد آدم فنهى عن التفضيل اذ
يحتاج الى توقيف وان من فضل بلا علم فقد كذب وكذلك قوله لا
اقول ان احدا افضل منه لا يقتضي تفضيله هو وانما هو في الظاهر كف
عن التفضيل الوجه الثاني انه قاله صلى الله عليه وسلم على طريق التواضع
ونفي التكبر والعجب وهذا لا يسلم من الاعتراض الوجه الثالث ان
لا يفضل بينهم تفضيلا يؤدي الى تنقص بعضهم او الغض منه لا سيما
في جهة يونس عليه السلام اذ اخبر الله عنه بما اخبر لئلا يقع في نفس من
لا يعلم منه بذلك غضاضة وانحطاط من رتبته الرفيعة اذ قال الله تعالى
إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ
عَلَيْهِ فربما يخيل لمن لا علم عنده حطيطته بذلك الوجه الرابع منع
التفضيل في حق النبوة والرسالة فان الانبياء عليهم السلام فيها
على حد واحد اذ هي شيء واحد لا يتفاضل وانما التفاضل في زيادة
الاحوال والخصوص والكرامات والرتب والالطاف واما النبوة في
نفسها فلا تتفاضل وانما التفاضل بامور اخر زائدة عليها منهم رسل
ومنهم اولوا العزم من الرسل ومنهم من رفع مكانا عليا ومنهم من اوتي
الحكم صبيا واوتي بعضهم الزبور وبعضهم البينات ومنهم من كلم الله
ورفع بعضهم درجات قال الله تعالى وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى
بَعْضٍ الآية وقال تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ الآية
قال بعض اهل العلم والتفضيل المراد لهم هنا في الدنيا وذلك بثلاثة احوال

ان يكون

ان يكون اياته ومعجزاته ابهر واشهر او تكون امته ازكى واكثر او يكون
في ذاته افضل واطهر وفضله في ذاته راجع الى ما خصه الله به من
كرامته واختصاصه من كلام او خلة او رؤية او ما شاء الله من الطافه وتحف
ولايته واختصاصه وقد روي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان للنبوة اثقالا
وان يونس تفسخ منها تفسخ الربع فحفظ رسول الله صلى الله عليه وسلم موضع
الفتنة من اوهام من يسبق اليه بسببها جرح في نبوته او قدح في
اصطفائه وحط من رتبته ووهن في عصمته شفقة منه صلى الله
عليه وسلم على امته وقد يتوجه على هذا الترتيب وجه خامس وهو ان يكون
انا راجعا الى القائل نفسه اي لا يظن احد وان بلغ من الزكاء والعصمة
والطهارة ما بلغ انه خير من يونس لاجل ما حكى الله عنه فان درجة النبوة
افضل واعلى وان تلك الاقدار لم تحطه عنها حبة خردلة ولا ادنى و
سنزيد في القسم الثالث في هذا بيانا ان شاء الله تعالى فقد بان لك الغرض
وسقط بما حررناه شبهة المعترض وبالله التوفيق وهو المستعان
لا اله الا هو فصل في اسمائه عليه الصلوة والسلام وما تضمنته
من فضيلته حدثنا ابو عمران موسى بن ابي تليد الفقيه قال ثنا ابو عمر
الحافظ ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ثنا محمد بن وضاح ثنا يحيى
ثنا مالك عن ابن شهاب عن محمد بن جبير بن مطعم عن ابيه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لي خمسة اسماء انا محمد وانا احمد وانا الماحي الذي
يمحو الله بي الكفر وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي وانا العاقب

وقد سماه الله في كتابه محمداً واحمد فمن خصايصه تعالى له ان ضمن اسماءه
ثناءه فطوى اثناء ذكره عظيم شكره فاما اسمه احمد فافعل مبالغة من
صفة الحمد ومحمد مفعل مبالغة من كثرة الحمد فهو صلى الله عليه وسلم اجل من
حُمِد واكثر الناس حمداً فهو احمد المحمودين واحمد الحامدين ومعه لواء
الحمد يوم القيمة ليتم له كمال الحمد ويشتهر في تلك العرصات بصفة الحمد و
يبعثه ربه هناك مقاماً محموداً كما وعده يحمده فيه الاولون والاخرون
بشفاعته لهم ويفتح عليه فيه من المحامد كما قال صلى الله عليه وسلم ما لم يعط غيره
وسمى امته في كتب انبيائه عليهم السلام بالحمادين فحقيق ان يسمى محمداً
واحمد ثم في هذين الاسمين من عجايب خصايصه وبديع اياته فن اخر وهو
ان الله جل اسمه حمى ان يسمى بهما احد قبل زمانه اما احمد الذي اتى في الكتب
وبشرت به الانبياء عليهم السلام فمنع الله تعالى بحكمته ان يسمى به احد
غيره ولا يدعى به مدعو قبله حتى لا يدخل لبس على ضعيف القلب وشك
وكذلك محمد ايضا لم يسم به احد من العرب ولا غيرهم الى ان شاع قبيل
وجوده صلى الله عليه وسلم وميلاده ان نبياً يبعث اسمه محمد فسمى
قوم قليل من العرب ابناءهم بذلك رجاء ان يكون احدهم هو والله
اعلم حيث يجعل رسالته وهم محمد بن احيحة بن الجلاح الاوسي
ومحمد بن مسلمة الانصاري ومحمد بن براء البكري ومحمد بن سفيان بن مجاشع
ومحمد بن حمران الجعفي ومحمد بن خزاعي السلمي لا سابع لهم ويقال ان اول من
سمي بمحمد محمد بن سفيان واليمن تقول بل محمد بن اليحمد من الازد ثم حمى الله

كل من تسمى به ان يدعي النبوة او يدعيها احد له او يظهر عليه سبب يشكك احداً
في امره حتى تحققت الشمتان له صلى الله عليه وسلم ولم ينازع فيهما واما
قوله عليه السلام وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ففسر في الحديث ويكون محو
الكفر اما من مكة وبلاد العرب وما زوي له من الارض ووعد انه
يبلغه ملك امته او يكون المحو عاماً بمعنى الظهور والغلبة كما قال تعالى
لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وقد ورد تفسيره في الحديث انه الذي
محيت به سيئات من اتبعه وقوله صلى الله عليه وسلم وانا الحاشر الذي
يحشر الناس على قدمي اي على زماني وعهدي اي ليس بعدي نبي كما قال
الله تعالى وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وسمي عاقباً لانه عقب غيره من الانبياء
وقيل معنى على قدمي اي يحشر الناس بمشاهدتي كما قال تعالى لِتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ومعنى قوله
عليه السلام في خمسة اسماء قيل انها موجودة في الكتب المتقدمة
وعند اولي العلم من الامم السالفة والله اعلم وقد روي عنه صلى
الله عليه وسلم لي عشرة اسماء وذكر منها طه ويس حكاه مكي وقد قيل
في بعض تفاسير طه اي يا طاهر يا هادي وفي يس يا سيد حكاه
السلمي عن الواسطي وجعفر بن محمد وذكر غيره لي عشرة اسماء فذكر
الخمسة التي في الحديث الاول قال وانا رسول الرحمة ورسول الراحة ورسول
الملاحم وانا المقفي قفيت النبيين وانا قيم والقيم الجامع الكامل
كذا وجدته ولم اروه واري صوابه قثم بالثاء كما ذكرناه بعده عن الحربي

وهو اشبه بالتفسير وقد وقع ايضا في كتب الانبياء قال داود عليه
السلام اللهم ابعث لنا محمدا مقيم السنة بعد الفترة فقد يكون القيم
بمعناه وروى النقاش عنه عليه السلام لي في القرآن سبعة اسماء محمد
واحمد ويس وطه والمدثر والمزمل وعبد الله وفي حديث جبير بن مطعم
رضي الله عنه هي ست محمد واحمد وخاتم وعاقب وحاشر وماح وفي حديث ابي
موسى الاشعري رضي الله عنه انه كان عليه السلام يسمي لنا نفسه اسماء فيقول
انا محمد واحمد والمقفي والحاشر ونبي التوبة ونبي الملحمة ونبي الرحمة ويروى
المرحمة والرحمة والراحة وكل صحيح ان شاء الله تعالى ومعنى المقفي معنى العاقب
واما نبي الرحمة والتوبة والمرحمة والراحة فقد قال الله تعالى وما ارسلناك الا
رحمة للعالمين وكما وصفه بانه يزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم
الى صراط مستقيم وبالمؤمنين رؤف رحيم وقد قال في صفة امته انها
امة مرحومة وقال تعالى فيهم وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة
اي يرحم بعضهم بعضا فبعثه عليه السلام ربه تعالى رحمة لامته
ورحمة للعالمين ورحيما بهم مترحما ومستغفرا لهم وجعل امته امة
مرحومة ووصفها بالرحمة وامرها بالتراحم واثنى عليه فقال ان الله
يحب من عباده الرحماء وقال الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الارض
يرحمكم من في السماء واما رواية نبي الملحمة فاشارة الى ما بعث به من القتال
والسيف صلى الله عليه وسلم وهي صحيحة وروى حذيفة مثل حديث
ابي موسى وفيه ونبي الرحمة ونبي التوبة ونبي الملاحم وروى الحربي في حديثه

صلى

صلى الله عليه وسلم انه قال اتاني ملك فقال لي انت قثم اي
مجتمع قال والقثوم الجامع للخير وهذا اسم هو في اهل بيته عليه
السلام معلوم وقد جاءت من القابه عليه السلام وسماته في
القرآن عدة كثيرة سوى ما ذكرناه كالنور والسراج المنير والمنذر و
النذير والمبشر والبشير والشاهد والشهيد والحق المبين و
خاتم النبيين والرؤف الرحيم والامين وقدم الصدق ورحمة
للعالمين ونعمة الله والعروة الوثقى والصراط المستقيم والنجم
الثاقب والكريم والنبي الامي وداعي الله في اوصاف كثيرة وسمات
جليلة وجرى منها في كتب الله المتقدمة وكتب انبيائه واحاديث رسوله
واطلاق الامة جملة شافية كتسميته بالمصطفى والمجتبى وابي القاسم
والحبيب ورسول رب العالمين والشفيع المشفع والمتقي والمصلح
والطاهر والمهيمن والصادق والمصدوق والهادي وسيد
ولد آدم وسيد المرسلين وامام المتقين وقائد الغر المحجلين و
حبيب الله وخليل الرحمن وصاحب الحوض المورود والشفاعة والمقام
المحمود وصاحب الوسيلة والفضيلة والدرجة الرفيعة وصاحب التاج
والمعراج واللواء والقضيب وراكب البراق والناقة والنجيب
وصاحب الحجة والسلطان والخاتم والعلامة والبرهان وصاحب
الهراوة والنعلين ومن اسمائه صلى الله عليه وسلم في الكتب المتوكل و
المختار ومقيم السنة والمقدس وروح الحق وهو معنى البارقليط

ظ المحجلين

في الانجيل وقال ثعلب البارقليط الذي يفرق بين الحق والباطل
ومن اسمائه في الكتب السالفة ماذ ماذ ومعناه طيب طيب وحمطايا
والخاتم والحاتم حكاه كعب الاحبار وقال ثعلب فالخاتم الذي ختم الله
به الانبياء والحاتم احسن الانبياء خلقا وخلقا ويسمى بالسريانية
مشفح والمنحمنا واسمه ايضا في التوراة احيد روى ذلك عن ابن سيرين
ومعنى صاحب القضيب اي السيف وقع ذلك مفسرا في الانجيل قال
معه قضيب من حديد يقاتل به وامته كذلك وقد يحمل على انه القضيب
الممشوق الذي كان يمسكه عليه السلام وهو الان عند الخلفاء
واما الهراوة التي وصفه بها فهي في اللغة العصا واراها والله اعلم
العصا المذكورة في حديث الحوض اذود الناس عنه بعصاي لاهل اليمن
واما التاج فالمراد به العمامة ولم تكن حينئذ الا للعرب والعمائم
تيجان العرب واوصافه صلى الله عليه وسلم والقابه وسماته في الكتب
كثيرة وفيما ذكرناه منها مقنع ان شاء الله تعالى وكانت كنيته المشهورة
ابا القاسم وروى عن انس رضي الله عنه انه لما ولد ابراهيم جاءه جبريل
فقال له السلام عليك يا ابا ابراهيم فصل في تشريف الله تعالى له
بما سماه به من اسمائه الحسنى ووصفه به من صفاته العلى صلى الله عليه وسلم
قال القاضي ابو الفضل وفقه الله تعالى ما احرى هذا الفصل بفصول الباب
الاول لانخراطه لكن لم يشرح الله الصدر للهداية الى استنباطه ولا انار
الفكر لاستخراج جوهره والتقاطه الا عند الخوض الذي قبله فرأينا

ان نضيفه

ان نضيفه اليه ونجمع به شمله فاعلم ان الله تعالى خص كثيرا من انبيائه بكرامة
خلعها الله عليهم من اسمائه كتسميته اسحق واسمعيل بعليم وحليم
وابراهيم عليه السلام بحليم ونوح بشكور وعيسى ويحيى عليهما السلام
ببر وموسى بكريم وقوي ويوسف عليه السلام بحفيظ عليم وايوب عليه
السلام بصابر واسمعيل بصادق الوعد كما نطق به الكتاب العزيز في مواضع
ذكرهم وفضل محمدا نبينا صلى الله عليه وسلم بان حلاه منها في كتابه العزيز
وعلى السنة انبيائه بعدة كثيرة اجتمع لنا منها جملة بعد اعمال الفكر
واحضار الذكر اذ لم نجد من جمع منها فوق اسمين ولا من تفرغ فيها للتأليف
فصلين وحررنا منها في هذا الفصل نحو ثلاثين اسما ولعل الله تعالى كما الهم
الى ما علمنا منها وحققه يتم النعمة بابانة ما لم يظهره لنا الان ويفتح
غلقه فمن اسمائه تعالى الحميد ومعناه المحمود لانه حمد نفسه وحمده عباده
ويكون ايضا بمعنى الحامد لنفسه ولاعمال الطاعات وسمى النبي صلى
الله عليه وسلم محمدا واحمد فمحمد بمعنى محمود وكذا وقع اسمه في زبر داود
واحمد بمعنى اكبر من حمد واجل من حمد وقد اشار الى نحو هذا حسان
بقوله وشق له من اسمه ليجله فذو العرش محمود وهذا محمد ومن
اسمائه تعالى الرؤف الرحيم وهما بمعنى متقارب وسماه في كتابه بذلك
ومن اسمائه تعالى الحق المبين ومعنى الحق الموجود والمتحقق امره وكذلك
المبين اي البين امره والهيته بان وابان بمعنى ويكون بمعنى المبين لعباده
امر دينهم ومعادهم وسمى النبي صلى الله عليه وسلم بذلك في كتابه فقال

حتى جاءهم الحق ورسول مبين وقال وقل إني أنا النذير المبين و
قال قد جاءكم الحق من ربكم وقال فقد كذبوا بالحق لما جاءهم قيل محمد
وقيل القرآن معناه هنا ضد الباطل والمتحقق صدقه وأمره وهو بمعنى الأول
والمبين البين أمره ورسالته أو المبين عن الله تعالى ما بعثه به كما قال الله تعالى
لتبين للناس ما نزل إليهم ومن أسمائه تعالى النور ومعناه ذو النور أي
خالقه أو منور السموات والأرض بالأنوار ومنور قلوب المؤمنين بالهداية و
سماه نورا فقال تعالى قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين قيل محمد صلى الله عليه وسلم
وقيل القرآن وقال فيه وسراجا منيرا سمي بذلك لوضوح أمره وبيان نبوته
وتنوير قلوب المؤمنين والعارفين بما جاء به ومن أسمائه تعالى الشهيد
ومعناه العالم وقيل الشاهد على عباده يوم القيمة وسماه شهيدا وشاهدا
تعالى إنا أرسلناك شاهدا وقال ويكون الرسول عليكم شهيدا وهو بمعنى
الأول ومن أسمائه تعالى الكريم ومعناه الكثير الخير وقيل المفضل وقيل
العفو وقيل العلي وفي الحديث المروي في أسمائه تعالى الأكرم وسماه كريما
بقوله تعالى إنه لقول رسول كريم قيل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل جبريل عليه
السلام ومن أسمائه تعالى العظيم ومعناه الجليل الشأن الذي كل شيء دونه
وقال في النبي صلى الله عليه وسلم وإنك لعلى خلق عظيم ووقع في
أول سفر من التوراة عن إسمعيل وسيلد عظيما لأمة عظيمة فهو عظيم
وعلى خلق عظيم ومن أسمائه تعالى الجبار ومعناه المصلح وقيل القاهر وقيل
العلي العظيم الشأن وقيل المتكبر وسمي النبي صلى الله عليه وسلم في كتاب داود

بجبار

بجبار فقال تقلد أيها الجبار سيفك فإن ناموسك وشرائعك مقرونة
بهيبة يمينك ومعناه في حق النبي صلى الله عليه وسلم إما لإصلاحه الأمة
بالهداية والتعليم أو لقهره أعداءه أو لعلو منزلته على البشر وعظيم
خطره ونفى تعالى عنه في القرآن جبرية الكبر التي لا تليق به فقال وما أنت
عليهم بجبار ومن أسمائه تعالى الخبير ومعناه المطلع بكنه الشيء العالم
بحقيقته وقيل معناه المخبر وقال الله تعالى الرحمن فاسئل به خبيرا قال
القاضي بكر بن العلاء المأمور بالسؤال غير النبي صلى الله عليه وسلم والمسؤل الخبير
هو النبي صلى الله عليه وسلم وقال غيره بل السائل النبي عليه السلام والمسؤل
الله فالنبي صلى الله عليه وسلم خبير بالوجهين المذكورين قيل لأنه عالم على
على غاية من العلم بما أعلمه الله من مكنون علمه وعظيم معرفته مخبر لأمته
بما أذن له في إعلامهم به ومن أسمائه تعالى الفتاح معناه الحاكم بين عباده
أو فاتح أبواب الرزق والرحمة والمنغلق من أمورهم عليهم أو يفتح قلوبهم
وبصائرهم لمعرفة الحق ويكون أيضا بمعنى الناصر كقوله تعالى إن تستفتحوا
فقد جاءكم الفتح أي إن تستنصروا فقد جاءكم النصر وقيل معناه
مبتدئ الفتح والنصر وسمى تعالى نبيه محمدا صلى الله عليه وسلم بالفاتح
في حديث الإسراء الطويل من رواية الربيع بن أنس عن أبي العالية وغيره عن
أبي هريرة رضي الله عنهم وفيه من قول الله وجعلتك فاتحا وخاتما وفيه
من قول النبي صلى الله عليه وسلم في ثنائه على ربه وتعديد مراتبه ورفع لي ذكري و
جعلني فاتحا وخاتما فيكون الفاتح هنا بمعنى الحاكم أو الفاتح لأبواب الرحمة

على امته والفاتح لبصائرهم لمعرفة الحق والايمان بالله والناصر للحق والمبتدي
بهدايتنا لامته والمبدأ المقدم في الانبياء والخاتم لهم كما قال عليه السلام كنت
اول الانبياء في الخلق واخرهم في البعث ومن اسمائه تعالى في الحديث الشكور
ومعناه المثيب على العمل القليل وقيل المثني على المطيعين و وصف
بذلك نبيه نوحا عليه السلام فقال انه كان عبدا شكورا وقد
وصف النبي عليه السلام بذلك نفسه فقال افلا اكون عبدا شكورا
اي معترفا بنعم ربي عارفا بقدر ذلك مثنيا عليه مجهدا نفسي
في الزيادة من ذلك لقوله تعالى لئن شكرتم لازيدنكم ومن اسمائه
تعالى العليم والعلام وعالم الغيب والشهادة و وصف نبيه صلى
الله عليه وسلم بالعلم وخصه بمزية منه فقال وعلمك ما لم تكن تعلم
وكان فضل الله عليك عظيما وقال ويعلمكم الكتاب والحكمة ويعلمكم ما
لم تكونوا تعلمون ومن اسمائه تعالى الاول والاخر ومعناهما السابق
للاشياء قبل وجودها والباقي بعد فنائها وتحقيقه انه ليس له اول ولا
آخر وقال عليه السلام كنت اول الانبياء في الخلق وآخرهم في البعث و
فسر بهذا قوله تعالى واذ اخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح
فقدم محمدا صلى الله عليه وسلم وقد اشار الى نحو منه عمر بن الخطاب رضي
الله عنه ومنه قوله نحن الآخرون السابقون وقوله انا اول من تنشق الارض
عنه من يدخل الجنة واول شافع واول مشفع وهو خاتم النبيين وآخر
الرسل صلى الله عليه وسلم ومن اسمائه تعالى القوي وذو القوة المتين

ومعناه

ومعناه القادر وقد وصفه الله تعالى بذلك فقال ذي قوة عند ذي
العرش مكين قيل محمد وقيل جبريل عليهما السلام ومن اسمائه تعالى الصادق
في الحديث المأثور وورد في الحديث ايضا اسمه عليه السلام الصادق المصدوق
ومن اسمائه تعالى الولي والمولى ومعناهما الناصر وقد قال الله تعالى انما وليكم
الله ورسوله وقال عليه السلام انا ولي كل مؤمن وقال الله تعالى النبي اولى
بالمؤمنين وقال عليه السلام من كنت مولاه فعلي مولاه ومن اسمائه تعالى العفو و
معناه الصفوح وقد وصف الله بهذا نبيه في القرآن والتوراة وامره
بالعفو فقال خذ العفو وقال فاعف عنهم واصفح وقال لجبريل وقد سأله
عن قوله خذ العفو قال ان تعفو عمن ظلمك وقال في التوراة والانجيل
في الحديث المشهور في صفته ليس بفظ ولا غليظ ولكن يعفو ويصفح
ومن اسمائه تعالى الهادي وهو بمعنى توفيق الله لمن اراد من عباده وبمعنى الدلالة
والدعاء قال الله تعالى والله يدعو الى دار السلام ويهدي من يشاء
الى صراط مستقيم واصل الجميع من الميل وقيل من التقديم وقيل في تفسير
طه انه يا طاهر يا هادي يعني النبي صلى الله عليه وسلم وقال تعالى وانك
لتهدي الى صراط مستقيم وقال تعالى فيه وداعيا الى الله باذنه فالله
تعالى مختص بالمعنى الاول قال الله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله
يهدي من يشاء وبمعنى الدلالة يطلق على غيره تعالى ومن اسمائه تعالى المؤمن المهيمن
قيل هما بمعنى واحد فمعنى المؤمن في حقه تعالى المصدق وعده عباده والمصدق
قوله الحق والمصدق لعباده المؤمنين ورسله وقيل الموحد نفسه

وقيل المؤمن عباده في الدنيا من ظلمه والمؤمنين في الآخرة من عذابه و
قيل المهيمن بمعنى الامين مصغر منه فقلبت الهمزة هاءً وقد قيل ان قولهم
في الدعاء آمين انه اسم من اسماء الله تعالى ومعناه معنى المؤمن وقيل المهيمن
بمعنى الشاهد والحافظ والنبي صلى الله عليه وسلم امين ومهيمن ومؤمن
وقد سماه الله امينا فقال مطاع ثم امين وكان عليه السلام يعرف
بالامين وشهر به قبل النبوة وبعدها وسماه العباس في شعره مهيمنا
في قوله ثم احتوى بيتك المهيمن من خندف علياء تحتها النطق وقيل المراد
يا ايها المهيمن قاله القتيبي والامام ابو القاسم القشيري وقال تعالى يُؤْمِنُ
بِاللّٰهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ اي يصدق وقال انا امنة لاصحابي فهذا بمعنى
المؤمن ومن اسمائه تعالى القدوس ومعناه المنزه عن النقائص المطهر
من سمات الحدث وسمي بيت المقدس لانه يتطهر فيه من الذنوب ومنه الوادي
المقدس وروح القدس ووقع في كتب الانبياء عليهم السلام في اسمائه
عليه الصلوة والسلام المقدس اي المطهر من الذنوب كما قال الله تعالى لِيَغْفِرَ لَكَ
اللّٰهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ او الذي يتطهر به من الذنوب و
يتنزه باتباعه عنها كما قال تعالى وَيُزَكِّيهِمْ وقال ويخرجهم من الظلمات الى
النور او يكون مقدسا بمعنى مطهرا من الاخلاق الذميمة والاوصاف الدنية
ومن اسمائه تعالى العزيز ومعناه الممتنع الغالب او الذي لا نظير له او المعز
لغيره وقال تعالى ولله العزة ولرسوله اي الامتناع وجلالة القدر وقد وصف
الله تعالى نفسه بالبشارة والنذارة فقال يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان

وقال تعالى

وقال تعالى ان الله يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ وَبِكَلِمَةٍ مِنْهُ وسماه الله تعالى مبشرا و
نذيرا اي مبشرا لاهل طاعته ونذيرا لاهل معصيته ومن اسمائه تعالى
فيما ذكره بعض المفسرين طه ويس وقد ذكر بعضهم ايضا انهما من
اسماء محمد صلى الله عليه وسلم وشرف وكرم فصل قال القاضي ابو الفضل
وفقه الله وههنا اذكر نكتة اذيل بها هذا الفصل واختم بها هذا
القسم وازيح الاشكال بها فيما تقدم عن كل ضعيف الوهم سقيم الفهم
تخلصه من مهاوي التشبيه وتزحزحه عن شبه التمويه وهو ان يعتقد
ان الله جل اسمه في عظمته وكبريائه وملكوته وحسنى اسمائه وعلي صفاته
لا يشبه شيئا من مخلوقاته ولا يشبه به وان ما جاء مما اطلقه الشرع على
الخالق وعلى المخلوق فلا تشابه بينهما في المعنى الحقيقي اذ صفات القديم بخلاف
صفات المخلوق فكما ان ذاته تعالى لا تشبه الذوات كذلك صفاته لا تشبه
صفات المخلوقين اذ صفاتهم لا تنفك عن الاعراض والاغراض وهو تعالى
منزه عن ذلك بل لم يزل بصفاته واسمائه وكفى في هذا قوله تعالى ليس كمثله
شيء ولله در من قال من العلماء العارفين المحققين التوحيد اثبات ذات
غير مشبهة للذوات ولا معطلة من الصفات وزاد هذه النكتة الواسطي
رحمه الله بيانا وهو مقصودنا فقال ليس كذاته ذات ولا كاسمه اسم ولا
كفعله فعل ولا كصفته صفة الا من جهة اللفظ وجلت الذات القديمة
ان تكون لها صفة حديثة كما استحال ان تكون للذات المحدثة صفة
قديمة وهذا كله مذهب اهل الحق والسنة والجماعة رضي الله عنهم

وقد فسر الامام ابو القاسم القشيري رحمه الله قوله هذا ليزيده بيانا
فقال هذه الحكاية تشتمل على جوامع مسائل التوحيد وكيف تشبه ذاته
ذات المحدثات وهي بوجودها مستغنية وكيف يشبه فعله فعل الخلق وهو
لغير جلب انس ودفع نقص حصل ولا خواطر واغراض وجد ولا بمباشرة
ومعالجة ظهر وفعل الخلق لا يخرج عن هذه الوجوه وقال آخر من
مشايخنا ما توهمتموه باوهامكم او ادركتموه بعقولكم فهو محدث
مثلكم وقال الامام ابو المعالي الجويني من اطمأن الى موجود انتهى اليه
فكره فهو مشبه ومن اطمأن الى النفي المحض فهو معطل وان قطع بموجود
اعترف بالعجز عن درك حقيقته فهو موحد وما احسن قول ذي النون المصري
حقيقة التوحيد ان تعلم ان قدرة الله سبحانه في الاشياء بلا علاج
وصنعه لها بلا مزاج وعلة كل شيء صنعه ولا علة لصنعه وما تصور
في وهمك فالله بخلافه وهذا كلام نفيس عجيب محقق والفصل الاخير
تفسير لقوله تعالى لا يسئل عما يفعل وهم يسئلون والثالث تفسير
لقوله تعالى انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له كن فيكون ثبتنا
الله واياك على التوحيد والاثبات والتنزيه وجنبنا طرفي الضلالة
والغواية من التعطيل والتشبيه بمنه وفضله ورحمته

وقف — الباب الرابع — وقف

فيما اظهره الله تعالى على يديه من المعجزات وشرفه به من الخصائص

والكرامات

والكرامات قال القاضي ابو الفضل رحمه الله حسب المتأمل ان يحقق ان
كتابنا هذا لم نجمعه لمنكر نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولا لطاعن في معجزاته
فنحتاج الى نصب البراهين عليها وتحصين حوزتها حتى لا يتوصل الطاعن
اليها ونذكر شروط المعجز والتحدي وحده وفساد قول من ابطل نسخ
الشرائع ورده بل الفناه لاهل ملته الملبين لدعوته المصدقين
لنبوته ليكون تأكيدا في محبتهم له ومنماة لاعمالهم وليزدادوا ايمانا
مع ايمانهم ونيتنا ان نثبت في هذا الباب امهات معجزاته ومشاهير اياته
لتدل على عظيم قدره عند ربه واتينا منها بالمحقق والصحيح الاسناد
واكثره مما بلغ القطع او كاد واضفنا اليها بعض ما وقع في
مشاهير كتب الائمة واذا تأمل المتأمل المنصف ما قدمناه من جميل
اثره وحميد سيره وبراعة علمه ورجاحة عقله وحلمه وجملة كماله و
جميع خصاله وشاهد حاله وصواب مقاله لم يمتر في صحة نبوته وصدق
دعوته وقد كفى هذا غير واحد في اسلامه والايمان به فروينا عن الترمذي
وابن قانع وغيرهما باسانيدهم ان عبد الله بن سلام قال لما قدم رسول
الله صلى الله عليه وسلم المدينة جئته لانظر اليه فلما استبنت وجهه عرفت
ان وجهه ليس بوجه كذاب حدثنا به القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون عن ابي يعلى البغدادي عن ابي علي
السنجي عن ابن محبوب عن الترمذي ثنا محمد بن بشار ثنا عبد الوهاب الثقفي
ومحمد بن جعفر وابن ابي عدي ويحيى بن سعيد عن عوف بن ابي جميلة الاعرابي

عن زرارة بن اوفى عن عبد الله بن سلام الحديث وعن ابى رمثة التميمى اتيت
النبى صلى الله عليه وسلم ومعى ابن لى فاريته فلما رايته قلت هذا نبى الله و
روى مسلم وغيره ان ضماد لما وفد عليه فقال له النبى صلى الله عليه وسلم
ان الحمد لله نحمده ونستعينه من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادى
له واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله
قال له اعد على كلماتك هؤلاء فلقد بلغن قاموس البحر هات يدك ابايعك
وقال جامع بن شداد كان رجل منا يقال له طارق فاخبر انه راى النبى
صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال هل معكم شئ تبيعونه قلنا هذا البعير
قال بكم قلنا بكذا وكذا وسقا من تمر فاخذ بخطامه وسار الى المدينة فقلنا
بعنا من رجل لا ندرى من هو ومعنا ظعينة فقالت انا ضامنة لثمن البعير
رأيت وجه رجل مثل القمر ليلة البدر لا يخيس بكم فاصبحنا جاء رجل بتمر
فقال انا رسول الله صلى الله عليه وسلم اليكم يامركم ان تاكلوا من هذا التمر و
تكتالوا حتى تستوفوا ففعلنا وفى خبر الجلندى ملك عمان لما بلغه
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعوه الى الاسلام قال الجلندى والله
لقد دلنى على هذا النبى الامى انه لا يامر بخير الا كان اول اخذ به ولا
ينهى عن شئ الا كان اول تارك له وانه يغلب فلا يبطر ويغلب فلا يضجر
ويفى بالعهد وينجز الموعود واشهد انه نبى وقال نفطويه فى قوله تعالى
يكاد زيتها يضئ ولو لم تمسسه نار هذا مثل ضربه الله تعالى لنبيه صلى
الله عليه وسلم يقول يكاد منظره يدل على نبوته وان لم يتل قرآنا كما قال ابن

رواحه

رواحة لو لم تكن فيه ايات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر
وقد آن ان ناخذ فى ذكر النبوة والوحى والرسالة وبعده فى معجزة
القرآن وما فيه من برهان ودلالة فصل اعلم ان الله تعالى قادر على
خلق المعرفة فى قلوب عباده والعلم بذاته واسمائه وصفاته وجميع
تكليفاته ابتداء دون واسطة لو شاء كما حكى عن سنته فى بعض الانبياء
عليهم السلام وذكره بعض اهل التفسير فى قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه
الله الا وحيا وجائز ان يصل اليهم جميع ذلك بواسطة تبلغهم كلامه
وتكون تلك الواسطة اما من غير البشر كالملائكة مع الانبياء عليهم
السلام او من جنسهم كالانبياء مع الامم ولا مانع لهذا من دليل
العقل واذا جاز هذا ولم يستحل وجاءت الرسل بما دل على صدقهم
من معجزاتهم وجب تصديقهم فى جميع ما اتوا به لان المعجزة مع التحدى
من النبى صلى الله عليه وسلم قائم مقام قول الله تعالى صدق عبدى فاطيعوه
واتبعوه وشاهد على صدقه فيما يقوله وهذا كاف والتطويل فيه خارج
عن الغرض فمن اراد تتبعه وجده مستوفى فى كتب ائمتنا رحمهم الله
والنبوة فى لغة من همز ماخوذة من النبأ وهو الخبر وقد لا تهمز
على هذا التأويل تسهيلا والمعنى ان الله تعالى اطلعه على غيبه و
اعلمه انه نبيه فيكون نبى منبأ فعيل بمعنى مفعول او يكون مخبرا
عما بعثه الله به ومنبئا بما اطلعه الله عليه فعيل بمعنى فاعل و
يكون عند من لم يهمزه من النبوة وهو ما ارتفع من الارض معناه

ان له رتبة شريفة ومكانة نبيهة عند مولاه منيفة فالوصفان في حقه مؤتلفان واما الرسول فهو المرسل ولم يأت فعول بمعنى مفعل في اللغة الا نادرا وارساله امر الله له بالابلاغ الى من ارسله اليه واشتقاقه من التتابع ومنه قولهم جاء الناس ارسالا اذا تبع بعضهم بعضا فكانه الزم تكرير التبليغ او الزمت الامة اتباعه واختلف العلماء هل النبي والرسول بمعنى او بمعنيين فقيل هما سواء واصله من الانباء وهو الاعلام واستدلوا بقوله تعالى وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ فقد اثبت لهما معا الارسال قال ولا يكون النبي الا رسولا ولا الرسول الا نبيا وقيل هما مفترقان من وجه اذ قد اجتمعا في النبوة التي هي الاطلاع على الغيب والاعلام بخواص النبوة او الرفعة لمعرفة ذلك وحوز درجتها وافترقا في زيادة الرسالة للرسول وهو الامر بالانذار والاعلام كما قلنا وحجتهم من الاية نفسها التفريق بين الاسمين ولو كانا شيئا واحدا لما حسن تكرارهما في الكلام البليغ قالوا والمعنى وما ارسلنا من نبي الى امة او نبي وليس بمرسل الى احد وقد ذهب بعضهم الى ان الرسول من جاء بشرع مبتدإ ومن لم يات به فهو نبي غير رسول وان امر بالابلاغ والانذار والصحيح والذي عليه الجماء الغفير ان كل رسول نبي وليس كل نبي رسولا واول الرسل آدم عليه السلام واخرهم محمد صلى الله عليه وسلم وفي حديث ابي ذر ان الانبياء مائة الف واربعة وعشرون الف نبي وذكر ان الرسل

منهم

منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر اولهم آدم عليه السلام فقد بان لك معنى النبوة والرسالة وليستا عند المحققين ذاتا للنبي ولا وصف ذات خلافا للكرامية في تطويل لهم وتهويل ليس عليه تعويل واما الوحي فاصله الاسراع فلما كان النبي صلى الله عليه وسلم يتلقى ما ياتيه من ربه بعجل سمي وحيا وسميت انواع الالهامات وحيا تشبيها بالوحي الى النبي وسمي الخط وحيا لسرعة حركة يد كاتبه ووحي الحاجب واللحظ سرعة اشارتهما ومنه قوله تعالى فأوحى اليهم ان سبحوا بكرة وعشيا اي اوما ورمز وقيل كتب ومنه قولهم الوحا الوحا اي السرعة السرعة وقيل اصل الوحي السر والاخفاء ومنه سمي الالهام وحيا ومنه قوله تعالى وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَى أَوْلِيَائِهِمْ اي يوسوسون في صدورهم ومنه قوله واوحينا الى ام موسى اي القى في قلبها وقد قيل ذلك في قوله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا اي ما يلقيه في قلبه دون واسطة

فصل اعلم ان معنى تسميتنا ما جاءت به الانبياء معجزة هو ان الخلق عجزوا عن الاتيان بمثلها وهي على ضربين ضرب هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه فتعجيزهم عنه فعل الله دل على صدق نبيه كصرفهم عن تمني الموت وتعجيزهم عن الاتيان بمثل القرآن على راي بعضهم ونحوه وضرب هو خارج عن قدرتهم فلم يقدروا على الاتيان بمثله كاحياء الموتى وقلب العصى حية واخراج ناقة من صخرة وكلام شجرة ونبع الماء من الاصابع وانشقاق القمر مما لا يمكن ان يفعله

احدا لا الله تعالى فيكون ذلك على يد النبي صلى الله عليه وسلم من فعل
الله تعالى وتحديه من يكذبه ان يأتي بمثله تعجيزا له واعلم ان المعجزات
التي ظهرت على يد نبينا صلى الله عليه وسلم ودلائل نبوته وبراهين صدقه
من هذين النوعين معا وهو اكثر الانبيا معجزة وابهرهم برهانا كما
سنبينه وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط فان واحدا منها وهو القرآن
لا يحصى عدد معجزاته بالف ولا الفين ولا اكثر لان النبي صلى الله عليه وسلم
قد تحدى بسورة منه فعجز عنها قال العلماء واقصر السورة انا اعطيناك
الكوثر فكل آية او آيات منه بعددها وقدرها معجزة ثم فيها نفسها معجزات
على ما سنفصله فيما انطوى عليه من المعجزات صلى الله عليه وسلم على
قسمين قسم منها علم قطعا ونقل الينا تواترا كالقرآن فلا مرية ولا
خلاف بمجيء النبي به وظهوره من قبله واستدلاله بحجته وان انكر هذا معاند
جاحد فهو كانكاره وجود محمد صلى الله عليه وسلم في الدنيا وانما جاء اعتراض
الجاحدين في الحجة به فهو في نفسه وجميع ما تضمنه من معجز معلوم ضرورة و
وجه اعجازه معلوم ضرورة ونظرا كما سنشرحه قال بعض ائمتنا
ويجري هذا المجرى على الجملة انه قد جرى على يده عليه السلام آيات وخوارق
عادات ان لم يبلغ واحد منها معينا القطع فيبلغه جميعها فلا مرية في
جريان معانيها على يديه ولا يختلف مؤمن ولا كافر انه جرت على يديه عجائب
وانما خلاف المعاند في كونها من قبل الله وقد قدمنا كونها من قبل الله تعالى
وان ذلك بمثابة قوله صدقت فقد علم وقوع مثل هذا ايضا من نبينا

صلى الله عليه وسلم ضرورة لاتفاق معانيها كما يعلم ضرورة جود
حاتم وشجاعة عنترة وحلم الاحنف لاتفاق الاخبار الواردة عن كل واحد منهم
على كرم هذا وشجاعة هذا وحلم هذا وان كان كل خبر بنفسه لا يوجب العلم ولا
يقطع بصحته

والقسم الثاني

ما لم يبلغ مبلغ الضرورة والقطع وهو على نوعين نوع مشتهر
منتشر رواه العدد الكثير وشاع الخبر به عند المحدثين والرواة و
نقلة السير والاخبار كنبع الماء من بين اصابعه وتكثير الطعام و
نوع منه اختص به الواحد والاثنان ورواه العدد اليسير ولم
يشتهر اشتهار غيره لكنه اذا جمع الى مثله اتفقا في المعنى واجتمعا
في الاتيان بالمعجز كما قدمنا قال القاضي ابو الفضل رحمه الله وانا اقول
صدعا بالحق ان كثيرا من هذه الآيات المأثورة عنه عليه الصلوة و
السلام معلومة بالقطع اما انشقاق القمر فالقرآن نص بوقوعه و
اخبر عن وجوده ولا يعدل عن ظاهره الا بدليل وجاء برفع احتماله
صحيح الاخبار من طرق كثيرة ولا يوهن عزمنا خلاف اخرق منحل عرى الدين
ولا يلتفت الى سخافة مبتدع يلقي الشك على قلوب ضعفاء المؤمنين
بل نرغم بهذا انفه وننبذ بالعراء سخفه وكذلك قصة نبع الماء
وتكثير الطعام رواها الثقات والعدد الكثير عن الجماء الغفير
عن العدد الكثير من الصحابة ومنها ما رواه الكافة عن الكافة

متصلا عمن حدث بها من جملة الصحابة واخبارهم ان ذلك كان
في موطن اجتماع الكثير منهم في يوم الخندق وفي غزوة بواط وعمرة
الحديبية وغزوة تبوك وامثالها من محافل المسلمين ومجمع العساكر
ولم يؤثر عن احد من الصحابة مخالفة للراوي فيما حكاه ولا انكار لما
ذكر عنهم انهم رأوه كما رآه فسكوت الساكت منهم كنطق الناطق
اذ هم المنزهون عن السكوت على باطل والمداهنة في كذب وليس هناك
رغبة ولا رهبة تمنعهم ولو كان ما سمعوه منكرا عندهم وغير
معروف لديهم لانكروه كما انكر بعضهم على بعض اشياء رواها من
السنن والسير وحروف القرآن وخطأ بعضهم بعضا ووهمه
في ذلك مما هو معلوم فهذا النوع كله يلحق بالقطعي من معجزاته
لما بيناه وايضا فان امثال الاخبار التي لا اصل لها وبنيت على باطل
لا بد مع مرور الازمان وتداول الناس واهل البحث من انكشاف
ضعفها وخمول ذكرها كما يشاهد في كثير من الاخبار الكاذبة و
الاراجيف الطارئة واعلام نبينا صلى الله عليه وسلم هذه
الواردة من طريق الآحاد لا تزداد مع مرور الزمان الا ظهورا
ومع تداول الفرق وكثرة طعن العدو وحرصه على توهينها
وتضعيف اصلها واجتهاد الملحد على اطفاء نورها الا قوة
وقبولا ولا للطاعن عليها الا حسرة وغليلا وكذلك اخباره عن
الغيوب وانباؤه بما يكون وكان معلوما من آياته على الجملة بالضرورة

وهذا حق

وهذا حق لا غطاء عليه وقد قال به من ائمتنا القاضي والاستاذ
ابو بكر وغيرهما رحمهم الله وعندي اوجب قول القائل ان هذه القصص
المشهورة من باب خبر الواحد لقلة مطالعته للاخبار وروايتها و
شغله بغير ذلك من المعارف والا فمن اعتنى بطرق النقل وطالع الاحاديث
والسير لم يرتب في صحة هذه القصص المشهورة على الوجه الذي ذكرناه
ولا يبعد ان يحصل العلم بالتواتر عند واحد ولا يحصل عند آخر فان اكثر
الناس يعلمون بالخبر ان كون بغداد موجودة وانها مدينة عظيمة
ودار الامامة والخلافة وآحاد من الناس لا يعلمون اسمها فضلا عن
وصفها وهكذا يعلم الفقهاء من اصحاب مالك بالضرورة وتواتر النقل
عنه ان مذهبه ايجاب قراءة ام القرآن في الصلوة للمنفرد والامام واجزاء النية
في اول ليلة من رمضان عما سواه وان الشافعي يرى تجديد النية كل ليلة
والاقتصار في المسح على بعض الرأس وان مذهبهما القصاص في القتل بالمحدد
وغيره وايجاب النية في الوضوء واشتراط الولي في النكاح وان ابا حنيفة
رحمه الله يخالفهما في هذه المسائل وغيرهم ممن لم يشتغل بمذاهبهم ولا روى
اقوالهم لا يعرف هذا من مذاهبهم فضلا عمن سواه وعند ذكرنا آحاد هذه
المعجزات نزيد الكلام فيها بيانا ان شاء الله تعالى **فصل في اعجاز القرآن**
اعلم وفقنا الله واياك ان كتاب الله العزيز منطو على وجوه من الاعجاز كثيرة
وتحصيلها من جهة ضبط انواعها في اربعة وجوه اولها حسن تأليفه والتئام
كلمه وفصاحته ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب وذلك

انهم كانوا ارباب هذا الشان وفرسان الكلام وقد خصوا من البلاغة
والحكم ما لم يخص به غيرهم من الامم واوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت انسان
ومن فصل الخطاب ما يقيد الالباب جعل الله لهم ذلك طبعا وخلقة وفيهم
غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ويدلون به الى كل سبب فيخطبون
بديها في المقامات وشديد الخطب ويرتجزون به بين الطعن والضرب ويمدحون
ويقدحون ويتوسلون ويتوصلون ويرفعون ويضعون فيأتون
من ذلك بالسحر الحلال ويطوقون من اوصافهم اجمل من سمط اللآل فيخدعون
الالباب ويذللون الصعاب ويذهبون الاحن ويهيجون الدمن ويجرئون
الجبان ويبسطون يد الجعد البنان ويصيرون الناقص كاملا ويتركون
النبيه خاملا منهم البدوي ذو اللفظ الجزل والقول الفصل والكلام
الفخم والطبع الجوهري والمنزع القوي ومنهم الحضري ذو البلاغة
البارعة والالفاظ الناصعة والكلمات الجامعة والطبع السهل والتصرف
في القول القليل الكلفة الكثير الرونق الرقيق الحاشية وكلا البابين
فلهما في البلاغة الحجة البالغة والقوة الدامغة والقدح الفالج والمهيع
الناهج لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم قد حووا
فنونها واستنبطوا عيونها ودخلوا من كل باب من ابوابها وعلوا صرحا لبلوغ
اسبابها فقالوا في الخطير والمهين وتفننوا في الغث والسمين وتقاولوا
في القل والكثر وتساجلوا في النظم والنثر فما راعهم الا رسول كريم بكتاب
عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد احكمت

اياته و

اياته وفصلت كلماته وبهرت بلاغته العقول وظهرت فصاحته على كل
مقول وتظافر ايجازه واعجازه وتظاهرت حقيقته ومجازه وتبارت في الحسن
مطالعه ومقاطعه وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه واعتدل
مع ايجازه حسن نظمه وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه وهم افسح ما
كانوا في هذا الباب مجالا واشهر في الخطابة رجالا واكثر في السجع والشعر
ارتجالا واوسع في الغريب واللغة مقالا بلغتهم التي بها يتحاورون ومنازعهم
التي عنها يتناضلون صارخا بهم في كل حين ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما
على رؤس الملأ اجمعين ام يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من
استطعتم من دون الله ان كنتم صادقين وان كنتم في ريب مما نزلنا على
عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى قوله ولن تفعلوا وقل لئن اجتمعت الانس
والجن على ان يأتوا بمثل هذا القرآن الآية وقيل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات
وذلك ان المفترى اسهل ووضع الباطل والمختلق على الاختيار اقرب و
اللفظ اذا تبع المعنى الصحيح كان اصعب ولهذا قيل فلان يكتب كما يقال له
وفلان يكتب كما يريد وللاول على الثاني فضل وبينهما شأو بعيد فلم يزل عليه
السلام يقرعهم اشد التقريع ويوبخهم غاية التوبيخ ويسفه احلامهم
ويحط اعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم واباءهم ويستبيح ارضهم
وديارهم واموالهم وهم في كل هذا ناكصون عن معارضته محجمون عن مماثلته
يخادعون انفسهم بالتشغيب بالتكذيب والاغراء بالافتراء وقولهم
ان هذا الا سحر يؤثر وسحر مستمر وافك افتراه واساطير الاولين والمباهتة

والرضى بالدنية كقولهم قلوبنا غلف وفي اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا
وقر ومن بيننا وبينك حجاب ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم
تغلبون والادعاء مع العجز بقولهم لو نشاء لقلنا مثل هذا وقد قال الله
تعالى ولن تفعلوا فما فعلوا ولا قدروا ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة
كشف عواره لجميعهم وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم
يخف على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم ولا جنس بلاغتهم بل
ولوا عنه مدبرين واتوا مذعنين من بين مهتد وبين مفتون ولهذا لما
سمع الوليد بن المغيرة من النبي صلى الله عليه وسلم ان الله يأمر بالعدل والاحسان
الاية قال والله ان له لحلاوة وان عليه لطلاوة وان اسفله لمغدق
وان اعلاه لمثمر ما يقول هذا بشر وذكر ابو عبيد رحمه الله ان اعرابيا سمع
رجلا يقرأ فاصدع بما تؤمر فسجد وقال سجدت لفصاحته وسمع آخر رجلا
يقرأ فلما استيأسوا منه خلصوا نجيا فقال اشهد ان مخلوقا لا يقدر
على مثل هذا الكلام وحكي ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يوما نائما في المسجد
فاذا هو بقائم على رأسه يتشهد شهادة الحق فاستخبره فاعلمه انه من
بطارقة الروم ممن يحسن كلام العرب وغيرها وانه سمع رجلا من اسرى
المسلمين يقرأ آية من كتابكم فتأملتها فاذا هي قد جمع فيها ما انزل الله على
عيسى بن مريم من احوال الدنيا والآخرة وهي قوله تعالى ومن يطع الله
ورسوله ويخش الله ويتقه الاية وحكى الاصمعي انه سمع كلام جارية
فقال لها قاتلك الله ما افصحك فقالت او يعد هذا فصاحة بعد

قول الله

بعد قول الله عز وجل واوحينا الى ام موسى ان ارضعيه الاية فجمع في آية
واحدة بين امرين ونهيين وخبرين وبشارتين فهذا نوع من اعجازه منفرد
بذاته غير مضاف الى غيره على التحقيق والصحيح من القولين وكون القرآن من
قبل النبي عليه السلام وانه اتى به معلوم ضرورة وكونه عليه الصلوة والسلام
متحديا به معلوم ضرورة وعجز العرب عن الاتيان به معلوم وكونه في فصاحته
خارقا للعادة معلوم ضرورة للعالم بالفصاحة ووجوه البلاغة وسبيل من
ليس باهلها علم ذلك بعجز المنكرين من اهلها عن معارضته واعتراف المقرين
واعتراف الملحدين باعجاز بلاغته وانت اذا تأملت قوله تعالى ولكم في القصاص
حيوة وقوله عز وجل ولو ترى اذ فزعوا فلا فوت واخذوا من مكان قريب
وقوله تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
وقوله سبحانه وقيل يا ارض ابلعي ماءك ويا سماء اقلعي الاية وقوله تعالى
فكلا اخذنا بذنبه فمنهم من ارسلنا عليه حاصبا الاية واشباهها من
الاي بل اكثر القرآن حققت ما بينته من ايجاز الفاظها وكثرة معانيها
وديباجة عبارتها وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها وان تحت كل لفظة
منها جملا كثيرة وفصولا جمة وعلوما زواخر ملئت الدواوين من بعض ما
استفيد منها وكثرة المقالات في المستنبطات عنها ثم هو في سرد القصص الطوال
واخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام
ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده
وتناصف وجوهه كقصة يوسف عليه السلام على طولها ثم اذا ترددت

قصصه لاختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى
في البيان صاحبتها وتناصف في الحسن وجه مقابلتها ولا نفور للنفوس
من ترديدها ولا معاداة لمعادها **فصل** الوجه الثاني من اعجازه صورة
نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاساليب كلام العرب ومناهج نظمها
ونثرها الذي جاء عليه ووقفت مقاطع آيه وانتهت فواصل كلماته اليه ولم
يوجد قبله ولا بعده نظير له ولا استطاع احد مماثلة شيء منه بل حارت
فيه عقولهم وتدلهت دونه احلامهم ولم يهتدوا الى مثله في جنس
كلامهم من نثر او نظم او سجع او رجز او شعر ولما سمع كلامه صلى الله عليه
وسلم الوليد بن المغيرة وقرأ عليه القرآن رق فجاءه ابو جهل منكرا
عليه قال والله ما منكم احد اعلم بالاشعار مني والله ما يشبه الذي
يقول شيئا من هذا وفي خبره الآخر حين جمع قريشا عند حضور الموسم
وقال ان وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيا لا يكذب بعضكم بعضا
قالوا نقول كاهن قال والله ما هو بكاهن ما هو بزمزمته ولا سجعه
قالوا مجنون قال ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته قالوا فنقول
شاعر قال ما هو بشاعر قد عرفنا الشعر كله رجزه وهزجه وقريضه و
مبسوطه ما هو بشاعر قالوا فنقول ساحر قال ما هو بساحر ولا نفثه
ولا عقده قالوا فما نقول قال ما انتم بقائلين من هذا شيئا الا وانا
اعرف انه باطل وان اقرب القول انه ساحر فانه سحر يفرق بين المرء وابنه
والمرء واخيه والمرء وزوجه والمرء وعشيرته فتفرقوا وجلسوا

على السبل

على السبل يحذرون الناس فانزل الله تعالى في الوليد ذرني ومن خلقت
وحيدا الآيات وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن يا قوم قد علمتم
اني لم اترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته والله لقد سمعت قولا
والله ما سمعت مثله قط ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة
وقال النضر بن الحارث نحوه وفي حديث اسلام ابي ذر رضي الله عنه ووصف
اخاه انيسا فقال والله ما سمعت باشعر من اخي انيس لقد ناقض اثني
عشر شاعرا في الجاهلية انا احدهم وانه انطلق الى مكة وجاء الى ابي
ذر بخبر النبي صلى الله عليه وسلم قلت فما يقول الناس قال يقولون شاعر
كاهن ساحر لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ولقد وضعته على
اقراء الشعر فلم يلتئم وما يلتئم على لسان احد بعدي انه شعر وانه لصادق
وانهم لكاذبون والاخبار في هذا صحيحة كثيرة والاعجاز بكل واحد
من النوعين الايجاز والبلاغة بذاتها والاسلوب الغريب بذاته كل واحد
منهما نوع اعجاز على التحقيق لم تقدر العرب على الاتيان بواحد خارج عن قدرتها
مباين لفصاحتها وكلامها والى هذا ذهب غير واحد من ائمة المحققين
وذهب بعض المقتدى بهم الى ان الاعجاز في مجموع البلاغة والاسلوب
واتى على ذلك بقول تمجه الاسماع وتنفر منه القلوب والصحيح ما
قدمناه والعلم بهذا كله ضرورة وقطعا ومن تفنن في علوم البلاغة
وارهف خاطره ولسانه ادب هذه الصناعة لم يخف عليه ما قلناه
وقد اختلف ائمة اهل السنة في وجه عجزهم عنه فاكثرهم يقول انه مما جمع

في قوة جزالته ونصاعة الفاظه وحسن نظمه وايجازه وبديع
تاليفه واسلوبه لا يصح ان يكون في مقدور البشر وانه من آيات الخوارق
الممتنعة عن قدر الخلق عليها كاحياء الموتى وقلب العصا وتسبيح
الحصا وذهب الشيخ ابو الحسن الى انه مما يمكن ان يدخل مثله تحت مقدور
البشر ويقدرهم الله عليه لكنه لم يكن هذا ولا يكون فمنعهم الله هذا
وعجزهم عنه وقال به جماعة من اصحابه وعلى الطريقين فعجز العرب عنه ثابت
واقامة الحجة عليهم بما يصح ان يكون في مقدورهم وتحديهم بان يأتوا
بمثله قاطع وهو ابلغ في التعجيز واحرى بالتقريع والاحتجاج بمجيء بشر
مثلهم بشيء ليس من قدرة البشر لازم وهو ابهر آية واقمع دلالة وعلى
كل حال فما اتوا في ذلك بمقال بل صبروا على الجلاء والقتل وتجرعوا
كاسات الصغار والذل وكانوا من شموخ الانف واباية الضيم بحيث
لا يؤثرون ذلك اختيارا ولا يرضونه الا اضطرارا والا فالمعارضة
لو كانت من قدرهم والشغل بها اهون عليهم واسرع بالنجح وقطع العذر
وافحام الخصم لديهم وهم ممن لهم اقتدار على الكلام وقدوة في المعرفة لجميع
الانام وما منهم الا من جهد جهده واستنفد ما عنده في اخفاء ظهوره
واطفاء نوره فما جلوا في ذلك خبيئة من بنات شفاههم ولا اتوا بنطفة
من معين مياههم مع طول الامد وكثرة العدد وتظاهر الوالد وما ولد
بل ابلسوا فما نبسوا ومنعوا فانقطعوا فهذان النوعان من اعجازه
فصل الوجه الثالث من الاعجاز ما انطوى عليه من الاخبار بالمغيبات

وما لم يكن

وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد على الوجه الذي اخبر كقوله تعالى لتدخلن
المسجد الحرام ان شاء الله آمنين وقوله وهم من بعد غلبهم سيغلبون وقوله تعالى
ليظهره على الدين كله وقوله وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا
الصالحات ليستخلفنهم الآية وقوله اذا جاء نصر الله والفتح الى آخرها
فكان جميع هذا كما قال فغلبت الروم فارس في بضع سنين ودخل
الناس في الاسلام افواجا فما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي بلاد العرب
كلها موضع لم يدخله الاسلام واستخلف المؤمنين في الارض ومكن
فيها دينهم وملكهم اياها من اقصى المشارق الى المغارب كما قال صلى
الله عليه وسلم زويت لي الارض فاريت مشارقها ومغاربها وسيبلغ
ملك امتي ما زوي لي منها وقوله انا نزلنا الذكر وانا له لحافظون
فكان كذلك لا يكاد يعد من سعى في تغييره وتبديل محكمه من الملحدة والمعطلة
لا سيما القرامطة فاجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم اليوم نيفا على خمسمائة
عام فما قدروا على اطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه ولا تشكيك
المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله ومنه قوله تعالى سيهزم الجمع
ويولون الدبر وقوله تعالى قاتلوهم يعذبهم الله بايديكم الآية وقوله
هو الذي ارسل رسوله بالهدى الآية وقوله لن يضروكم الا اذى
وان يقاتلوكم الآية فكان كل ذلك وما فيه من كشف اسرار المنافقين
واليهود ومقالهم وكذبهم في حلفهم وتقريعهم بذلك كقوله ويقولون
في انفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول وقوله يخفون في انفسهم ما لا يبدون لك الآية

وقوله من الذين هادوا سماعون للكذب الآية وقوله من الذين هادوا
يحرفون الكلم عن مواضعه الى قوله وطعنا في الدين وقد قال الله تعالى
مبديا ما قدره الله واعتقده المؤمنون يوم بدر واذ يعدكم الله
احدى الطائفتين انها لكم وتودون ان غير ذات الشوكة تكون لكم
ومنه قوله انا كفيناك المستهزئين ولما نزلت بشر النبي صلى الله
عليه وسلم بذلك اصحابه بان الله كفاه اياهم وكان المستهزؤون نفرا بمكة
ينفرون الناس عنه ويؤذونه فهلكوا وقوله والله يعصمك من
الناس فكان كذلك على كثرة من رام ضره وقصد قتله والاخبار
بذلك معروفة صحيحة **فصل** الوجه الرابع ما انبأ به من
اخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان
لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من احبار اهل الكتاب الذي قطع
عمره في تعلم ذلك فيورده النبي صلى الله عليه وسلم على وجهه ويأتي به على نصه
فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه وان مثله لم ينله بتعليم وقد
علموا انه صلى الله عليه وسلم امي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة
ولا مثافنة ولم يغب عنهم ولا جهل حاله احد منهم وقد كان اهل
الكتاب كثيرا ما يسئلونه صلى الله عليه وسلم عن هذا فينزل عليه من
القرآن ما يتلو عليهم منه ذكرا كقصص الانبياء مع قومهم وخبر موسى
والخضر عليهما السلام ويوسف واخوته عليهم السلام واصحاب الكهف
وذي القرنين ولقمان وابنه واشباه ذلك من الانباء وبدء الخلق

وما في التورية

وما في التوراة والانجيل والزبور وصحف ابراهيم وموسى عليهما السلام
مما صدقه فيه العلماء بها ولم يقدروا على تكذيب ما ذكر منها بل اذعنوا لذلك
فمن موفق آمن بما سبق له من خير ومن شقي معاند حاسد ومع هذا فلم يحك
عن احد من النصارى واليهود على شدة عداوتهم له وحرصهم على تكذيبه
وطول احتجاجه عليهم بما في كتبهم وتقريعهم بما انطوت عليه مصاحفهم
وكثرة سؤالهم له عليه الصلوة والسلام وتعنيتهم اياه عن اخبار انبيائهم
واسرار علومهم ومستودعات سيرهم واعلامه لهم بمكتوم شرائعهم و
مضمنات كتبهم مثل سؤالهم عن الروح وذي القرنين واصحاب الكهف و
عيسى عليه السلام وحكم الرجم وما حرم اسرائيل على نفسه وما حرم عليهم
من الانعام ومن طيبات كانت احلت لهم فحرمت عليهم ببغيهم وقوله تعالى
ذلك مثلهم في التوراة ومثلهم في الانجيل وغير ذلك من امورهم التي
نزل فيها القرآن فاجابهم وعرفهم بما اوحي اليه من ذلك انه انكر ذلك
او كذبه بل اكثرهم صرح بصحة نبوته وصدق مقالته واعترف بعناده
وحسده اياه كاهل نجران وابن صوريا وابني اخطب وغيرهم ومن
باهت في ذلك بعض المباهتة وادعى ان فيما عندهم من ذلك لما حكاه
مخالفة دعي الى اقامة حجته وكشف دعوته فقيل له قل فأتوا بالتوراة
فاتلوها ان كنتم صادقين الى قوله الظالمون فقرع ووبخ ودعا الى
احضار ممكن غير ممتنع فمن معترف بما جحده ومتواقح يلقي على فضيحته
من كتابه يده ولم يؤثر ان واحدا منهم اظهر خلاف قوله صلى الله عليه وسلم

من كتاب ولا ابدا صحيحا ولا سقيما من صحفه قال الله تعا يا اهل
الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب
ويعفوا عن كثير الآيتين فصل هذه الوجوه الاربعة من اعجازه
بينة لا نزاع فيها ولا مرية ومن الوجوه البينة في اعجازه من غير هذه
الوجوه آي وردت بتعجيز قوم في قضايا واعلامهم انهم لا يفعلونها
فما فعلوا ولا قدروا على ذلك كقوله تعا لليهود قل ان كانت لكم
الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس الآية قال ابو اسحق
الزجاج فهذه الآية اعظم حجة واظهر دلالة على صحة الرسالة لانه
قال لهم فتمنوا الموت واعلمهم انهم لن يتمنوه ابدا فلم يتمنه احد منهم وعن
النبي صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لا يقولها رجل منهم الا غص بريقه
يعني يموت مكانه فصرفهم الله عن تمنيه وجزعهم ليظهر صدق رسوله
وصحة ما اوحى اليه اذ لم يتمنه احد منهم وكانوا على تكذيبه احرص لو قدروا
ولكن الله يفعل ما يريد فظهرت بذلك معجزته وبانت حجته قال ابو محمد
الاصيلي من اعجب امرهم انه لا يوجد منهم جماعة ولا واحد من يوم امر الله بذلك
نبيه يقدم عليه ولا يجيب اليه وهذا موجود مشاهد لمن اراد ان يمتحنه
منهم وكذلك آية المباهلة من هذا المعنى حيث وفد عليه اساقفة نجران
وابوا الاسلام فانزل الله تعا عليه آية المباهلة بقوله فمن حاجك فيه
الآية فامتنعوا منها ورضوا باداء الجزية وذلك ان العاقب عظيمهم قال
لهم قد علمتم انه نبي وانه ما لاعن قوما نبي قط فبقي كبيرهم ولا صغيرهم ومثله

قوله تعا

قوله تعا وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا الى قوله فان لم تفعلوا
ولن تفعلوا فاخبرهم انهم لا يفعلون كما كان وهذه الآية ادخل
في باب الاخبار عن الغيب ولكن فيها من التعجيز ما في التي قبلها فصل
ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه واسماعهم عند سماعه والهيبة التي
تعتريهم عند تلاوته لقوة حاله وانافة خطره وهي على المكذبين به
اعظم حتى كانوا يستثقلون سماعه ويزيدهم نفورا كما قال تعا ويودون
انقطاعه لكراهتهم له ولهذا قال عليه السلام ان القرآن صعب مستصعب
على من كرهه وهو الحكم واما المؤمن فلا تزال روعته به وهيبته اياه
مع تلاوته توليه انجذابا وتكسبه هشاشة لميل قلبه اليه وتصديقه به
قال الله تعا تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَ
قُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وقال لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ الآية ويدل على ان
هذا شيء خص به انه يعتري من لا يفهم معانيه ولا يعلم تفاسيره كما روي
عن نصراني انه مر بقارئ فوقف يبكي فقيل له مم بكيت قال للشجى والنظم
وهذه الروعة قد اعترت جماعة قبل الاسلام وبعده فمنهم من اسلم لها
لاول وهلة وآمن به ومنهم من كفر فحكي في الصحيح عن جبير بن مطعم قال
سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ام
خلقوا من غير شيء ام هم الخالقون الى قوله المصيطرون كاد قلبي ان يطير
وفي رواية وذلك اول ما وقر الايمان في قلبي وعن عتبة بن ربيعة انه
كلم النبي صلى الله عليه وسلم فيما جاء به من خلاف قومه فتلى عليهم فصلت

الى قوله فانذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود فامسك
عتبة بيده على فيه وناشده الرحم ان يكف وفى رواية فجعل النبى
صلى الله عليه وسلم يقرأ وعتبة مصغ ملق بيديه خلف ظهره معتمدا
عليهما حتى انتهى الى السجدة فسجد النبى صلى الله عليه وسلم وقام عتبة
لا يدرى بما يراجعه ورجع الى اهله ولم يخرج الى قومه حتى اتوه فاعتذر
لهم وقال والله لقد كلمنى بكلام والله ما سمعت اذناى بمثله قط
فما دريت ما اقول له وقد حكى عن غير واحد ممن رام معارضته انه
اعترته روعة وهيبة كف بها عن ذلك فحكى ان ابن المقفع طلب
ذلك ورامه وشرع فيه فمر بصبى يقرأ وقيل يا ارض ابلعى ماءك
ويا سماء اقلعى فرجع ومحى ما عمل وقال اشهد ان هذا لا يعارض
وما هو من كلام البشر وكان من افصح اهل وقته وكان يحيى بن حكم
الغزال البليغ الاندلسى فى زمنه فحكى انه رام شيئا من هذا فنظر
فى سورة الاخلاص ليحذو على مثالها وينسج بزعمه على منوالها قال
فاعترتنى خشية ورقة حملتنى على التوبة والانابة فصل ومن
وجوه اعجازه المعدودة كونه آية باقية لا تعدم ما بقيت الدنيا
مع تكفل الله تعالى بحفظه فقال انا نحن نزلنا الذكر وانا له
لحافظون وقال لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه الآية
وسائر معجزات الانبياء عليهم السلام انقضت بانقضاء اوقاتها
فلم يبق الا خبرها والقرآن العزيز الباهرة اياته الظاهرة

معجزاته

معجزاته على ما كان عليه اليوم مدة خمسمائة عام وخمس وثلاثين
سنة لاول نزوله الى وقتنا هذا حجته قاهرة ومعارضته ممتنعة
والاعصار كلها طافحة باهل البيان وحملة علم اللسان وائمة البلاغة
وفرسان الكلام وجهابذة البراعة والملحد فيهم كثير والمعادى
للشرع عتيد فما منهم من اتى بشىء يؤثر فى معارضته ولا الف كلمتين
فى مناقضته ولا قدر فيه على مطعن صحيح ولا قدح المتكلف من ذهنه
فى ذلك الا بزند شحيح بل المأثور عن كل من رام ذلك القاؤه فى العجز
بيديه والنكوص على عقبيه فصل وقد عد جماعة من الائمة و
مقلدى الامة فى اعجازه وجوها كثيرة منها ان قارئه لا يمله وسامعه
لا يمجه بل الاكباب على تلاوته يزيده حلاوة وترديده يوجب له محبة
لا يزال غضا طريا وغيره من الكلام ولو بلغ فى الحسن والبلاغة
مبلغه يمل مع الترديد ويعادى اذا اعيد وكتابنا يستلذ به فى الخلوات
ويؤنس بتلاوته فى الازمات وسواه من الكتب لا يوجد فيها ذلك حتى
احدث اصحابها لها لحونا وطرقا يستجلبون بتلك اللحون تنشيطهم على
قراءتها ولهذا وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن بانه لا يخلق على
كثرة الرد ولا تنقضى عبره ولا تفنى عجائبه هو الفصل ليس بالهزل
لا يشبع منه العلماء ولا تزيغ به الاهواء ولا تلتبس به الالسنة هو الذى
لم تنته الجن حين سمعته ان قالوا انا سمعنا قرآنا عجبا يهدى الى الرشد
ومنها جمعه العلوم ومعارف لم تعهد العرب عامة ولا محمد صلى الله

عليه وسلم قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ولا يحيط بها احد من علماء
الامم ولا يشتمل عليها كتاب من كتبهم فجمع فيه من بيان علم الشرايع والتنبيه
على طرق الحجج العقليات والرد على فرق الامم ببراهين قوية وادلة بينة
سهلة الالفاظ موجزة المقاصد رام المتحذلقون بعد ان ينصبوا
ادلة مثلها فلم يقدروا عليها كقوله تعالى أوليس الذي خلق السموات
والارض بقادر على ان يخلق مثلهم ، وقل يحييها الذي انشأها اول
مرة ، ولو كان فيهما آلهة الا الله لفسدتا الى ما حواه من علوم السير
وانباء الامم والمواعظ والحكم واخبار الدار الاخرة ومحاسن الاداب
والشيم قال الله جل اسمه ما فرطنا في الكتاب من شيء ، ونزلنا عليك
الكتاب تبيانا لكل شيء ، ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من
كل مثل وقال عليه السلام ان الله انزل هذا القرآن آمرا وزاجرا وسنة
خالية ومثلا مضروبا فيه نبأكم وخبر ما كان قبلكم ونبأ ما بعدكم
وحكم ما بينكم لا يخلقه طول الرد ولا تنقضي عجائبه هو الحق ليس
بالهزل من قال به صدق ومن حكم به عدل ومن خاصم به فلج ومن قسم به
اقسط ومن عمل به اجر ومن تمسك به هدي الى صراط مستقيم ومن طلب
الهدى من غيره اضله الله ومن حكم بغيره قصمه الله هو الذكر الحكيم
النور المبين والصراط المستقيم وحبل الله المتين والشفاء النافع
عصمة لمن تمسك به ونجاة لمن اتبعه لا يعوج فيقوم ولا يزيغ فيستعتب
ولا تنقضي عجائبه ولا يخلق على كثرة الرد ونحوه عن ابن مسعود رضي الله عنه

وقال

وقال فيه ولا يختلف ولا يتشان فيه نبأ الاولين والاخرين وفي
الحديث قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اني منزل عليك توراة حديثة
تفتح بها اعينا عميا واذانا صما وقلوبا غلفا فيها ينابيع العلم وفهم الحكمة
وربيع القلوب وعن كعب عليكم بالقرآن فانه فهم العقول ونور الحكمة
وقال تعالى ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل اكثر الذي هم فيه يختلفون
وقال تعالى هذا بيان للناس وهدى الاية فجمع فيه مع وجازة الفاظه
وجوامع كلمه اضعاف ما في الكتب قبله التي الفاظها على الضعف منه
مرات ومنها جمعه فيه بين الدليل والمدلول وذلك انه احتج بنظم القرآن
وحسن وصفه وايجازه وبلاغته واثناء هذه البلاغة امره ونهيه و
وعده ووعيده فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معا من
كلام واحد وسورة منفردة ومنها ان جعله في حيز المنظوم الذي
لم يعهد ولم يكن في حيز المنثور لان المنظوم اسهل على النفوس واوعى
للقلوب واسمع في الاذان واحلى على الافهام فالناس اليه اميل والاهواء
اليه اسرع ومنها تيسيره تعالى حفظه لمتعلميه وتقريبه على متحفظيه
قال الله تعالى ولقد يسرنا القرآن للذكر وسائر الامم لا يحفظ كتبها الواحد
منهم فكيف الجماء على مرور السنين عليهم والقرآن ميسر حفظه للغلمان
في اقرب مدة ومنها مشاكلة بعض اجزائه بعضا وحسن ايتلاف انواعها و
التئام اقسامها وحسن التخلص من قصة الى اخرى والخروج من باب الى
غيره على اختلاف معانيه وانقسام السورة الواحدة على امر ونهي وخبر واستخبار

ووعدٍ ووعيدٍ واثباتِ نبوةٍ وتوحيدٍ وتفريدٍ وترغيبٍ وترهيبٍ
الى غير ذلك من فوائده دون خلل تخلل فصوله والكلام الفصيح
اذا اعتوره مثل هذا ضعفت قوته ولانت جزالته وقل رونقه و
تقلقلت الفاظه فتأمل اول ص وما جمع فيها من اخبار الكفار
وشقاقهم وتقريعهم باهلاك القرون من قبلهم وما ذكر من تكذيبهم
لمحمد صلى الله عليه وسلم وتعجبهم مما اتى به والخبر عن اجتماع ملائهم على
الكفر وما ظهر من الحسد في كلامهم وتعجيزهم وتوهينهم ووعيدهم
بخزي الدنيا والآخرة وتكذيب الامم قبلهم واهلاك الله لهم ووعيد
هؤلاء مثل مصابهم وتصبير النبي صلى الله عليه وسلم على اذاهم وتسليته
بكل ما تقدم ذكره ثم اخذ في ذكر داود وقصص الانبياء كل هذا
في اوجز كلام واحسن نظام ومنه الجملة الكثيرة التي انطوت عليها
الكلمات القليلة وهذا كله وكثير مما ذكرنا انه ذكر في اعجاز القرآن
الى وجوه كثيرة ذكرها الائمة لم نذكرها اكثرها داخل في باب بلاغته
فلا يجب ان يعد فنا منفردا في اعجازه الا في باب تفصيل فنون البلاغة
وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم يعد في خواصه وفضائله لا اعجازه
وحقيقة الاعجاز الوجوه الاربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها وما
بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي والله ولي التوفيق

فصل في انشقاق القمر وحبس الشمس

قال الله تعالى اقتربت
الساعة وانشق القمر وان يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر

اخبر تبارك

اخبر تبارك وتعالى بوقوع انشقاقه بلفظ الماضي واعراض الكفرة
عن آيته واجمع المفسرون واهل السنة على وقوعه اخبرنا الحسين
بن محمد الحافظ من كتابه ثنا القاضي سراج بن عبد الله ثنا الاصيلي ثنا
المروزي ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا مسدد ثنا يحيى عن شعبة
وسفيان عن الاعمش عن ابراهيم عن ابي معمر عن ابن مسعود رضي الله عنه
قال انشق القمر على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فرقتين فرقة فوق
الجبل وفرقة دونه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اشهدوا و
في رواية مجاهد ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وفي طرق الاعمش
ونحن بمنى ورواه ايضا عن ابن مسعود الاسود وقال حتى رأيت
الجبل بين فرجتي القمر ورواه عنه مسروق انه كان بمكة وزاد فقال
كفار قريش سحركم ابن ابي كبشة فقال رجل منهم ان محمدا ان كان سحر
القمر فانه لا يبلغ من سحره ان يسحر الارض كلها فاسألوا من يأتيكم من
بلد آخر هل رأوا هذا فأتوا فاسألوهم فاخبروهم انهم رأوا مثل ذلك
وحكى السمرقندي عن الضحاك نحوه وقال فقال ابو جهل هذا سحر فابعثوا
الى اهل الآفاق حتى تنظروا أرأوا ذلك ام لا فاخبر اهل الآفاق انهم رأوه
منشقا فقالوا يعني الكفار هذا سحر مستمر ورواه ايضا عن ابن مسعود
علقمة فهؤلاء اربعة عن عبد الله وقد رواه غير ابن مسعود كما رواه
ابن مسعود منهم انس وابن عباس رضي الله عنهم وابن عمر وحذيفة و
علي وجبير بن مطعم رضي الله عنهم فقال علي من رواية ابي حذيفة الارحبي

انشق القمر ونحن مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن انس رضي الله عنه سأل اهل
مكة النبي صلى الله عليه وسلم ان يريهم آية فاراهم انشقاق القمر مرتين حتى
راوا حراء بينهما رواه عن انس قتادة وفي رواية معمر وغيره عن قتادة
عنه اراهم القمر مرتين انشقاقه فنزلت اقتربت الساعة ورواه عن
جبير بن مطعم ابنه محمد وابن ابنه جبير بن محمد ورواه عن ابن عباس عبيد
الله بن عبد الله بن عتبة ورواه عن ابن عمر مجاهد ورواه عن حذيفة
ابو عبد الرحمن السلمي ومسلم بن ابي عمران الازدي رضي الله عنهم واكثر طرق
هذه الاحاديث صحيحة والآية مصرحة ولا يلتفت الى اعتراض مخذول بانه لو
كان هذا لم يخف على اهل الارض اذ هو شيء ظاهر لجميعهم اذ لم ينقل لنا عن اهل
الارض انهم رصدوه تلك الليلة فلم يروه انشق ولو نقل الينا عمن
لا يجوز تمالؤهم لكثرتهم على الكذب لما كانت علينا به حجة اذ ليس القمر في
حد واحد لجميع اهل الارض فقد يطلع على قوم قبل ان يطلع على الآخرين و
قد يكون من قوم بضد ما هو من مقابليهم من اقطار الارض او يحول بين
قوم وبينه سحاب او جبال ولهذا نجد الكسوفات في بعض البلاد دون
بعض وفي بعضها جزئية وفي بعضها كلية وفي بعضها لا يعرفها الا
المدعون لعلمها ذلك تقدير العزيز العليم وآية القمر كانت ليلا والعادة من
الناس بالليل الهدو والسكون وايجاف الابواب وقطع التصرف ولا يكاد
يعرف من امور السماء شيئا الا من رصد ذلك واهتبل به ولذلك ما يكون
الكسوف القمري كثيرا في البلاد واكثرهم لا يعلم به حتى يخبر وكثيرا ما يحدث

الثقات

الثقات بعجائب يشاهدونها من انوار ونجوم طوالع عظام تظهر
في الاحيان بالليل في السماء ولا علم لاحد بها وخرج الطحاوي في مشكل
الحديث عن اسماء بنت عميس من طريقين ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يوحى
اليه وراسه في حجر علي فلم يصل العصر حتى غربت الشمس فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم اصليت يا علي قال لا فقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم اللهم انه كان في طاعتك وطاعة رسولك
فاردد عليه الشمس قالت اسماء فرايتها غربت ثم رايتها طلعت
بعد ما غربت ووقفت على الجبال والارض وذلك بالصهباء في
خيبر قال وهذان الحديثان ثابتان ورواتهما ثقات وحكى الطحاوي
ان احمد بن صالح كان يقول لا ينبغي لمن سبيله العلم التخلف عن
حفظ حديث اسماء لانه من علامات النبوة وروى يونس بن بكير في
زيادة المغازي روايته عن ابن اسحق لما اسري برسول الله صلى الله
عليه وسلم واخبر قومه بالرفقة والعلامة التي في العير قالوا متى تجيء
قال يوم الاربعاء فلما كان ذلك اليوم اشرفت قريش ينظرون
وقد ولى النهار ولم تجئ فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فزيد له في النهار ساعة وحبست عليه الشمس **فصل** في نبع
الماء من بين اصابعه وتكثيره ببركته صلى الله عليه وسلم اما الاحاديث
في هذا كثيرة جدا روى حديث نبع الماء من بين اصابعه عليه
السلام جماعة من الصحابة منهم انس وجابر وابن مسعود رضي الله عنهم

ثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقراتي عليه ثنا القاضي عيسى بن
سهل ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو عمر بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله
ثنا يحيى ثنا مالك عن اسحق بن عبد الله بن ابي طلحة عن انس بن مالك رأيت
رسول الله صلى الله عليه وسلم وحانت صلوة العصر فالتمس الناس الوضوء فلم
يجدوه فاتي رسول الله صلى الله عليه وسلم بوضوء فوضع رسول الله
صلى الله عليه وسلم في ذلك الاناء يده وامر الناس ان يتوضؤا منه قال فرأيت
الماء ينبع من بين اصابعه فتوضأ الناس حتى توضؤا من عند اخرهم
ورواه ايضا عن انس قتادة وقال باناء فيه ماء يغمر اصابعه او لا يكاد
يغمر قال كم كنتم قال زهاء ثلاث مائة وفي رواية عنه وهم بالزوراء عند السوق
ورواه ايضا حميد وثابت والحسن عن انس وفي رواية حميد قلت
كم كانوا قال ثمانين ونحوه عن ثابت عنه وعنه ايضا وهم نحو من سبعين
رجلا واما ابن مسعود رضي الله عنه ففي الصحيح عنه من رواية علقمة بينما
نحن مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس معنا ماء فقال لنا رسول الله صلى
الله عليه وسلم اطلبوا من معه فضل ماء فاتي بماء فصبه في اناء ثم
وضع كفه فيه فجعل الماء ينبع من بين اصابع رسول الله صلى الله عليه
وسلم وفي الصحيح عن سالم بن ابي الجعد عن جابر رضي الله عنهما عطش
الناس يوم الحديبية ورسول الله صلى الله عليه وسلم بين يديه ركوة
فتوضأ منها واقبل الناس نحوه وقالوا ليس عندنا ماء الا ما في ركوتك
فوضع النبي صلى الله عليه وسلم يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين اصابعه

كامثال

كامثال العيون وفيه فقلت كم كنتم قال لو كنا مائة الف لكفانا كنا
خمس عشرة مائة وروى مثله عن انس عن جابر رضي الله عنهما وفيه انه
كان بالحديبية وفي رواية الوليد بن عبادة بن الصامت عنه في حديث مسلم
الطويل في ذكر غزوة بواط قال قال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم يا جابر ناد
بالوضوء وذكر الحديث بطوله وانا لم نجد الا قطرة في عزلاء شجب فاتي به النبي
صلى الله عليه وسلم فغمزه وتكلم بشيء لا ادري ما هو وقال ناد بجفنة الركب
فاتيت بها فوضعتها بين يديه وذكر ان النبي صلى الله عليه وسلم بسط يده
في الجفنة وفرق اصابعه وصب جابر عليه وقال بسم الله كما امر قال
فرأيت الماء يفور من بين اصابعه ثم فارت الجفنة واستدارت حتى امتلأت
وامر الناس بالاستقاء فاستقوا حتى رووا فقلت هل بقي احد له حاجة
فرفع رسول الله صلى الله عليه وسلم يده من الجفنة وهي ملأى وعن الشعبي
اتي النبي صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره باداوة ماء وقيل ما معنا يا رسول
الله ماء غيرها فسكبها في ركوة ووضع اصبعه وسطها وغمسها في
الماء وجعل الناس يجيئون ويتوضؤن ويقومون قال الترمذي و
في الباب عن عمران بن حصين ومثل هذا في هذه المواطن الحفلة والجموع
الكثيرة لا تتطرق التهمة الى المحدث به لانهم كانوا اسرع شيء الى تكذيبه
لما جبلت عليه النفس من ذلك ولانهم كانوا ممن لا يسكت على باطل فهؤلاء قد
رووا هذا واشاعوه ونسبوا حضور الجماء الغفير له ولم ينكر احد
من الناس عليهم ما حدثوا به عنهم انهم فعلوه وشاهدوه

فصار كتصديق جميعهم له فصل ومما يشبه هذا من معجزاته تفجير
الماء ببركته وانبعاثه بمسه ودعوته فيما رواه مالك في الموطأ عن
معاذ بن جبل رضي الله عنه في قصة غزوة تبوك وانهم وردوا العين وهي
تبض بشيء من ماء مثل الشراك فغرفوا من العين بايديهم حتى اجتمع
في شيء ثم غسل رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه وجهه ويديه واعاده
فيها فجرت بماء كثير فاستقى الناس قال في حديث ابن اسحق فانخرق من
الماء ما له حس كحس الصواعق ثم قال يوشك يا معاذ ان طالت
بك حيوة ان ترى ما هنا قد ملئ جنانا وفي حديث البراء وسلمة بن الاكوع
وحديثه اتم في قصة الحديبية وهم اربع عشرة مائة وبئرها لا
تروي خمسين شاة فنزحناها فلم نترك فيها قطرة فقعد رسول الله
صلى الله عليه وسلم على جباها قال البراء واتي بدلو منها فبصق فدعا
وقال سلمة فاما دعا واما بصق فيها فجاشت فارووا انفسهم و
ركابهم وفي غير هذه الروايتين في هذه القصة من طريق ابن شهاب
في الحديبية فاخرج سهما من كنانته فوضع في قعر قليب ليس فيه ماء
فروى الناس حتى ضربوا بعطن وعن ابي قتادة رضي الله عنه وذكر
ان الناس شكوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم العطش في بعض اسفاره
فدعا بالميضاة فجعلها في ضبنه ثم التقم فمها فالله تعالى اعلم نفث فيها
ام لا فشرب الناس حتى رووا وملئوا كل اناء معهم فخيل الي انها كما اخذها
مني وكانوا اثنين وسبعين رجلا وروى مثله عمران بن حصين وذكر

الطبري

الطبري حديث ابي قتادة على غير ما ذكره اهل الصحيح وان النبي صلى الله
عليه وسلم خرج بهم ممدا لاهل مؤتة عند ما بلغه قتل الامراء وذكر حديثا
طويلا فيه معجزات وآيات للنبي صلى الله عليه وسلم وفيه اعلامهم انهم يفقدون
الماء في غد وذكر حديث الميضاة قال والقوم زهاء ثلثمائة وفي كتاب مسلم
انه قال لابي قتادة احفظ علي ميضاتك فانه سيكون لها نبأ وذكر نحوه
ومن ذلك حديث عمران بن حصين حين اصاب النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه عطش
في بعض اسفاره فوجه رجلين من اصحابه واعلمهما انهما يجدان امرأة بمكان كذا
معها بعير عليه مزادتان الحديث فوجداها واتيا بها الى النبي صلى الله عليه وسلم فجعل
في اناء من مزادتيها وقال فيه ما شاء الله ان يقول ثم اعاد الماء في المزادتين
ثم فتحت عزاليهما وامر الناس فملؤا اسقيتهم حتى لم يدعوا شيئا الا ملؤه
قال عمران ويخيل الي انهما لم تزدادا الا امتلاء ثم امر فجمع للمرأة من الازواد
حتى ملأت ثوبها وقال اذهبي فانا لم ناخذ من مائك شيئا ولكن الله سقانا
الحديث بطوله وعن سلمة بن الاكوع قال النبي صلى الله عليه وسلم هل من وضوء
فجاء رجل باداوة فيها نطفة فافرغها في قدح فتوضأنا كلنا ندغفقه اربع
عشرة مائة وفي حديث عمر رضي الله عنه في جيش العسرة وذكر ما اصابهم
من العطش حتى ان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه فرغب ابو بكر رضي
الله عنه الى النبي صلى الله عليه وسلم في الدعاء فرفع يديه فلم يرجعهما حتى
قالت السماء فانسكبت فملؤا ما معهم من آنية ولم تجاوز العسكر و
عن عمرو بن شعيب ان ابا طالب قال للنبي صلى الله عليه وسلم وهو رديفه بذي

المجاز

روايت ووصيفه

عطشت وليسعنكم ماء فنزل النبي صلى الله عليه وسلم وضرب بقدمه الارض
فخرج الماء فقال اشربوا والحديث في هذا الباب كثير ومنه الاجابة بدعاء
الاستسقاء وما جانسه فصل ومن معجزاته صلى الله عليه وسلم تكثير
الطعام ببركته ودعائه قال حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا
العذري ثنا الرازي ثنا الجلودي ثنا ابن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج
ثنا سلمة بن شبيب ثنا الحسن بن اعين ثنا معقل عن ابي الزبير عن جابر رضي
الله عنه ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم يستطعمه فاطعمه شطر وسق
شعير فما زال ياكل منه وامرأته وضيفه حتى كاله فاتى النبي صلى الله عليه وسلم
فاخبره فقال لو لم تكله لاكلتم منه ولقام بكم ومن ذلك حديث ابي طلحة
المشهور واطعامه صلى الله عليه وسلم ثمانين او سبعين رجلا من اقراص
من شعير جاء بها انس تحت يده اي ابطه فامر بها ففتت وقال فيها ما
شاء الله ان يقول وحديث جابر رضي الله عنه في اطعامه صلى الله عليه وسلم
يوم الخندق الف رجل من صاع شعير وعناق وقال جابر فاقسم بالله
لاكلوا حتى تركوه وانحرفوا وان برمتنا لتغط كما هي وان عجيننا ليخبز
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق في العجين والبرمة وبارك رواه
عن جابر سعيد بن ميناء وايمن وعن ثابت رضي الله عنه مثله عن رجل من الانصار
وامرأته ولم يسمهما قال وجيء بمثل الكف فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
يبسطها في الاناء ويقول ما شاء الله فاكل منه من في البيت والحجرة والدار
وكان ذلك قد امتلأ ممن قدم معه صلى الله عليه وسلم لذلك وبقي بعد ما

شبعوا

ما شبعوا مثل ما كان في الاناء وحديث ابي ايوب انه صنع لرسول
الله صلى الله عليه وسلم ولابي بكر من الطعام زهاء ما يكفيهما فقال
له النبي عليه السلام ادع ثلثين من اشراف الانصار فدعاهم فاكلوا
حتى تركوا ثم قال ادع ستين فكان مثل ذلك ثم قال ادع سبعين
فاكلوا حتى تركوه وما خرج منهم احد حتى اسلم وبايع قال ابو ايوب فاكل
من طعامي مائة وثمانون رجلا وعن سمرة بن جندب اتي النبي صلى الله عليه
وسلم بقصعة فيها لحم فتعاقبوها من غدوة حتى الليل يقوم قوم ويقعد
آخرون ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي بكر كنا مع النبي صلى الله عليه وسلم
ثلثين ومائة وذكر في الحديث انه عجن صاع من طعام وصنعت شاة
فشوي سواد بطنها قال وايم الله ما من الثلثين ومائة الا وقد حز له
حزة من سواد بطنها ثم جعل منها قصعتين فاكلنا اجمعون وفضل في
القصعتين فحملته على البعير ومن ذلك حديث عبد الرحمن بن ابي عمرة
الانصاري عن ابيه ومثله عن سلمة بن الاكوع وابي هريرة وعمر بن الخطاب
رضي الله عنهم فذكروا مخمصة اصابت الناس مع النبي صلى الله عليه وسلم في
بعض مغازيه فدعا ببقية الازواد فجاء الرجل بالحثية من الطعام و
فوق ذلك واعلاهم الذي اتى بالصاع من التمر فجمعه على نطع قال سلمة
فحزرته كربضة العنز ثم دعا الناس باوعيتهم فما بقي في الجيش وعاء الا
ملؤوه وبقي منه قدر ما جعل واكثر ولو ورده اهل الارض لكفاهم
وعن ابي هريرة رضي الله عنه امرني النبي صلى الله عليه وسلم ان ادعو له اهل

الصفة

فتتبعتهم حتى جمعتهم ثم وضعت بين ايدينا صحفة فاكلنا منها ما شئنا و
فرغنا وهي مثلها حين وضعت الا ان فيها اثر الاصابع وعن علي بن ابي طالب
رضي الله عنه جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بني عبد المطلب وكانوا اربعين
منهم قوم ياكلون الجذعة ويشربون الفرق فصنع لهم مدا من الطعام
فاكلوا حتى شبعوا وبقي كما هو ثم دعا بعس فشربوا حتى رووا وبقي كانه
لم يشرب وقال انس رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم حين ابتنى بزينب
امره ان يدعو له قوما سماهم وكل من لقيت حتى امتلأ البيت والحجرة
فقدم لهم تورا فيه قدر مد من تمر جعل حيسا فوضعه قدامه وغمس ثلث
اصابعه وجعل القوم يتغدون ويخرجون وبقي التور نحوا مما كان
وكانوا احدا واثنين وسبعين وفي رواية اخرى في هذه القصة او
مثلها ان القوم كانوا زهاء ثلاث ماية وانهم اكلوا حتى شبعوا و
قال لي ارفع فرفعت فلا ادري حين وضعت كان اكثر ام حين رفعت
وفي حديث جعفر بن محمد عن ابيه عن علي رضي الله عنهم ان فاطمة رضي
الله عنها طبخت قدرا لغدائها ووجهت عليا الى النبي صلى الله عليه وسلم
ليتغدى معهما فامرها فغرفت منها لجميع نسائه صحفة صحفة
ثم غرفت له عليه السلام ولعلي ثم لها ثم رفعت القدر وانها لتفيض
قالت فاكلنا منها ما شاء الله وامر عمر بن الخطاب رضي الله عنه ان يزود
اربعماية راكب من احمس فقال يا رسول الله ما هي الا اصوع قال اذهب
فذهب فزودهم منه وكان قدر الفصيل الرابض من التمر وبقي بحاله

من رواية

من رواية دكين الاحمسي ومن رواية جرير ومثله من رواية النعمان
بن مقرن الخبر بعينه الا انه قال اربعماية راكب من مزينة ومن ذلك
حديث جابر في دين ابيه بعد موته وقد كان بذل لغرماء ابيه اصل ماله
فلم يقبلوه ولم يكن في ثمرها سنين كفاف دينهم فجاءه النبي صلى الله
عليه وسلم بعد ان امره بجدها وجعلها بيادر في اصولها فمشى فيها ودعا
فاوفى منه جابر غرماء ابيه وفضل مثل ما كانوا يجدون في كل سنة
وفي رواية مثل ما اعطاهم قال وكان الغرماء يهود فعجبوا من ذلك
وقال ابو هريرة رضي الله عنه اصاب الناس مخمصة فقال لي رسول الله
صلى الله عليه وسلم هل من شيء قلت نعم شيء من التمر في المزود قال فاتني
فادخل يده فاخرج قبضة فبسطها ودعا بالبركة ثم قال ادع عشرة
فاكلوا حتى شبعوا ثم عشرة كذلك حتى اطعم الجيش كلهم وشبعوا
وقال خذ ما جئت به وادخل يدك واقبض منه ولا تكبه فقبضت
على اكثر ما جئت به فاكلت منه واطعمت حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وابي بكر وعمر الى ان قتل عثمان رضي الله عنهم فانتهب مني فذهب وفي رواية
لقد حملت من ذلك التمر كذا وكذا من وسق في سبيل الله وذكرت
مثل هذه الحكاية في غزوة تبوك وان التمر كان بضع عشرة تمرة ومنه
ايضا حديث ابي هريرة رضي الله عنه حين اصابه الجوع فاستتبعه النبي صلى
الله عليه وسلم فوجد لبنا في قدح قد اهدي اليه وامره ان يدعو اهل
الصفة قال فقلت ما هذا اللبن فيهم كنت احق ان اصيب منه شربة اتقوى بها

فدعوتهم وذكر امر النبي صلى الله عليه وسلم له ان يسقيهم فجعلت اعطي الرجل
فيشرب حتى يروى ثم ياخذه الاخر حتى روي جميعهم قال فاخذ النبي صلى الله
عليه وسلم القدح وقال بقيت انا وانت اقعد فاشرب فشربت ثم قال اشرب
وماز ال يقولها واشرب حتى قلت لا والذي بعثك بالحق ما اجد له
مسلكا فاخذ القدح فحمد الله وسمى وشرب الفضلة وفي حديث
خالد بن عبد العزى رضي الله عنه انه اجزر النبي صلى الله عليه وسلم شاة و
كان عيال خالد كثيرا يذبح الشاة فلا تبد عيالة عظما عظما و
ان النبي صلى الله عليه وسلم اكل من هذه الشاة وجعل فضلتها في دلو خالد
ودعا له بالبركة فنثر ذلك لعياله فاكلوا وافضلوا ذكر خبره الدولابي
ومن حديث الاجري في انكاح النبي صلى الله عليه وسلم لعلي فاطمة رضي الله عنهما
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بلالا بقصعة من اربعة امداد او خمسة و
ذبح جزورا الوليمتها قال فاتيته بذلك فطعن في راسها ثم ادخل الناس
رفقة رفقة ياكلون منها حتى فرغوا وبقيت منها فضلة فبرك
فيها وامر بحملها الى ازواجه وقال كلن واطعمن من غشيكن وفي
حديث انس رضي الله عنه تزوج النبي صلى الله عليه وسلم فصنعت امي ام سليم حيسا
فجعلته في تور فذهبت به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ضعه
وادع لي فلانا وفلانا ومن لقيت فدعوتهم ولم ادع احدا لقيته
الا دعوته وذكروا انهم كانوا زهاء ثلثمائة حتى ملؤا الصفة والحجرة
فقال لهم النبي صلى الله عليه وسلم تحلقوا عشرة عشرة ووضع النبي صلى الله عليه وسلم

يده على

يده على الطعام فدعا فيه وقال ما شاء الله ان يقول فاكلوا حتى
شبعوا كلهم فقال لي ارفع فما ادري حين وضعت كان اكثر ام حين
رفعت واكثر احاديث هذه الفصول الثلثة في الصحيح واقل ما اجتمع على
معنى حديث هذا الفصل بضعة عشر من الصحابة رضي الله عنهم رواه عنهم
اضعافهم من التابعين ثم من لا يعد بعدهم واكثرها في قصص مشهورة
ومجامع مشهودة لا يمكن التحدث عنها الا بالحق ولا يسكت الحاضر
لها ما انكر فصل في كلام الشجر وشهادتها له بالنبوة واجابتها
دعوته صلى الله عليه وسلم حدثنا احمد بن محمد بن غلبون الشيخ
الصالح فيما اجازنيه عن ابي عمر الطلمنكي عن ابي بكر بن المهندس
عن ابي القاسم البغوي ثنا احمد بن عمران الاخنسي ثنا ابو حيان التيمي
وكان صدوقا عن مجاهد عن ابن عمر قال كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم
في سفر فدنا منه اعرابي فقال له صلى الله عليه وسلم يا اعرابي اين تريد
قال الى اهلي قال هل لك الى خير قال وما هو قال تشهد ان لا اله الا الله
وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله قال من يشهد لك على
ما تقول قال هذه الشجرة السمرة وهي بشاطئ الوادي فادعها فانها تجيبك
قال فدعوتها فاقبلت تخد الارض حتى قامت بين يديه فاستشهدها
ثلاثا فشهدت انه كما قال ثم رجعت الى مكانها وعن بريدة رضي الله عنه سال
اعرابي النبي صلى الله عليه وسلم اية فقال له قل لتلك الشجرة رسول الله يدعوك
قال فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين يديها وخلفها فتقطعت عروقها

بكسر الدال علي
بتشديد لام مفتوحة فميم مفتوحة ونون ساكنة علي القاري
بفتح الهمزة وسكون المعجمة روى عنه ابن ابي الدنيا وغيره علي

ثم جاءت تخد الارض تجر عروقها مغبرة حتى وقفت بين يدي رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقالت السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
الاعرابي مرها فلترجع الى منبتها فرجعت فدلت عروقها في ذلك الموضع
فاستوت فقال الاعرابي ائذن لي اسجد لك قال لو امرت احدا ان
يسجد لاحد لامرت المرأة ان تسجد لزوجها قال فائذن لي ان اقبل
يديك ورجليك فاذن له وفي الصحيح في حديث جابر بن عبد الله الانصاري
الطويل فذهب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقضي حاجته فلم ير شيئا يستتر به
فاذا بشجرتين بشاطئ الوادي فانطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم الى احديهما
فاخذ بغصن من اغصانها فقال انقادي علي باذن الله تعالى فانقادت
معه كالبعير المخشوش الذي يصانع قائده وذكر انه فعل بالاخرى مثل ذلك
حتى اذا كان بالمنصف بينهما قال التئما علي باذن الله تعالى فالتأمتا وفي رواية
اخرى فقال يا جابر قل لهذه الشجرة يقول لك رسول الله صلى الله عليه وسلم
الحقي بصاحبتك حتى اجلس خلفكما ففعلت فرجعت حتى لحقت بصاحبتها
فجلس خلفهما فخرجت احضر وجلست احدث نفسي فالتفت فاذا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقبلا والشجرتان قد افترقتا فقامت
كل واحدة منهما على ساق فوقف رسول الله صلى الله عليه وسلم وقفة فقال
برأسه هكذا يمينا وشمالا وروى اسامة بن زيد نحوه قال قال لي
رسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض مغازيه هل تعني مكانا لحاجة رسول
الله صلى الله عليه وسلم فقلت ان الوادي ما فيه موضع بالناس فقال

هل ترى

هل ترى من نخل او حجارة قلت ارى نخلات متقاربات قال انطلق وقل لهن
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأمركن ان تأتين لمخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم وقل للحجارة مثل ذلك فقلت ذلك لهن فوالذي بعثه بالحق لقد
رأيت النخلات يتقاربن حتى اجتمعن والحجارة يتعاقدن حتى صرن ركاما
خلفهن فلما قضى حاجته قال لي قل لهن يفترقن فوالذي نفسي بيده
لرأيتهن والحجارة يفترقن حتى عدن الى مواضعهن وقال يعلى بن سيابة كنت
مع النبي صلى الله عليه وسلم في مسير وذكر نحوا من هذين الحديثين وذكر
فامر وديتين فانضمتا وفي رواية اشاءتين وعن غيلان بن سلمة
الثقفي مثله في شجرتين وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله
عليه وسلم مثله في غزاة حنين وعن يعلى بن مرة وهو ابن سيابة ايضا وذكر
اشياء رآها من رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر ان طلحة او سمرة
جاءت فاطافت به ثم رجعت الى منبتها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
انها استأذنت ان تسلم علي وفي حديث عبد الله بن مسعود رضي الله
عنه آذنت النبي صلى الله عليه وسلم بالجن ليلة استمعوا له شجرة وعن
مجاهد عن ابن مسعود في هذا الحديث ان الجن قالوا من يشهد لك
قال هذه الشجرة تعالي يا شجرة فجاءت تجر عروقها لها قعاقع
وذكر مثل الحديث الاول ونحوه قال القاضي ابو الفضل رحمه الله فهذا
ابن عمر وبريدة وجابر وابن مسعود ويعلى بن مرة واسامة بن زيد و
انس بن مالك وعلي بن ابي طالب وابن عباس وغيرهم رضي الله عنهم

قد اتفقوا على هذه القصة نفسها ومعناها ورواها عنهم من
التابعين اضعافهم فصارت في انتشارها من القوة حيث هي وذكر
ابن فورك انه عليه السلام سار في غزوة الطائف ليلا وهو وسن فا
عترضته سدرة فانفرجت له نصفين حتى جاز بينهما وبقيت على ساقين
الى وقتنا هذا وهناك معروفة معظمة ومن ذلك حديث انس رضي الله عنه
ان جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم ورآه حزينا أتحب ان اريك آية
قال نعم فنظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى شجرة من وراء الوادي فقال
ادع تلك الشجرة فجاءت تمشي حتى قامت بين يديه قال مرها فلترجع
فعادت الى مكانها وعن علي رضي الله عنه نحو هذا ولم يذكر فيه جبريل عليه السلام
قال اللهم ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها فدعا شجرة وذكر مثله و
حزنه صلى الله عليه وسلم لتكذيب قومه وطلبه الآية لهم لا له وذكر ابن اسحق
ان النبي صلى الله عليه وسلم اري كان تمثل هذه الآية في شجرة دعاها فاتت
حتى وقفت بين يديه ثم قال ارجعي فرجعت وعن الحسن انه عليه الصلوة و
السلام شكى الى ربه من قومه وانهم يخوفونه وساله آية يعلم بها ان لا مخافة
عليه فاوحى اليه ان ائت وادي كذا فيه شجرة فادع غصنا منها يأتك فتفعل فجاء
يخط الارض خطا حتى انتصب بين يديه فحبسه ما شاء الله ثم قال له
ارجع كما جئت فرجع فقال يا رب علمت ان لا مخافة علي ونحو منه عن عمر رضي
الله عنه وقال فيه ارني آية لا ابالي من كذبني بعدها وذكر نحوه وعن ابن عباس
رضي الله عنهما انه عليه السلام قال للاعرابي ارايت ان دعوت هذا العذق

من هذه النخلة اتشهد اني رسول الله قال نعم فدعاه فجعل
ينقز حتى اتاه فقال ارجع فعاد الى مكانه وخرجه الترمذي وقال
هذا حديث صحيح فصل في قصة حنين الجذع له صلى الله عليه وسلم ويعضد
هذه الاخبار حديث انين الجذع وهو في نفسه مشهور منتشر والخبر به متواتر
قد خرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة بضعة عشر منهم ابي بن كعب و
جابر بن عبد الله وانس بن مالك وعبد الله بن عمر وعبد الله بن عباس
وسهل بن سعد وابو سعيد الخدري وبريدة وام سلمة والمطلب بن ابي
وداعة كلهم يحدث بمعنى هذا الحديث قال الترمذي وحديث انس صحيح
قال جابر بن عبد الله كان المسجد مسقوفا على جذوع نخل وكان النبي صلى
الله عليه وسلم اذا خطب يقوم الى جذع منها فلما صنع له المنبر سمعنا
لذلك الجذع صوتا كصوت العشار وفي رواية انس رضي الله عنه حتى
ارتج المسجد لخواره وفي رواية سهل رضي الله عنه وكثر بكاء الناس لما رأوا به
وفي رواية المطلب رضي الله عنه وابي حتى تصدع وانشق حتى جاء النبي
صلى الله عليه وسلم فوضع يده عليه فسكت زاد غيره فقال النبي صلى الله
عليه وسلم ان هذا بكى لما فقد من الذكر وزاد غيره والذي نفسي بيده لو لم
التزمه لم يزل هكذا الى يوم القيمة تحزنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فامر به رسول الله صلى الله عليه وسلم فدفن تحت المنبر كذا في حديث المطلب
وسهل بن سعد واسحق عن انس رضي الله عنهم وفي بعض الروايات
عن سهل فدفن تحت منبره او جعلت في السقف وفي حديث ابي فكان

اذا صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلى اليه فلما هدم المسجد اخذه
ابى فكان عنده الى ان اكلته الارض وعاد رفاتا وذكر الاسفرايني
ان النبي عليه السلام دعاه الى نفسه فجاءه يخرق الارض فالتزمه
ثم امره فعاد الى مكانه وفى حديث بريدة فقال يعنى النبي صلى الله عليه وسلم ان شئت
اغرسك فى الجنة فياكل اولياء الله من ثمرك ثم اصغى له النبي صلى الله
عليه وسلم يستمع ما يقول فقال بل تغرسنى فى الجنة فياكل منى اولياء الله
واكون فى مكان لا ابلى فيه فسمعه من يليه فقال النبي صلى الله عليه وسلم
قد فعلت ثم قال اختار دار البقاء على دار الفناء فكان الحسن اذا حدث
بهذا بكى وقال يا عباد الله الخشبة تحن الى رسول الله صلى الله عليه وسلم
شوقا اليه لمكانه فانتم احق ان تشتاقوا الى لقائه رواه عن جابر حفص بن
عبيد الله ويقال عبيد الله بن حفص وايمن وابو نضرة وابن المسيب
وسعيد بن ابى كريب وكريب وابو صالح ورواه عن انس بن مالك الحسن
وثابت واسحق بن ابى طلحة ورواه عن ابن عمر نافع وابو حية ورواه ابو
نضرة وابو الوداك عن ابى سعيد وعمار بن ابى عمار عن ابن عباس وابو حازم
وعباس بن سهل عن سهل بن سعد وكثير بن زيد عن المطلب وعبد الله بن
بريدة عن ابيه والطفيل بن ابى عن ابيه رضى الله عنهم قال القاضى ابو الفضل
رضى الله عنه فهذا حديث كما تراه اخرجه اهل الصحيح ورواه من الصحابة
من ذكرنا وغيرهم من التابعين ضعفهم الى من لم نذكره وبمن دون هذا
العدد يقع العلم لمن اعتنى بهذا الباب والله المثبت على الصواب

وان شئت اردك الى الحائط الذى كنت فيه تنبت لك عروقك ويكمل خلقك ويجدد لك خوص وثمرة صح

فصل ومثل

فصل ومثل هذا فى سائر الجمادات حدثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن عيسى
التميمى ثنا القاضى ابو عبد الله محمد بن المرابط ثنا المهلب ثنا ابو القاسم
ثنا ابو الحسن القابسى ثنا المروزى ثنا الفربرى ثنا البخارى ثنا محمد
بن المثنى ثنا ابو احمد الزبيرى ثنا اسرائيل عن منصور عن ابراهيم عن علقمة
عن عبد الله قال لقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل وفى غير هذه
الرواية عن ابن مسعود رضى الله عنه كنا ناكل مع رسول الله صلى الله
عليه وسلم الطعام ونحن نسمع تسبيحه وعن انس اخذ النبى صلى الله عليه وسلم كفا من حصى فسبحن فى يد رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى سمعنا
التسبيح ثم صبهن فى يد ابى بكر فسبحن ثم فى ايدينا فما سبحن وروى
مثله ابو ذر رضى الله عنه وذكر انهن سبحن فى كف عمر وعثمان رضى الله
عنهما وقال على رضى الله عنه كنا بمكة مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج
الى بعض نواحيها فما استقبله شجرة ولا جبل الا قال له السلام عليك
يا رسول الله وعن جابر بن سمرة عنه عليه السلام انى لاعرف حجرا بمكة كان
يسلم على قيل انه الحجر الاسود وعن عائشة رضى الله عنها لما استقبلنى
جبريل بالرسالة جعلت لا امر بحجر ولا شجر الا قال السلام عليك يا
رسول الله وعن جابر بن عبد الله لم يكن النبى صلى الله عليه وسلم يمر بحجر
ولا شجر الا سجد له وفى حديث العباس اذ اشتمل عليه النبى صلى الله عليه
وسلم وعلى بنيه بملاءة ودعا لهم بالستر من النار كستره اياهم بملاءته
فامنت اسكفة الباب وحوائط البيت امين امين وعن جعفر بن
محمد عن ابيه رضى الله عنهم مرض النبى صلى الله عليه وسلم فاتاه جبريل

يطبق فيه رمان وعنب فاكل منه النبي صلى الله عليه وسلم فسبح وعن انس
رضي الله عنه صعد النبي صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم
أُحُدًا فرجف بهم فضربه برجله فقال اثبت احد فانما عليك نبي وصديق
ومثله عن ابي هريرة في حراء وزاد معه وعلي وطلحة والزبير وقال فانما
عليك نبي او صديق او شهيد والخبر في حراء ايضا عن عثمان قال ومعه
عشرة من اصحابه انا فيهم وزاد عبد الرحمن وسعدا وقال ونسيت
الاثنين وفي حديث سعيد بن زيد ايضا مثله وذكر عشرة وزاد نفسه
وقد روي انه حين طلبته قريش قال له ثبير اهبط يا رسول الله
فاني اخاف ان يقتلوك على ظهري فيعذبني الله فقال له حراء الي يا رسول
الله فقال الجرآة وروي ابن عمر رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
قرأ على المنبر وما قدروا الله حق قدره ثم قال يمجد الجبار نفسه يقول
انا الجبار انا الجبار انا الكبير المتعال فرجف المنبر حتى قلنا ليخرن عنه
وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال كان حول البيت ستون وثلثمائة صنم
مثبتة الارجل بالرصاص في الحجارة فلما دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم
المسجد عام الفتح جعل يشير بقضيب في يده اليها ولا يمسها ويقول جاء
الحق وزهق الباطل الآية فما اشار الى وجه صنم الا وقع لوجهه حتى
ما بقي منها صنم ومثله في حديث ابن مسعود رضي الله عنه وقال فجعل
يطعنها ويقول جاء الحق وما يبدئ الباطل وما يعيد ومن ذلك
حديثه مع الراهب في ابتداء امره اذ خرج تاجرا مع عمه وكان الراهب

لا يخرج

لا يخرج الا حد فخرج وجعل يتخللهم حتى اخذ بيد رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال هذا سيد العالمين يبعثه الله رحمة للعالمين فقال له اشياخ
من قريش ما علمك فقال انه لم يبق شجر ولا حجر الا خر ساجدا له ولا تسجد
الا لنبي وذكر القصة ثم قال فاقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه
غمامة تظله فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوا الى فيء الشجرة فلما
جلس مال الفيء اليه صلوات الله عليه فصل في الآيات في ضروب الحيوانات
حدثنا سراج بن عبد الملك ابو الحسين الحافظ ثنا ابي ثنا القاضي يونس
ثنا ابو الفضل الصقلي ثنا ثابت بن قاسم بن ثابت عن ابيه وجده قالا
ثنا ابو العلاء احمد بن عمران ثنا محمد بن فضيل ثنا يونس بن عمرو ثنا مجاهد
عن عائشة رضي الله عنها قالت كان عندنا داجن فاذا كان عندنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم قر وثبت مكانه فلم يجئ ولم يذهب واذا خرج رسول
الله صلى الله عليه وسلم جاء وذهب وروي عن عمر رضي الله عنه ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم كان في محفل من اصحابه اذ جاء اعرابي قد صاد ضبا فقال
من هذا قالوا نبي الله فقال واللات والعزى لا امنت بك او يؤمن هذا
الضب وطرحه بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم فقال له النبي صلى الله
عليه وسلم يا ضب فاجابه بلسان مبين يسمعه القوم جميعا لبيك وسعديك
يا زين من وافى القيامة قال من تعبد قال الذي في السماء عرشه وفي الارض
سلطانه وفي البحر سبيله وفي الجنة رحمته وفي النار عقابه قال فمن انا قال
رسول رب العالمين وخاتم النبيين وقد افلح من صدقك وقد خاب

من كذبك فاسلم الاعرابي ومن ذلك قصة كلام الذئب المشهورة
عن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه بينا راع يرعى غنما له عرض الذئب
بشاة منها فاخذها الراعي منه فاقعى الذئب وقال للراعي الا تتقي الله
حلت بيني وبين رزقي قال الراعي العجب من ذئب يتكلم بكلام الانس
فقال الذئب الا اخبرك باعجب من ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
الحرتين يحدث الناس بانباء ما قد سبق فاتى الراعي النبي صلى الله عليه
وسلم فاخبره فقال النبي صلى الله عليه وسلم قم فحدثهم ثم قال صدق و
الحديث فيه قصة وفي بعضه طول وروى حديث الذئب عن ابي هريرة و
في بعض الطرق عن ابي هريرة رضي الله عنه فقال الذئب انت اعجب واقفا
على غنمك وتركت نبيا لم يبعث الله نبيا قط اعظم منه عنده قدرا
قد فتحت له ابواب الجنة واشرف اهلها على اصحابه ينظرون قتالهم وما بينك
وبينه الا هذا الشعب فتصير في جنود الله قال الراعي من لي بغنمي قال
الذئب انا ارعاها حتى ترجع فاسلم الرجل اليه غنمه ومضى وذكر قصته
واسلامه ووجوده النبي صلى الله عليه وسلم يقاتل فقال له النبي صلى
الله عليه وسلم عد الى غنمك تجدها بوفرها فوجدها كذلك وذبح
للذئب شاة منها وعن اهبان بن اوس وانه كان صاحب القصة و
المحدث بها ومكلم الذئب وعن سلمة بن عمرو بن الاكوع وانه كان صاحب
هذه القصة ايضا وسبب اسلامه بمثل حديث ابي سعيد وقد روى
ابن وهب مثل هذا انه جرى لابي سفيان بن حرب وصفوان بن امية

مع ذئب

مع ذئب وجداه اخذ ظبيا فدخل الظبي الحرم فانصرف الذئب فعجبا من
ذلك فقال الذئب اعجب من ذلك محمد بن عبد الله بالمدينة يدعوكم الى
الجنة وتدعونه الى النار فقال ابو سفيان واللات والعزى لئن ذكرت
هذا بمكة لتتركنها خلوفا وقد روى مثل هذا الخبر وانه جرى لابي جهل
واصحابه وعن عباس بن مرداس لما تعجب من كلام ضمار صنمه وانشاده
الشعر الذي ذكر فيه النبي صلى الله عليه وسلم فاذا طائر سقط فقال يا
عباس اتعجب من كلام ضمار ولا تعجب من نفسك ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم يدعو الى الاسلام وانت جالس فكان سبب اسلامه وعن
جابر بن عبد الله ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم وآمن به وهو على بعض
حصون خيبر وكان في غنم يرعاها لهم فقال يا رسول الله كيف بالغنم قال
احصب وجوهها فان الله سيؤدي عنك امانتك ويردها الى اهلها
ففعل فسارت كل شاة حتى دخلت الى اهلها وعن انس رضي الله عنه
دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا انصاريا وابو بكر وعمر ورجل من الانصار
وفي الحائط غنم فسجدت له فقال ابو بكر نحن احق بالسجود لك منها الحديث
وعن ابي هريرة رضي الله عنه دخل النبي صلى الله عليه وسلم حائطا فجاء بعير
فسجد له وذكر مثله ومثله في البعير عن ثعلبة بن ابي مالك وجابر
بن عبد الله ويعلى بن مرة وعبد الله بن جعفر قال وكان لا يدخل احد الحائط
الا شد عليه الجمل فلما دخل عليه النبي عليه السلام دعاه فوضع مشفره على الارض
وبرك بين يديه فخطمه وقال ما بين السماء والارض شيء الا يعلم اني رسول الله

الا عاصي الجن والانس ومثله عن عبد الله بن ابي اوفى وفي خبر اخر في حديث
الجمل ان النبي صلى الله عليه وسلم سالهم عن شانه فاخبروه انهم ارادوا ذبحه
وفي رواية ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لهم انه شكى كثرة العمل وقلة العلف
وفي رواية انه شكى الي انكم اردتم ذبحه بعد ان استعملتموه في شاق
العمل من صغره فقالوا نعم وقد روي في قصة العضباء وكلامها
للنبي صلى الله عليه وسلم وتعريفها له بنفسها ومبادرة العشب اليها في الرعي وتجنب
الوحوش عنها وندائهم لها انك لمحمد وانها لم تاكل ولم تشرب بعد موته عليه
السلام حتى ماتت ذكره الاسفرائني وروى ابن وهب ان حمام مكة اظلت
النبي صلى الله عليه وسلم يوم فتحها فدعا له بالبركة وروي عن انس وزيد بن
ارقم والمغيرة بن شعبة رضي الله عنهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ليلة
الغار امر الله شجرة فنبتت تجاه النبي عليه السلام فسترته وامر حمامتين فوقفتا
بفم الغار وفي حديث اخر وان العنكبوت نسجت على بابه فلما اتى الطالبون ورأوا
ذلك قالوا لو كان فيه احد لم تكن الحمامتان ببابه والنبي صلى الله عليه وسلم
يسمع كلامهم فانصرفوا وعن عبد الله بن قرط قرب الى النبي صلى الله عليه وسلم
بدنات خمس او ست او سبع لينحرها يوم عيد فازدلفن اليه بايتهن يبدأ
وعن ام سلمة رضي الله عنها كان النبي صلى الله عليه وسلم في صحراء فنادته ظبية يا رسول
الله قال ما حاجتك قالت صادني هذا الاعرابي ولي خشفان في ذلك الجبل فاطلقني
حتى اذهب فارضعهما وارجع قال وتفعلين قالت نعم فاطلقها فذهبت
ورجعت فاوثقها فانتبه الاعرابي وقال يا رسول الله الك حاجة قال

تطلق

تطلق هذه الظبية فاطلقها فخرجت تعدو في الصحراء وتقول اشهد ان
لا اله الا الله وانك رسول الله ومن هذا الباب ما روي من تسخير الاسد
لسفينة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم اذ وجهه الى معاذ باليمن فلقي الاسد
فعرفه انه مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه كتابه فهمهم وتنحى عن الطريق
وذكر في منصرفه مثل ذلك وفي رواية اخرى عنه ان سفينة تكسرت به فخرج
الى جزيرة فاذا الاسد فقلت له انا مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يغمزني
بمنكبه حتى اقامني على الطريق واخذ عليه الصلوة والسلام باذن شاة
لقوم من عبد القيس بين اصبعيه ثم خلاها فصار لها ميسما وبقي ذلك الاثر
فيها وفي نسلها بعد وما روي عن ابرهيم بن حماد بسنده من كلام الحمار الذي اصاب
بخيبر وقال له اسمي يزيد بن شهاب فسماه النبي عليه السلام يعفور وانه كان
يوجهه الى دور اصحابه فيضرب عليهم الباب براسه ويستدعيهم وان النبي صلى
الله عليه وسلم لما مات تردى في بئر جزعا وحزنا فمات وحديث الناقة التي شهدت عند
النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبها انه ما سرقها وانها ملكه وفي حديث العنز التي اتت
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم في عسكره وقد اصابهم عطش ونزلوا على غير
ماء وهم زهاء ثلثمائة فحلبها رسول الله صلى الله عليه وسلم فاروى الجند ثم قال
لرافع املكها وما اراك فربطها فوجدها قد انطلقت رواه ابن قانع و
غيره وفيه فقال عليه السلام ان الذي جاء بها هو الذي ذهب بها وقال لفرسه
عليه الصلوة والسلام وقد قام الى الصلوة في بعض اسفاره لا تبرح بارك
الله فيك حتى نفرغ من صلاتنا وجعله قبلته فما حرك عضوا حتى صلى الله عليه وسلم

ين ويلتحق بهذا ما رواه الواقدي ان النبي صلى الله عليه وسلم لما وجه
رسله الى الملوك فخرج ستة نفر منهم في يوم واحد فاصبح كل واحد منهم
يتكلم بلسان القوم الذين بعث اليهم الى والحديث في هذا الباب كثير وقد جئنا
منه بالمشهور من ذلك وما وقع منه في كتب الائمة فصل في احياء الموتى
وكلامهم وكلام الصبيان والمراضع وشهادتهم له صلى الله عليه وسلم بالنبوة
حدثنا ابو الوليد هشام بن احمد الفقيه بقراءتي عليه والقاضي ابو الوليد محمد
بن رشد والقاضي ابو عبد الله محمد بن عيسى التميمي وغير واحد سماعا واذنا قالوا
حدثنا ابو علي الحافظ ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابو زيد عبد الرحمن بن يحيى ثنا ابن
الاعرابي ثنا ابو داود ثنا وهب بن بقية عن خالد هو الطحان عن محمد بن عمرو
عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنه ان يهودية اهدت للنبي صلى الله عليه وسلم
بخيبر شاة مصلية سمتها فاكل رسول الله صلى الله عليه وسلم منها واكل القوم فقال
ارفعوا ايديكم فانها اخبرتني انها مسمومة فمات بشر بن البراء وقال لليهودية
ما حملك على ما صنعت قالت ان كنت نبيا لم يضرك الذي صنعت وان كنت
ملكا ارحت الناس منك قال فامر بها فقتلت وقد روى هذا الحديث انس و
فيه قالت اردت قتلك فقال ما كان الله ليسلطك على ذلك فقالوا انقتلها
فقال لا وكذلك روي عن ابي هريرة من رواية غير وهب قال فما عرض لها ورواه
ايضا جابر بن عبد الله وفيه اخبرتني به هذه الذراع قال ولم يعاقبها وفي رواية
الحسن ان فخذها يكلمني انها مسمومة وفي رواية ابي سلمة بن عبد الرحمن فقالت اني
مسمومة وكذلك ذكر الخبر ابن اسحق وقال فيه فتجاوز عنها وفي الحديث الاعرابي عن انس

رضي الله عنه

رضي الله عنه انه قال فما زلت اعرفها في لهوات رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
في وجعه الذي مات فيه ما زالت اكلة خيبر تعاودني فالآن اوان قطعت ابهري
وحكى ابن اسحق ان كان المسلمون ليرون ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
مات شهيدا مع ما اكرمه الله به من النبوة وقال ابن سحنون اجمع اهل
الحديث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قتل اليهودية التي سمته وقد ذكرنا
اختلاف الروايات في ذلك عن ابي هريرة وانس وجابر رضي الله عنهم وفي
رواية عن ابن عباس رضي الله عنهما انه دفعها لاولياء بشر بن البراء فقتلوها
وكذلك قد اختلف في قتله للذي سحره قال الواقدي وعفوه عنه
اثبت عندنا وروي عنه انه قتله وروى الحديث البزار عن ابي سعيد
فذكر مثله الا انه قال في آخره فبسط يده وقال كلوا بسم الله فاكلنا
وذكرنا اسم الله فلم تضر منا احدا قال القاضي ابو الفضل وقد خرج حديث
الشاة المسمومة اهل الصحيح وخرجه الائمة وهو حديث مشهور واختلف
ائمة اهل النظر في هذا الباب فمن قائل يقول هو كلام يخلقه الله تعالى في الشاة
الميتة او الحجر او الشجر وحروف واصوات يحدثها الله فيها ويسمعها منها
دون تغيير اشكالها ونقلها عن هيئتها وهو مذهب الشيخ ابي الحسن
والقاضي ابي بكر رحمهما الله وآخرون ذهبوا الى ايجاد الحياة بها اولا
ثم الكلام بعده وحكي هذا ايضا عن شيخنا ابي الحسن وكل محتمل
والله اعلم اذ لم نجعل الحيوة شرطا لوجود الحروف والاصوات اذ لا
يستحيل وجودها مع عدم الحيوة بمجردها فاما اذا كانت عبارة عن

الكلام

النفسي فلابد من شرط الحيوة لها اذ لا يوجد كلام النفس الا من حي خلافا
للجبائي من بين سائر متكلمي الفرق في احالته وجود الكلام اللفظي والحروف
والاصوات الا من حي مركب على تركيب من يصح منه النطق بالحروف والاصوات
والتزم ذلك في الحصى والجذع والذراع وقال ان الله تعالى خلق فيها حيوة
وخرق فما ولسانا واٰلة مكنها بها من الكلام وهذا لو كان لكان نقله
والتهمم به اوكد من التهمم بنقل تسبيحه وحنينه ولم ينقل احد
من اهل التفسير او الرواية شيئا من ذلك فدل على سقوط دعواه مع
انه لا ضرورة اليه في النظر والله الموفق وروى وكيع رفعه عن فهد بن
عطية ان النبي صلى الله عليه وسلم اتى بصبي قد شب لم يتكلم قط فقال من
انا فقال رسول الله وروى عن معرض بن معيقيب رايت من النبي صلى
الله عليه وسلم عجبا جيء بصبي يوم ولد فذكر مثله وهو حديث مبارك
اليمامة ويعرف بحديث شاصونة اسم راويه وفيه فقال له النبي
صلى الله عليه وسلم صدقت بارك الله فيك ثم ان الغلام لم يتكلم بعدها حتى شب
فكان يسمى مبارك اليمامة وكانت هذه القصة بمكة في حجة الوداع و
عن الحسن اتى رجل النبي صلى الله عليه وسلم فذكر له انه طرح بنية له في
وادي كذا فانطلق معه الى الوادي وناداها باسمها يا فلانة اجيبي
باذن الله تعالى فخرجت وتقول لبيك وسعديك فقال لها ان ابويك قد
اسلما فان احببت ان ارد ك عليهما فقالت لا حاجة لي بهما اني وجدت الله
خيرا لي منهما وعن انس رضي الله عنه ان شابا من الانصار توفي وله ام

عجوز عمياء فسجيناه وعزيناها فقالت مات ابني قلنا نعم فقالت اللهم
ان كنت تعلم اني هاجرت اليك والى رسولك رجاء ان تعينني على
كل شدة فلا تحملن علي هذه المصيبة فما برحنا ان كشف الثوب عن وجهه
فطعم وطعمنا وروى عن عبد الله الانصاري كنت فيمن دفن ثابت بن قيس
بن شماس وكان قتل باليمامة فسمعناه حين ادخلناه القبر يقول محمد رسول الله
ابو بكر الصديق عمر الشهيد وعثمان البر الرحيم فنظرنا فاذا هو ميت وذكر
عن النعمان بن بشير ان زيد بن خارجة خر ميتا في بعض ازقة المدينة
فرفع وسجي اذ سمعوه بين العشائين والنساء يصرخن حوله يقول انصتوا
انصتوا فحسر عن وجهه فقال محمد رسول الله النبي الامي وخاتم النبيين
كان ذلك في الكتاب الاول ثم قال صدق وذكر ابا بكر وعمر وعثمان رضي
الله عنهم ثم قال السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته ثم عاد
ميتا كما كان فصل في ابراء المرضى وذوي العاهات قال اخبرنا ابو
الحسن علي بن مشرف فيما اجازنيه وقراته على غيره قال ثنا ابو اسحق
الحبال قال ثنا ابو محمد بن النحاس ثنا ابن الورد عن البرقي عن ابن
هشام عن زياد البكائي عن محمد بن اسحق ثنا ابن شهاب وعاصم بن
عمر بن قتادة وجماعة ذكرهم بقضية احد بطولها قال وقالوا قال سعد
بن ابي وقاص رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ليناولني
السهم لا نصل له فيقول ارم به وقد رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم
يومئذ عن قوسه حتى اندقت واصيب يومئذ عين قتادة يعني ابن النعمان

حتى وقعت على وجنته فردها رسول الله صلى الله عليه وسلم فكانت
احسن عينيه وروى قصة قتادة عاصم بن عمر بن قتادة ويزيد بن
عياض بن عمر بن قتادة ورواها ابو سعيد الخدري عن قتادة و
بصق على اثر سهم في وجه ابي قتادة في يوم ذي قرد قال فما ضرب علي ولا
قاح وروى النسائي عن عثمان بن حنيف ان اعمى قال يا رسول الله ادع الله
ان يكشف لي عن بصري قال فانطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل اللهم
اني اسئلك واتوجه اليك بنبي محمد نبي الرحمة يا محمد اني اتوجه
بك الى ربك ان يكشف عن بصري اللهم شفعه في قال فرجع وقد
كشف الله عن بصره وروى ان ابن ملاعب الاسنة اصابه استسقاء
فبعث الى النبي صلى الله عليه وسلم فاخذ بيده حثوة من الارض فتفل عليها
ثم اعطاها رسوله فاخذها متعجبا يرى ان قد هزئ به فاتاه بها وهو
على شفا فشرب فشفاه الله وذكر العقيلي عن حبيب بن فديك و
يقال فريك ان اباه ابيضت عيناه فكان لا يبصر بهما شيئا فنفث
رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه فابصر فرايته يدخل الخيط
في الابرة وهو ابن ثمانين ورمي كلثوم بن الحصين يوم احد في نحره فبصق
رسول الله صلى الله عليه وسلم فيه فبرأ وتفل على شجة عبد الله بن انيس فلم تمد
وتفل في عيني علي يوم خيبر وكان رمدا فاصبح بارئا ونفث على ضربة بساق سلمة
ابن الاكوع يوم خيبر فبرأت وفي رجل زيد بن معاذ حين اصابها السيف الى
الكعب حين قتل ابن الاشرف فبرأت وعلى ساق علي بن الحكم يوم الخندق

اذا انكسرت

اذا انكسرت فبرأ مكانه وما نزل عن فرسه واشتكى علي بن ابي طالب رضي
الله عنه فجعل يدعو فقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اشفه او عافه
ثم ضربه برجله فما اشتكى ذلك الوجع بعد وقطع ابو جهل يوم بدر
يد معوذ بن عفراء فجاء يحمل يده فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم
والصقها فلصقت رواه ابن وهب ومن روايته ايضا ان خبيب بن
يساف اصيب يوم بدر مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بضربة على عاتقه
حتى مال شقه فرده رسول الله صلى الله عليه وسلم ونفث عليه حتى
صح واتته امرأة من خثعم معها صبي به بلاء لا يتكلم فاتي بماء فمضمض
فاه وغسل يديه ثم اعطاها اياه وامرها بسقيه ومسه به فبرأ الغلام
وعقل عقلا يفضل عقول الناس وعن ابن عباس رضي الله عنهما جاءت
امرأة بابن لها به جنون فمسح صدره فثع ثعة فخرج من جوفه مثل الجرو
الاسود فشفي وانكفأت القدر على ذراع محمد بن حاطب وهو طفل
فمسح عليه ودعا له وتفل فيه فبرأ لحينه وكانت في كف شرحبيل
الجعفي سلعة تمنعه القبض على السيف وعنان الدابة فشكاها للنبي
صلى الله عليه وسلم فما زال يطحنها بكفه حتى رفعها ولم يبق لها اثر و
سألته جارية طعاما وهو يأكل فناولها من بين يديه وكانت قليلة الحياء
فقالت انما اريد من الذي في فيك فناولها ما في فيه ولم يكن يسئل شيئا
فيمنعه فلما استقر في جوفها القي عليها من الحياء ما لم تكن امرأة بالمدينة اشد
حياء منها فصل في اجابة دعائه عليه الصلوة والسلام وهذا باب واسع
جدا واجابة دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لجماعة بما دعا لهم وعليهم متواتر في الجملة

معلوم ضرورة وقد جاء في حديث حذيفة كان رسول الله صلى الله
عليه وسلم اذا دعا لرجل ادركت الدعوة ولده وولد ولده قال
حدثنا ابو محمد العتابي بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو
الحسن القابسي ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن
اسمعيل ثنا عبد الله بن ابي الاسود ثنا حرمي ثنا شعبة عن قتادة عن
انس رضي الله عنه قال قالت امي يا رسول الله خادمك انس ادع
الله له قال اللهم اكثر ماله وولده وبارك له فيما اتيته و
من رواية عكرمة قال انس فوالله ان مالي لكثير وان ولدي
وولد ولدي ليعادون اليوم على نحو المائة وفي رواية وما اعلم احدا
اصاب من رخاء العيش ما اصبت ولقد دفنت بيدي هاتين
مائة من ولدي لا اقول سقطا ولا ولد ولد ومثله دعاؤه عليه
السلام لعبد الرحمن بن عوف بالبركة قال عبد الرحمن فلو رفعت حجرا
لرجوت ان اصيب تحته ذهبا وفتح الله عليه ومات فحفر الذهب من تركته
بالفؤوس حتى مجلت فيه الايدي واخذت كل زوجة ثمانين الفا وكن اربعا
وقيل مائة الف وقيل بل صولحت احداهن لانه طلقها في مرضه على نيف
وثمانين الفا واوصى بخمسين الفا بعد صدقاته الفاشية في حياته
وعوارفه العظيمة اعتق يوما ثلاثين عبدا وتصدق مرة بعيرفيها سبعمائة
بعير وردت عليه تحمل من كل شيء فتصدق بها وبما عليها وباقتابها و
احلاسها ودعا لمعاوية بالتمكين في البلاد فنال الخلافة ولسعد بن

ابي وقاص

ابي وقاص ان يجيب الله دعوته فما دعا على احد الا استجيب ودعا بعز
الاسلام بعمر او ابي جهل فاستجيب له في عمر وعن ابن مسعود رضي الله عنه
ما زلنا اعزة منذ اسلم عمر واصاب الناس في بعض مغازيه عطش فسأله
عمر الدعاء فدعا فجاءت سحابة فسقتهم حاجتهم ثم اقلعت ودعا
في الاستسقاء فسقوا ثم شكوا اليه المطر فدعا فصحوا وقال لابي
قتادة افلح وجهك اللهم بارك له في شعره وبشره فمات وهو ابن
سبعين سنة وكانه ابن خمس عشرة وقال للنابغة لا يفضض الله فاك
فما سقطت له سن وفي رواية فكان احسن الناس ثغرا اذا سقطت له
سن نبتت له اخرى وعاش عشرين ومائة وقيل اكثر من هذا ودعا لابن
عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل فسمي
بعد الحبر وترجمان القران ودعا لعبد الله بن جعفر بالبركة في صفقة
يمينه فما اشترى شيئا الا ربح فيه ودعا للمقداد بالبركة فكانت عنده
غرائر من المال ودعا بمثله لعروة ابن ابي الجعد فقال فلقد كنت اقوم
بالكناسة فما ارجع حتى اربح اربعين الفا وقال البخاري في حديثه
فكان لو اشترى التراب ربح فيه وروي مثل هذا لغرقدة ايضا وندت
له ناقة فدعا فجاء بها اعصار ريح حتى ردها ودعا لام ابي هريرة رضي الله
عنه فاسلمت ودعا لعلي رضي الله عنه ان يكفى الحر والقر فكان يلبس
في الشتاء ثياب الصيف وفي الصيف ثياب الشتاء ولا يصيبه حر
ولا برد ودعا لفاطمة ابنته الله ان لا يجيعها قالت فما جعت بعد

وسأله الطفيل بن عمرو آية لقومه فقال اللهم نور له فسطع نور بين
عينيه فقال يا رب أخاف أن يقولوا مثلة فتحول إلى طرف سوطه
فكان يضيء في الليلة المظلمة فسمي ذا النور ودعا على مضر فأقحطوا حتى
استعطفته قريش فدعا لهم فسقوا ودعا على كسرى حين مزق كتابه
أن يمزق الله ملكه فلم تبق له باقية ولا بقيت لفارس رياسة
في أقطار الدنيا ودعا على صبي قطع عليه الصلوة أن يقطع الله
أثره فأقعد وقال لرجل رآه يأكل بشماله فقال كل بيمينك فقال لا
أستطيع فلم يرفعها إلى فيه وقال لعتبة بن أبي لهب اللهم سلط
عليه كلبا من كلابك فأكله الأسد وحديث المشهور من رواية عبد
الله بن مسعود في دعائه على قريش حين وضعوا السلا على رقبته
وهو ساجد مع الفرث والدم وسماهم قال فلقد رأيتهم قتلوا يوم
بدر ودعا على الحكم بن أبي العاص وكان يختلج بوجهه ويغمز عند النبي
صلى الله عليه وسلم أي لأفراه فقال كذلك كن فلم يزل يختلج إلى أن
مات ودعا على محلم بن جثامة فمات لسبع فلفظته الأرض
وروي فلفظته مرات فألقوه بين صدين ورضموا عليه بالحجارة
وجحده رجل بيع فرس وهي التي شهد فيها خزيمة للنبي عليه السلام
فرد الفرس بعد النبي صلى الله عليه وسلم على الرجل وقال اللهم إن كان
كاذبا فلا تبارك له فيها فأصبحت شاصية برجلها أي رافعة
وهذا الباب أكثر فصل في كراماته وبركاته وانقلاب الأعيان

له فيما

له فيما لمسه أو باشره صلى الله عليه وسلم أخبرنا أحمد بن محمد ثنا
أبو ذر الهروي إجازة وحدثنا القاضي أبو علي سماعا والفقيه أبو عبد الله
محمد بن عبد الرحمن وغيرهما قالوا ثنا أبو الوليد القاضي ثنا أبو ذر ثنا أبو
محمد وأبو إسحق وأبو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا يزيد بن
زريع ثنا سعيد عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل المدينة فزعوا مرة
فركب رسول الله صلى الله عليه وسلم فرسا لأبي طلحة كان يقطف أو به
قطاف وقال غيره بطيئا فلما رجع قال وجدنا فرسك بحرا فكان بعد
لا يجارى ونخس جمل جابر وكان قد أعيا فنشط حتى كان ما يملك زمامه
وصنع مثل ذلك بفرس لجعيل الأشجعي خفقها بمخفقة معه وبرك
عليها فلم يملك رأسها نشاطا وباع من نسلها باثني عشر ألفا وركب
حمارا قطوفا لسعد بن عبادة فرده هملاجا لا يساير وكانت شعرات
من شعره في قلنسوة خالد بن الوليد فلم يشهد بها قتالا إلا رزق
النصر وفي الصحيح عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها أخرجت
جبة طيالسة وقالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبسها فنحن
نغسلها للمرضى يستشفى بها وحدثنا القاضي أبو علي عن شيخه أبي القاسم بن
المأمون قال كانت عندنا قصعة من قصاع النبي صلى الله عليه وسلم
فكنا نجعل فيها الماء للمرضى يستشفون بها وأخذ جهجاه الغفاري
القضيب من يد عثمان رضي الله عنه ليكسره على ركبته فصاح به الناس
فأخذته فيها الأكلة فقطعها ومات قبل الحول وسكب من فضل وضوئه

في بئر قباء فما نزفت بعد وبزق في بئر كانت في دار انس فلم يكن بالمدينة
اعذب منها ومر على ماء فسال عنه فقيل له اسمه بيسان وماؤه ملح فقال
بل هو نعمان وماؤه طيب فطاب واتي بدلو من ماء زمزم فمج فيه اطيب
من المسك واعطى الحسن والحسين لسانه فمصاه وكانا يبكيان
عطشا فسكتا وكان لام مالك عكة تهدي فيها للنبي صلى الله عليه
وسلم سمنا فامرها النبي صلى الله عليه وسلم ان لا تعصرها ثم دفعها
اليها فاذا هي مملوءة سمنا فياتيها بنوها يسئلونها الادم وليس عندهم
شيء فتعمد اليها فتجد فيها سمنا فكانت تقيم ادمهم حتى عصرتها وكان
يتفل في افواه الصبيان المراضع فيجزيهم ريقه الى الليل ومن ذلك بركة يده
فيما مسه وغرسه لسلمان حين كاتبه مواليه على ثلثمائة ودية يغرسها
لهم كلها تعلق وتطعم وعلى اربعين اوقية من ذهب فقام النبي عليه
السلام وغرسها له بيده الا واحدة غرسها غيره فاخذت كلها الا تلك
الواحدة فقلعها رسول الله صلى الله عليه وسلم وردها فاخذت و
في كتاب البزار فاطعم النخل من عامه الا الواحدة فقلعها رسول الله
صلى الله عليه وسلم وغرسها فاطعم من عامها واعطاه مثل بيضة الدجاجة
من ذهب بعد ان ادارها على لسانه فوزن منها لمواليه اربعين اوقية
وبقي عنده مثل ما اعطاهم وفي حديث حنش بن عقيل سقاني رسول الله
صلى الله عليه وسلم شربة من سويق شرب اولها وشربت آخرها فما برحت اجد
شبعها اذا جعت وريها اذا عطشت وبردها اذا ظمئت واعطى قتادة

ادمهم خ

بن النعمان وصلى معه العشاء في ليلة مظلمة مطيرة عرجونا
وقال انطلق به فانه سيضيء لك من بين يديك عشرا ومن خلفك
عشرا فاذا دخلت بيتك فسترى سوادا فاضربه حتى يخرج فانه
الشيطان فانطلق فاضاء له العرجون حتى دخل بيته ووجد السواد
فضربه حتى خرج ومنها دفعه لعكاشة جذل حطب وقال اضرب به
حين انكسر سيفه يوم بدر فعاد في يده سيفا صارما طويل القامة
ابيض شديد المتن فقاتل به ثم لم يزل عنده يشهد به المواقف الى ان
استشهد في قتال اهل الردة وكان هذا السيف يقال له العون
ودفعه لعبد الله بن جحش يوم احد وقد ذهب سيفه عسيب نخل
فرجع في يده سيفا ومنه بركته في درور الشياه الحوائل باللبن
الكثير كقصة شاة ام معبد واعنز معاوية بن ثور وشاة انس
وغنم حليمة رضي الله عنها مرضعته وشارفها وشاة عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه وكانت لم ينز عليها فحل وشاة المقداد رضي الله عنه ومن
ذلك تزويده اصحابه سقاء ماء بعد ان اوكاه ودعا فلما حضرتهم
الصلوة نزلوا فحلوه فاذا به لبن طيب وزبدة في فيه من رواية حماد
بن سلمة ومسح على رأس عمير بن سعد وبرك فمات وهو ابن ثمانين فما
شاب وروى مثل هذه القصص عن غير واحد منهم السائب بن يزيد ومدلوك
وكان يوجد لعتبة بن فرقد طيب يغلب طيب نسائه لان رسول رسول
الله صلى الله عليه وسلم مسح بيديه على بطنه وظهره وسلت الدم عن وجه
عائذ بن عمرو وكان جرح يوم حنين ودعا له فكانت له غرة كغرة الفرس

ومسح على رأس قيس بن زيد الجذامي ودعا له فهلك ابن مائة ورأسه
ابيض وموضع كف النبي صلى الله عليه وسلم وما مرت يده من شعره اسود
فكان يدعى الاغر وروى مثل هذه الحكاية لعمرو بن ثعلبة الجهني
ومسح على وجه آخر فما زال على وجهه نور ومسح وجه قتادة
بن ملحان لوجهه بريق حتى كان ينظر في وجهه كما ينظر في المرآة و
وضع يده على رأس حنظلة بن حذيم وبرك عليه فكان حنظلة يؤتى
بالرجل قد ورم وجهه والشاة قد ورم ضرعها فيوضع على موضع
كف النبي صلى الله عليه وسلم فيذهب الورم ونضح في وجه زينب بنت
ام سلمة نضحة من ماء فما يعرف كان في وجه امرأة من الجمال ما بها و
مسح على رأس صبي به عاهة فبرأ واستوى شعره وروى مثله في خبر
المهلب بن قبالة وعلى غير واحد من الصبيان والمرضى والمجانين فبرؤا و
اتاه رجل به أدرة فامره ان ينضحها بماء من عين مج فيها ففعل فبرأ
وعن طاوس لم يؤت النبي صلى الله عليه وسلم باحد به مس فصك في
صدره الا ذهب المس والمس الجنون ومج في دلو من بئر ثم صب فيها
ففاح منها ريح المسك واخذ قبضة من تراب يوم حنين ورمى بها في
وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه فانصرفوا يمسحون القذا
من اعينهم وشكى اليه ابو هريرة النسيان فامره ببسط ثوبه وغرف
بيده فيه ثم امره بضمه ففعل فما نسي شيئا بعد وما يروى عنه في
هذا كثير فصل ومن ذلك ما اطلع عليه من الغيوب وما يكون و
الاحاديث في هذا الباب بحر لا يدرك قعره ولا ينزف غمره وهذه الجملة

من جملة معجزاته

من جملة معجزاته المعلومة على القطع الواصل الينا خبرها على التواتر لكثرة
رواتها واتفاق معانيها على الاطلاع على الغيب حدثنا الامام ابو بكر
محمد بن الوليد الفهري اجازة وقراءة على غيره قال ابو بكر ثنا ابو علي التستري
ثنا ابو عمر الهاشمي ثنا اللؤلؤي ثنا ابو داود ثنا عثمان بن ابي شيبة
ثنا جرير عن الاعمش عن ابي وائل عن حذيفة رضي الله عنه قال قام فينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم مقاما فما ترك شيئا يكون في مقامه ذلك
الى قيام الساعة الا حدثه حفظه من حفظه ونسيه من نسيه قد علمه
اصحابي هؤلاء وانه ليكون منه الشيء فاعرفه فاذكره كما يذكر الرجل
وجه الرجل اذا غاب عنه ثم اذا رآه عرفه ثم قال حذيفة ما ادري انسي
اصحابي ام تناسوه والله ما ترك رسول الله صلى الله عليه وسلم من قائد
فتنة الى ان تنقضي الدنيا يبلغ من معه ثلثمائة فصاعدا الا قد سماه
لنا باسمه واسم ابيه وقبيلته وقال ابو ذر لقد تركنا رسول الله صلى الله
عليه وسلم وما يحرك طائر جناحيه في السماء الا ذكرنا منه علما فقد خرج اهل
الصحيح والائمة ما اعلم به اصحابه عليه السلام مما وعدهم به من الظهور على
اعدائه وفتح مكة وبيت المقدس واليمن والشام والعراق وظهور الامن
حتى تظعن المرأة من الحيرة الى مكة لا تخاف الا الله وان المدينة ستغزى
ويفتح خيبر على يدي علي في غد يومه وما يفتح الله على امته من الدنيا ويؤتون
من زهرتها وقسمتهم كنوز كسرى وقيصر وما يحدث بينهم من الفتن
والاختلاف والاهواء وسلوك سبيل من قبلهم وافتراقهم على ثلاث

وسبعين فرقة الناجية منها واحدة وانه ستكون لهم انماط ويغدوا
احدهم في حلة ويروح في اخرى ويوضع بين يديه صحفة وترفع اخرى
ويسترون بيوتهم كما تستر الكعبة ثم قال آخر الحديث وانتم اليوم خير
منكم يومئذ وانهم اذا مشوا المطيطاء وخدمتهم بنات فارس
والروم رد الله بأسهم بينهم وسلط شرارهم على خيارهم وقتالهم الترك
والخزر والروم وذهاب كسرى ولا فارس بعده وذهاب قيصر حتى لا
قيصر بعده وذكر ان الروم ذات قرون الى آخر الدهر وبذهاب الامثل فالامثل
من الناس وتقارب الزمان وقبض العلم وظهور الفتن والهرج وقال
ويل للعرب من شر قد اقترب وان زويت له الارض فاري مشارقها ومغاربها و
سيبلغ ملك امته ما زوي له منها ولذلك كان امتدت في المشارق والمغارب
ما بين ارض الهند اقصى المشرق الى بحر طنجة حيث لا عمارة وراءه وذلك ما لم
تملكه امة من الامم ولم يمتد في الجنوب ولا في الشمال مثل ذلك وقال لا يزال اهل
الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة ذهب ابن المديني الى انهم العرب لانهم
المختصون بالسقي وهي الدلو وغيره يذهب الى انهم اهل المغرب كذا في الحديث بمعناه
وفي حديث آخر من رواية ابي امامة لا تزال طائفة من امتي ظاهرين على الحق قاهرين
لعدوهم حتى يأتيهم امر الله وهم كذلك قيل يا رسول الله واين هم قال ببيت
المقدس واخبر بملك بني امية وولاية معاوية ووصاه واتخاذ بني
امية مال الله دولا وخروج ولد العباس بالرايات السود وملكهم
اضعاف ما ملكوا وخروج المهدي وما ينال اهل بيته وتقتيلهم

وتشريدهم

وتشريدهم وقتل علي رضي الله عنه وان اشقاها الذي يخضب هذه اي
لحيته من راسه وانه قسيم النار يدخل اولياؤه الجنة واعداؤه
النار فكان فيمن عاداه الخوارج والناصبة وطائفة ممن ينسب
اليه من الروافض كفروه وقال يقتل عثمان وهو يقرأ المصحف وان الله عسى
ان يلبسه قميصا وانهم يريدون خلعه وانه سيقطر دمه على قوله تعالى
فسيكفيكهم الله وان الفتن لا تظهر ما دام عمر حيا وبمحاربة الزبير
لعلي رضي الله عنهما وبنباح كلاب الحوأب على بعض ازواجه وانه يقتل
حولها قتلى كثيرة وتنجو بعدما كادت فنبحت على عائشة رضي الله عنها عند
خروجها الى البصرة وان عمارا تقتله الفئة الباغية فقتله اصحاب معاوية
وقال لعبد الله بن الزبير ويل للناس منك وويل لك من الناس وقال في قزمان
وقد ابلى مع المسلمين انه من اهل النار فقتل نفسه وقال في جماعة فيهم ابو هريرة
وسمرة ابن جندب وحذيفة رضي الله عنهم آخركم موتا في النار فكان بعضهم
يسأل عن بعض فكان سمرة آخرهم موتا هرم وخرف فاصطلى بالنار فاحترق
فيها وقال في حنظلة الغسيل سلوا عنه زوجته فاني رأيت الملائكة
يغسله فسألوها فقالت انه خرج جنبا واعجله الحال عن الغسل قال
ابو سعيد فوجدنا راسه يقطر ماء وقال الخلافة في قريش ولن
يزال هذا الامر في قريش ما اقاموا الدين وقال يكون في ثقيف كذاب
ومبير فرأوهما الحجاج والمختار وان مسيلمة يعقره الله وان فاطمة اول اهله
لحوقا به وانذر بالردة وان الخلافة بعده ثلاثون سنة ثم تكون ملكا فكانت

كذلك بمدة الحسن بن علي رضي الله عنهما وقال ان هذا الامر بدأ نبوة ورحمة
ثم يكون رحمة وخلافة ثم يكون ملكا عضوضا ثم يكون عتوا وجبروة
وفسادا في الامة واخبر بشأن اويس القرني وبامراء يؤخرون الصلوة
عن وقتها وسيكون في امته ثلثون رجالا كذابا آخرهم الدجال الكذاب
كلهم يكذب على الله ورسوله وقال يوشك ان يكثر فيكم العجم يأكلون
فيئكم ويضربون رقابكم ولا تقوم الساعة حتى يسوق الناس بعصاه رجل
من قحطان وقال خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم يأتي بعد ذلك قوم
يشهدون ولا يستشهدون ويخونون ولا يؤتمنون وينذرون
ولا يوفون وقال لا يأتي زمان الا والذي بعده شر منه وقال هلاك
امتي على يدي اغيلمة من قريش قال ابوهريرة راويه لو شئت سميتهم
لكم بنو فلان وبنو فلان واخبر بظهور القدرية والرافضة وسب
آخر هذه الامة اولها وقلة الانصار حتى يكونوا كالملح في الطعام فلم
امرهم يتبدد حتى لم تبق لهم جماعة وانهم سيلقون بعده اثرة واخبر
بشأن الخوارج وصفتهم والمخدج الذي فيهم وان سيماهم التحليق ويرى
رعاء الغنم رؤس الناس والعراة الحفاة يتبارون في البنيان
وان تلد الامة ربها وان قريشا والاحزاب لا يغزونه ابدا وانه هو
يغزوهم واخبر بالموتان الذي يكون بعد فتح بيت المقدس وما وعد
من سكنى البصرة وانهم يغزون في البحر كالملوك على الاسرة وان الذين
لو كان منوطا بالثريا لناله رجال من ابناء فارس وهاجت ريح في غزاته

فقال

فقال هاجت لموت منافق فلما رجعوا الى المدينة وجدوا ذلك وقال
القوم معه ضرس احدكم في النار اعظم من احد قال ابوهريرة فذهب
القوم يعني ماتوا وبقيت انا ورجل فقتل مرتدا يوم اليمامة واعلم بالذي
غل خرزا من خرز يهود فوجدت في رحله وبالذي غل الشملة وحيث هي ناقته
حين ضلت وكيف تعلقت بالشجرة بخطامها وبشأن كتاب حاطب الى اهل
مكة وبقضية عمير مع صفوان حين ساره وشارطه على قتل النبي صلى
الله عليه وسلم فلما جاء عمير النبي صلى الله عليه وسلم قاصدا لقتله واطلعه رسول
الله صلى الله عليه وسلم على الامر والسر اسلم واخبر بالمال الذي تركه عمه العباس
عند ام الفضل بعد ان كتمه فقال ما علمه غيري وغيرها فاسلم واعلم
بانه سيقتل ابي بن خلف وفي عتبة بن ابي لهب انه يأكله كلب الله وعن
مصارع اهل بدر فكان كما قال وقال في الحسن ان ابني هذا سيد و
سيصلح الله به بين فئتين ولسعد لعلك تخلف حتى ينتفع بك اقوام
ويستضر بك آخرون واخبر بقتل اهل مؤتة يوم قتلوا وبينهم مسيرة
شهر وازيد وبموت النجاشي يوم مات وهو بارضه واخبر فيروز اذ ورد
رسولا من كسرى بموت كسرى ذلك اليوم فلما حقق فيروز القصة اسلم
واخبر اباذر بتطريده كما كان ووجده في المسجد نائما فقال له كيف بك
اذا اخرجت منه قال اسكن المسجد الحرام قال فاذا اخرجت منه الحديث
وبعيشه وحده وموته وحده واخبر ان اسرع ازواجه به لحوقا
اطولهن يدا فكانت زينب لطول يدها بالصدقة واخبر بقتل الحسين بالطف

واخرج بيده قريته وقال فيها مضجعه وقال في زيد بن صوحان يسبقه
عضو منه الى الجنة فقطعت يده في الجهاد وقال في الذين كانوا معه
على حراء اثبت فانما عليك نبي وصديق وشهيد فقتل علي وعمر وعثمان
وطلحة والزبير وطعن سعد وقال لسراقة كيف بك اذا لبست سواري كسرى فلما
اتي بهما عمر البسهما اياه وقال الحمد لله الذي سلبهما كسرى والبسهما سراقة
وقال تبنى مدينة بين دجلة ودجيل وقطربل والصراط تجبى اليها خزائن
الارض يخسف بها يعني بغداد وقال سيكون في هذه الامة رجل يقال له
الوليد هو شر لهذه الامة من فرعون لقومه وقال لا تقوم الساعة حتى تقتتل
فئتان دعوتهما واحدة وقال لعمر في سهيل بن عمرو وعسى ان يقوم مقاما
يسرك يا عمر فكان كذلك قام بمكة مقام ابي بكر يوم بلغهم موت النبي
صلى الله عليه وسلم وخطب نحو خطبته وثبتهم وقوى بصائرهم وقال لخالد
حين وجهه لاكيدر انك تجده يصيد البقر فوجدت هذه الامور كلها في حياته
وبعد موته كما قال عليه الصلوة والسلام الى ما اخبر به جلساؤه من اسرارهم
وبواطنهم واطلع عليه من اسرار المنافقين وكفرهم وقولهم فيه وفي المؤمنين
حتى ان كان بعضهم ليقول لصاحبه اسكت فوالله لو لم يكن عنده من يخبره
لاخبرته حجارة البطحاء واعلامه بصفة السحر الذي سحره به لبيد بن الاعصم
وكونه في مشط ومشاقة في جف طلع نخلة ذكر وانه القي في بئر ذروان فكان
كما قال صلى الله عليه وسلم ووجد على تلك الصفة واعلامه قريشا باكل الارضة ما
في صحيفتهم التي تظاهروا بها على بني هاشم وقطعوا بها رحمهم وانها ابقت فيها كل اسم

لله فوجدوها

لله فوجدوها كما قال عليه السلام ووصفه لكفار قريش بيت المقدس
حين كذبوه في خبر الاسرآء ونعته اياه نعت من عرفه واعلامهم بعيرهم
التي مر عليها في طريقه وانذارهم بوقت وصولها فكان ذلك كله كما قال
الى ما اخبر به من الحوادث التي تكون وطرآت بعد مبتها وما ظهرت مقدماتها
كقوله صلى الله عليه وسلم عمران بيت المقدس خراب يثرب وخراب يثرب
خروج الملحمة فتح القسطنطينية ومن اشراط الساعة واياتها وحلولها
وذكر الحشر والنشر واخبار الابرار والفجار والجنة والنار وعرصات
القيمة وبحسب هذا الفصل ان يكون ديوانا مفردا يشتمل على اجزآء
وحده وفيما اشرنا اليه من نكت الاحاديث التي ذكرناها كفاية واكثرها
في الصحيح وعند الائمة والله ولي التوفيق فصل في عصمة الله تعالى
له من الناس وكفايته من اذاه قال الله تعالى والله يعصمك من الناس
وقال الله تعالى واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وقال اليس الله
بكاف عبده قيل بكاف محمدا اعدآءه المشركين وقيل غير هذا وقال
انا كفيناك المستهزئين الذين يجعلون مع الله الها اخر وقال واذ
يمكر بك الذين كفروا الاية اخبرنا القاضي الشهيد ابو علي الصدفي
بقرآتي عليه والفقيه الحافظ ابو بكر محمد بن عبد الله المعافري قالا ثنا
ابو الحسين الصيرفي قال ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي
ثنا ابو العباس المروزي ثنا ابو عيسى الحافظ ثنا عبد بن حميد ثنا مسلم
بن ابراهيم ثنا الحارث بن عبيد عن سعيد الجريري عن عبد الله بن شقيق

عن عائشة قالت كان النبي صلى الله عليه وسلم يحرس حتى نزلت هذه الآية والله
يعصمك من الناس فاخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من القبة فقال
لهم يا أيها الناس انصرفوا فقد عصمني ربي عز وجل وروى ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان اذا نزل منزلا اختار له اصحابه شجرة يقيل تحتها فاتاه اعرابي
فاخترط سيفه ثم قال من يمنعك مني فقال الله فارعدت يد الاعرابي وسقط
سيفه وضرب براسه الشجرة حتى سال دماغه فنزلت الآية وقد رويت
هذه القصة في الصحيح وان غورث بن الحارث صاحب هذه القصة وان النبي صلى
الله عليه وسلم عفى عنه فرجع الى قومه وقال قد جئتكم من عند خير الناس وقد
حكيت مثل هذه الحكاية انها جرت له يوم بدر وقد انفرد من اصحابه لقضاء
حاجته فتبعه رجل من المنافقين وذكر مثله وقد روى انه وقع له مثلها
في غزاوة غطفان بذي امر مع رجل اسمه دعثور بن الحارث وان الرجل اسلم
فلما رجع الى قومه الذين اغروه وكان سيدهم واشجعهم قالوا له اين ما كنت
تقول وقد امكنك فقال اني نظرت الى رجل ابيض طويل دفع في صدري فوقعت
لظهري وسقط السيف فعرفت انه ملك واسلمت وفيه نزلت يا ايها الذين
آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم اذ هم قوم ان يبسطوا اليكم ايديهم الآية
وفي رواية الخطابي ان غورث بن الحارث المحاربي اراد ان يفتك بالنبي صلى الله عليه وسلم
فلم يشعر به الا وهو قائم على رأسه منتضيا سيفه فقال اللهم اكفنيه بما شئت
فانكب من وجهه من زلخة زلخها بين كتفيه وندر سيفه من يده الزلخة وجع
الظهر وقيل قصة غير هذا وذكر ان فيه نزلت يا ايها الذين آمنوا اذكروا

نعمة الله

نعمة الله عليكم اذ هم قوم الآية وقيل كان النبي صلى الله عليه وسلم يخاف
قريشا فلما نزلت هذه الآية استلقى ثم قال من شاء فليخذلني وذكر عبد بن
حميد قال كانت حمالة الحطب تضع العضاة وهي جمر على طريق رسول الله صلى الله
عليه وسلم فكانما يطاها كثيبا اهيل وذكر ابن اسحق عنها انها لما بلغها نزول تبت يدا
ابي لهب وذكرها بما ذكرها الله مع زوجها من الذم اتت رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو جالس في المسجد ومعه ابو بكر وفي يدها فهر من حجارة فلما وقفت عليهما
لم تر الا ابا بكر واخذ الله ببصرها عن نبيه صلى الله عليه وسلم فقالت يا ابا بكر اين
صاحبك قد بلغني انه يهجوني والله لو وجدته لضربت بهذا الفهر فاه
وعن الحكم بن ابي العاص تواعدنا على النبي صلى الله عليه وسلم حتى اذا رأيناه سمعنا
صوتا خلفنا ما ظننا انه بقي بتهامة احد فوقعنا مغشيا علينا فما افقنا
حتى قضى صلاته ورجع الى اهله ثم تواعدنا ليلة اخرى فجئنا حتى اذا رأيناه
جاءت الصفا والمروة فحالت بيننا وبينه وعن عمر تواعدت انا وابو جهم
بن حذيفة ليلة قتل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجئنا منزله فتسمعنا له
فافتتح فقرأ الحاقة ما الحاقة الى فهل ترى لهم من باقية فضرب ابو جهم
على عضد عمر وقال انج وفرا هاربين فكانت من مقدمات اسلام عمر ومنه
العبرة المشهورة والكفاية التامة عندما اخافته قريش واجمعت على
قتله وبيتوه فخرج عليهم من بيته فقام على رؤسهم وقد ضرب الله على
ابصارهم وذرى التراب على رؤسهم وخلص منهم وحمايته عن رؤيتهم
في الغار بما هيأ الله له من الآيات ومن العنكبوت الذي نسج عليه حتى قال

امية بن خلف قالوا ندخل الغار ما اربكم فيه وعليه من نسج العنكبوت
ما ارى انه قبل ان يولد محمد ووقفت حمامتان على فم الغار فقالت قريش لو
كان فيه احد لما كانت هناك الحمام وقصته مع سراقة بن مالك بن جعشم
حين الهجرة وقد جعلت قريش فيه وفي ابي بكر الجعائل فانذر به فركب فرسه
واتبعه حتى اذا قرب منه دعا عليه النبي صلى الله عليه وسلم فساخت قوائم فرسه
فخر عنها فاستقسم بالازلام فخرج له ما يكره ثم ركب ودنا حتى سمع قراءة
النبي صلى الله عليه وسلم وهو لا يلتفت وابو بكر يلتفت وقال للنبي صلى الله عليه
وسلم اتينا فقال لا تحزن ان الله معنا فساخت ثانية الى ركبتيها وخر عنها
فزجرها فنهضت ولقوائمها مثل الدخان فناداهم بالامان فكتب له النبي
صلى الله عليه وسلم امانا كتبه ابن فهيرة وقيل ابو بكر واخبرهم بالاخبار
وامرهم النبي صلى الله عليه وسلم ان لا يترك احدا يلحق بهم فانصرف يقول للناس
كفيتم ما ههنا وقيل قال لهما اراكما دعوتما علي فادعوا لي فنجا ووقع في نفسه
ظهور النبي صلى الله عليه وسلم وفي خبر آخر ان راعيا عرف خبرهما فخرج يشتد
ليعلم قريشا فلما ورد مكة ضرب على قلبه فما يدري ما يصنع وأنسي ما خرج له
حتى رجع الى موضعه وجاءه فيما ذكر ابن اسحق وغيره ابو جهل بصخرة وهو
ساجد وقريش ينظرون ليطرحها عليه فلزقت بيده ويبست يداه الى عنقه و
اقبل يرجع القهقرى الى خلفه ثم سأله ان يدعو له ففعل فانطلقت يداه وكان
قد تواعد مع قريش بذلك وحلف لئن رآه ليدمغنه فسألوه عن شأنه
فذكر انه عرض لي دونه فحل ما رأيت مثله قط هم بي ان يأكلني فقال النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم ذاك جبريل لو دنا لاخذه وذكر السمرقندي ان رجلا
من بني المغيرة اتى النبي صلى الله عليه وسلم ليقتله فطمس الله على بصره فلم ير النبي
صلى الله عليه وسلم وسمع قوله فرجع الى اصحابه فلم يرهم حتى نادوه وذكر ان في هاتين
القصتين نزلت إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا الآيتين ومن ذلك ما
ذكره ابن اسحق في قصته اذ خرج الى بني قريظة في اصحابه فجلس الى جدار
بعض آطامهم فانبعث عمرو بن جحاش احدهم ليطرح عليه رحا فقام
النبي صلى الله عليه وسلم فانصرف الى المدينة واعلمهم بقصتهم وقد قيل ان قوله
تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم إذ هم قوم في هذه
القصة نزلت وحكى السمرقندي انه خرج الى بني النضير يستعين
في عقل الكلابيين اللذين قتلهما عمرو بن امية فقال له حيي بن اخطب
اجلس يا ابا القاسم حتى نطعمك ونعطيك ما سألتنا فجلس النبي صلى
الله عليه وسلم مع ابي بكر وعمر وتوامر حيي معهم على قتله فاعلم جبريل النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك فقام كانه يريد حاجة حتى دخل المدينة
وذكر اهل التفسير ومعنى الحديث عن ابي هريرة ان ابا جهل وعد قريشا
لئن رأى محمدا يصلي ليطأن رقبته فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم اعلموه
فاقبل فلما قرب منه ولى هاربا ناكصا على عقبيه متقيا بيديه فسئل
فقال لما دنوت منه اشرفت على خندق مملوء نارا كدت اهوي فيه
وابصرت هولا عظيما وخفق اجنحة قد ملأت الارض فقال عليه
الصلوة والسلام تلك الملائكة لو دنا لاختطفته عضوا عضوا

ثم انزل على النبي صلى الله عليه وسلم كلا ان الانسان ليطغى الى آخر السورة و
يروى ان شيبة بن عثمان الحجبي ادركه يوم حنين وكان حمزة قد قتل اباه
وعمه فقال اليوم ادرك ثاري من محمد فلما اختلط الناس اتاه من خلفه
ورفع سيفه ليصبه عليه قال فلما دنوت منه ارتفع الي شواظ من
نار اسرع من البرق فوليت هاربا واحس بي النبي صلى الله عليه وسلم فدعاني
فوضع يده على صدري وهو ابغض الخلق الي فما رفعها الا وهو احب
الخلق الي وقال لي ادن فقاتل فتقدمت امامه اضرب بسيفي واقيه
بنفسي ولو لقيت ابي تلك الساعة لاوقعت به دونه وعن ابي فضالة
بن عمير اردت قتل النبي صلى الله عليه وسلم عام الفتح وهو يطوف بالبيت فلما دنوت
منه قال افضالة قلت نعم قال ما كنت تحدث به نفسك قلت لا شيء فضحك
واستغفر لي ووضع يده على صدري فسكن قلبي فوالله ما رفعها حتى ما
خلق الله شيئا احب الي منه ومن مشهور ذلك خبر عامر بن الطفيل واربد
بن قيس حين وفدا على النبي صلى الله عليه وسلم وكان عامر قال له انا اشغل
عنك وجه محمد فاضربه انت فلم يره فعل شيئا فلما كلمه في ذلك قال له
والله ما هممت ان اضربه الا وجدتك بيني وبينه افاضربك ومن
عصمته له تعالى ان كثيرا من اليهود والكهنة انذروا به وعينوه
لقريش واخبروهم بسطوته بهم وحضوهم على قتله فعصمه الله تعالى
حتى بلغ فيه امره ومن ذلك نصره بالرعب امامه مسيرة شهر كما قال عليه
الصلوة والسلام فصل ومن معجزاته الباهرة ما جمعه الله تعالى له من المعارف

والعلوم

والعلوم وخصه به من الاطلاع على جميع مصالح الدنيا والدين و
معرفته بامور شرايعه وقوانين دينه وسياسة عباده ومصالح امته وما
كان في الامم قبله وقصص الانبياء والرسل والجبابرة والقرون الماضية من
لدن آدم الى زمنه وحفظ شرايعهم وكتبهم ووعي سيرهم وسرد انبائهم
وايام الله فيهم وصفات اعيانهم واختلاف آرائهم والمعرفة بمددهم واعمارهم
وحكم حكمائهم ومحاجة كل امة من الكفرة ومعارضة كل فرقة من الكتابيين بما
في كتبهم واعلامهم باسرارها ومخبآت علومها واخبارهم بما كتموه من ذلك
وغيروه الى الاحتواء على لغات العرب وغريب الفاظ فرقها والاحاطة بضروب
فصاحتها والحفظ لايامها وامثالها وحكمها ومعاني اشعارها والتخصيص
بجوامع كلمها الى المعرفة بضرب الامثال الصحيحة والحكم البينة لتفهيم للغامض و
التبيين للمشكل الى تمهيد قواعد الشرع الذي لا تناقض فيه ولا تخاذل مع
اشتمال شريعته على محاسن الاخلاق ومحاسن الاخلاق ومحامد الاداب
وكل شيء مستحسن مفضل لم ينكر منه ملحد ذو عقل سليم شيئا الا من جهة الخذلان
بل كل جاحد له وكافر من الجاهلية به اذا سمع ما يدعو اليه صوبه واستحسنه
دون طلب اقامة برهان عليه ثم ما احل لهم من الطيبات وحرم عليهم من الخبائث
وصان به انفسهم واعراضهم واموالهم من المعاقبات والحدود عاجلا و
التخويف بالنار آجلا مما لا يعلم ولا يقوم به ولا ببعضه الا مارس الدرس
والعكوف على الكتب ومثافنة بعض هذا الى الاحتواء على ضروب العلوم
وفنون المعارف كالطب والعبارة والفرائض والحساب والنسب وغير ذلك

من العلم مما اتخذ اهل هذه المعارف كلامه عليه الصلوة والسلام فيها
قدوة واصولاً في علمهم كقوله عليه الصلوة والسلام الرؤيا لاول عابر و
هي على رجل طائر وقوله الرؤيا ثلاث رؤيا حق ورؤيا يحدث بها الرجل
نفسه ورؤيا تحزين من الشيطان وقوله اذا تقارب الزمان لم تكد
رؤيا المؤمن تكذب وقوله اصل كل داء البردة وما روى في حديث ابي
هريرة من قوله المعدة حوض البدن والعروق اليها واردة وان كان هذا
حديثا لا نصححه لضعفه وكونه موضوعا تكلم عليه الدارقطني
وقوله خير ما تداويتم به السعوط واللدود والوجور والحجامة
والمشي وخير الحجامة يوم سبع عشرة وتسع عشرة واحدى وعشرين و
في العود الهندي سبعة اشفية وقوله ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من
بطن الى قوله فان كان لا بد فثلث للطعام وثلث للشراب وثلث للنفس وقوله
وقد سئل عن سبا ارجل هو ام امرأة ام ارض فقال رجل ولد
عشرة تيامن منهم ستة وتشأم اربعة الحديث بطوله وكذلك جوابه
في نسب قضاعة وغير ذلك مما اضطرت العرب على شغلها بالنسب الى سؤاله
عما اختلفوا فيه من ذلك وقوله حمير رأس العرب ونابها ومذحج هامتها و
غلصمتها والازد كاهلها وجمجمتها وهمدان غاربها وذروتها وقوله
ان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والارض وقوله
في الحوض زواياه سواء وقوله في حديث الذكر ان الحسنة بعشر امثالها
فتلك مائة وخمسون على اللسان والف وخمسمائة في الميزان وقوله

وهو

وهو بموضع نعم موضع الحمام هذا وقوله ما بين المشرق والمغرب قبلة
وقوله لعيينة او الاقرع انا افرس بالخيل منك وقوله لكاتبه ضع القلم
على اذنك فانه اذكر للممل هذا مع انه صلى الله عليه وسلم كان لا يكتب ولكنه
اوتي علم كل شيء حتى قد وردت آثار بمعرفته حروف الخط وحسن تصويرها كقوله
لا تمدوا بسم الله الرحمن الرحيم رواه ابن شعبان من طريق ابن عباس وقوله في الحديث
الاخر الذي يروى عن معاوية انه كان يكتب بين يديه عليه الصلوة والسلام فقال
له الق الدواة وحرف القلم واقم الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن
الله ومد الرحمن وجود الرحيم وهذا وان لم تصح الرواية انه عليه الصلوة
والسلام كتب فلا يبعد ان يرزق علم هذا ويمنع الكتابة والقراءة واما
علمه صلى الله عليه وسلم بلغات العرب وحفظه معاني اشعارها فامر مشهور
قد نبهنا على بعضه اول الكتاب وكذلك حفظه لكثير من لغات الامم كقوله
في الحديث سنه سنه وهي حسنة بالحبشية وقوله ويكثر الهرج وهو
القتل بها وقوله في حديث ابي هريرة اشكنب درد اي وجع البطن بالفارسية
الى غير ذلك مما لا يعلم بعض هذا ولا يقوم به ولا ببعضه الا من مارس
الدرس والعكوف على الكتب ومثافنة اهلها عمره وهو رجل كما قال
الله تعالى امي لم يكتب ولم يقرأ ولا عرف بصحبة من هذه صفته ولا نشأ
بين قوم لهم علم ولا قراءة لشيء من هذه الامور ولا عرف هو قبل بشيء منها
قال الله تعالى وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك الآية انما كانت
غاية معارف العرب النسب واخبار اوائلها والشعر والبيان وانما حصل

ذلك لهم بعد التفرغ لذلك والاشتغال بطلبه ومباحثة اهله عنه
وهذا الفن نقطة من بحر علمه صلى الله عليه وسلم ولا سبيل الى جحد الملحد
بشيء مما ذكرناه ولا وجد الكفرة حيلة في دفع ما قصصناه الا قولهم
اساطير الاولين وانما يعلمه بشر فرد الله قولهم بقوله تعالى لسان الذى
يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين ثم ما قالوه مكابرة العيان
فان الذى نسبوا تعليمه اليه اما سلمان او العبد الرومى وسلمان انما
عرفه بعد الهجرة ونزول كثير من القرآن وظهور ما لا ينعد من الآيات واما
الرومى فكان اسلم وكان يقرأ على النبي صلى الله عليه وسلم واختلف في اسمه و
قيل بل كان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس عنده عند المروة وكلاهما اعجمي اللسان وهم
الفصحاء اللد والخطباء اللسن قد عجزوا عن معارضة ما اتى به والاتيان
بمثله بل عن فهم وصفه وصورة تاليفه ونظمه فكيف باعجمي الكن نعم وقد
كان سلمان او بلعام الرومى او يعيش او جبر او يسار على اختلافهم في اسمه
بين اظهرهم يكلمونهم مدى اعمارهم فهل حكي عن واحد منهم بمعرفة شيء من مثل ما
كان يجيء به محمد صلى الله عليه وسلم وهل عرف واحد منهم بمعرفة شيء من ذلك
وما منع العدو حينئذ على كثرة عدده ودؤوب طلبه وقوة حسده ان
يجلس الى هذا فياخذ عنه ايضا ما يعارض به ويتعلم منه ما يحتج به على شيعته
كفعل النضر بن الحارث بما كان يمخرق به من اخبار كتبه ولا غاب النبي صلى الله
عليه وسلم عن قومه ولا كثرت اختلافاته الى بلاد اهل الكتاب فيقال انه
استمد منهم بل لم يزل بين اظهرهم يرعى في صغره وشبابه عادة ابنائهم

ثم لم يخرج عن بلادهم الا في سفرة او سفرتين لم يطل فيهما مكثه مدة يحتمل
فيها تعليم القليل فكيف الكثير بل كان في سفره في صحبة قومه ورفاقه
عشيرته لم يغب عنهم ولا خالف حاله مدة مقامه بمكة من تعليم واختلاف
الى حبر او قس او منجم او كاهن بل لو كان بعد هذا كله لكان مجيء ما اتى به
في معجز القرآن قاطعا لكل عذر ومدحضا لكل حجة ومجليا لكل امر
فصل ومن خصائصه عليه الصلوة والسلام وكراماته وباهر
اياته انباؤه مع الملائكة والجن وامداد الله له بالملائكة وطاعة
الجن له ورؤية كثير من اصحابه لهم قال الله تعالى وان تظاهرا عليه فان
الله هو مولاه وجبريل الآية قال الله تعالى اذ يوحي ربك الى الملائكة
اني معكم فثبتوا الذين آمنوا وقال اذ تستغيثون ربكم فاستجاب
لكم اني ممدكم الآيتين وقال واذ صرفنا اليك نفرا من الجن يستمعون
القرآن الآية حدثنا سفيان بن العاصي الفقيه سماعا عليه ثنا ابو الليث
السمرقندي ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابو احمد الجلودي ثنا ابن سفيان
ثنا مسلم ثنا عبيد الله بن معاذ ثنا ابي ثنا شعبة عن سليمان الشيباني
سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال لقد رأى من آيات ربه الكبرى
قال رأى جبريل في صورته له ستمائة جناح والخبر في محادثته مع
جبريل واسرافيل عليهما السلام وغيرهما من الملائكة وما شاهده
من كثرتهم وعظم صور بعضهم ليلة الاسراء مشهور وقد رآهم
بحضرته جماعة من اصحابه في مواطن مختلفة فرأى اصحابه جبريل عليه السلام

في صورة رجل يسأله عن الاسلام والايمان ورأى ابن عباس واسامة
ابن زيد وغيرهما رضي الله عنهما عنده جبريل في صورة دحية ورأى
سعد رضي الله عنه على يمينه ويساره جبريل وميكائيل عليهما السلام
في صورة رجلين عليهما ثياب بيض ومثله عن غير واحد وسمع بعضهم زجر
الملائكة خيلها يوم بدر وبعضهم رأى تطاير الرؤس من الكفار
ولا يرون الضارب ورأى ابو سفيان بن الحارث يومئذ رجالا بيضا
على خيل بلق بين السماء والارض ما يقوم لها وقد كانت الملائكة تصافح
عمران بن الحصين ورأى النبي صلى الله عليه وسلم لحمزة جبريل في الكعبة فخر
مغشيا عليه ورأى ابن مسعود رضي الله عنه الجن ليلة الجن وسمع
كلامهم وشبههم برجال الزط وذكر ابن سعد ان مصعب بن عمير لما قتل
يوم احد اخذ الراية ملك على صورته فكان النبي صلى الله عليه وسلم
يقول تقدم يا مصعب فقال له الملك لست بمصعب فعلم انه ملك
وقد ذكر غير واحد من المصنفين عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال بينما
نحن جلوس مع النبي صلى الله عليه وسلم اذ اقبل شيخ بيده عصا فسلم على النبي
صلى الله عليه وسلم فرد عليه وقال نغمة الجن من انت فقال انا هامة بن الهيم
بن لاقيس بن ابليس فذكر انه لقي نوحا عليه السلام ومن بعده
في حديث طويل وان النبي صلى الله عليه وسلم علمه سورا من القرآن وذكر
الواقدي قتل خالد عند هدمه العزى للسوداء التي خرجت له ناشرة
شعرها عريانة فجزلها بسيفه واعلم النبي صلى الله عليه وسلم فقال له

تلك

تلك العزى وقال عليه الصلوة والسلام ان شيطانا تفلت البارحة
ليقطع علي صلاتي فامكنني الله منه فاخذته فاردت ان اربطه الى
سارية من سواري المسجد حتى تنظروا اليه كلكم فذكرت دعوة اخي
سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي فرده الله خاسئا
وهذا باب واسع فصل ومن دلائل نبوته وعلامات رسالته ما ترادفت
به الاخبار عن الرهبان والاحبار وعلماء اهل الكتب من صفته وصفة
امته واسمه وعلاماته وذكر الخاتم الذي بين كتفيه وما وجد في
ذلك من اشعار الموحدين المتقدمين من شعر تبع والاوس بن حارثة
وكعب بن لؤي وسفيان بن مجاشع وقس بن ساعدة وما ذكر عن سيف بن
ذي يزن وغيرهم وما عرف به من امره زيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل
وعثكلان الحميري وعلماء اليهود وشامول عالمهم صاحب تبع من صفته
وخبره وما الفي من ذلك في التورية والانجيل مما قد جمعه العلماء وبينوه
ونقله عنهما ثقات ممن اسلم منهم مثل ابن سلام وابني سعية وابن يامين
ومخيريق وكعب واشباههم ممن اسلم من علماء يهود وبحيراء ونسطور
الحبشة وضغاطر وصاحب بصرى واسقف الشام والجارود وسلمان
والنجاشي ونصارى الحبشة واساقف نجران وغيرهم ممن اسلم من علماء النصارى
وقد اعترف بذلك هرقل وصاحب رومة عالما النصارى ورئيساهم و
مقوقس صاحب مصر والشيخ صاحبه وابن صوريا وابن اخطب واخوه
وكعب بن اسد والزبير بن باطيا وغيرهم من علماء اليهود ممن حمله الحسد

والنفاسة على البقاء والشقاء والاخبار في هذا كثيرة لا تنحصر وقد
قرع اسماع يهود والنصارى بما ذكر انه في كتبهم من صفته وصفة اصحابه واحتج عليهم
بما انطوت عليه من ذلك صحفهم وذمهم بتحريف ذلك وكتمانه وليهم
السنتهم ببيان امره ودعوتهم المباهلة على الكاذب فما منهم الا من فر عن
معارضته وابداء ما الزمهم من كتبهم اظهاره ولو وجدوا خلاف قوله
لكان اظهاره اهون عليهم من بذل النفوس والاموال وتخريب الديار و
نبذ القتال وقد قال لهم قل فاتوا بالتورية فاتلوها ان كنتم صادقين
الى ما انذر به الكهان مثل شافع بن كليب وشق وسطيح وسواد بن
قارب وخنافر وافعى نجران وجذل الكندى وابن خلصة الدوسى و
سعدى بنت كريز وفاطمة بنت النعمان ومن لا يعد كثرة الى ما ظهر على
السنة الاصنام من نبوته وحلول وقت رسالته وسمع من هواتف الجن ومن
ذبائح النصب واجواف الصور وما وجد من اسم النبى عليه السلام والشهادة
له بالرسالة مكتوبا فى الحجارة والقبور بالخط القديم ما اكثره مشهور
واسلام من اسلم بسبب ذلك معلوم مذكور فصل ومن ذلك ما ظهر
من الآيات عند مولده صلى الله عليه وسلم وما حكته امه ومن حضره من العجائب
وكونه رافعا راسه عند ما وضعته شاخصا ببصره الى السماء وما راته
من النور الذى خرج معه عند ولادته وما راته اذ ذاك ام عثمان بن ابى العاص
من تدلى النجوم وظهور النور عند ولادته حتى ما تنظر الا النور وقول
الشفاء ام عبد الرحمن بن عوف لما سقط عليه الصلوة والسلام على يدى

واستهل

واستهل سمعت قائلا يقول رحمك الله واضاء لى ما بين المغرب والمشرق حتى
نظرت الى قصور الروم وما تعرفت حليمة وزوجها ظئراه من بركته ودرور
لبنها له ولبن شارفها وخصب غنمها وسرعة شبابه وحسن نشاته وما جرى من
العجائب ليلة مولده صلى الله عليه وسلم من ارتجاج ايوان كسرى وسقوط شرفاته
وغيض بحيرة طبرية وخمود نار فارس وكان لها الف عام لم تخمد وانه كان اذا
اكل مع عمه ابى طالب واله وهو صغير شبعوا ورووا واذا غاب فاكلوا فى
غيبته لم يشبعوا وكان سائر ولد ابى طالب يصبحون شعثا ويصبح صلى الله
عليه وسلم صقيلا دهينا كحيلا قالت ام ايمن حاضنته ما رايته صلى
الله عليه وسلم اشتكى جوعا ولا عطشا صغيرا ولا كبيرا ومن ذلك حراسة
السماء بالشهب وقطع رصد الشياطين ومنعهم استراق السمع وما نشا
عليه من بغض الاصنام والعفة عن امور الجاهلية وما خصه الله به
من ذلك وحماه حتى فى ستره فى الخبر المشهور عند بناء الكعبة اذ اخذ
ازاره ليجعله على عاتقه ليحمل عليه الحجارة وتعرى فسقط الى الارض
حتى رد ازاره عليه فقال له عمه ما بالك فقال انى نهيت عن التعرى
ومن ذلك اظلال الله تعالى له بالغمام فى سفره وفى رواية ان خديجة
ونساءها راينه لما قدم وملكان يظلانه فذكرت ذلك لميسرة
فاخبرها انه راى ذلك منذ خرج معه فى سفره وقد روى ان حليمة
رات غمامة تظله وهو عندها وروى ذلك عن اخيه من الرضاعة
ومن ذلك انه نزل فى بعض اسفاره قبل مبعثه تحت شجرة يابسة

فاغشوشب ما حولها واينعت هي فاشرقت وتدلت اغصانها بمحضر
من رواه وميل فيء الشجرة اليه في الخبر الآخر حتى ظلته وما ذكر من انه
كان لا ظل لشخصه في شمس ولا قمر لانه كان نورا وان الذباب كان لا يقع على
جسده ولا ثيابه ومن ذلك تحبيب الخلوة اليه حتى اوحي اليه ثم اعلامه
بموته ودنو اجله وان قبره بالمدينة وفي بيته وان بين بيته وبين منبره
روضة من رياض الجنة وتخيير الله له عند موته وما اشتمل عليه حديث
الوفاة من كراماته وتشريفه وصلاة الملائكة على جسده على ما رويناه
في بعضها واستيذان ملك الموت عليه ولم يستاذن على غيره قبله و
نداؤهم الذي سمعوه ان لا ينزعوا القميص عنه عند غسله وما روي
من تعزية الخضر والملائكة اهل بيته عند موته الى ما ظهر على اصحابه
من كراماته في حياته وموته كاستسقاء عمر بعمه وتبرك غير واحد بذريته

فصل قال القاضي ابو الفضل قد اتينا في هذا الباب على نكت من معجزاته
واضحة وجمل من علامات نبوته مقنعة في واحد منها الكفاية والغنية
وتركنا الكثير سوى ما ذكرنا واقتصرنا من الاحاديث الطوال على عين الغرض
وفص المقصد ومن كثير الاحاديث وغريبها على ما صح واشتهر الا يسيرا
من غريبه مما ذكره مشاهير الائمة وحذفنا الاسناد في جمهورها طلبا
للاختصار وبحسب هذا الباب لو تقصي ان يكون ديوانا جامعا يشتمل
على مجلدات عدة ومعجزات نبينا عليه السلام اظهر من سائر معجزات
الرسل بوجهين احدهما كثرتها وانه لم يؤت نبي معجزة الا وعند نبينا

مثلها

مثلها او ما هو ابلغ منها وقد نبه الناس على ذلك فان اردته فتامل
فصول هذا الباب ومعجزات من تقدم من الانبياء تقف على ذلك ان شاء
الله تعالى واما كونها كثيرة فهذا القرآن وكله معجز واقل ما يقع الاعجاز
فيه عند بعض ائمة المحققين سورة انا اعطيناك الكوثر او آية في قدرها
وذهب بعضهم الى ان كل آية منه كيف كانت معجزة وان كانت كلمة او كلمتين
والحق ما ذكرناه اولا لقوله فاتوا بسورة من مثله فهو اقل ما تحداهم به مع
ما ينصر هذا من نظر وتحقيق يطول بسطه واذا كان هذا ففي القرآن من
الكلمات نحو من سبعة وسبعين الف كلمة ونيف على عدد بعضهم وعدد
كلمات انا اعطيناك الكوثر عشر كلمات فيتجزأ القرآن على نسبة عدد انا
اعطيناك الكوثر ازيد من سبعة الاف جزء كل واحد منها معجز في نفسه
ثم اعجازه كما تقدم بوجهين طريق بلاغته وطريق نظمه فصار في كل جزء
من هذا العدد معجزتان فتضاعف العدد من هذا الوجه ثم فيه وجوه اعجاز
اخر من الاخبار بعلوم الغيب فقد يكون في السورة الواحدة من هذه التجزئة
الخبر عن اشياء من الغيب كل خبر منها بنفسه معجز فتضاعف العدد كرة اخرى
ثم وجوه الاعجاز الاخر التي ذكرناها توجب التضعيف هذا في حق القرآن
فلا يكاد يأخذ العد معجزاته ولا يحوي الحصر براهينه ثم الاحاديث الواردة
والاخبار الصادرة عنه السلام في هذه الابواب وعما دل على امره مما اشرنا
الجمله تبلغ نحوا من هذا الوجه الثاني وضوح معجزاته صلى الله عليه وسلم فان
معجزات الرسل كانت بقدر همم اهل زمانهم وبحسب الفن الذي سما فيه قرنه

فلما كان زمن موسى عليه السلام غاية علم اهله السحر بعث اليهم موسى
بمعجزة تشبه ما يدعون قدرتهم عليه فجاءهم منها ما خرق عادتهم ولم
يكن في قدرتهم وابطل سحرهم وكذلك زمن عيسى عليه السلام اغنى
ما كان الطب واوفر ما كان اهله فجاءهم امر لا يقدرون
عليه واتاهم ما لم يحتسبوه من احياء الميت وابراء الاكمه والابرص
دون معالجة ولا طب وهكذا سائر معجزات الانبياء عليهم
السلام ثم ان الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم وجملة معارف
العرب وعلومها اربعة البلاغة والشعر والخبر والكهانة فانزل
القرآن الخارق لهذه الاربعة فصول من الفصاحة والايجاز و
البلاغة الخارجة عن نمط كلامهم ومن النظم الغريب والاسلوب
العجيب الذي لم يهتدوا في المنظوم الى طريقه ولا علموا في اساليب
الاوزان منهجه ومن الاخبار عن الكوائن والحوادث والاسرار والمخبآت والضمائر
فتوجد على ما كانت ويعترف المخبر عنها بصحة ذلك وصدقه وان كان اعدى
العدو فابطل الكهانة التي تصدق مرة وتكذب عشرا ثم اجتثها من اصلها
برجم الشهب ورصد النجوم وجاء من الاخبار عن القرون السالفة وانباء
الانبياء والامم البائدة والحوادث الماضية ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن
بعضه على الوجوه التي بسطناها وبينا المعجز فيها ثم بقيت هذه المعجزة
الجامعة لهذه الوجوه الى الفصول الاخر التي ذكرناها في معجزات القرآن ثابتة
الى يوم القيمة بينة الحجة لكل امة تاتي لا تخفى وجوه ذلك على من نظر فيه

وتامل

وتامل وجوه اعجازه الى ما اخبر به من الغيوب على هذا السبيل فلا يمر عصر
ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما اخبر فيتجدد الايمان
ويتظاهر البرهان وليس الخبر كالعيان وللمشاهدة زيادة في اليقين
والنفس اشد طمانينة الى عين اليقين منها الى علم اليقين وان كان
كل عندها حقا وصدقا وسائر معجزات الرسل انقرضت بانقراضهم
وعدمت بعدم ذاتها ومعجزة نبينا صلى الله عليه وسلم لا تبيد ولا تنقطع
واياته تتجدد ولا تضمحل ولهذا اشار عليه السلام بقوله فيما حدثنا
القاضي الشهيد ابو علي ثنا القاضي ابو الوليد ثنا ابو ذر ثنا ابو محمد وابو اسحق
وابو الهيثم قالوا ثنا الفربري ثنا البخاري ثنا عبد العزيز بن عبد الله
ثنا الليث عن سعيد عن ابيه عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال ما من الانبياء نبي الا اعطي من الايات ما مثله آمن عليه البشر
وانما كان الذي اوتيت وحيا اوحاه الله الي فارجو اني اكثرهم تابعا
يوم القيمة هذا معنى الحديث عند بعضهم وهو الظاهر والصحيح ان شاء
الله تعالى وذهب غير واحد من العلماء في تاويل هذا الحديث وظهور
معجزة نبينا عليه السلام الى معنى آخر من ظهورها بكونها وحيا وكلاما
لا يمكن التخييل فيه ولا التحيل عليه ولا التشبيه فان غيرها من معجزات الرسل
قد رام المعاندون لها باشياء طمعوا في التخييل بها على الضعفاء كالقاء
السحرة حبالهم وعصيهم وشبه هذا مما يخيله الساحر او يتحيل فيه
والقران كلام ليس للحيلة ولا للسحر ولا للتخييل فيه عمل فكان

من هذا الوجه عندهم اظهر من غيره من المعجزات كما لا يتم لشاعر ولا خطيب
ان يكون شاعراً ولا خطيباً بضرب من الحيل والتمويه والتاويل الاول
اخلص وارضى وفي هذا التاويل الثاني ما يغمض الخفيف عليه ويغفى
ووجه ثالث على مذهب من قال بالصرف وان المعارضة كانت في مقدور
البشر فصرفوا عنها او على احد مذهبي اهل السنة من ان الاتيان بمثله
من جنس مقدورهم ولكن لم يكن ذلك قبل ولا يكون بعد لان الله لم
يقدرهم ولا يقدرهم عليه وبين المذهبين فرق بين وعليهما جميعا
فترك العرب الاتيان بما في مقدورهم وما هو من جنس مقدورهم و
رضاهم بالبلاء والجلاء والسباء والاذلال وتغيير الحال وسلب
النفوس والاموال والتقريع والتوبيخ والتعجيز والتهديد و
الوعيد ابين اية للعجز عن الاتيان بمثله والنكول عن معارضته
وانهم منعوا عن شيء هو من جنس مقدورهم والى هذا ذهب الامام
ابو المعالي الجويني وغيره قال وهذا عندنا ابلغ في خرق العادة بالافعال
البديعة في انفسها كقلب العصا حية ونحوها فانه قد يسبق الى بال
الناظر بداً ان ذلك من اختصاص صاحب ذلك بمزية معرفة في ذلك الفن
وفضل علم الى ان يرد ذلك صحيح النظر واما التحدي للخلائق
المسائن من السنين بكلام من جنس كلامهم ليأتوا بمثله فلم يأتوا
فلم يبق بعد توافر الدواعي على المعارضة ثم عدمها الا منع الله الخلق عنها
بمثابة ما لو قال نبي آيتي ان يمنع الله القيام عن الناس مع قدرتهم

عليه

عليه وارتفاع الزمانة عنهم فلو كان ذلك وعجزهم الله عن القيام
لكان ذلك من ابهر آية واظهر دلالة وبالله التوفيق وقد غاب عن
بعض العلماء وجه ظهور آيته على سائر ايات الانبياء حتى احتاج
للعذر عن ذلك بدقة افهام العرب وذكاء البابها ووفور عقولها
وانهم ادركوا المعجزة فيه بفطنتهم وجاءهم من ذلك بحسب ادراكهم وغيرهم
من القبط وبني اسرائيل وغيرهم لم يكونوا بهذه السبيل بل كانوا من الغباوة
وقلة الفطنة بحيث جوز عليهم فرعون انه ربهم وجوز عليهم السامري ذلك
في العجل بعد ايمانهم وعبدوا المسيح مع اجماعهم على صلبه وما قتلوه وما
صلبوه ولكن شبه لهم فجاءتهم من الايات الظاهرة البينة للابصار
بقدر غلظ افهامهم ما لا يشكون فيه ومع هذا فقالوا لن نؤمن لك
حتى نرى الله جهرة ولم يصبروا على المن والسلوى واستبدلوا الذي
هو ادنى بالذي هو خير والعرب على جاهليتها اكثرها يعترف بالصانع
وانما كانت تتقرب بالاصنام الى الله زلفى ومنهم من آمن بالله وحده
من قبل الرسل بدليل عقله وصفاء لبه ولما جاءهم الرسول بكتاب الله
فهموا حكمته وتبينوا بفضل ادراكهم لاول وهلة معجزته فامنوا به وازدادوا
كل يوم ايمانا ورفضوا الدنيا كلها في صحبته وهجروا ديارهم واموالهم
وقتلوا اباءهم وابناءهم في نصرته واتى في معنى هذا بما يلوح له رونق
ويعجب منه زبرج لو احتيج اليه وحقق لكنا قدمنا من بيان معجزات نبينا
صلى الله عليه وسلم وظهورها يغني عن ركوب بطون هذه المسالك وظهورها

وبالله استعين وهو حسبنا ونعم الوكيل

وقف | القسم الثاني | وقف | وقف

فيما يجب على الانام من حقوقه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل
رحمه الله وهذا قسم لخصنا فيه الكلام في اربعة ابواب على ما ذكرناه
اول الكتاب ومجموعها في وجوب تصديقه واتباعه في سنته وطاعته
ومحبته ومناصحته وتوقيره وبره وحكم الصلاة عليه والتسليم
وزيارة قبره

الباب الاول | وقف

في فرض الايمان به ووجوب طاعته واتباع سنته صلى الله
عليه وسلم وشرف وكرم اذا تقرر بما قدمناه ثبوت نبوته وصحة رسالته
وجب الايمان به وتصديقه فيما اتى به قال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
والنور الذي انزلنا وقال انا ارسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا
لتؤمنوا بالله ورسوله وقال الله تعالى فآمنوا بالله ورسوله
النبي الامي الاية فالايمان بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم واجب
متعين لا يتم الايمان الا به ولا يصح الاسلام الا معه قال الله تعالى
ومن لم يؤمن بالله ورسوله فانا اعتدنا للكافرين سعيرا
حدثنا ابو محمد الخشني الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الامام ابو علي
الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا ابن عمرويه ثنا ابن سفيان ثنا
ابو الحسين ثنا امية بن بسطام ثنا يزيد بن زريع ثنا روح عن العلاء
بن عبد الرحمن بن يعقوب عن ابيه عن ابي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله

صلى الله

صلى الله عليه وسلم قال امرت ان اقاتل الناس حتى يشهدوا ان لا اله
الا الله ويؤمنوا بي وبما جئت به فاذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم
واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله تعالى قال القاضي ابو الفضل رحمه الله
والايمان به هو تصديق نبوته ورسالة الله تعالى له وتصديقه في
جميع ما جاء به وما قاله ومطابقة تصديق القلب بذلك شهادة
اللسان بانه رسول الله فاذا اجتمع التصديق به بالقلب والنطق
بالشهادة بذلك باللسان تم الايمان به والتصديق له كما ورد في
هذا الحديث نفسه من رواية ابن عمر رضي الله عنهما امرت ان اقاتل الناس
حتى يشهدوا ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وقد زاده
وضوحا في حديث جبريل اذ قال اخبرني عن الاسلام فقال النبي صلى الله عليه وسلم
ان تشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله وذكر اركان
الاسلام ثم سأله عن الايمان فقال ان تؤمن بالله وملائكته وكتبه
ورسله الحديث فقد قرر ان الايمان به محتاج الى العقد بالجنان والاسلام
به مضطر الى النطق باللسان وهذه الحال المحمودة التامة واما الحال المذمومة
فالشهادة باللسان دون تصديق القلب وهذا هو النفاق
قال الله تعالى اذا جاءك المنافقون قالوا نشهد انك لرسول
الله والله يعلم انك لرسوله والله يشهد ان المنافقين لكاذبون
اي كاذبون في قولهم ذلك عن اعتقادهم وتصديقهم وهم لا يعتقدونه
فلما لم يصدق ذلك ضميرهم لم ينفعهم ان يقولوا بألسنتهم ما ليس

فى قلوبهم فخرجوا عن اسم الايمان ولم يكن لهم فى الاخرة حكم اذ
لم يكن معهم ولحقوا بالكافرين فى الدرك الاسفل من النار وبقى
عليهم حكم الاسلام بظاهر شهادة اللسان فى احكام الدنيا المتعلقة
بالائمة وحكام المسلمين الذين احكامهم على الظواهر بما اظهروه
من علامة الاسلام اذ لم يجعل للبشر سبيل الى السرائر ولا امروا بالبحث
عنها بل نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن التحكم عليها وذم ذلك قال
هلا شققت عن قلبه والفرق بين القول والعقد ما جعل فى
حديث جبريل عليه السلام الشهادة من الاسلام والتصديق من الايمان
وبقيت حالتان اخريان بين هذين احديهما ان يصدق بقلبه ثم
يخترم قبل اتساع وقت الشهادة بلسانه فاختلف فيه فشرط بعضهم من
تمام الايمان القول والشهادة به ورآه بعضهم مؤمنا مستوجبا
للجنة لقوله عليه السلام يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة
من ايمان فلم يذكر سوى ما فى القلب وهذا مؤمن بقلبه غير عاص
ولا مفرط بترك غيره وهذا هو الصحيح فى هذا الوجه الثانية ان
يصدق بقلبه ويطول مهله وعلم ما يلزمه من الشهادة فلم ينطق
بها جملة ولا استشهد فى عمره ولا مرة واحدة فهذا اختلف فيه ايضا
فقيل هو مؤمن لانه مصدق والشهادة من جملة الاعمال وهو عاص بتركها
غير مخلد وقيل ليس بمؤمن حتى يقارن عقده شهادة اذ الشهادة انشاء
عقد والتزام ايمان وهى مرتبطة مع العقد ولا يتم التصديق مع المهلة

الا بها

الا بها وهذا هو الصحيح وهذا نبذ يفضى الى متسع من الكلام فى
الاسلام والايمان وابوابهما وفى الزيادة فيهما والنقصان وهل
التجزى ممتنع على مجرد التصديق لا يصح فيه جملة وانما يرجع الى ما
زاد عليه من عمل او قد يعرض فيه لاختلاف صفاته وتباين حالاته
من قوة يقين وتصميم اعتقاد ووضوح معرفة ودوام حالة وحضور
قلب وفى بسط هذا خروج عن غرض التاليف وفيما ذكرناه غنية فيما قصدنا
ان شاء الله تعالى فصل واما وجوب طاعته فاذا وجب الايمان به و
تصديقه فيما جاء به وجبت طاعته لان ذلك مما اتى به قال الله تعالى
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَرَسُولَهُ وقال قُلْ أَطِيعُوا
اللهَ وَالرَّسُولَ وَأَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ وقال
وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وقال مَنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ
اللهَ وقال وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا
وقال وَمَنْ يُطِعِ اللهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ الاية وقال وَمَا
أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللهِ فجعل طاعة رسوله طاعته
وقرن طاعته بطاعته ووعد على ذلك بجزيل الثواب واوعد
على مخالفته بسوء العقاب واوجب امتثال امره واجتناب نهيه
قال المفسرون والائمة طاعة الرسول فى التزام سنته والتسليم لما جاء به
وقالوا وما ارسل الله من رسول الا فرض طاعته على من ارسله اليهم
وقالوا من يطع الرسول فى سنته يطع الله فى فرائضه وسئل سهل بن

عبد الله عن شرايع الاسلام فقال وما آتيكم الرسول فخذوه وقال السمرقندي يقال اطيعوا الله في فرائضه والرسول في سنته وقيل اطيعوا الله فيما حرم عليكم والرسول فيما بلغكم ويقال اطيعوا الله بالشهادة له بالربوبية والنبي بالشهادة له بالنبوة حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن علي بن محمد بن خلف ثنا محمد بن احمد ثنا محمد بن يوسف ثنا البخاري ثنا عبدان انا عبد الله انا يونس عن الزهري قال اخبرني ابو سلمة بن عبد الرحمن انه سمع ابا هريرة يقول ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من اطاعني فقد اطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله ومن اطاع اميري فقد اطاعني ومن عصى اميري فقد عصاني فطاعة الرسول من طاعة الله اذ الله امر بطاعته فطاعته امتثال لما امر الله به وطاعة له وقد حكى الله عن الكفار في دركات جهنم يوم تقلب وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فتمنوا طاعته حيث لا ينفعهم التمني وقال عليه السلام اذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه واذا امرتكم بشيء فاتوا منه ما استطعتم وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام كل امتي يدخلون الجنة الا من ابى قالوا ومن يابى قال من اطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد ابى وفي الحديث الاخر الصحيح عنه عليه السلام مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل اتى قوما فقال يا قوم اني رأيت الجيش بعيني واني انا النذير العريان فالنجاء فاطاعه طائفة من قومه فادلجوا فانطلقوا على مهلهم فنجوا

وكذبت

وكذبت طائفة منهم فاصبحوا مكانهم فصبحهم الجيش فاهلكهم واجتاحهم فذلك مثل من اطاعني واتبع ما جئت به ومثل من عصاني وكذب ما جئت به من الحق وفي الحديث الاخر في مثله كمثل من بنى دارا وجعل فيها مأدبة وبعث داعيا فمن اجاب الداعي دخل الدار واكل من المأدبة ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار ولم ياكل من المأدبة فالدار الجنة والداعي محمد صلى الله عليه وسلم فمن اطاع محمدا فقد اطاع الله ومن عصى محمدا فقد عصى الله ومحمد فرق بين الناس

فصل

واما وجوب اتباعه وامتثال سنته والاقتداء بهديه فقد قال الله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم وقال الله تعالى فامنوا بالله ورسوله النبي الامي الذي يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون وقال الله تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الى قوله تسليما اي ينقادون لحكمك يقال سلم واستسلم واسلم اذا انقاد وقال الله تعالى لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الاخر الاية وقال محمد بن علي الترمذي الاسوة في الرسول الاقتداء به والاتباع لسنته وترك مخالفته في قول او فعل وقال غير واحد من المفسرين بمعناه وقيل هو عتاب للمتخلفين عنه وقال سهل في قوله صراط الذين انعمت عليهم قال بمتابعة السنة فامرهم الله تعالى بذلك ووعدهم الاهتداء باتباعه لان الله ارسله بالهدى ودين الحق ليزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم ووعدهم محبته تعالى في الاية الاخرى

ومغفرة اذا اتبعوه واثروه على اهوائهم وما تجنح اليه نفوسهم وان
صحة ايمانهم بانقيادهم له ورضاهم بحكمه وترك الاعتراض عليه و
روي عن الحسن ان اقواما قالوا يا رسول الله انا نحب الله فانزل الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله الآية وروي ان الآية
نزلت في كعب بن الاشرف وغيره وانهم قالوا نحن ابناء الله واحباؤه
ونحن اشد حبا لله فانزل الله الآية وقال الزجاج معناه ان كنتم
تحبون الله ان تقصدوا طاعته فافعلوا ما امركم به اذ محبة العبد
لله والرسول طاعته لهما ورضاه بما امرا ومحبة الله لهم عفوه عنهم و
انعامه عليهم برحمته ويقال الحب من الله عصمة وتوفيق ومن العباد
طاعة كما قال القائل تعصي الاله وانت تظهر حبه هذا لعمري في
القياس بديع لو كان حبك صادقا لاطعته ان المحب لمن يحب مطيع
ويقال محبة العبد لله تعالى تعظيمه له وهيبته منه ومحبة
الله له وارادته الجميل له وتكون بمعنى مدحه وثنائه عليه
قال القشيري فاذا كان بمعنى الرحمة والارادة والمدح كان من
صفات الذات وسيأتي بعد في ذكر محبة العبد غير هذا بحول
الله تعالى حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه قال ثنا ابو
الاصبغ عيسى بن سهل ثنا ابو الحسن يونس بن مغيث الفقيه بقراءتي
عليه قالا ثنا محمد بن خاتم قال ثنا ابو حفص الجهني ثنا ابو بكر الآجري
ثنا ابراهيم بن موسى الجوزي ثنا داود بن رشيد ثنا الوليد بن مسلم

عن ثور بن

عن ثور بن يزيد عن خالد بن معدان عن عبد الرحمن بن عمرو السلمي و
حجر الكلاعي عن العرباض بن سارية في حديثه في موعظة النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين
عضوا عليها بالنواجذ واياكم ومحدثات الامور فان كل محدثة بدعة وكل
بدعة ضلالة زاد في حديث جابر بمعناه وكل ضلالة في النار وفي حديث
ابي رافع عنه عليه السلام لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من
امري مما امرت به او نهيت عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه
وفي حديث عائشة رضي الله عنها صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا
ترخص فيه فتنزه عنه قوم فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله و
اثنى عليه ثم قال ما بال قوم يتنزهون عن الشيء اصنعه فوالله اني
لاعلمهم بالله واشدهم له خشية وروي عنه عليه السلام انه قال القرآن
صعب مستصعب على من كرهه وهو الحكم فمن استمسك بحديثي وفهمه و
حفظه جاء مع القرآن ومن تهاون بالقرآن وحديثي خسر الدنيا والآخرة
امرت امتي ان ياخذوا بقولي ويطيعوا امري ويتبعوا سنتي فمن رضي بقولي
فقد رضي بالقرآن قال الله تعالى وما آتيكم الرسول فخذوه وما
نهاكم عنه فانتهوا وقال عليه السلام من اقتدى بي فهو مني ومن رغب
عن سنتي فليس مني وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان احسن الحديث كتاب الله وخير الهدي هدي محمد وشر الامور محدثاتها
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال النبي صلى الله عليه وسلم العلم ثلاثة

وما سوى ذلك فهو فضل آية محكمة او سنة قائمة او فريضة
عادلة وعن الحسن بن ابي الحسن رحمهما الله قال عليه السلام عمل قليل في
سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال صلى الله عليه وسلم ان الله يدخل العبد الجنة
بالسنة تمسك بها وعن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
المتمسك بسنتي عند فساد امتي له اجر مائة شهيد وقال عليه الصلوة والسلام
ان بني اسرائيل افترقوا على اثنتين وسبعين ملة وان امتي تفترق على ثلث
وسبعين كلها في النار الا واحدة قالوا ومن هم يا رسول الله قال الذي انا
عليه اليوم واصحابي وعن انس رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم قال من احيى
سنتي فقد احياني ومن احياني كان معي وعن عمرو بن عوف المزني ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لبلال بن الحارث من احيا سنة من سنتي قد اميتت بعدك فان له من
الاجر مثل من عمل بها من غير ان ينقص من اجورهم شيئا ومن ابتدع بدعة ضلالة
لا ترضي الله ورسوله كان عليه مثل آثام من عمل بها لا ينقص ذلك من اوزار
الناس شيئا **فصل** واما ما ورد عن السلف والائمة من اتباع
سنته والاقتداء بهديه وسيرته فحدثنا الشيخ ابو عمران موسى بن
عبد الرحمن بن ابي تليد الفقيه سماعا عليه قال ثنا ابو عمر الحافظ
ثنا سعيد بن نصر ثنا قاسم بن اصبغ ووهب بن مسرة قالا ثنا محمد
بن وضاح ثنا يحيى بن يحيى ثنا مالك عن ابن شهاب عن رجل من آل خالد بن
اسيد انه سأل عبد الله بن عمر فقال يا ابا عبد الرحمن انا نجد صلوة الخوف
وصلوة الحضر في القرآن ولا نجد صلوة السفر فقال ابن عمر يا ابن اخي

ان الله

ان الله بعث الينا محمدا صلى الله عليه وسلم ولا نعلم شيئا فانما نفعل كما رأيناه
يفعل وقال عمر بن عبد العزيز سن رسول الله صلى الله عليه وسلم وولاة الامر
بعده سننا الاخذ بها تصديق لكتاب الله واستعمال لطاعة الله وقوة على
دين الله ليس لاحد تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها من
اقتدى بها مهتد ومن انتصر بها منصور ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين
ولاه الله ما تولى واصلاه جهنم وساءت مصيرا وقال الحسن بن ابي الحسن
عمل قليل في سنة خير من عمل كثير في بدعة وقال ابن شهاب بلغنا عن رجال من اهل
العلم قالوا الاعتصام بالسنة نجاة وكتب عمر بن الخطاب بتعلم السنة
والفرائض واللحن اي اللغة وقال ان ناسا يجادلونكم يعني بالقرآن فخذوهم
بالسنن فان اصحاب السنن اعلم بكتاب الله وفي خبر حين صلى بذي الحليفة
ركعتين فقال اصنع كما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصنع وعن علي حين قرن فقال
له عثمان ترى اني انهى الناس عنه وتفعله قال لم اكن لادع سنة رسول الله
صلى الله عليه وسلم لقول احد من الناس وعنه الا اني لست بنبي ولا يوحى
الي ولكني اعمل بكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ما استطعت
وكان ابن مسعود يقول القصد في السنة خير من الاجتهاد في البدعة وقال
ابن عمر صلوة السفر ركعتان من خالف السنة كفر وقال ابي بن كعب
عليكم بالسبيل والسنة فانه ما على الارض من عبد على السبيل و
السنة ذكر الله ففاضت عيناه من خشية ربه فيعذبه الله ابدا وما على
الارض من عبد على السبيل والسنة ذكر الله في نفسه فاقشعر جلده

من خشية الله الا كان مثله كمثل شجرة قد يبس ورقها الا فهي كذلك اذ
اصابتها ريح شديدة فتحات عنها ورقها الا حط الله عنه خطاياه كما تحات
عن الشجرة ورقها فان اقتصادا في سبيل وسنة خير من اجتهاد في خلاف
سبيل وسنة وانظروا ان يكون عملكم ان كان اجتهادا او اقتصادا ان
يكون على منهاج الانبياء وسنتهم وكتب بعض عمال عمر بن عبد العزيز
الى عمر بحال بلده وكثرة لصوصه هل ياخذهم بالظنة او يحملهم على البينة
وما جرت عليه السنة فكتب اليه عمر خذهم بالبينة وما جرت عليه السنة
فان لم يصلحهم الحق فلا اصلحهم الله وعن عطاء في قوله تعالى فان تنازعتم
في شيء فردوه الى الله والرسول اي الى كتاب الله وسنة رسول الله صلى
الله عليه وسلم وقال الشافعي ليس في سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا اتباعها وقال ونظر الى الحجر الاسود انك حجر لا تنفع ولا تضر ولولا
اني رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقبلك ما قبلتك ثم قبله وروي
عبد الله بن عمر يدير ناقته في مكان فسئل فقال لا ادري الا اني رايت
رسول الله صلى الله عليه وسلم فعله ففعلته وقال ابو عثمان الحيري
من امر السنة على نفسه قولا وفعلا نطق بالحكمة ومن امر الهوى على
نفسه نطق بالبدعة قال سهل التستري اصول مذهبنا ثلاثة الاقتداء
بالنبي صلى الله عليه وسلم في الاخلاق والافعال والاكل من الحلال واخلاص
النية في جميع الاعمال وجاء في تفسير قوله تعالى والعمل الصالح يرفعه انه
الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم وحكي ان احمد بن حنبل قال كنت يوما

مع

مع جماعة تجردوا ودخلوا الماء فاستعملت الحديث من كان يؤمن بالله
واليوم الاخر فلا يدخل الحمام الا بمئزر ولم اتجرد فرايت تلك الليلة
قائلا لي يا احمد ابشر فان الله قد غفر لك باستعمالك السنة و
جعلك اماما يقتدى بك قلت من انت قال جبريل فصل ومخالفة امره
وتبديل سنته ضلال وبدعة متوعد من الله عليه بالخذلان والعذاب
قال الله فليحذر الذين يخالفون عن امره ان تصيبهم فتنة او يصيبهم
عذاب اليم وقال ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع
غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى الاية حدثنا ابو محمد عبد الله بن ابي جعفر
وعبد الرحمن بن عتاب بقراءتي عليهما قالا ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا
ابو الحسن القابسي ثنا ابو الحسن بن مسرور الدباغ ثنا سحنون بن سعيد
ثنا ابو القاسم ثنا مالك عن العلاء بن عبد الرحمن عن ابيه عن ابي هريرة ان
رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج الى المقبرة وذكر الحديث في صفة امته
فليذادن رجال عن حوضي كما يذاد البعير الضال فاناديهم الا هلم الا هلم
الا هلم فيقال انهم قد بدلوا بعدك فاقول فسحقا فسحقا فسحقا وروى
انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من رغب عن سنتي فليس مني وقال من ادخل في امرنا
ما ليس منه فهو رد وروى ابن ابي رافع عن ابيه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا الفين احدكم متكئا على اريكته ياتيه الامر من امري مما امرت به او نهيت
عنه فيقول لا ادري ما وجدنا في كتاب الله اتبعناه وزاد في حديث المقدام
الا وان ما حرم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل ما حرم الله وقال صلى الله عليه وسلم

وحي بكتاب في كتف كفى بقوم حمقا او قال ضلالا ان يرغبوا عما جاء به نبيهم الى غير
نبيهم او كتاب غير كتابهم فنزلت اولم يكفهم انا انزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم
الآية وقال عليه الصلوة والسلام هلك المتنطعون وقال ابو بكر الصديق
رضي الله عنه لست تاركا شيئا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعمل به الا
عملت به اني اخشى ان تركت شيئا من امره ان ازيغ

الباب الثاني

في لزوم محبته قال الله تعالى قل ان كان آباؤكم وابناؤكم و
اخوانكم وازواجكم وعشيرتكم واموال اقترفتموها الآية فكفى
بهذا حضا وتنبيها ودلالة وحجة على الزام محبته ووجوب فرضها
وعظم خطرها واستحقاقه لها عليه الصلوة والسلام اذ قرع الله تعالى من
كان ماله واهله وولده احب اليه من الله ورسوله واوعدهم بقوله
فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ثم فسقهم بتمام الآية واعلمهم انهم ممن ضل
ولم يهده الله حدثنا ابو علي الغساني الحافظ فيما اجازنيه وهو مما قرأته على
غير واحد قالوا ثنا سراج بن عبد الله القاضي ثنا ابو محمد الاصيلي ثنا المروزي
ثنا ابو عبد الله محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل ثنا يعقوب بن ابراهيم ثنا
ابن علية عن عبد العزيز بن صهيب عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من ولده ووالده والناس اجمعين وعن
ابي هريرة نحوه وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ثلاث من كن فيه وجد
حلاوة الايمان ان يكون الله ورسوله احب اليه مما سواهما وان يحب المرء

لا يحبه

لا يحبه الا لله وان يكره ان يعود في الكفر كما يكره ان يقذف في النار
وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه قال للنبي صلى الله عليه وسلم لانت احب الي من
كل شيء الا نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم لن يؤمن احدكم
حتى اكون احب اليه من نفسه فقال عمر والذي انزل عليك الكتاب لانت احب
الي من نفسي التي بين جنبي فقال له النبي صلى الله عليه وسلم الآن يا عمر قال سهل
من لم ير ولاية الرسول صلى الله عليه وسلم عليه في جميع الاحوال ويرى نفسه في
ملكه عليه الصلوة والسلام لا يذوق حلاوة سنته لان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا يؤمن احدكم حتى اكون احب اليه من نفسه الحديث **فصل** في ثواب
محبته حدثنا ابو محمد بن عتاب بقراءتي عليه ثنا ابو القاسم حاتم بن محمد ثنا ابو
الحسن علي بن خلف ثنا ابو زيد المروزي ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن اسمعيل
ثنا عبدان ثنا ابي ثنا شعبة عن عمرو بن مرة عن سالم بن ابي الجعد عن انس
ان رجلا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال متى الساعة يا رسول الله قال ما
اعددت لها قال ما اعددت لها من كبير صلوة ولا صوم ولا صدقة ولكني
احب الله ورسوله قال انت مع من احببت وعن صفوان بن قدامة هاجرت الى
النبي صلى الله عليه وسلم فاتيته فقلت يا رسول الله ناولني يدك ابايعك
فناولني يده فقلت يا رسول الله اني احبك قال المرء مع من احب وروى هذا
اللفظ عن النبي صلى الله عليه وسلم عبد الله بن مسعود وابو موسى وانس وعن
ابي ذر بمعناه وعن علي رضي الله عنه ان النبي صلى الله عليه وسلم اخذ بيد
حسن وحسين فقال من احبني واحب هذين واباهما وامهما كان معي

فى درجتى يوم القيمة وروى ان رجلا اتى النبى صلى الله عليه وسلم فقال
يا رسول الله لانت احب الى من اهلى ومالى وانى لاذكرك فما اصبر حتى اجيئ
فانظر اليك وانى ذكرت موتى وموتك فعرفت انك اذا دخلت الجنة
رفعت مع النبيين وان دخلتها لا اراك فانزل الله تعالى ومن يطع الله
والرسول فاولئك مع الذين انعم الله عليهم من النبيين والصديقين
والشهداء والصالحين وحسن اولئك رفيقا فدعا به فقرأها عليه
وفى حديث اخر كان رجل عند النبى صلى الله عليه وسلم ينظر اليه لا يطرف فقال ما بالك
قال بابى انت وامى اتمتع من النظر اليك فاذا كان يوم القيمة رفعك الله
بتفضيله فانزل الله تعالى الاية وفى حديث انس رضى الله عنه من احبنى كان
معى فى الجنة **فصل** فيما روى عن السلف والائمة من محبتهم للنبى
صلى الله عليه وسلم وشوقهم له حدثنا القاضى الشهيد ثنا العذرى
ثنا الرازى ثنا الجلودى ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا قتيبة ثنا يعقوب
بن عبد الرحمن عن سهيل عن ابيه عن ابى هريرة ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
من اشد امتى لى حبا ناس يكون بعدى يود احدهم لو رآنى باهله وماله
ومثله عن ابى ذر وتقدم حديث عمر وقوله للنبى صلى الله عليه وسلم لانت
احب الى من نفسى وما تقدم عن الصحابة فى مثله وعن عمرو بن العاص
ما كان احد احب الى من رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عبدة بنت
خالد بن معدان قالت ما كان خالد يأوى الى فراش الا وهو يذكر من
شوقه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم والى اصحابه من المهاجرين والانصار

يسميهم

يسميهم ويقولوا اصلى وفصلى واليهم يحن قلبى طال شوقى اليهم
فعجل رب قبضى اليك حتى يغلبه النوم وروى عن ابى بكر رضى
الله عنه انه قال للنبى صلى الله عليه وسلم والذى بعثك بالحق لاسلام
ابى طالب كان اقر لعينى من اسلامه يعنى اباه ابا قحافة وذلك ان اسلام
ابى طالب كان اقر لعينك ونحوه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال للعباس
ان تسلم احب الى من ان يسلم الخطاب لان ذلك احب الى رسول الله صلى
الله عليه وسلم وعن ابن اسحق ان امرأة من الانصار قتل ابوها واخوها و
زوجها يوم احد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت ما فعل رسول
الله صلى الله عليه وسلم قالوا خيرا هو بحمد الله كما تحبين قالت ارونيه حتى
انظر اليه فلما رأته قالت كل مصيبة بعدك جلل وسئل على بن ابى
طالب كيف كان حبكم لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال كان والله احب
الينا من اموالنا واولادنا وآبائنا وامهاتنا ومن الماء البارد على
الظماء وعن زيد بن اسلم قال خرج عمر ليلة يحرس فرأى مصباحا فى بيت
واذا عجوز تنفش صوفا وتقول على محمد صلوة الابرار صلى عليه
الطيبون الاخيار قد كنت قواما بكاء بالاسحار يا ليت شعرى والمنايا
اطوار هل تجمعنى وحبيبى الدار تعنى النبى صلى الله عليه وسلم فجلس عمر يبكى
وفى الحكاية طول وروى ان عبد الله بن عمر خدرت رجله فقيل له اذكر
احب الناس اليك يزل عنك فصاح يا محمداه فانتشرت ولما احتضر
بلال نادت امرأته واحزناه فقال واطرباه غدا القى الاحبة محمدا

وحزبه ويروى ان امرأة قالت لعائشة رضي الله عنها اكشفي لي قبر رسول
الله صلى الله عليه وسلم فكشفته لها فبكت حتى ماتت ولما اخرج اهل مكة
زيد بن الدثنة من الحرم ليقتلوه قال له ابو سفيان بن حرب انشدك بالله يا زيد
اتحب ان محمدا الان عندنا مكانك تضرب عنقه وانك في اهلك فقال زيد و
الله ما احب ان محمدا الان في مكانه الذي هو فيه تصيبه شوكة واني
جالس في اهلي فقال ابو سفيان ما رايت من الناس احدا يحب احدا كحب اصحاب
محمد محمدا صلى الله عليه وسلم وعن ابن عباس كانت المرأة اذا اتت النبي صلى الله
عليه وسلم حلفها بالله ما خرجت من بغض زوج ولا رغبة بارض عن ارض
وما خرجت الا حب الله ورسوله ووقف ابن عمر على ابن الزبير بعد قتله فا
ستغفر له وقال كنت والله صواما قواما تحب الله ورسوله

فصل في علامة محبته صلى الله عليه وسلم اعلم ان من احب شيئا آثره و
آثر موافقته والا لم يكن صادقا في حبه وكان مدعيا فالصادق في حب
النبي صلى الله عليه وسلم من تظهر علامات ذلك عليه واولها الاقتداء به
واستعمال سنته واتباع اقواله وافعاله وامتثال اوامره واجتناب
نواهيه والتأدب بآدابه في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه وشاهد
هذا قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله
وايثار ما شرعه وحض عليه على هوى نفسه وموافقة شهوته قال
الله تعالى والذين تبوؤا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر
اليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما اوتوا ويؤثرون

على انفسهم ولو كان بهم خصاصة واسخاط العباد في رضاء
الله تعالى حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو الحسين الصيرفي ثنا وابو الفضل
وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي ثنا ابو علي السنجي ثنا
محمد بن محبوب ثنا عيسى ثنا مسلم بن حاتم ثنا محمد بن عبد الله الانصاري عن ابيه
عن علي بن زيد عن سعيد بن المسيب قال قال انس بن مالك قال لي رسول
الله صلى الله عليه وسلم يا بني ان قدرت ان تصبح وتمسي ليس في قلبك غش
لاحد فافعل ثم قال لي يا بني وذلك من سنتي ومن احيا سنتي فقد
احبني ومن احبني كان معي في الجنة فمن اتصف بهذه الصفة فهو كامل المحبة
لله ورسوله ومن خالفها في بعض هذه الامور ناقص المحبة ولا يخرج عن
اسمها ودليله قوله صلى الله عليه وسلم للذي حده في الخمر فلعنه بعضهم وقال
ما اكثر ما يؤتى به فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تلعنه فانه يحب الله ورسوله
ومن علامات محبة النبي صلى الله عليه وسلم كثرة ذكره له فمن احب شيئا اكثر ذكره
ومنها كثرة شوقه الى لقائه فكل حبيب يحب لقاء حبيبه وفي حديث الا
شعريين عند قدومهم المدينة انهم كانوا يرتجزون غدا نلقى الاحبة محمدا
وصحبه وتقدم قول بلال ومثله قال عمار قبل قتله وما ذكرناه من قصة
خالد بن معدان ومن علاماته مع كثرة ذكره تعظيمه له وتوقيره عند ذكره
واظهار الخشوع والانكسار مع سماع اسمه قال اسحاق التجيبي كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم بعده لا يذكرونه الا خشعوا واقشعرت جلودهم
وبكوا وكذلك كثير من التابعين منهم من يفعل ذلك محبة له وشوقا اليه

ومنهم من يفعله تهيبا وتوقيرا ومنها محبة لمن احبه النبي صلى الله عليه وسلم
ومن هو نسبه من آل بيته وصحابته من المهاجرين والانصار وعداوة
من عاداهم وبغض من ابغضهم وسبهم فمن احب شيئا احب من يحبه
وقد قال صلى الله عليه وسلم في الحسن والحسين اللهم اني احبهما فا
حبهم وفي رواية في الحسن فاحب من يحبه وقال من احبهما فقد احبني ومن
احبني فقد احب الله ومن ابغضهما فقد ابغضني ومن ابغضني فقد
ابغض وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا فمن احبهم فبحبي
احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن
آذاني فقد اذى الله ومن آذى الله يوشك ان يأخذه وقال في فاطمة
انها بضعة مني يغضبني ما اغضبها وقال لعائشة في اسامة بن
زيد احبيه فاني احبه وقال آية الايمان حب الانصار وآية النفاق
بغضهم وفي حديث ابن عمر من احب العرب فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم
فبالحقيقة من احب شيئا احب كل شي يحبه وهذه سيرة السلف حتى في المباحات وشهوات
النفس وقد قال انس حين رأى النبي صلى الله عليه وسلم يتتبع الدباء من حوالي
القصعة فما زلت احب الدباء من يومئذ وهذا الحسن بن علي وعبد الله
بن عباس وابن جعفر اتوا سلمى وسألوها ان تصنع لهم طعاما مما كان يحب
رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان ابن عمر يلبس النعال السبتية ويصبغ بالصفرة
اذ رأى النبي صلى الله عليه وسلم يفعل نحو ذلك ومنها بغض من ابغض الله ورسوله
ومعاداة من عاداه ومجانبة من خالف سنته وابتدع في دينه واستثقاله

كل امر

كل امر يخالف شريعته قال الله تعالى لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر
يوادون من حاد الله ورسوله وهؤلاء اصحابه صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم
قد قتلوا احباءهم وقاتلوا آباءهم وابناءهم في مرضاته وقال له عبد الله
بن ابي لو شئت لاتيتك برأسه يعني اباه ومنها ان يحب القرآن الذي
اتى به عليه السلام وهدى به واهتدى وتخلق به حتى قالت عائشة
كان خلقه القرآن وحبه للقرآن تلاوته والعمل به وتفهمه ويحب
سنته ويقف عند حدودها قال سهل بن عبد الله علامة حب الله
حب القرآن وعلامة حب الله وحب القرآن حب النبي صلى الله عليه وسلم وعلامة
حب النبي صلى الله عليه وسلم حب السنة وعلامة حب السنة حب الآخرة
وعلامة حب الآخرة بغض الدنيا وعلامة بغض الدنيا ان لا يدخر منها الا
زادا وبلغة الى الآخرة وقال ابن مسعود لا يسأل احد عن نفسه
الا القرآن فان كان يحب القرآن فهو يحب الله ورسوله وعلامة
حبه للنبي صلى الله عليه وسلم شفقته على امته ونصحه لهم وسعيه في
مصالحهم ورفع المضار عنهم كما كان عليه السلام بالمؤمنين رؤوفا
رحيما ومن علامة تمام محبته زهد مدعيها في الدنيا وايثاره الفقر
واتصافه به وقد قال عليه السلام لابي سعيد الخدري ان الفقر الى
من يحبني منكم اسرع من السيل من اعلى الوادي والجبل الى اسفله
وفي حديث عبد الله بن مغفل قال رجل للنبي صلى الله عليه وسلم يا رسول
الله اني لاحبك ثلاث مرات قال ان كنت تحبني فاعد للفقر تجفافا

ثم ذكر نحو حديث ابى سعيد بمعناه **فصل** فى معنى المحبة للنبى صلى الله عليه وسلم وحقيقتها اختلف الناس فى تفسير محبة الله و محبة النبى صلى الله عليه وسلم وكثرت عباداتهم فى ذلك وليست ترجع بالحقيقة الى اختلاف مقال ولكنها اختلاف احوال **فقال** سفيان المحبة اتباع الرسول عليه السلام كانه التفت الى قوله تعالى قل ان كنتم تحبون الله فاتبعونى الآية **وقال** بعضهم محبة الرسول اعتقاد نصرته والذب عن سنته والانقياد لها وهيبة مخالفته **وقال** بعضهم المحبة دوام الذكر للمحبوب **وقال** المحبة مواطاة القلب لمراد الرب يحب ما احب ويكره ما كره **وقال** آخر المحبة ميل القلب الى موافق له واكثر العبارات المتقدمة اشارة الى ثمرات المحبة دون حقيقتها وحقيقة المحبة الميل الى ما يوافق الانسان وتكون موافقته له اما لاستلذاذه بادراكه كحب الصور الجميلة والاصوات الحسنة والاطعمة والاشربة اللذيذة واشباهها مما كل طبع سليم مائل اليها لموافقتها له او لاستلذاذه بادراكه بحاسة عقله وقلبه معانى باطنة شريفة كمحبة الصالحين والعلماء واهل المعروف والماثور عنهم السير الجميلة والافعال الحسنة فان طبع الانسان مائل الى الشغف بامثال هؤلاء حتى يبلغ التعصب بقوم لقوم والتشيع من امة فى آخرين ما يؤدى الى الجلاء عن الاوطان وهتك الحرم واخترام النفوس او يكون حبه اياه لموافقته له من جهة

احسانه

احسانه له وانعامه عليه فقد جبلت النفوس على حب من احسن اليها فاذا تقرر لك هذا نظرت هذه الاسباب كلها فى حقه عليه الصلوة والسلام جامع لهذه المعانى الثلاثة الموجبة للمحبة اما جمال الصورة والظاهر وكمال الاخلاق والباطن فقد قررنا منها قبل فيما مر من الكتاب ما لا يحتاج الى زيادة **واما** احسانه وانعامه على امته فكذلك قد مر منه فى اوصاف الله تعالى له من رأفته بهم ورحمته لهم وهدايته اياهم وشفقته عليهم و استنقاذهم به من النار وانه بالمؤمنين رؤف رحيم ورحمة للعالمين ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه ويتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ويهديهم الى صراط مستقيم **فاى** احسان اجل قدرا واعظم خطرا من احسانه الى جميع المؤمنين **واى** افضال اعم منفعة واكثر فائدة من انعامه على كافة المسلمين اذ كان ذريعتهم الى الهداية ومنقذهم من العماية **و**داعيهم الى الفلاح والكرامة **و** وسيلتهم الى ربهم **و**شفيعهم والمتكلم عنهم والشاهد لهم والموجب لهم البقاء الدائم والنعيم السرمد فقد استبان لك انه صلى الله عليه وسلم مستوجب للمحبة الحقيقية شرعا بما قدمناه من صحيح الآثار وعادة وجبلة بما ذكرناه آنفا لافاضته الاحسان وعمومه الاجمال فاذا كان الانسان يحب من منحه فى دنياه مرة او مرتين معروفا او استنقذه من هلكة او مضرة مدة التاذى بها قليل منقطع فمن منحه ما لا يبيد من النعيم ووقاه ما لا يفنى من عذاب الجحيم اولى بالحب واذا كان يحب

بالطبع ملك محسن سيرته او حاكم لما يؤثر من قوام طريقته او فاض بعيد
الذاء لما يشاد من علمه او كرم شيمته فمن جمع هذه الخصال على غاية مراتب الكمال
احق بالحب واولى بالميل وقد قال علي رضي الله عنه في صفته عليه الصلوة
والسلام من رآه بديهة هابه ومن خالطه معرفة احبه وذكر ناعن بعض
الصحابة انه كان لا يصرف بصره عنه محبة فيه فصل في وجوب مناصحته
عليه الصلوة والسلام قال الله تعالى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون
حرج اذا نصحوا لله ورسوله ما على المحسنين من سبيل والله غفور
رحيم قال اهل التفسير اذا نصحوا لله ورسوله اذا كانوا مخلصين
مسلمين في السر والعلانية حدثنا الفقيه ابو الوليد بقراءتي عليه ثنا
حسين بن محمد ثنا يوسف بن عبد الله ثنا ابن عبد المؤمنين ثنا ابو بكر التمار
ثنا ابو داود ثنا احمد بن يونس ثنا زهير ثنا سهيل ابن ابي صالح عن عطاء
بن يزيد عن تميم الداري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الدين النصيحة
ان الدين النصيحة ان الدين النصيحة قالوا يا رسول الله قال لله
ولكتابه ولرسوله ولائمة المسلمين وعامتهم قال ائمتنا رحمهم الله
النصيحة لله ورسوله وائمة المسلمين وعامتهم واجبة قال الامام
ابو سليمان البستي النصيحة كلمة يعبر بها عن جملة ارادة الخير للمنصوح له
وليس يمكن ان يعبر عنها بكلمة واحدة تحصرها ومعناها في اللغة الاخلاص
من قولهم نصحت العسل اذا خلصته من شمعه وقال ابو بكر بن ابي اسحق الخفاف
النصح فعل الشيء الذي به الصلاح والملائمة مأخوذ من النصاح

وهو

وهو الخيط الذي يخاط به الثوب وقال ابو اسحق الزجاج نحوه فنصيحة
الله تعالى الاعتقاد له بالوحدانية ووصفه بما هو اهله وتنزيهه عما
لا يجوز عليه والرغبة في محابه والبعد من مساخطه والاخلاص في
عبادته والنصيحة لكتابه الايمان به والعمل بما فيه وتحسين تلاوته و
التخشع عنده والتعظيم له وتفهمه والتفقه فيه والذب عنه من
تاويل الغالين وطعن الملحدين والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته
وبذل الطاعة له فيما امر به ونهى عنه قال ابو سليمان وقال ابو بكر وموازرته
ونصرته وحمايته حيا وميتا واحياء سنته بالطلب والذب عنها و
نشرها والتخلق باخلاقه الكريمة وادابه الجميلة وقال ابو ابراهيم
اسحق التجيبي نصيحة رسول الله صلى الله عليه وسلم التصديق بما جاء به
والاعتصام بسنته ونشرها والحض عليها والدعوة الى الله والى كتابه و
الى رسوله واليها والى العمل بها قال احمد بن محمد من مفروضات القلوب اعتقاد
النصيحة لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابو بكر الاجري وغيره النصح
له يقتضي نصحين نصحا في حياته ونصحا بعد مماته ففي حياته نصح اصحابه
بالنصر والمحاماة عنه ومعاداة من عاداه والسمع والطاعة له وبذل
النفوس والاموال دونه كما قال الله تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه الاية واما نصيحة المسلمين بعد وفاته فالتزام التوقير
والاجلال وشدة المحبة له والمثابرة على تعلم سنته والتفقه في شريعته
ومحبة اهل بيته واصحابه ومجانبة من رغب عن سنته وانحرف عنها

وبغضه والتحذير منه والشفقة على امته والبحث عن تعرف اخلاقه و
سيره وادابه والصبر على ذلك فعلى ما ذكره تكون النصيحة احدى ثمرات
المحبة وعلامة من علاماتها كما قدمناه وحكى الامام ابو القاسم القشيرى
ان عمرو بن الليث احد ملوك خرسان ومشاهير الثوار المعروف بالصفار
رؤى في النوم فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لى فقيل بماذا قال
صعدت ذروة جبل يوما فاشرفت على جنودى فاعجبنى كثرتهم فتمنيت
انى حضرت رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعنته ونصرته فشكر الله لى
ذلك وغفر لى واما النصح لائمة المسلمين فطاعتهم في الحق ومعونتهم
فيه وامرهم به وتذكيرهم اياه على احسن وجه وتنبيههم على ما غفلوا عنه
وكتم عنهم من امور المسلمين وترك الخروج عليهم وتضريب الناس و
افساد قلوبهم عليهم والنصح لعامة المسلمين ارشادهم الى مصالحهم
ومعونتهم في امر دينهم ودنياهم بالقول والفعل وتنبيه غافلهم
وتبصير جاهلهم ورفد محتاجهم وستر عوراتهم ودفع المضار
عنهم وجلب المنافع اليهم | وقف | الباب الثالث | وقف

الباب الثالث

في تعظيم امره ووجوب توقيره وبره صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَ
تُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وقال يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ
اللَّهِ وَرَسُولِهِ و يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ
صَوْتِ النَّبِيِّ الثلاث الايات وقال لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم

كدعاء

كدعاء بعضكم بعضا فاوجب تعالى تعزيره وتوقيره والزم اكرامه و
تعظيمه وقال ابن عباس تعزروه تجلوه وقال المبرد تعزروه تبالغوا
في تعظيمه وقال الاخفش تنصرونه وقال الطبرى تعينونه وقرئ تعززوه
بزايين من العز ونهى عن التقدم بين يديه بالقول وسوء الادب
بسبقه بالكلام على قول ابن عباس وغيره وهو اختيار ثعلب قال سهل
بن عبد الله لا تقولوا قبل ان يقول واذا قال فاستمعوا له وانصتوا ونهوا
عن التقدم والتعجل بقضاء امر قبل قضائه فيه وان يفتاتوا بشىء في ذلك
من قتال وغيره من امر دينهم الا بامره ولا يسبقوه به والى هذا يرجع
قول الحسن ومجاهد والضحاك والسدى والثورى ثم وعظهم
وحذرهم مخالفة ذلك فقال وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ قال
اتقوه يعنى في التقدم وقال السلمى اتقوا الله في اهمال حقه وتضييع
حرمته انه سميع لقولكم عليم بفعلكم ثم نهاهم عن رفع الصوت فوق صوته
والجهر له بالقول كما يجهر بعضهم لبعض ويرفع صوته وقيل كما ينادى
بعضهم بعضا باسمه قال ابو محمد مكى اى لا تسابقوه بالكلام و
تغلظوا له بالخطاب ولا تنادوه باسمه نداء بعضكم لبعض ولكن
عظموه ووقروه ونادوه باشرف ما يحب ان ينادى به يا رسول الله
يا نبى الله وهذا كقوله في الاية الاخرى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم
كدعاء بعضكم بعضا على احد التاويلين قال غيره لا تخاطبوه الا
مستفهمين ثم خوفهم الله تعالى بحبط اعمالهم ان هم فعلوا ذلك وحذرهم

وقيل نزلت الآية في وفد بني تميم وقيل في غيرهم اتوا النبي صلى الله عليه وسلم فنادوه
يا محمد يا محمد اخرج الينا فذمهم الله تعالى بالجهل ووصفهم بان اكثرهم
لا يعقلون وقيل نزلت الآية الاولى في محاورة كانت بين ابي بكر وعمر رضي
الله عنهما بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم واختلاف جرى بينهما حتى ارتفعت
اصواتهما وقيل نزلت في ثابت بن قيس بن شماس خطيب النبي صلى الله عليه وسلم في مفاخرة
بني تميم وكان في اذنيه صمم فكان يرفع صوته فلما نزلت هذه الآية اقام في منزله
وخشي ان يكون حبط عمله ثم اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا نبي الله لقد خشيت ان
اكون هلكت نهانا الله ان نجهر بالقول وانا امرؤ جهير الصوت فقال النبي صلى الله عليه وسلم
يا ثابت اما ترضى ان تعيش حميدا وتقتل شهيدا وتدخل الجنة فقتل يوم اليمامة
وروي ان ابا بكر لما نزلت هذه الآية قال والله يا رسول الله لا اكلمك بعدها
الا كاخي السرار وما كان يسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية حتى
يستفهمه فانزل الله تعالى فيهم ان الذين يغضون اصواتهم عند رسول الله اولئك
الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى لهم مغفرة واجر عظيم وقيل نزلت ان الذين ينادونك
من وراء الحجرات في غير بني تميم نادوه باسمه وروى صفوان بن عسال بينا النبي
صلى الله عليه وسلم في سفر اذ ناداه اعرابي بصوت له جهوري ايا محمد ايا محمد فقلنا
له اغضض من صوتك فانك قد نهيت عن رفع الصوت وقال الله تعالى يا ايها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا قال بعض المفسرين هي لغة كانت في الانصار
نهوا عن قولها تعظيما للنبي صلى الله عليه وسلم وتبجيلا له لان معناها ارعنا
نرعك فنهوا عن قولها اذ مقتضاها كانهم لا يرعونه الا برعايته لهم بل حقه

ان يرعى

ان يرعى على كل حال وقيل كانت اليهود تعرض بها للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة
فنهي المسلمون عن قولها قطعا للذريعة ومنعا للتشبه بهم في قولها لمشاركة
اللفظة وقيل غير هذا فصل في عادة الصحابة رضي الله عنهم في تعظيمه عليه
الصلاة والسلام وتوقيره واجلاله حدثنا القاضي ابو علي الصدفي و
ابو بحر الاسدي سماعي عليهما في آخرين قالوا نا احمد بن عمر نا احمد بن الحسن
نا محمد بن عيسى نا ابراهيم بن سفيان نا مسلم نا محمد بن المثنى وابو معن
الرقاشي واسحق بن منصور قالوا نا الضحاك بن مخلد نا حيوة بن شريح
حدثني يزيد بن ابي حبيب عن ابن شماسة المهري قال حضرنا عمرو بن العاص فذكر
حديثا طويلا فيه عن عمرو قال وما كان احد احب الي من رسول الله صلى الله عليه
وسلم ولا اجل في عيني منه وما كنت اطيق ان املأ عيني منه اجلالا له ولو
سئلت ان اصفه ما اطقت لاني لم اكن املأ عيني منه وروى الترمذي
عن انس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يخرج على اصحابه من المهاجرين والانصار
وهم جلوس فيهم ابو بكر وعمر فلا يرفع احد منهم اليه بصره الا ابو بكر و
عمر فانهما كانا ينظران اليه وينظر اليهما ويبتسمان اليه ويبتسم اليهما
وروى اسامة بن شريك اتيت النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه حوله كانما
على رؤوسهم الطير وفي حديث صفته اذا تكلم اطرق جلساؤه كانما على
رؤوسهم الطير وقال عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام القضية
الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ورأى من تعظيم اصحابه له ما رأى وانه
لا يتوضأ الا ابتدروا وضوءه وكادوا يقتتلون عليه ولا يبصق

بصاقا ولا يتنخم نخامة الا تلقوها باكفهم فدلكوا بها وجوههم و
اجسادهم ولا يسقط منه شعرة الا ابتدروها واذا امرهم بامر
ابتدروا امره واذا تكلم خفضوا اصواتهم عنده وما يحدون
اليه النظر تعظيما له فلما رجع الى قريش قال يا معشر قريش اني جئت كسرى
في ملكه وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه واني والله ما رايت ملكا
في قوم قط مثل محمد في اصحابه وفي رواية ان رايت ملكا قط يعظمه اصحابه
ما يعظم محمدا اصحابه وقد رايت قوما لا يسلمونه ابدا وعن انس لقد
رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم والحلاق يحلقه واطاف به اصحابه
فما يريدون ان تقع شعرة الا في يد رجل ومن هذا لما اذنت قريش
لعثمان في الطواف بالبيت حين وجهه النبي صلى الله عليه وسلم اليهم
في القضية ابى وقال ما كنت لافعل حتى يطوف به رسول الله صلى الله عليه وسلم
وفي حديث طلحة ان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قالوا لاعرابي جاهل
سله عمن قضى نحبه وكانوا يهابونه ويوقرونه فسأله فاعرض عنه
اذ طلع طلحة فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا ممن قضى نحبه
وفي حديث قيلة فلما رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا القرفصاء
ارعدت من الفرق وذلك هيبة له وتعظيما وفي حديث المغيرة كان اصحاب
النبي صلى الله عليه وسلم يقرعون بابه بالاظافير وقال البراء بن عازب لقد
كنت اريد ان اسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الامر فاوخر سنين من
هيبته فصل واعلم ان حرمة النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وتوقيره

وتعظيمه

وتعظيمه لازم كما كان حال حياته وذلك عند ذكره عليه السلام وذكر
حديثه وسنته وسماع اسمه وسيرته ومعاملة آله وعترته وتعظيم
اهل بيته وصحابته قال ابو ابراهيم التجيبي واجب على كل مؤمن متى ذكره او
ذكر عنده ان يخضع ويخشع ويتوقر ويسكن من حركته ويأخذ في هيبته و
اجلاله بما كان يأخذ به نفسه لو كان بين يديه ويتأدب بما ادبنا الله به
قال القاضي ابو الفضل وهذه كانت سيرة سلفنا الصالح وائمتنا الماضين
رضي الله عنهم حدثنا القاضي ابو عبد الله محمد بن عبد الرحمن الاشعري و
ابو القاسم احمد بن بقي الحاكم وغير واحد فيما اجازونيه قالوا اخبرنا ابو
العباس احمد بن عمر بن دلهاث ثنا ابو الحسن علي بن فهر ثنا ابو بكر محمد بن احمد
بن الفرج ثنا ابو الحسن عبد الله بن المنتاب ثنا يعقوب بن اسحق بن ابي اسرائيل
ثنا ابن حميد قال ناظر ابو جعفر امير المؤمنين مالكا في مسجد رسول الله
صلى الله عليه وسلم فقال له مالك يا امير المؤمنين لا ترفع صوتك في هذا
المسجد فان الله عز وجل ادب قوما فقال لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت
النبي الاية ومدح قوما فقال ان الذين يغضون اصواتهم الاية وذم قوما
فقال ان الذين ينادونك من وراء الحجرات وان حرمته ميتا كحرمته حيا
فاستكان لها ابو جعفر وقال يا ابا عبد الله استقبل القبلة وادعو
ام استقبل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ولم تصرف وجهك عنه
وهو وسيلتك ووسيلة ابيك آدم عليه السلام الى الله يوم القيمة
بل استقبله واستشفع به فيشفعك الله قال الله تعالى ولو انهم

إذ ظلموا أنفسهم الآية وقال مالك وقد سئل عن أيوب السختياني ما حدثتكم
عن أحد إلا وأيوب أفضل منه قال وحج حجتين فكنت أرمقه ولا أسمع منه غير
أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم بكى حتى أرحمه فلما رأيت منه وإجلاله للنبي صلى الله
عليه وسلم كتبت عنه وقال مصعب بن عبد الله كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وسلم
يتغير لونه وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه فقيل له يوما في ذلك فقال
لو رأيتم ما رأيت لما أنكرتم علي ما ترون لقد كنت أرى محمد بن المنكدر وكان
سيد القراء لا نكاد نسأله عن حديث أبدا إلا يبكي حتى نرحمه ولقد كنت أرى
جعفر بن محمد وكان كثير الدعابة والتبسم فإذا ذكر عند النبي صلى الله عليه وسلم
اصفر وما رأيته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا على طهارة ولقد اختلفت
إليه زمانا فما كنت أراه إلا على ثلاث خصال إما مصليا وإما صامتا وإما يقرأ
القرآن ولا يتكلم فيما لا يعنيه وكان من العلماء والعباد الذين يخشون الله
عز وجل ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله عليه وسلم فينظر إلى
لونه كأنه نزف منه الدم وقد جف لسانه في فمه هيبة لرسول الله صلى الله
عليه وسلم ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير فإذا ذكر عنده النبي صلى
الله عليه وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ
الناس وأقربهم فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وسلم فكأنه ما عرفك ولا عرفته
ولقد كنت آتي صفوان بن سليم وكان من المتعبدين المجتهدين فإذا ذكر
النبي صلى الله عليه وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه وروي
عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل ولما كثر على مالك الناس

قيل له

قيل له لو جعلت مستمليا يسمعهم فقال قال الله تعالى يا أيها الذين آمنوا
لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي وحرمته حيا وميتا سواء وكان عبد
الرحمن بن مهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وسلم أمرهم بالسكوت وقال لا ترفعوا
أصواتكم فوق صوت النبي ويتأول أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه ما يجب
عند سماع قوله فصل في سيرة السلف في تعظيم رواية حديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم حدثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا أبو بكر البرقاني
وغيره ثنا أبو الحسن الدارقطني ثنا علي بن مبشر ثنا أحمد بن سنان
القطان ثنا يزيد بن هارون ثنا المسعودي عن مسلم البطين عن عمرو بن
ميمون قال اختلفت إلى ابن مسعود سنة فما سمعته يقول قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم إلا أنه حدث يوما فجرى على لسانه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم ثم علاه كرب حتى رأيت العرق يتحدر عن جبهته ثم قال هكذا إن
شاء الله تعالى أو فوق ذا أو ما دون ذا أو ما قريب من ذا وفي رواية
فتربد وجهه وفي رواية وقد تغرغرت عيناه وانتفخت أوداجه وقال
إبراهيم بن عبد الله بن قريم الأنصاري قاضي المدينة مر مالك بن أنس على أبي
حازم وهو يحدث فجازه وقال إني لم أجد موضعا أجلس فيه فكرهت أن آخذ
حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال مالك جاء رجل إلى ابن المسيب فسأله
عن حديث وهو مضطجع فجلس وحدثه فقال له الرجل وددت أنك لم تتعن
فقال إني كرهت أن أحدثك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا مضطجع
وروي عن محمد بن سيرين أنه قد يكون يضحك فإذا ذكر عنده حديث

النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو مصعب كان مالك بن انس لا يحدث بحديث رسول
الله صلى الله عليه وسلم الا وهو على وضوء اجلالا وحكى مالك ذلك عن جعفر
بن محمد وقال مصعب بن عبد الله كان مالك بن انس اذا حدث عن رسول الله
صلى الله عليه وسلم توضا وتهيأ ولبس ثيابه ثم يحدث قال مصعب فسئل عن
ذلك فقال انه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال مطرف كان اذا اتى الناس
مالكا خرجت اليهم الجارية فتقول لهم يقول لكم الشيخ تريدون الحديث او
المسائل فان قالوا المسائل خرج اليهم وان قالوا الحديث دخل مغتسله واغتسل
وتطيب ولبس ثيابا جددا ولبس ساجه وتعمم ووضع على رأسه
ردائه ويلقى له منصة فيخرج فيجلس عليها وعليه الخشوع ولا يزال يبخر
بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال غيره ولم يكن يجلس
على تلك المنصة الا اذا حدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن ابي اويس
فقيل لمالك في ذلك فقال احب ان اعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا
احدث به الا على طهارة متمكنا قال وكان يكره ان يحدث في الطريق او وهو قائم
او مستعجل وقال احب ان افهم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ضرار بن مرة
كانوا يكرهون ان يحدثوا على وضوء وقال عبد الله بن المبارك كنت عند مالك
وهو يحدثنا فلدغته عقرب ست عشرة مرة وهو يتغير لونه ويصفر
ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما فرغ من المجلس وتفرق عنه الناس
قلت له يا ابا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجبا قال نعم انما صبرت اجلالا
لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن مهدي مشيت يوما مع مالك الى العقيق

فسألته

فسألته عن حديث فانتهرني وقال لي كنت في عيني اجل من ان تسأل عن حديث
رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي وسأله جرير بن عبد الحميد القاضي عن حديث
وهو قائم فأمر بحبسه فقيل له انه قاض فقال القاضي احق من ادب وذكر ان هشام بن عمار
سأل مالكا عن حديث وهو واقف فضربه عشرين سوطا ثم اشفق فحدثه عشرين
حديثا فقال هشام وددت لو زاد في سياطا ويزيد في حديثا
قال عبد الله بن صالح كان مالك والليث لا يكتبان الحديث الا وهما طاهران
وكان قتادة يستحب ان لا يقرأ احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الا على وضوء ولا
يحدث الا على طهارة وكان الاعمش اذا اراد ان يحدث وهو على غير وضوء تيمم
فصل ومن توقيره صلى الله عليه وسلم وبره بر آله وذريته وامهات المؤمنين
ازواجه كما حض عليه السلام وسلكه السلف الصالح رضي الله عنهم
قال الله تعالى إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ الآية
وقال الله تعالى وازواجه امهاتهم اخبرنا الشيخ ابو محمد بن احمد العدل
من كتابه وكتبته من اصله ثنا ابو الحسن المقرئ الفرغاني حدثتني ام
القاسم بنت الشيخ ابي بكر الخفاف حدثني ابي ثنا حاتم هو ابن عقيل ثنا
يحيى هو ابن اسمعيل ثنا يحيى الحماني ثنا وكيع عن ابيه عن سعيد بن مسروق
عن يزيد بن حيان عن زيد بن ارقم قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انشدكم
الله اهل بيتي ثلاثا قلنا لزيد من اهل بيته قال آل علي وآل جعفر وآل
عقيل وآل عباس وقال صلى الله عليه وسلم اني تارك فيكم ما ان اخذتم به
لم تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما وقال

صلى الله عليه وسلم معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط و
الولاية لآل محمد امان من العذاب قال بعض العلماء معرفتهم هي معرفة مكانهم
من النبي صلى الله عليه وسلم واذا عرفهم بذلك عرف وجوب حقهم وحرمتهم بسببه
وعن عمر بن ابي سلمة لما نزلت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت الآية
وذلك في بيت ام سلمة دعى فاطمة وحسنا وحسينا فجللهم بكساء و
علي خلف ظهره ثم قال اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس
وطهرهم تطهيرا وعن سعد بن ابي وقاص لما نزلت آية المباهلة دعا
النبي صلى الله عليه وسلم عليا وحسنا وحسينا وفاطمة وقال اللهم هؤلاء
اهلي وقال النبي صلى الله عليه وسلم في علي من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال
من والاه وعاد من عاداه وقال فيه لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا
منافق وقال للعباس والذي نفسي بيده لا يدخل قلب رجل الايمان
حتى يحبكم لله ولرسوله ومن اذى عمي فقد اذاني وانما عم الرجل صنو ابيه
وقال للعباس اغد علي يا عم مع ولدك فجمعهم وجللهم بملاءته وقال هذا
عمي وصنو ابي وهؤلاء اهل بيتي فاسترهم من النار كستري اياهم فامنت
اسكفة الباب وحوائط البيت آمين آمين وكان ياخذ اسامة بن زيد و
الحسن ويقول اللهم اني احبهما فاحبهما وقال ابو بكر رضي الله ارقبوا محمدا
في اهل بيته وقال ايضا والذي نفسي بيده لقرابة رسول الله صلى الله عليه
وسلم احب الي ان اصل من قرابتي وقال صلى الله عليه وسلم احب الله من احب حسنا
وحسينا وقال من احبني واحب هذين واشار الى حسن وحسين واباهما

وامهما

وامهما كان معي في درجتي يوم القيمة وقال صلى الله عليه وسلم من اهان قريشا
اهانه الله وقال قدموا قريشا ولا تقدموها وقال صلى الله عليه وسلم لام
سلمة لا تؤذيني في عائشة وعن عقبة بن الحارث قال رايت ابا بكر رضي الله
عنه وجعل الحسن على عنقه وهو يقول بابي شبيه بالنبي ليس شبيها بعلي
وعلي يضحك وروى عن عبد الله بن حسن بن حسن قال اتيت عمر بن عبد
العزيز في حاجة فقال لي اذا كانت لك حاجة فارسل الي او اكتب فاني استحيي
من الله عز وجل ان اراك على بابي وعن الشعبي صلى زيد بن ثابت على جنازة امه
ثم قربت له بغلته ليركبها فجاء ابن عباس فاخذ بركابه فقال زيد خل عنه يا
ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال هكذا يفعل بالعلماء فقبل زيد يد ابن عباس
وقال هكذا امرنا ان نفعل باهل بيت نبينا وراى ابن عمر محمد بن اسامة
بن زيد فقال ليت هذا عندي فقيل له هو محمد بن اسامة فطاطا ابن
عمر راسه ونقر بيده الارض وقال لو راه رسول الله صلى الله عليه وسلم لاحبه
وقال الاوزاعي دخلت بنت اسامة بن زيد صاحب رسول الله صلى الله
عليه وسلم على عمر بن عبد العزيز ومعها مولى لها يمسك بيدها فقام لها
عمر ومشى لها حتى جعل يدها بين يديه ويداه في ثيابه ومشى بها حتى اجلسها ٨
على مجلسه وجلس بين يديها وما ترك لها حاجة الا قضاها ولما فرض
عمر بن الخطاب لابنه عبد الله في ثلثة آلاف ولاسامة بن زيد في ثلاثة آلاف
وخمسمائة قال عبد الله لابيه فضلته فوالله ما سبقني الى مشهد
فقال له لان زيدا كان احب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم من ابيك

واسامة احب اليه منك فاثرت حب رسول الله صلى الله عليه وسلم على حبي
وبلغ معاوية ان كابس بن ربيعة يشبه برسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما دخل عليه من باب الدار قام عن سريره وتلقاه وقبل بين عينيه واقطعه
المرغاب لشبهه صورة رسول الله صلى الله عليه وسلم وروي ان مالكا رحمه
الله لما ضربه جعفر بن سليمان ونال منه ما نال وحمل مغشيا عليه دخل
عليه الناس فافاق فقال اشهدكم اني جعلت ضاربي في حل فسئل
بعد ذلك فقال خفت ان اموت فالقى النبي صلى الله عليه وسلم فاستحيي منه
ان يدخل بعض آله النار بسببي وقيل ان المنصور اقاده من جعفر فقال
له اعوذ بالله والله ما ارتفع منها سوط عن جسمي الا وقد جعلته في
حل لقرابته من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال ابو بكر بن عياش لو اتاني
ابو بكر وعمر وعلي لبدأت بحاجة علي قبلهما لقرابته من رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولان اخر من السماء الى الارض احب الي من ان اقدمه عليهما و
قيل لابن عباس ماتت فلانة لبعض ازواج النبي صلى الله عليه وسلم فسجد فقيل
له اتسجد هذه الساعة فقال اليس قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا رايتم
آية فاسجدوا واي آية اعظم من ذهاب ازواج النبي صلى الله عليه وسلم وكان
ابو بكر وعمر رضي الله عنهما يزوران ام ايمن مولاة النبي صلى الله عليه وسلم و
يقولان كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يزورها ولما وردت حليمة
السعدية على النبي صلى الله عليه وسلم بسط لها رداءه وقضى حاجتها فلما
توفي صلى الله عليه وسلم وفدت على ابي بكر وعمر فصنعا مثل ذلك فصل

ومن

ومن توقيره وبره صلى الله عليه وسلم توقير اصحابه وبرهم ومعرفة حقهم والاقتداء
بهم وحسن الثناء عليهم والاستغفار لهم والامساك عما شجر بينهم ومعاداة
من عاداهم والاضراب عن اخبار المورخين وجهلة الرواة وضلال الشيعة و
المبتدعين القادحة في احد منهم وان يلتمس لهم فيما نقل من مثل ذلك
فيما كان بينهم من الفتن احسن التاويلات ويخرج لهم اصوب المخارج اذ هم
اهل ذلك ولا يذكر احد منهم بسوء ولا يغمص عليهم امر بل تذكر حسناتهم
وفضائلهم وحميد سيرتهم ويسكت عما وراء ذلك كما قال صلى الله عليه وسلم
اذا ذكر اصحابي فامسكوا قال الله تعالى محمد رسول الله والذين معه اشداء
على الكفار رحماء بينهم الى آخر السورة قال الله تعالى والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار الآية وقال لقد رضي الله
عن المؤمنين اذ يبايعونك تحت الشجرة وقال رجال صدقوا ما عاهدوا
الله عليه حدثنا القاضي ابو علي ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا الترمذي
ثنا الحسن بن الصباح ثنا سفيان بن عيينة عن زائدة عن عبد الملك بن عمير
عن ربعي بن خراش عن حذيفة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقتدوا
باللذين من بعدي ابي بكر وعمر وقال اصحابي كالنجوم بايهم اقتديتم اهتديتم
وعن انس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل اصحابي كمثل الملح في الطعام
لا يصلح الطعام الا به وقال الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني ومن اذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه

وقال لا تسبوا اصحابي فلو انفق احدكم مثل احد ذهبا ما بلغ مد احدهم ولا نصيفه وقال من سب اصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال اذا ذكر اصحابي فامسكوا وقال في حديث جابر ان الله اختار اصحابي على جميع العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار لي منهم اربعة ابا بكر وعمر وعثمان وعليا فجعلهم خير اصحابي وفي اصحابي كلهم خير وقال من احب عمر فقد احبني ومن ابغض عمر فقد ابغضني وقال مالك بن انس وغيره من ابغض الصحابة وسبهم فليس له في مال المسلمين حق ونزع باية الحشر والذين جاءوا من بعدهم الآية وقال من غاظه اصحاب محمد فهو كافر قال الله تعالى ليغيظ بهم الكفار وقال عبد الله بن المبارك خصلتان من كانتا فيه نجا الصدق وحب اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم قال ايوب السختياني من احب ابا بكر فقد اقام الدين ومن احب عمر فقد اوضح السبيل ومن احب عثمان فقد استضاء بنور الله ومن احب عليا فقد اخذ بالعروة الوثقى ومن احسن الثناء على اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فقد برئ من النفاق ومن انتقص احدا منهم فهو مبتدع مخالف للسنة والسلف الصالح واخاف ان لا يصعد له عمل الى السماء حتى يحبهم جميعا ويكون قلبه لهم سليما وفي حديث خالد بن سعيد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال يا ايها الناس اني راض عن ابي بكر وعمر وعن علي وعن عثمان وطلحة والزبير وسعد وسعيد وعبد الرحمن بن عوف فاعرفوا لهم ذلك يا ايها الناس ان الله غفر لاهل بدر

والحد

والحديبية ايها الناس احفظوني في اصحابي واصهاري واختاني لا يطالبنكم احد منهم بمظلمة فانها مظلمة لا توهب في القيمة غدا وقال رجل للمعافى بن عمران اين عمر بن عبد العزيز من معاوية فغضب لا يقاس باصحاب النبي صلى الله عليه وسلم احد معاوية صاحبه وصهره وكاتبه وامينه على وحي الله واتي النبي صلى الله عليه وسلم بجنازة رجل فلم يصل عليه وقال كان يبغض عثمان فابغضه الله وقال صلى الله عليه وسلم في الانصار اعفوا عن مسيئهم واقبلوا من محسنهم وقال احفظوني في اصحابي واصهاري فانه من حفظني فيهم حفظه الله في الدنيا والآخرة ومن لم يحفظني فيهم تخلى الله منه ومن تخلى الله منه يوشك ان ياخذه وعنه صلى الله عليه وسلم من حفظني في اصحابي كنت له حافظا يوم القيمة وقال من حفظني في اصحابي ورد على الحوض ومن لم يحفظني في اصحابي لم يرد علي الحوض ولم يرني الا من بعيد قال مالك رحمه الله هذا النبي صلى الله عليه وسلم مؤدب الخلق الذي هدانا الله به وجعله رحمة للعالمين يخرج في جوف الليل الى البقيع فيدعو لهم ويستغفر كالمودع لهم وبذلك امره الله وامر النبي صلى الله عليه وسلم بحبهم وموالاتهم ومعاداة من عاداهم وروي عن كعب ليس احد من اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم الا له شفاعة يوم القيمة وطلب من مغيرة بن نوفل ان يشفع له يوم القيمة قال سهل بن عبد الله التستري لم يؤمن بالرسول من لم يوقر اصحابه ولم يعزز اوامره

فصل ومن اعظامه واكباره اعظام جميع اسبابه واكرام مشاهده وامكنته من مكة والمدينة ومعاهده وما لمسه عليه الصلوة و

السلام او عرف به وروى عن صفية بنت نجدة قالت كان لابي
محذورة قصة في مقدم رأسه اذا قعد وارسلها اصابت الارض
فقيل له الا تحلقها فقال لم اكن بالذي احلقها وقد مسها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بيده وكانت في قلنسوة خالد بن الوليد شعرات من شعره
صلى الله عليه وسلم فسقطت قلنسوته في بعض حروبه فشد عليها شدة
انكر عليه اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم كثرة من قتل فيها فقال لم افعلها بسبب
القلنسوة بل لما تضمنته من شعره صلى الله عليه وسلم لئلا اسلب بركتها و
تقع في ايدي المشركين وروى ابن عمر واضعا يده على مقعد النبي صلى الله
عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه ولهذا كان مالك رحمه الله لا يركب بالمدينة
دابة وكان يقول استحيي من الله ان اطأ تربة فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم
بحافر دابة وروى انه وهب للشافعي رضي الله عنه كراعا كثيرا كان عنده فقال
له الشافعي امسك منها دابة فاجابه بمثل هذا الجواب وقد حكى ابو عبد
الرحمن السلمي عن احمد بن فضلويه الزاهد وكان من الغزاة الرماة انه
قال ما مسست القوس بيدي الا على طهارة منذ بلغني ان النبي صلى الله
عليه وسلم اخذ القوس بيده وقد افتى مالك فيمن قال تربة المدينة ردية
يضرب ثلثين درة وامر بحبسه وكان له قدر وقال ما احوجه الى ضرب
عنقه تربة دفن فيها النبي صلى الله عليه وسلم يزعم انها غير طيبة وفي الصحيح
انه قال صلى الله عليه وسلم في المدينة من احدث فيها حدثا او اوى محدثا فعليه
لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لا يقبل منه صرف ولا عدل وحكى

ان جهجاها الغفاري اخذ قضيب النبي صلى الله عليه وسلم من يد عثمان
رضي الله عنه وتناوله ليكسره على ركبته فصاح به الناس فاخذته
الاكلة في ركبته فقطعها ومات قبل الحول وقال صلى الله عليه وسلم من
حلف على منبري كاذبا فليتبوأ مقعده من النار وحدثت ان ابا الفضل
الجوهري لما ورد المدينة زائرا وقرب من بيوتها ترجل ومشى باكيا
منشدا: ولما رأينا رسم من لم يدع لنا ... فؤادا لعرفان الرسوم ولا لبا
نزلنا عن الاكوار نمشي كرامة ... لمن بان عنه ان نلم به ركبا وحكى
عن بعض المريدين انه لما اشرف على مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم انشأ يقول
متمثلا: رفع الحجاب لنا فلاح لناظر ... قمر تقطع دونه الاوهام
واذا المطي بنا بلغن محمدا ... فظهورهن على الرجال حرام
قربننا من خير من وطئ الثرى ... فلها علينا حرمة وذمام وحكى عن بعض
المشايخ انه حج ماشيا فقيل له في ذلك فقال العبد الآبق يأتي الى بيت
مولاه راكبا لو قدرت ان امشي على رأسي ما مشيت على قدمي قال القاضي
وجدير لمواطن عمرت بالوحي والتنزيل وتردد بها جبريل وميكائيل وعرجت منها
الملائكة والروح وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح واشتملت تربتها
على جسد سيد البشر وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ما
انتشر مدارس آيات ومساجد وصلوات ومشاهد الفضائل والخيرات
ومعاهد البراهين والمعجزات ومناسك الدين ومشاعر المسلمين ومواقف
سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين حيث انفجرت النبوة واين فاض عبابها

ومواطن تهبط الرسالة واول ارض مس جلد المصطفى ترابها ان يعظم
عرصاتها وتتنسم نفحاتها وتقبل ربوعها وجدراتها يا دار خير المرسلين
ومن به هدى الانام وخص بالايات عندى لاجلك لوعة وصبابة . وتشوق
متوقد الجمرات . وعلى عهد ان ملأت محاجرى . من تلكم الجدرات والعرصات لاعفرن
مصون شيبى بينها من كثرة التقبيل والرشفات . لولا العوادى والاعادى
زرتها ابدا ولو سحبا على الوجنات . لكن سأهدى من حفيل تحيتى . لقطين
تلك الدار والحجرات . اذكى من المسك المفتق نفحة تغشاه بالاصال و
البكرات . وتخصه بزواكى الصلوات ونوامى التسليم والبركات

الباب الرابع

فى حكم الصلوة عليه والتسليم وفرض ذلك وفضيلته قال الله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبى قال ابن عباس معناه ان
الله وملائكته يباركون على النبى وقيل ان الله يترحم على النبى
وملائكته يدعون له قال المبرد واصل الصلوة الترحم فهى من الله عز
وجل رحمة ومن الملائكة رقة واستدعاء للرحمة من الله تعالى وقد ورد فى
الحديث صفة صلوة الملائكة على من جلس ينتظر الصلوة اللهم اغفر له
اللهم ارحمه فهذا دعاء وقال بكر القشيرى الصلوة من الله تعالى لمن
دون النبى صلى الله عليه وسلم رحمة وللنبى صلى الله عليه وسلم تشريف وزيادة
تكرمة وقال ابو العالية صلوة الله تعالى ثناؤه عليه عند الملائكة وصلوة
الملائكة وصلوة الملائكة الدعاء قال القاضى ابو الفضل وقد فرق النبى

صلى الله

صلى الله عليه وسلم فى حديث تعليم الصلوة عليه بين لفظ الصلوة ولفظ البركة
فدل انهما بمعنيين واما التسليم الذى امر الله به عباده فقال القاضى
ابو بكر بن بكير نزلت هذه الاية على النبى صلى الله عليه وسلم فامر الله اصحابه ان
يسلموا عليه وكذلك من بعدهم امروا ان يسلموا عليه عند حضورهم
قبره وعند ذكره وفى معنى السلام عليه ثلاثة وجوه احدها السلامة
لك ومعك ويكون السلام مصدرا كاللذاذ واللذاذة الثانى اى
السلام على حفظك ورعايتك متول له وكفيل به ويكون السلام
هنا اسم الله الثالث ان السلام بمعنى المسالمة له والانقياد كما قال الله
تعالى فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا فى انفسهم
حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما فصل اعلم ان الصلوة على النبى صلى
الله عليه وسلم فرض على الجملة غير محدد بوقت لامر الله تعالى بالصلوة عليه
وحمل الائمة والعلماء له على الوجوب واجمعوا عليه وحكى ابو جعفر
الطبرى ان محمل الاية عنده على الندب وادعى فيه الاجماع ولعله فيما زاد على مرة والواجب منه الذى
يسقط به الحرج ومأثم ترك الفرض مرة كالشهادة له بالنبوة وما علا
ذلك فمندوب مرغب فيه من سنن الاسلام وشعار اهله قال القاضى ابو الحسن
بن القصار المشهور عن اصحابنا ان ذلك واجب فى الجملة على الانسان وفرض
عليه ان ياتى بها مرة من دهره مع القدرة على ذلك وقال القاضى ابو بكر بن
بكير افترض الله تعالى على خلقه ان يصلوا على نبيه ويسلموا تسليما ولم
يجعل ذلك لوقت معلوم فالواجب ان يكثر المرء منها ولا يغفل عنها

قال القاضي ابو محمد بن نصر الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم واجبة في الجملة
قال القاضي ابو عبد الله محمد بن سعيد ذهب مالك واصحابه وغيرهم
من اهل العلم ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فرض بالجملة بعقد
الايمان لا يتعين في الصلوة وان من صلى عليه مرة واحدة من عمره سقط
الفرض عنه وقال اصحاب الشافعي الفرض منها الذي امر الله تعالى به و
رسوله عليه الصلوة والسلام هو في الصلوة وقالوا واما في غيرها
فلا خلاف انها غير واجبة واما في الصلوة فحكى الامامان ابو جعفر الطبري
والطحاوي وغيرهما اجماع جميع المتقدمين والمتأخرين من علماء الائمة
على ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم في التشهد غير واجبة وشذ الشافعي
في ذلك فقال من لم يصل على النبي صلى الله عليه وسلم من بعد التشهد الاخر
قبل السلام فصلاته فاسدة وان صلى عليه قبل ذلك لم تجزه ولا
سلف له في هذا القول ولا سنة يتبعها وقد بالغ في انكار هذه
المسئلة عليه لمخالفته فيها من تقدمه جماعة وشنعوا عليه الخلاف فيها منهم
الطبري والقشيري وغير واحد وقال ابو بكر بن المنذر يستحب ان لا يصلي
احد صلوة الا صلى فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم فان ترك ذلك
تارك فصلاته مجزية عنه في مذهب مالك واهل المدينة وسفيان الثوري
واهل الكوفة من اصحاب الرأي وغيرهم وهو قول جل اهل العلم وحكي
عن مالك وسفيان انها في التشهد الاخير مستحبة وان تاركها في التشهد
مسيء وشذ الشافعي فاوجب على تاركها في الصلوة الاعادة واوجب

يحق

اسحق الاعادة مع تعمد تركها دون النسيان وحكى ابو محمد بن ابي زيد عن محمد بن
المواز ان الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فريضة قال ابو محمد يريد ليست
من فرائض الصلوة وقاله محمد بن عبد الحكيم وغيره وحكى ابن القصار
وعبد الوهاب ان محمد بن المواز يراها فريضة في الصلوة كقول الشافعي و
حكى ابو يعلى العبدي المالكي عن المذهب فيها ثلاثة اقوال في الصلوة الوجوب
والسنة والندب وقد خالف الخطابي من اصحاب الشافعي وغيره الشافعي في
هذه المسئلة قال الخطابي وليست بواجبة في الصلوة وهو قول جماعة الفقهاء
الا الشافعي ولا اعلم له فيها قدوة والدليل على انها ليست من فروض الصلوة
عمل السلف الصالح قبل الشافعي واجماعهم عليه وقد شنع الناس عليه هذه
المسئلة جدا وهذا تشهد ابن مسعود الذي اختاره الشافعي وهو الذي
علمه له النبي صلى الله عليه وسلم ليس فيه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك كل
من روى التشهد عن النبي صلى الله عليه وسلم كابي هريرة وابن عباس و
جابر وابن عمر وابي سعيد الخدري وابي موسى الاشعري وعبد الله بن الزبير
لم يذكروا فيه صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وقد قال ابن عباس وجابر
كان النبي صلى الله عليه وسلم يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ونحوه
عن ابي سعيد قال ابن عمر كان ابو بكر يعلمنا التشهد على المنبر كما يعلمون
الصبيان في الكتاب وعلمه ايضا على المنبر عمر بن الخطاب وفي الحديث لا صلوة لمن
لم يصل علي قال ابن القصار معناه كاملة او لمن لم يصل علي مرة في عمره و
ضعف اهل الحديث كلهم رواية هذا الحديث وفي حديث ابي جعفر عن ابن مسعود عن

النبي صلى الله عليه وسلم من صلى صلاة لم يصل فيها علي وعلى اهل بيتي
لم يقبل منه قال الدارقطني الصواب انه قول ابي جعفر محمد بن علي بن الحسين
لو صليت صلوة لم اصل فيها على النبي صلى الله عليه وسلم ولا على بيته لرايت
انها لا تتم فصل في مواطن التي يستحب فيها الصلوة على النبي صلى
الله عليه وسلم ويرغب من ذلك في التشهد الصلوة كما قدمناه وذلك
بعد التشهد وقبل الدعاء حدثنا القاضي ابو علي رحمه الله بقراءتي عليه قال
ثنا الامام ابو القاسم البلخي ثنا الفارسي عن ابي القاسم الخزاعي عن الهيثم عن ابي
عيسى الحافظ قال ثنا محمود بن غيلان ثنا عبد الله بن يزيد المقرى ثنا حيوة
بن شريح حدثني ابو هانئ الخولاني ان عمرو بن مالك الجنبي اخبره انه سمع
فضالة بن عبيد يقول سمع النبي صلى الله عليه وسلم رجلا يدعو في صلاته فلم يصل
على النبي صلى الله عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم عجل هذا ثم دعاه فقال له و
لغيره اذا صلى احدكم فليبدأ بتحميد الله والثناء عليه ثم ليصل على النبي
صلى الله عليه وسلم ثم ليدع بعد بما شاء ويروى من غير هذا السند بتحميد الله
وهو اصح وعن عمر بن الخطاب رضي الله قال الدعاء والصلوة معلق بين
السماء والارض ولا يصعد الى الله منه شيء حتى يصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم وعن علي عن النبي صلى الله عليه وسلم بمعناه وعن عائشة عن النبي صلى
الله عليه وسلم وقال وعلى آل محمد وروي ان الدعاء محجوب حتى يصلي الداعي
على النبي صلى الله عليه وسلم وعن ابن مسعود اذا اراد احدكم ان يسال الله شيئا
فليبدأ بمدحه والثناء عليه بما هو اهله ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم

ثم ليسال فانه اجدر ان ينجح وعن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا تجعلوني كقدح الراكب فان الراكب يملأ قدحه ثم يضعه ويرفع متاعه
فان احتاج الى شراب شربه او الوضوء توضأ والا اهراقه ولكن اجعلوني
في اول الدعاء واوسطه وآخره وقال ابن عطاء للدعاء اركان واجنحة و
اسباب واوقات فان وافق اركانه قوي وان وافق اجنحته طار في السماء
وان وافق مواقيته فاز وان وافق اسبابه انجح فاركانه حضور القلب والرقة
والاستكانة والخشوع وتعلق القلب بالله وقطعه من الاسباب و
اجنحته الصدق ومواقيته الاسحار واسبابه الصلوة على محمد صلى
الله عليه وسلم وفي الحديث الدعاء بين الصلوتين لا يرد وفي حديث آخر كل دعاء
محجوب بين السماء فاذا جاءت الصلوة علي صعد الدعاء وفي دعاء ابن عباس
الذي رواه عنه حنش فقال في آخره واستجب دعائي ثم تبدأ بالصلوة
على النبي صلى الله عليه وسلم ان تصلي على محمد عبدك ونبيك ورسولك افضل
ما صليت على احد من خلقك اجمعين آمين ومن مواطن الصلوة عليه
عند ذكره وسماع اسمه او كتابه او عند الاذان وقد قال صلى الله عليه وسلم
رغم انف رجل ذكرت عنده فلم يصل علي وكره ابن حبيب ذكر النبي صلى الله
عليه وسلم عند الذبح وكره سحنون الصلوة عليه عند التعجب وقال
لا يصلى عليه الا على طريق الاحتساب وطلب الثواب قال اصبغ
عن ابن القاسم موطنان لا يذكر فيهما الا الله الذبيحة والعطاس
فلا يقل فيهما بعد ذكر الله محمد رسول الله ولو قال بعد ذكر الله

صلى الله على محمد لم تكن تسميته له مع الله وقال له اشهب قال لا ينبغي
ان تجعل الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم فيه استنانا وروى النسائي
عن اوس بن اوس عن النبي صلى الله عليه وسلم الامر بالاكثار من الصلوة عليه
يوم الجمعة ومن مواطن الصلوة والسلام دخول المسجد قال ابو اسحق
بن شعبان وينبغي لمن دخل المسجد ان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم و
على اله ويترحم عليه وعلى اله ويبارك عليه وعلى اله ويسلم عليه تسليما
ويقول اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرج فعل مثل
ذلك وجعل موضع رحمتك فضلك وقال عمرو بن دينار في قوله فاذا
دخلتم بيوتا فسلموا على انفسكم قال ان لم يكن في البيت احد فقل السلام
على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين
السلام على اهل البيت ورحمة الله وبركاته قال ابن عباس المراد بالبيوت
ههنا المساجد وقال النخعي اذا لم يكن في المسجد احد فقل السلام
على رسول الله واذا لم يكن في البيت احد فقل السلام علينا وعلى عباد الله
الصالحين وعن علقمة اذا دخلت المسجد اقول السلام عليك ايها النبي
ورحمة الله وبركاته صلى الله وملائكته على محمد ونحوه عن كعب اذا دخل
واذا خرج ولم يذكر الصلوة واحتج ابن شعبان لما ذكره بحديث فاطمة بنت
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يفعله اذا دخل المسجد
ومثله عن ابي بكر بن عمرو بن حزم وذكر السلام والرحمة وقد ذكرنا هذا الحديث
اخر القسم والاختلاف في الفاظه ومن مواطن الصلوة عليه ايضا

الصلوة على الجنائز وذكر عن ابي امامة انها من السنة ومن مواطن الصلوة
التي مضى عليها عمل الامة ولم تنكرها الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم وآله
في الرسائل وما يكتب بعد البسملة ولم يكن هذا في الصدر الاول واحدث
عند ولاية بني هاشم فمضى به عمل الناس في اقطار الارض ومنهم من يختم به
ايضا الكتب وقال صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له
ما دام اسمي في ذلك الكتاب ومن مواطن السلام على النبي صلى الله عليه وسلم تشهد
الصلوة حدثنا ابو القاسم خلف بن ابراهيم المقرئ الخطيب رحمه الله وغيره
قال حدثتني كريمة بنت احمد قالت ثنا ابو الهيثم ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد
بن اسمعيل ثنا ابو نعيم ثنا الاعمش عن شقيق بن سلمة عن عبد الله بن
مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا صلى احدكم فليقل التحيات لله
والصلوات والطيبات السلام عليك ايها النبي ورحمة الله
وبركاته السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فانكم اذا قلتموها
ما اصابت كل عبد صالح في السماء والارض هذا احد مواضع التسليم عليه
وسنته اول التشهد وقد روى مالك عن ابن عمر انه كان يقول ذلك
اذا فرغ من تشهده واراد ان يسلم واستحب مالك في المبسوط ان يسلم
بمثل ذلك قبل السلام قال محمد بن مسلمة اراد ما جاء عن عائشة وابن عمر انهما
كانا يقولان عند سلامهما السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين السلام عليكم واستحب اهل
العلم ان ينوي الانسان حين سلامه كل عبد صالح في السماء والارض من الملائكة

وبني آدم والجن قال مالك في الجمعة ولجب للمأموم اذا سلم امامه ان
يقول السلام على النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى عباد
الله الصالحين السلام عليكم فصل في كيفية الصلوة عليه
والتسليم حدثنا ابو اسحق ابراهيم بن جعفر الفقيه بقرأتي عليه وثنا القاضي
ابو الاصبغ ثنا ابو عبد الله بن عتاب ثنا ابو بكر بن واقد وغيره قالوا ثنا
ابو عيسى ثنا عبد الله ثنا يحيى ثنا مالك عن عبد الله بن ابي بكر بن
حزم عن ابيه عن عمرو بن سليم الزرقي انه قال اخبرني ابو حميد الساعدي
انهم قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال قولوا اللهم صل على
محمد وازواجه وذريته كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد و
ازواجه وذريته كما باركت على آل ابراهيم انك حميد مجيد وفي رواية
مالك عن ابي مسعود الانصاري قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آله
كما صليت على آل ابراهيم وبارك على محمد كما باركت على آل ابراهيم في
العالمين انك حميد مجيد والسلام كما قد علمتم وفي رواية كعب بن
عجرة اللهم صل على محمد وآل محمد كما صليت على ابراهيم وبارك على
محمد وآل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وعن عقبة بن
عمرو في حديثه اللهم صل على محمد النبي الامي وعلى آل محمد وفي رواية
ابي سعيد الخدري اللهم صل على محمد عبدك ورسولك وذكر معناه
وحدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي سماعا عليه وابو علي الحسن بن طريف
النحوي بقرأتي عليه قالا ثنا ابو عبد الله بن سعدون الفقيه قال ثنا

ابو بكر

ابو بكر المطوعي قال ثنا ابو عبد الله الحاكم عن ابي بكر بن ابي دارم الحافظ عن
علي بن احمد العجلي عن حرب بن الحسن عن يحيى بن المساور عن عمرو بن خالد عن
زيد بن علي بن الحسين عن ابيه علي عن ابيه الحسين عن ابيه علي بن ابي طالب
قال عدهن في يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال عدهن في يدي جبريل
وقال هكذا نزلت من عند رب العزة اللهم صل على محمد وعلى آل محمد
كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم بارك
على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد اللهم وترحم على محمد وعلى آل محمد كما ترحمت على ابراهيم وعلى
آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وتحنن على محمد وعلى آل محمد كما
تحننت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد مجيد اللهم وسلم
على محمد وعلى آل محمد كما سلمت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك حميد
مجيد وعن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم من سره ان يكتال بالمكيال
الاوفى اذا صلى علينا اهل البيت فليقل اللهم صل على محمد النبي وازواجه
امهات المؤمنين وذريته واهل بيته كما صليت على ابراهيم انك حميد
مجيد وفي رواية زيد بن خارجة الانصاري سألت النبي صلى الله عليه وسلم
كيف نصلي عليك فقال صلوا علي واجتهدوا في الدعاء ثم قولوا
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد
مجيد وعن سلامة الكندي كان علي يعلمنا الصلوة على
النبي صلى الله عليه وسلم اللهم داحي المدحوات وباري المسموكات اجعل

شرائف صلواتك ونوامي بركاتك ورأفة تحننك على محمد عبدك
ورسولك الفاتح لما اغلق والخاتم لما سبق والمعلن الحق بالحق
والدامغ لجيشات الاباطيل كما حمل فاضطلع بامرك بطاعتك مستوفزا
في مرضاتك واعيا الوحيك حافظا لعهدك ماضيا على نفاذ امرك
حتى اورى قبسا لقابس الآء الله تصل باهله اسبابه به هديت
القلوب بعد خوضات الفتن والاثم موضحات الاعلام ونائرات الاحكام
ومنيرات الاسلام فهو امينك المأمون وخازن علمك المخزون و
شهيدك يوم الدين وبعيثك نعمة ورسولك بالحق رحمة اللهم
افسح له في عدلك واجزه مضاعفات الخير من فضلك مهنئات له
مكدرات من فوز ثوابك المحلول وجزيل عطائك المعلول اللهم
اعل على بناء الناس بناءه واكرم مثواه لديك ونزله واتمم له نوره
واجزه من ابتعاثك له مقبول الشهادة ومرضي المقالة ذا منطق
عدل وخطة فصل وبرهان عظيم وعنه ايضا في الصلوة على النبي
صلى الله عليه وسلم ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية لبيك
اللهم ربي وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة
المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما
سبح لك من شيء يا رب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين
وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد
البشير الداعي اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام وعن

عبد الله بن

عبد الله بن مسعود اللهم اجعل صلواتك وبركاتك ورحمتك
على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين محمد عبدك
ورسولك امام الخير ورسول الرحمة اللهم ابعثه مقاما محمودا
يغبطه فيه الاولون والآخرون اللهم صل على محمد وعلى آل
محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد وبارك على محمد وعلى
آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد مجيد وكان الحسن
البصري يقول من اراد ان يشرب بالكاس الاوفى من حوض المصطفى
فليقل اللهم صل على محمد وعلى آله واصحابه واولاده و
ازواجه وذريته واهل بيته واصهاره وانصاره واشياعه
ومحبته وامته وعلينا معهم اجمعين يا ارحم الراحمين وعن
طاوس عن ابن عباس انه كان يقول اللهم تقبل شفاعة محمد
الكبرى وارفع درجته العليا وآته سؤله في الآخرة و
الاولى كما آتيت ابراهيم وموسى وعن وهيب بن الورد انه كان
يقول في دعائه اللهم اعط محمدا افضل ما سالك لنفسه
واعط محمدا افضل ما سالك له احد من خلقك واعط محمدا
افضل ما انت مسؤول له الى يوم القيمة وعن ابن مسعود انه كان
يقول اذا صليتم على النبي صلى الله عليه وسلم فاحسنوا الصلوة عليه فانكم
لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه وقولوا اللهم اجعل صلواتك
ورحمتك على سيد المرسلين وامام المتقين وخاتم النبيين

محمد عبدك ورسولك امام الخير وقائد الخير ورسول الرحمة اللهم
ابعثه مقاما محمودا يغبطه فيه الاولون والاخرون اللهم
صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم انك حميد مجيد
اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على ابراهيم انك حميد وعلى آل ابراهيم
مجيد وما يؤثر في تطويل الصلوة وتكثير الثناء على اهل البيت و
غيرهم كثير وقوله والسلام كما قد علمتم هو ما علمهم في التشهد من قول
السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته السلام علينا وعلى
عباد الله الصالحين وفي تشهد علي رضي الله عنه السلام على نبي الله
السلام على انبياء الله ورسله السلام على رسول الله السلام
على محمد بن عبد الله السلام علينا وعلى المؤمنين والمؤمنات من غاب
منهم ومن شهد اللهم اغفر لمحمد وتقبل شفاعته واغفر لاهل
بيته واغفر لي ولوالدي وما ولدا وارحمها السلام علينا و
على عباد الله الصالحين السلام عليك ايها النبي ورحمة الله و
بركاته جاء في هذا الحديث عن علي الدعاء للنبي بالغفران وفي حديث الصلوة
عليه ايضا قبل الدعاء له بالرحمة والبركات في غيره من الاحاديث المرفوعة
وقد ذهب ابو عمر بن عبد البر وغيره الى انه لا يدعى للنبي بالرحمة وانما يدعى
له بالصلوة والبركة التي تختص به ويدعى لغيره بالرحمة والمغفرة وقد
ذكر ابو محمد بن ابي زيد في الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم وارحم
محمدا وآل محمد كما رحمت على ابراهيم وآل ابراهيم والبركات هذا فهذه

صحيح

وجهته قوله في السلام السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته

فصل في فضيلة الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم و
التسليم عليه والدعاء له حدثنا احمد بن محمد الشيخ الصالح من
كتابه ثنا القاضي يونس بن مغيث ثنا ابو بكر بن معاوية ثنا النسائي
اخبرنا عبد الله عن حيوة بن شريح قال اخبرني كعب بن علقمة انه سمع
عبد الرحمن بن جبير مولى نافع انه سمع عبد الله بن عمرو يقول سمعت رسول
الله صلى الله عليه وسلم يقول اذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول
وصلوا علي فانه من صلى علي صلى الله عليه عشرا ثم سلوا الى الوسيلة
فانها منزلة في الجنة لا تنبغي الا لعبد من عباد الله وارجو ان اكون
انا هو فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة وروى انس بن
مالك ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من صلى علي صلوة صلى الله عليه
عشر صلوات وحط عنه عشر خطيئات ورفع له عشر درجات وفي رواية
وكتب له عشر حسنات وعن انس عنه صلى الله عليه وسلم ان جبريل ناداني
فقال من صلى عليك صلوة صلى الله عليه عشرا ورفعه عشر درجات
ومن رواية عبد الرحمن بن عوف عنه صلى الله عليه وسلم لقيت جبريل
فقال لي اني ابشرك ان الله يقول من سلم عليك سلمت عليه ومن
صلى عليك صليت عليه ونحوه من رواية ابي هريرة ومالك بن اوس
بن الحدثان وعبيد الله بن ابي طلحة عن زيد بن الحباب قال سمعت النبي
صلى الله عليه وسلم يقول من قال اللهم صل على محمد وانزله المنزل المقرب

عندك يوم القيمة وجبت له شفاعتي وعن ابن مسعود انه قال
صلى الله عليه وسلم اولى الناس بي يوم القيمة اكثرهم علي صلوة وعن ابي
هريرة عنه صلى الله عليه وسلم من صلى علي في كتاب لم تزل الملائكة
تستغفر له ما بقي اسمي في ذلك الكتاب وعن عامر بن ربيعة سمعت
النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى علي صلوة صلت عليه الملائكة ما صلى
علي فليقلل من ذلك عبد او ليكثره وعن ابي بن كعب كان رسول الله
صلى الله عليه وسلم اذا ذهب ربع الليل قام فقال يا ايها الناس اذكروا الله
جاءت الراجفة تتبعها الرادفة جاءت الموت فيه فقال ابي بن كعب
يا رسول الله اني اكثر الصلوة عليك فكم اجعل لك من صلاتي قال ما
شئت قال الربع قال ما شئت وان زدت فهو خير قال النصف قال
ما شئت وان زدت فهو خير قال الثلثين قال ما شئت وان زدت
فهو خير قال يا رسول الله فاجعل صلاتي كلها لك قال اذن تكفى
ويغفر ذنبك وعن ابي طلحة دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم فرايت
من بشره وطلاقته ما لم اره قط فسألته فقال وما يمنعني وقد
خرج جبريل آنفا فاتاني ببشارة من ربي ان الله بعثني اليك ابشرك
انه ليس احد من امتك يصلي عليك الا صلى الله وملائكته عليه
بها عشرا وعن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قال حين يسمع النداء اللهم رب هذه الدعوة التامة و
الصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة وابعثه

مقاما

مقاما محمودا الذي وعدته حلت له الشفاعة يوم القيمة وعن
سعد بن ابي وقاص من قال حين يسمع المؤذن وانا اشهد ان لا اله
الا الله وحده لا شريك له وان محمدا عبده ورسوله رضيت بالله
ربا وبمحمد رسولا وبالاسلام دينا غفر له وروى ابن وهب ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال من سلم علي عشرا فكانما اعتق رقبة وفي بعض الآثار
ليردن علي اقوام ما اعرفهم الا بكثرة صلوتهم علي وفي آخر ان انجاكم
يوم القيمة من اهوالها ومواطنها اكثركم علي صلاة وعن ابي بكر رضي الله
عنه الصلوة على النبي صلى الله عليه وسلم امحق للذنوب من الماء البارد للنار
والسلام عليه افضل من عتق الرقاب فصل في ذم من لم يصل على النبي صلى
الله عليه وسلم واثمه حدثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه الله ثنا ابو الفضل
بن خيرون وابو الحسين الصيرفي قالا ثنا ابو يعلى السنجي ثنا ابو عيسى
ثنا احمد بن ابرهيم الدورقي ثنا ربعي بن ابرهيم بن اسحق عن سعيد بن ابي
سعيد عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم رغم انف رجل ذكرت
عنده فلم يصل علي ورغم انف رجل دخل رمضان ثم انسلخ قبل ان يغفر الله له
ورغم انف رجل ادرك عنده ابواه الكبر فلم يدخلاه الجنة قال عبد الرحمن
واظنه قال او احدهما وفي حديث آخر ان النبي صلى الله عليه وسلم صعد المنبر
فقال آمين ثم صعد فقال آمين ثم صعد فقال آمين فسأله معاذ عن
ذلك فقال ان جبريل عليه السلام اتاني فقال يا محمد من سميت بين
يديه فلم يصل عليك فمات فدخل النار فابعده الله قل آمين فقلت آمين

وقال فيمن ادرك رمضان فلم يقبل منه فات من ذلك ومن ادرك ابويه
او احدهما فلم يبرهما فات مثل ذلك وعن علي بن ابي طالب عنه صلى الله عليه وسلم انه
قال البخيل الذي ذكرت عنده فلم يصل علي وعن جعفر بن محمد عن ابيه قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من ذكرت عنده فلم يصل علي اخطئ به طريق
الجنة وعن علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان البخيل
كل البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي وعن ابي هريرة قال ابو القاسم
صلى الله عليه وسلم ايما قوم جلسوا مجلسا ثم تفرقوا قبل ان يذكروا الله
ويصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم كانت عليهم من الله ترة ان شاء
عذبهم وان شاء غفر لهم وعن ابي هريرة من نسي الصلوة علي نسي
طريق الجنة وعن قتادة عنه صلى الله عليه وسلم من الجفاء ان اذكر عند
الرجل فلا يصلي علي وعن جابر عنه صلى الله عليه وسلم ما جلس قوم مجلسا
ثم تفرقوا على غير صلوة على النبي صلى الله عليه وسلم الا تفرقوا عن انتن من
ريح الجيفة وعن ابي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا يجلس
قوم مجلسا لا يصلون فيه على النبي صلى الله عليه وسلم الا كان عليهم حسرة
وان دخلوا الجنة لما يرون من الثواب وحكى ابو عيسى الترمذي
عن بعض اهل العلم قال اذا صلى الرجل على النبي صلى الله عليه وسلم مرة في المجلس

فصل في تخصيصه عليه الصلوة والسلام بتبليغ صلوة
من صلى عليه او سلم من الانام حدثنا القاضي ابو عبد الله التميمي
ثنا الحسين بن محمد ثنا ابو عمر الحافظ ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسة

ثنا

ثنا ابو داود ثنا ابن عوف ثنا المقرئ ثنا حيوة عن ابي صخر حميد
بن زياد عن يزيد بن عبد الله بن قسيط عن ابي هريرة ان رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ما من احد يسلم علي الا رد الله علي روحي حتى ارد عليه
السلام وذكر ابو بكر بن ابي شيبة عن ابي هريرة قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم من صلى علي عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا بلغته وعن
ابن مسعود ان لله تعالى ملائكة سياحين في الارض تبلغوني
عن امتي السلام ونحوه عن ابي هريرة وعن ابن عمر اكثروا من السلام على
نبيكم كل جمعة فانه يؤتى به منكم في كل جمعة وفي رواية فان احدا لا
يصلي علي الا عرضت صلاته علي حين يفرغ منها وعن الحسن عنه
صلى الله عليه وسلم حيث ما كنتم فصلوا علي فان صلاتكم تبلغني وعن
ابن عباس ليس احد من امة محمد يسلم عليه ويصلي عليه الا بلغه وذكر
بعضهم ان العبد اذا صلى على النبي صلى الله عليه وسلم عرض عليه اسمه و
عن الحسن بن علي اذا دخلت المسجد فسلم على النبي صلى الله عليه وسلم
قال لا تتخذوا بيوتكم قبورا وصلوا علي حيث كنتم فان صلاتكم
تبلغني حيث كنتم وفي حديث اوس اكثروا علي من الصلوة يوم الجمعة
فان صلاتكم معروضة علي وعن سليمان بن سحيم رايت النبي صلى الله عليه
وسلم في النوم فقلت يا رسول الله هؤلاء الذين ياتونك فيسلمون
عليك اتفقه سلامهم قال نعم وارد عليهم وعن ابن شهاب بلغنا
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا من الصلوة علي في الليلة الزهراء

واليوم الازهر فانهما يؤديان عنكم وان الارض لا تاكل اجساد الانبياء

وما من مسلم يصلي علي الا حملها ملك حتى يؤديها الي ويسميه حتى انه ليقول ان فلانا يقول كذا وكذا

فصل في الاختلاف في الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء عليهم السلام

قال المؤلف رحمه الله عامة اهل العلم متفقون على جواز الصلوة غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى عن ابن عباس انه لا تجوز الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم وروى عنه لا تنبغي الصلوة على احد الا النبيين وقال سفيان يكره ان يصلى الا على نبي ووجدت بخط بعض شيوخي مذهب مالك انه لا يجوز ان يصلى على احد من الانبياء سوى محمد عليه الصلوة والسلام وهذا غير معروف من مذهبه وقد قال مالك في المبسوطة ليحيى بن اسحق اكره الصلوة على غير الانبياء ولا ينبغي لنا ان نتعدى ما امرنا به قال يحيى بن يحيى لست آخذ بقوله ولا باس بالصلوة على الانبياء كلهم وعلى غيرهم واحتج بحديث ابن عمر وبما جاء في حديث تعليم النبي صلى الله عليه وسلم الصلوة عليه وفيه وعلى ازواجه وعلى آله ووجدت معلقا عن ابي عمران الفارسي روى عن ابن عباس كراهة الصلوة على غير النبي صلى الله عليه وسلم قال وبه يقول ولم يكن يستعمل فيما مضى وقد روى عبد الرزاق عن ابي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوا على انبياء الله ورسله فان الله بعثهم كما بعثني قالوا والاسانيد عن ابن عباس لينة والصلاة في لسان العرب بمعنى الترحم والدعاء وذلك على الاطلاق حتى يمنع منه حديث صحيح او اجماع وقد قال

الله تعالى

الله تعالى هو الذي يصلي عليكم وملائكته الاية وقال الله تعالى خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصل عليهم وقال الله تعالى اولئك عليهم صلوات من ربهم ورحمة وقال النبي صلى الله عليه وسلم اللهم صل على آل ابي اوفى وكان اذا اتاه قوم بصدقتهم قال اللهم صل على آل فلان وفي حديث الصلوة اللهم صل على محمد وعلى ازواجه وذريته وفي آخر وعلى آل محمد قيل اتباعه وقيل امته وقيل الاتباع والرهط والعشيرة وقيل آل الرجل ولده وقيل اهله الذين حرمت عليهم الصدقة وفي رواية انس سئل النبي صلى الله عليه وسلم من آل محمد فقال كل تقي ويجيء على مذهب الحسن ان المراد بآل محمد نفسه فانه كان يقول في صلاته على النبي صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل صلواتك وبركاتك على آل احمد يريد نفسه لانه كان لا يخل بالفرض ويأتي بالنفل لان الفرض الذي امر الله تعالى به هو الصلوة على محمد نفسه وهذا مثل قوله عليه السلام لقد اوتي مزمارا من مزامير آل داود يريد من مزامير داود وفي حديث ابي حميد الساعدي في الصلوة اللهم صل على محمد وازواجه وذريته وفي حديث ابن عمر انه كان يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى ابي بكر وعمر ذكره مالك في الموطأ من رواية يحيى بن يحيى الاندلسي والصحيح من رواية غيره ويدعو لابي بكر وعمر وروى ابن وهب عن انس بن مالك قال كنا ندعو لاصحابنا بالغيب فنقول اللهم اجعل منك على فلان صلوات قوم ابرار الذين يقومون بالليل

ويصومون بالنهار قال المؤلف رحمه الله والذي ذهب اليه المحققون
واميل اليه ما قاله مالك وسفيان رحمهما الله وروي عن ابن عباس
واختاره غير واحد من الفقهاء والمتكلمين انه لا يصلى على غير الانبياء عند
ذكرهم بل هو شيء يختص به الانبياء توقيرا لهم وتعزيزا كما يختص والله تعالى
عند ذكره بالتنزيه والتقديس والتعظيم لا يشاركه فيه غيره كذلك
يجب تخصيص النبي صلى الله عليه وسلم وسائر الانبياء بالصلوة والتسليم
ولا يشارك فيه سواهم كما امر الله تعالى به بقوله صلوا عليه وسلموا تسليما
ويذكر من سواهم من الائمة وغيرهم بالغفران والرضى كما قال الله تعالى يقولون
ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان وقال والذين اتبعوهم
باحسان رضي الله عنهم وايضا فهو امر لم يكن معروفا في الصدر الاول
كما قال ابو عمران وانما احدثته الرافضة والمتشيعة في بعض الائمة
فشاركوهم عند الذكر لهم بالصلوة وساووهم بالنبي صلى الله عليه وسلم وايضا
فان التشبه باهل البدع منهي عنه فتجب مخالفتهم فيما التزموه من ذلك
وذكر الصلوة على الآل والازواج مع النبي صلى الله عليه وسلم بحكم التبع والاضافة
اليه لا على التخصيص قالوا وصلوة النبي صلى الله عليه وسلم على من صلى عليه مجراها
مجرى الدعاء والمواجهة ليس فيها معنى التعظيم والتوقير قالوا وقد قال
الله تعالى لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم بعضا فكذلك
يجب ان يكون الدعاء له مخالفا لدعاء الناس بعضهم لبعض وهذا
اختيار الامام ابي المظفر الاسفرايني من شيوخنا فصل في حكم زيارة قبره

صلى الله

صلى الله عليه وسلم وفضيلة من زاره وسلم عليه وكيف يسلم ويدعوا وزيارة قبره
عليه السلام سنة من سنن المسلمين مجمع عليها وفضيلة مرغب فيها روى عن ابن
عمر رضي الله عنهما قال قال النبي صلى الله عليه وسلم من زار قبري وجبت له شفاعتي حدثنا
القاضي ابو علي قال ثنا ابو الفضل بن خيرون ثنا الحسين بن جعفر ثنا ابو الحسن
علي بن عمر الدارقطني ثنا القاضي المحاملي ثنا محمد بن عبد الرزاق ثنا موسى بن هلال
عن عبد الله بن عمر عن نافع عن ابن عمر فذكره وعن انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول
الله صلى الله عليه وسلم من زارني في المدينة محتسبا كان في جواري وكنت له شفيعا
يوم القيمة وفي حديث آخر من زارني بعد موتي فكانما زارني في حياتي وكره مالك رحمه
الله ان يقال زرنا قبر النبي صلى الله عليه وسلم وقد اختلف في معنى ذلك فقيل كراهة
الاسم لما ورد عن قوله عليه السلام لعن الله زوارات القبور وهذا يرده قوله
نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها وقوله عليه السلام من زار قبري فقد
اطلق اسم الزيارة وقيل لان ذلك لما قيل ان الزائر افضل من المزور و
ايضا ليس بشيء اذ ليس كل زائر بهذه الصفة ليس عموما وقد ورد في
حديث اهل الجنة زيارتهم لربهم عز وجل ولم يمنع هذا اللفظ في حقه صلى الله
عليه وسلم وقال ابو عمران انما كره ان يقال الطواف للزيارة وزرنا قبر النبي صلى
الله عليه وسلم لاستعمال الناس ذلك بينهم بعضهم لبعض وكره تسوية
النبي صلى الله عليه وسلم مع الناس بهذا اللفظ واحب ان يخص بان يقال سلمنا على
النبي صلى الله عليه وسلم وايضا فان الزيارة مباحة بين الناس وواجب شد
المطي الى قبره صلى الله عليه وسلم يريد بالوجوب هنا وجوب ندب وترغيب وتاكيد
والاولى عندي ان منعه وكراهة مالك له لاضافته الى قبر النبي صلى الله

وانه لو قال زرنا النبي صلى الله عليه وسلم لم يكرهه لقوله عليه السلام
اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد بعدي واشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد فحمى اضافة هذا اللفظ الى القبر والتشبه
بفعل اولئك قطعا للذريعة وحسما للباب والله اعلم قال اسحق بن
ابراهيم الفقيه ومما لم يزل من شان من حج المرور بالمدينة والقصد الى
الصلوة في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم والتبرك برؤية روضته و
منبره وقبره ومجلسه وملامس يديه ومواطى قدميه صلى الله عليه وسلم
والعمود الذي كان يستند اليه وينزل جبريل عليه السلام بالوحي فيه عليه ومن
عمره وقصده من الصحابة رضي الله عنهم وائمة المسلمين والاعتبار بذلك كله
قال ابن ابي فديك سمعت بعض من ادركت يقول بلغنا ان من وقف عند قبر
النبي صلى الله عليه وسلم فتلى هذه الآية ان الله وملائكته يصلون على النبي ثم
قال صلى الله عليك يا محمد من يقولها سبعين مرة ناداه ملك صلى الله
عليك يا فلان ولم تسقط له حاجة وعن يزيد بن ابي سعيد المهري
قدمت على عمر بن عبد العزيز فلما ودعته قال لي اليك حاجة اذا اتيت المدينة
ستري قبر النبي صلى الله عليه وسلم فاقرئه مني السلام قال غيره وكان يبرد
اليه البريد من الشام قال بعضهم رايت انس بن مالك رضي الله عنه اتى
قبر النبي صلى الله عليه وسلم فوقف فرفع يديه حتى ظننت انه افتتح الصلوة فسلم
على النبي صلى الله عليه وسلم ثم انصرف قال مالك في رواية ابن وهب اذا سلم على
النبي صلى الله عليه وسلم ودعا يقف وجهه الى القبر لا الى القبلة ويدنو ويسلم
ولا يمس القبر بيده وقال في المبسوط لا ارى ان يقف عند قبر النبي صلى الله عليه وسلم

يدعو ولكن

يدعو ولكن يسلم ويمضي قال ابن ابي مليكة من احب ان يقوم وجاه النبي صلى
الله عليه وسلم فليجعل القنديل الذي في القبلة عند القبر على راسه وقال نافع
كان ابن عمر يسلم على القبر رايته مائة مرة واكثر يجيء الى القبر فيقول السلام على
النبي السلام على ابي بكر السلام على ابي ثم ينصرف وروي واضعا يده على
مقعد النبي صلى الله عليه وسلم من المنبر ثم وضعها على وجهه وعن ابن قسيط و
القعنبي كان اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم اذا خلا المسجد جسوا رمانة المنبر التي تلي القبر
بميامنهم ثم استقبلوا القبلة يدعون وفي الموطا من رواية يحيى بن يحيى
الليثي انه كان يقف على النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي على النبي صلى الله عليه وسلم وعلى
ابي بكر وعمر وعند ابن القاسم والقعنبي ويدعو لابي بكر وعمر قال مالك
في رواية ابن وهب يقول المسلم السلام عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته
قال في المبسوط ويسلم على ابي بكر وعمر قال القاضي ابو الوليد الباجي وعندي
انه يدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بلفظ الصلوة ولابي بكر وعمر كما في حديث ابن
عمر من الخلاف وقال ابن حبيب ويقول اذا دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم
بسم الله وسلام على رسول الله السلام علينا من ربنا وصلى الله و
ملائكته على محمد اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك وجنتك
واحفظني من الشيطان الرجيم ثم اقصد الى الروضة وهي ما بين القبر
والمنبر فاركع فيها ركعتين قبل وقوفك بالقبر تحمد الله فيهما وتسأله تمام ما
خرجت اليه والعون عليه وان كانت ركعتاك في غير الروضة اجزأتاك وفي الروضة
افضل وقد قال عليه السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة

ومن يرى على ترعة من ترع الجنة ثم تقف بالقبر متواضعا متوقرا ثم تصلي عليه
وتثني بما يحضرك وتسلم على ابي بكر وعمر وتدعو لهما واكثر من الصلوة في مسجد النبي
صلى الله عليه وسلم بالليل والنهار ولا تدع ان تاتي مسجد قباء وقبور الشهداء قال
مالك وكنا محمد ويسلم على النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل وخرج يعني في المدينة
وفيما بين ذلك قال محمد واذا خرج جعل آخر عهده الوقوف بالقبر وكذلك من
خرج مسافرا وروى ابن وهب عن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه وسلم ان النبي صلى الله
عليه وسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخلت المسجد فصل على النبي صلى الله عليه وسلم وقل
اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب رحمتك واذا خرجت فصل على النبي صلى
الله عليه وسلم وقل اللهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي ابواب فضلك وفي رواية اخرى
فليسلم مكان فليصل فيه ويقول اذا خرج اللهم اني اسألك من فضلك وفي
اخرى اللهم احفظني من الشيطان الرجيم وعن محمد بن سيرين رحمه الله كان
الناس يقولون اذا دخلوا المسجد صلى الله وملائكته على محمد السلام
عليك ايها النبي ورحمة الله وبركاته بسم الله دخلنا وبسم الله خرجنا وعلى الله
توكلنا وكانوا يقولون اذا خرجوا مثل ذلك وعن فاطمة رضي الله عنها ايضا كان
النبي صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال صلى الله على محمد وسلم ثم ذكر مثل حديث فاطمة
رضي الله عنها قبل هذا وفي رواية حمد الله وسمى وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم وذكر
مثله وفي رواية بسم الله والسلام على رسوله وعن غيرها كان رسول
الله صلى الله عليه وسلم اذا دخل المسجد قال بسم الله اللهم افتح لي ابواب رحمتك
ويسر لي ابواب رزقك وعن ابي هريرة رضي الله عنه اذا دخل احدكم

المسجد

المسجد فليصل على النبي صلى الله عليه وسلم وليقل اللهم افتح لي وقال مالك
في المبسوط وليس يلزم من دخل المسجد وخرج عنه من اهل المدينة الوقوف
بالقبر وانما ذلك للغرباء وقال فيه ايضا لا باس لمن قدم من سفر او خرج
الى سفر ان يقف على قبر النبي صلى الله عليه وسلم فيصلي عليه ويدعو له ولابي بكر وعمر رضي
الله عنهما فقيل له فان ناسا من اهل المدينة لا يقدمون من سفر ولا يريدون
يفعلون ذلك في اليوم مرة او اكثر وربما وقفوا في الجمعة او في الايام المرة او المرتين او اكثر
عند القبر فيسلمون ويدعون ساعة فقال لم يبلغني هذا عن احد من اهل الفقه
ببلدنا وتركه واسع ولا يصلح آخر هذه الامة الا ما اصلح اولها ولم يبلغني عن
اول هذه الامة وصدرها انهم كانوا يفعلون ذلك ويكره الا لمن جاء من سفر
او اراده قال ابن القاسم ورايت اهل المدينة اذا خرجوا منها او دخلوها اتوا القبر
فسلموا قال وذلك رايي قال الباجي ففرق بين اهل المدينة والغرباء لان الغرباء
قصدوا لذلك واهل المدينة مقيمون بها لم يقصدوا من اجل القبر والتسليم
وقال عليه السلام اللهم لا تجعل قبري وثنا يعبد اشتد غضب الله على قوم
اتخذوا قبور انبيائهم مساجد وقال لا تجعلوا قبري عيدا ومن كتاب احمد بن
سعيد الهندي فيمن وقف بالقبر لا يلصق به ولا يمسه ولا يقف عنده طويلا
وفي العتبية يبدأ بالركوع قبل السلام في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم واحب
مواضع التنفل فيه مصلى النبي صلى الله عليه وسلم حيث العمود المخلق واما في الفريضة
فالتقدم الى الصفوف والتنفل فيه للغرباء احب الي من التنفل في البيوت
فصل فيما يلزم من دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم من الادب سوى ما قدمناه

وفضله وفضل الصلوة فيه وفي مسجد مكة وذكر قبره ومنبره وفضل
سكنى المدينة ومكة قال الله تعالى لمسجد اسس على التقوى من اول
يوم احق ان تقوم فيه روي ان النبي صلى الله عليه وسلم سئل اي مسجد هو قال
مسجدي هذا وهو قول سعيد بن المسيب وزيد بن ثابت وابن عمر ومالك بن
انس وغيرهم وعن ابن عباس رضي الله عنهما انه مسجد قباء حدثنا هشام بن
احمد الفقيه بقراءتي عليه قال ثنا الحسين بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر النمري ثنا
ابو محمد بن عبد المؤمن ثنا ابو بكر بن داسة ثنا ابو داود ثنا مسدد ثنا سفين
عن الزهري عن سعيد بن المسيب عن ابي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
لا تشد الرحال الا الى ثلثة مساجد مسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الاقصى
وقد تقدمت الاثار في الصلوة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم عند دخول المسجد
وعن عبد الله بن عمرو بن العاص ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا دخل المسجد قال
اعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم
قال مالك رحمه الله سمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه صوتا في المسجد فدعا بصاحبه
فقال ممن انت قال رجل من ثقيف فقال لو كنت من هاتين لاتيتك ان مسجدنا لا يرفع
فيه الصوت قال محمد بن مسلمة لا ينبغي لاحد ان يعتمد المسجد برفع الصوت و
لا بشيء من الاذى وان ينزه عما يكره قال القاضي حكى ذلك كله القاضي اسمعيل في
مبسوطه في باب فضل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم والعلماء كلهم متفقون ان حكم سائر
المساجد هذا الحكم قال القاضي اسمعيل وقال محمد بن مسلمة ويكره في مسجد الرسول
عليه السلام الجهر على المصلين فيما يخلط عليهم صلوتهم وليس مما يخص به المساجد

ورفع

رفع الصوت قد كره رفع الصوت بالتلبية في مساجد الجماعات الا المسجد الحرام
ومسجد منى وقال ابو هريرة رضي الله عنه عنه عليه السلام صلوة في
مسجدي هذا خير من الف صلوة فيما سواه الا المسجد الحرام قال القاضي اختلف
الناس في معنى هذا الاستثناء على اختلافهم في المفاضلة بين مكة و
المدينة فذهب مالك في رواية اشهب عنه وقاله ابن نافع صاحبه وجماعة اصحابه الى ان
معنى الحديث ان الصلوة في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم افضل من الصلوة في سائر
المساجد بالف صلوة الا المسجد الحرام فان الصلوة في مسجد النبي صلى الله عليه
وسلم افضل من الصلوة فيه بدون الالف واحتجوا بما روي عن عمر بن الخطاب
رضي الله عنه صلوة في المسجد الحرام خير من مائة صلوة فيما سواه فتاتي فضيلة
مسجد الرسول عليه السلام بتسع مائة وعلى غيره بالف وهذا مبني على
تفضيل المدينة على ما قدمناه وهو قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومالك
رحمه الله واكثر المدنيين وذهب اهل مكة والكوفة الى تفضيل مكة وهو قول
عطاء وابن وهب وابن حبيب من اصحاب مالك وحكاه الساجي عن الشافعي وحملوا
الاستثناء في الحديث المتقدم على ظاهره وان الصلوة في المسجد الحرام افضل و
احتجوا بحديث عبد الله بن الزبير عن النبي صلى الله عليه وسلم بمثل حديث ابي هريرة رضي الله
عنه وفيه صلوة في المسجد الحرام افضل من الصلوة في مسجدي هذا بمائة صلوة
وروى قتادة رضي الله عنه مثله فيأتي فضل الصلوة في المسجد الحرام على هذا على
الصلوة في سائر المساجد بمائة الف ولا خلاف ان موضع قبره افضل بقاع الارض
قال القاضي ابو الوليد الباجي الذي يقتضيه الحديث مخالفة حكم مسجد مكة

لسائر المساجد ولا يعلم منه حكمها مع المدينة وذهب الطحاوي الى ان
هذا التفضيل انما هو في صلوة الفرض وذهب مطرف من اصحابنا الى ان ذلك
في النفل ايضا قال وجمعة خير من جمعة ورمضان خير من رمضان وقد ذكر
عبد الرزاق في تفضيل رمضان بالمدينة وغيرها حديثا نحوه وقال عليه
السلام ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ومثله عن ابي هريرة
وابي سعيد رضي الله عنهما وزادا ومنبري على حوضي وفي حديث آخر منبري على ترعة
من ترع الجنة وقال الطبري فيه معنيان احدهما ان المراد بالبيت بيت سكناه
على الظاهر مع انه روي ما بينه بين حجرتي ومنبري والثاني البيت هنا
القبر وهو قول زيد بن اسلم في هذا الحديث كما روي بين قبري ومنبري قال الطبري
واذا كان قبره في بيته اتفقت معاني الروايات ولم يكن بينها خلاف لان قبره عليه السلام
في حجرته وهو بيته وقوله ومنبري على حوضي قيل يحتمل انه منبره بعينه الذي كان
في الدنيا وهو اظهر والثاني ان يكون له هناك منبر والثالث ان قصد منبره و
الحضور عنده لملازمة الاعمال الصالحة يورد الحوض ويوجب الشرب منه قاله
الباجي وقوله روضة من رياض الجنة يحتمل معنيين احدهما انه موجب لذلك وان
الدعاء والصلوة فيه يستحق ذلك من الثواب كما قيل الجنة تحت ظلال السيوف
والثاني ان تلك البقعة قد ينقلها الله فتكون في الجنة بعينها قاله الداودي
وروى ابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من الصحابة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال في المدينة لا
يصبر على لاوائها وشدتها احد الا كنت له شهيدا او شفيعا يوم القيمة وقال
فيمن تحمل عن المدينة والمدينة خير لهم لو كانوا يعلمون وقال عليه السلام انما

المدينة

المدينة كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها وقال لا يخرج احد من المدينة رغبة
عنها الا ابدلها الله خيرا منه وروي عنه عليه السلام من مات في احد الحرمين
حاجا او معتمرا بعثه الله يوم القيمة لا حساب عليه ولا عذاب وفي طريق آخر
بعث من الآمنين يوم القيمة وعن ابن عمر رضي الله عنهما عنه صلى الله عليه وسلم
من استطاع ان يموت بالمدينة فليمت بها فاني اشفع لمن يموت بها وقال الله تعالى
ان اول بيت وضع للناس للذي ببكة الى قوله امنا قال بعض المفسرين امنا من النار و
قيل كان يامن من الطلب من احدث حدثا ولجا اليه في الجاهلية وهذا مثل قوله تعالى
واذ جعلنا البيت مثابة للناس وامنا على قول بعضهم وحكي ان قوما اتوا
سعدون الخولاني بالمنستير فاعلموه ان كتامة قتلوا رجلا واضرموا عليه النار
طول الليل فلم تعمل فيه وبقي ابيض اللون فقال لعله حج ثلاث حجج قالوا نعم قال حدثت
ان من حج حجة ادى فرضه ومن حج ثانية داين ربه فيناديه غدا لملك من عند الله
من كان له دين عند الله فليقم ومن حج ثالثة حرم الله شعره وبشره على النار ولما
نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الكعبة قال مرحبا بك من بيت ما اعظمك واعظم
حرمتك وفي الحديث عنه عليه السلام ما من احد يدعو الله عند الركن الاسود
الا استجاب الله له وكذلك عند الميزاب وعنه عليه السلام من صلى خلف
المقام ركعتين غفر له ما تقدم من ذنبه وما تاخر وحشر يوم القيمة من الآمنين
قال الفقيه ابو الفضل رحمه الله قرات على القاضي الحافظ ابي علي رحمه الله حدثنا
ابو العباس العذري قال ثنا ابو اسامة محمد بن احمد بن محمد الهروي ثنا الحسن
بن رشيق قال سمعت ابا الحسن محمد بن الحسن بن راشد يقول سمعت ابا بكر محمد بن

ادريس سمعت الحميدي قال سمعت سفين بن عيينة قال عمرو بن دينار قال سمعت
ابن عباس رضي الله عنهما يقول سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما دعا احد
بشيء في هذا الملتزم الا استجيب له قال ابن عباس رضي الله عنهما وانا فما دعوت
الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وسلم الا
استجيب لي وقال عمرو بن دينار وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابن عباس رضي الله عنهما الا استجيب لي وقال سفين وانا فما دعوت الله
بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من عمرو الا استجيب لي وقال الحميدي وانا فما
دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من سفين الا استجيب لي و
قال محمد بن ادريس وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت هذا من
الحميدي الا استجيب لي وقال ابو الحسن محمد بن الحسن وانا فما دعوت الله بشيء في هذا
الملتزم منذ سمعت هذا من محمد بن ادريس الا استجيب لي قال ابو اسامة وما
اذكر الحسن بن رشيق قال فيه شيئا وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ
سمعت هذا من الحسن بن رشيق الا استجيب لي من امر الدنيا وانا ارجو ان يستجاب
لي من امر الاخرة وقال العذري وانا فما دعوت الله بشيء في هذا الملتزم منذ سمعت
هذا من ابي اسامة الا استجيب لي قال ابو علي وانا فقد دعوت الله فيه باشياء كثيرة
استجيب لي بقيتها قال القاضي ابو الفضل ذكرنا نبذا من هذه النكت في هذا الفصل
وان لم يكن من الباب لتعلقها بالفصل الذي قبله حرصا على تمام الفائدة والله
الموفق للصواب برحمته

القسم الثالث

فيما يجب للنبي صلى الله عليه وسلم وما يستحيل في حقه او يجوز عليه وما يمتنع او يصح

من الاحوال

من الاحوال البشرية ان يضاف اليه قال الله تعالى وما محمد الا رسول قد
خلت من قبله الرسل افان مات او قتل انقلبتم على اعقابكم الاية وقال تعالى ما المسيح
بن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل وامه صديقة كانا ياكلان الطعام وقال
تعالى قل انما انا بشر مثلكم يوحى الي انما الهكم اله واحد الاية فمحمد صلى الله عليه وسلم و
سائر الانبياء عليهم السلام من البشر ارسلوا الى البشر ولولا ذلك لما اطاق الناس
مقاومتهم والقبول عنهم ومخاطبتهم قال الله تعالى ولو جعلناه ملكا لجعلناه
رجلا اي لما كان الا في صورة البشر الذي يمكنكم مخاطبته اذ لا تطيقون مقاومة
الملك ومخاطبته ورؤيته اذا كان على صورته وقال قل لو كان في الارض ملائكة
يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكا رسولا اي لا يمكن في سنة الله
ارسال الملك الا لمن هو من جنسه او من خصه الله واصطفاه وقواه على مقاومته
كالانبياء والرسل وسائط بين الله وبين خلقه يبلغونهم اوامره ونواهيه و
وعده ووعيده ويعرفونهم بما لم يعلموه من امره وخلقه وجلاله وسلطانه و
جبروته وملكوته فظواهرهم واجسادهم وبنيتهم متصفة باوصاف البشر طارئ
عليها ما يطرأ على البشر من الاعراض والاسقام والموت والفناء ونعوت الانسانية
وارواحهم وبواطنهم متصفة باعلى من اوصاف البشر متعلقة بالملأ الاعلى
متشبهة بصفات الملائكة سليمة من التغير والافات لا يلحقها غالبا عجز البشرية
ولا ضعف الانسانية اذ لو كانت بواطنهم خالصة للبشرية كظواهرهم لما اطاقوا
الاخذ عن الملائكة ورؤيتهم ومخاطبتهم ومخالتهم كما لا يطيقه غيرهم من البشر
ولو كانت اجسامهم وظواهرهم متسمة بنعوت الملائكة وبخلاف صفات البشر لما اطاق

البشر ومن ارسلوا اليه مخالطتهم كما تقدم من قول الله تعالى لجعلوا من جهة الاجسام
والظواهر مع البشر ومن جهة الارواح والبواطن مع الملائكة كما قال عليه السلام
لو كنت متخذا من امتي خليلا لاتخذت ابا بكر خليلا ولكن اخوة الاسلام لكن صاحبكم
خليل الرحمن وكما قال تنام عيناي ولا ينام قلبي وقال اني لست كهيئتكم اني اظل عند
ربي يطعمني ويسقيني فبواطنهم منزهة عن الآفات مطهرة عن النقائص والاعتلال
وهذه جملة لن يكتفي بمضمونها كل ذي همة بل الاكثر يحتاج الى بسط وتفصيل على ما نأتي
بعد هذا في البابين بعون الله وهو حسبي ونعم الوكيل

الباب الاول

فيما يختص بالامور الدينية والكلام في عصمة نبينا وسائر الانبياء صلوات
الله عليهم قال القاضي ابو الفضل رحمه الله اعلم ان الطوارئ من التغيرات
والآفات على آحاد البشر لا يخلو ان تطرأ على جسمه او على حواسه بغير قصد و
اختيار وكله في الحقيقة عمل وفعل ولكن جرى رسم المشايخ بتفصيله الى ثلاثة
انواع عقد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح وجميع البشر تطرأ عليهم
الآفات والتغيرات بالاختيار وبغير الاختيار في هذه الوجوه كلها والنبي و
ان كان من البشر ويجوز على جبلته ما يجوز على جبلة البشر فقد قامت البراهين
القاطعة وتمت كلمة الاجماع على خروجه عنهم وتنزيهه عن كثير من الآفات
التي تقع على الاختيار وعلى غير الاختيار كما سنبينه ان شاء الله فيما نأتي
به من التفاصيل فصل في حكم عقد قلب النبي صلى الله عليه وسلم من وقت نبوته
اعلم منحنا الله واياك توفيقه ان ما تعلق منه بطريق التوحيد والعلم

بالله

بالله تعالى وصفاته والايمان به وبما اوحي اليه فعلى غاية المعرفة ووضوح
العلم واليقين والانتفاء عن الجهل بشيء من ذلك او الشك او الريب
فيه والعصمة من كل ما يضاد المعرفة بذلك واليقين هذا ما وقع اجماع
المسلمين عليه ولا يصح بالبراهين الواضحة ان يكون في عقود الانبياء
سواه ولا يعترض على هذا بقول ابرهيم عليه السلام قال بلى ولكن ليطمئن
قلبي اذ لم يشك ابراهيم عليه السلام في اخبار الله له باحياء الموتى ولكن اراد
طمانينة القلب وترك المنازعة لمشاهدة الاحياء فحصل له العلم الاول
بوقوعه واراد العلم الثاني بكيفيته ومشاهدته الوجه الثاني ان ابراهيم
عليه السلام انما اراد اختبار منزلته عند ربه وعلم اجابته دعوته بسؤال
ذلك من ربه فيكون قوله اولم تؤمن اي لم تصدق بمنزلتك مني وخلتك و
اصطفائك الوجه الثالث انه سأل زيادة يقين وقوة طمانينة وان لم يكن
في الاول شك اذ العلوم الضرورية والنظرية قد تتفاضل في قوتها وطريان
الشكوك على الضروريات ممتنع ومجوز في النظريات فاراد الانتقال من النظر او الخبر
الى المشاهدة والترقي من علم اليقين الى عين اليقين فليس الخبر كالمعاينة ولهذا
قال سهل بن عبد الله سأل كشف غطاء العيان ليزداد بنور اليقين تمكنا
في حاله الوجه الرابع انه لما احتج على المشركين بان ربه يحيي ويميت طلب ذلك
من ربه ليصح احتجاجه عيانا الوجه الخامس قول بعضهم هو سؤال على طريق
الادب المراد اقدرني على احياء الموتى وقوله ليطمئن قلبي عن هذه الامنية
والوجه السادس انه اري من نفسه الشك وما شك لكن ليجاب ويزداد

قربة

وقوله نبينا صلى الله عليه وسلم نحن احق بالشك من ابرهيم نفي لان يكون ابراهيم شك
وابعاد للخواطر الضعيفة ان تظن هذا بابراهيم اي نحن موقنون بالبعث و
احياء الله الموتى فلو شك ابرهيم لكنا اولى بالشك منه اما على طريق الادب
او ان يريد امته الذين يجوز عليهم الشك او على طريق التواضع والاشفاق ان
حملت قصة ابراهيم على اختبار حاله او زيادة يقينه فان قلت فما معنى قوله فان
كنت في شك مما انزلنا اليك فسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك الايتين
فاحذر ثبت الله قلبك ان يخطر ببالك ما ذكره فيه بعض المفسرين عن
ابن عباس او غيره من اثبات شك للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحي اليه وانه من البشر
فمثل هذا لا يجوز عليه جملة بل قد قال ابن عباس لم يشك النبي صلى الله عليه وسلم
ولم يسئل ونحوه عن ابن جبير والحسن وحكى قتادة رضي الله عنه ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال ما اشك ولا اسأل وعامة المفسرين على هذا و
اختلفوا في معنى الاية فقيل المراد يا محمد للشاك ان كنت في شك الاية قالوا
وفي السورة نفسها ما دل على هذا التاويل قوله قل يا ايها الناس ان كنتم في
شك من ديني الاية وقيل المراد بالخطاب العرب وغير النبي صلى الله عليه وسلم كما قال لئن
اشركت ليحبطن عملك الاية الخطاب له والمراد غيره ومثله فلا تك في مرية
مما يعبد هؤلاء ونظيره كثير قال بكر بن العلاء الا تراه يقول ولا تكونن من
الذين كذبوا بايات الله وهو عليه السلام كان المكذب فيما يدعوا اليه فكيف
يكون ممن كذب به فهذا كله يدل على ان المراد بالخطاب غيره ومثل هذه الاية
قوله الرحمن فاسئل به خبيرا المامور هنا غير النبي صلى الله عليه وسلم ليسئل النبي صلى الله

عليه وسلم والنبي عليه السلام هو الخبير المسؤل لا المستخبر السائل قيل ان
هذا الشك الذي امر غير النبي صلى الله عليه وسلم بسؤال الذين يقرؤن الكتاب
انما هو فيما قصه الله من اخبار الامم لا فيما دعى اليه من التوحيد والشريعة
ومثل هذا قوله تعالى واسئل من ارسلنا من قبلك من رسلنا المراد به المشركون
والخطاب مواجهة للنبي صلى الله عليه وسلم قاله القتبي وقيل معناه سلنا عمن ارسلنا
من قبلك فحذف الخافض وتم الكلام ثم ابتدا اجعلنا من دون الرحمن الهة
يعبدون على طريق الانكار اي ما جعلنا حكاه مكي وقيل امر النبي صلى الله
عليه وسلم ان يسأل الانبياء ليلة الاسراء عن ذلك فكان اشد يقينا من ان
يحتاج الى السؤال فروي انه قال لا اسأل قد اكتفيت قاله ابن زيد وقيل
سل امم من ارسلنا هل جاؤهم بغير التوحيد وهو معنى قول مجاهد والسدي و
الضحاك وقتادة والمراد بهذا والذي قبله اعلامه صلى الله عليه وسلم بما بعثت
به الرسل وانه تعالى لم ياذن في عبادة غيره لاحد ردا على مشركي العرب وغيرهم في قولهم
انما نعبدهم ليقربونا الى الله زلفى وكذلك والذين اتيناهم الكتاب يعلمون انه
منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين اي في علمهم بانك رسول الله وان لم
يقروا بذلك وليس المراد به شكه فيما ذكر في اول الاية وقد يكون ايضا على مثل
ما تقدم اي قل يا محمد لمن امترى بذلك فلا تكونن من الممترين بدليل قوله اول الاية
افغير الله ابتغي حكما الاية وان النبي صلى الله عليه وسلم يخاطب بذلك غيره وقيل هو تقرير
كقوله أانت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله وقد علم انه لم يقل
وقيل معناه ما كنت في شك فسئل تزدد طمانينة وعلما الى علمك ويقينك

وقيل ان كنت تشك فيما شرفناك وفضلناك به فاسئلهم عن صفتك في
الكتب ونشر فضائلك وحكي عن ابي عبيدة ان المراد ان كنت في شك من
غيرك فيما انزلنا فان قيل فما معنى قوله تعالى اذا استيئس الرسل وظنوا انهم
قد كذبوا على قراءة التخفيف قلنا المعنى في ذلك ما قالته عائشة رضي
الله عنها معاذ الله ان تظن ذلك الرسل بربها وانما معنى ذلك ان الرسل لما
استيأسوا ظنوا ان من وعدهم النصر من اتباعهم كذبوهم وعلى هذا اكثر
المفسرين وقيل ان الضمير في ظنوا عائد على الاتباع والامم لا على الانبياء والرسل
وهو قول ابن عباس والنخعي وابن جبير وجماعة من العلماء رضي الله عنهم وبهذا المعنى
قرأ مجاهد كذبوا بالفتح فلا تشغل بالك من شاذ التفسير بسواه مما لا يليق
بمنصب العلماء فكيف بالانبياء وكذلك ما ورد في حديث السيرة ومبتدأ الوحي
من قوله عليه السلام لخديجة رضي الله عنها لقد خشيت على نفسي ليس معناه الشك
فيما اتاه الله بعد رؤية الملك ولكن لعله خشي ان لا تحتمل قوته مقاومة الملك
واعباء الوحي فينخلع قلبه او تزهق نفسه هذا على ما ورد في الصحيح انه قاله بعد
لقائه الملك او يكون ذلك قبل لقائه الملك واعلام الله تعالى له بالنبوة
لاول ما عرضت عليه من العجائب وسلم عليه الحجر والشجر وبدأته المنامات والتباشير كما روي
في بعض طرق هذا الحديث ان ذلك كان اولا في المنام ثم ارى في اليقظة مثل ذلك
تأنيسا له عليه السلام لئلا يفجأه الامر مشاهدة ومشافهة فلا يحتمله لاول
حالة بنية البشرية وفي الصحيح عن عائشة رضي الله عنها اول ما بدئ به رسول
الله صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة قالت ثم حبب اليه الخلاء وقالت الى ان جاءه

الحق وفي

الحق وفي غار حراء الحديث وعن ابن عباس رضي الله عنهما مكث النبي صلى الله عليه وسلم
بمكة خمس عشرة سنة يسمع الصوت ويرى الضوء سبع سنين ولا يرى شيئا وثمان
سنين يوحى اليه وقد روى ابن اسحق عن بعضهم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال
وذكر جواره بغار حراء قال فجاءني وانا نائم فقال اقرأ فقلت ما اقرأ وذكر نحو حديث
عائشة رضي الله عنها في غطه له واقرائه اقرأ باسم ربك السورة قال فانصرف
عني وهببت من نومي كانما صورت في قلبي ولم يكن ابغض الي من شاعر او مجنون قلت
لا تحدث عني قريش بهذا ابدا لاعمدن الى حالق من الجبل فلاطرحن نفسي منه فلا
قتلنها فبينا انا عامد لذلك اذ سمعت مناديا ينادي من السماء يا محمد انت رسول
الله وانا جبريل فرفعت رأسي فاذا جبريل على صورة رجل وذكر الحديث فقد بين
فهذا ان قوله لما قال وقصده لما قصد انما كان قبل لقاء جبريل عليه السلام و
قبل اعلام الله تعالى له بالنبوة واظهاره واصطفائه له بالرسالة ومثله
حديث عمرو بن شرحبيل انه عليه السلام قال لخديجة اني اذا خلوت وحدي سمعت نداء و
قد خشيت والله ان يكون هذا الامر ومن رواية حماد بن سلمة ان النبي صلى الله عليه وسلم
قال لخديجة اني لاسمع صوتا وارى ضوءا واخشى ان يكون بي جنون وعلى هذا يتأول
لو صح قوله في بعض هذه الاحاديث ان الابعد شاعر او مجنون والفاظ يفهم منها معاني
الشك في تصحيح ما رآه وانه كان كله في ابتداء امره وقبل لقاء الملك له واعلام
الله له انه رسوله فكيف وبعض هذه الالفاظ لا تصح طرقها واما بعد اعلام
الله تعالى له ولقائه الملك فلا يصح فيه ريب ولا يجوز عليه شك فيما القي اليه
وقد روى ابن اسحق عن شيوخه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يرقى بمكة

من العين قبل ان ينزل عليه فلما نزل عليه القرآن اصابه نحو ما كان يصيبه فقالت له خديجة اوجّه اليه من يرقيك قال اما الان فلا وحديث خديجة رضي الله عنها واختبارها امر جبريل بكشف رأسها الحديث انما ذلك في حق خديجة ليتحقق صحة نبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وان الذي يأتيه ملك ويزول الشك عنها لانها فعلت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم وليختبر هو حاله بذلك بل قد ورد في حديث عبد الله بن محمد بن يحيى بن عروة عن هشام عن ابيه عن عائشة رضي الله عنها ان ورقة امر خديجة ان تختبر الامر بذلك وفي حديث اسمعيل بن ابي حكيم انها قالت لرسول الله صلى الله عليه وسلم يا ابن عم هل تستطيع ان تخبرني بصاحبك اذا جاءك قال نعم فلما جاء جبريل اخبرها فقالت له اجلس الى شقي وذكر الحديث الى آخره وفيه فقالت ما هذا بشيطان ان هذا الملك يا ابن عم فاثبت وابشر وآمنت به فهذا يدل انها مستثبتة بما فعلته لنفسها ومستظهرة لايمانها لا للنبي صلى الله عليه وسلم وقول معمر رضي الله عنه في فترة الوحي فحزن النبي صلى الله عليه وسلم فيما بلغنا حزنا غدا منه مرارا كي يتردى من رؤوس شواهق الجبال لا يقدح في هذا الاصل لقول معمر عنه فيما بلغنا ولم يسنده ولا ذكر رواته ولا من حدث به ولا ان النبي صلى الله عليه وسلم قاله ولا يعرف مثل هذا الا من جهة النبي صلى الله عليه وسلم انه قد يحمل على انه كان اول الامر كما ذكرناه او انه فعل ذلك لما احرجه من تكذيب من بلغه كما قال الله تعالى فلعلك باخع نفسك على آثارهم ان لم يؤمنوا بهذا الحديث اسفا ويصحح معنى هذا التأويل حديث رواه شريك عن عبد الله بن محمد بن عقيل عن جابر بن عبد الله ان المشركين لما اجتمعوا بدار الندوة للتشاور في شأن النبي

صلى الله عليه وسلم واتفق رأيهم على ان يقولوا انه ساحر اشتد ذلك عليه وتزمل في ثيابه وتدثر فيها فأتاه جبريل فقال يا ايها المزمل يا ايها المدثر او خاف ان الفترة لامر او سبب منه فخشي ان تكون عقوبة من ربه ففعل ذلك بنفسه ولم يرد بعد شرع بالنهي عن ذلك فيعترض به ونحو هذا فرار يونس عليه السلام خشية تكذيب قومه لما وعدهم به من العذاب وقول الله تعالى في يونس فظن ان لن نقدر عليه معناه ان لن نضيق عليه قال مكي طمع في رحمة الله وان لا يضيق عليه مسلكه في خروجه وقيل حسن ظنه بمولاه انه لا يقضي عليه العقوبة وقيل نقدر عليه ما اصابه وقد قرئ نقدّر عليه بالتشديد وقيل نؤاخذه بغضبه وذهابه وقال ابن زيد معناه افظن ان لن نقدر عليه على الاستفهام ولا يليق ان يظن بنبي ان يجهل صفة من صفات ربه وكذلك قوله اذ ذهب مغاضبا الصحيح مغاضبا لقومه لكفرهم وهو قول ابن عباس والضحاك رضي الله عنهم وغيرهما لا لربه اذ مغاضبة الله معاداة له ومعاداة الله كفر لا يليق بالمؤمنين فكيف بالانبياء عليهم السلام وقيل مستحييا من قومه ان يسموه بالكذب او يقتلوه كما ورد في الخبر وقيل مغاضبا لبعض الملوك فيما امره به من التوجه الى امر امره الله به على لسان نبي آخر فقال له يونس غيري اقوى عليه مني فعزم عليه فخرج لذلك مغاضبا له وقد روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسالة يونس ونبوته انما كان بعد ان نبذه الحوت واستدل من الآية بقوله فنبذناه بالعراء وهو سقيم وانبتنا عليه شجرة من يقطين وارسلناه ويستدل ايضا بقوله ولا تكن كصاحب الحوت وذكر القصة ثم قال فاجتباه ربه فجعله من الصالحين فتكون هذه القصة اذا قبل نبوته

فان قيل فما معنى قوله عليه السلام انه ليغان على قلبي فاستغفر الله كل يوم مائة مرة
وفي طريق في اليوم اكثر من سبعين مرة فاحذر ان يقع ببالك ان يكون هذا
الغين وسوسة او ريبا وقع في قلبه عليه السلام بل اصل الغين في هذا ما يتغشى
القلب ويغطيه قاله ابو عبيد واصله من غين السماء وهو اطباق الغيم عليها
وقال غيره والغين شيء يغشى القلب ولا يغطيه كل التغطية كالغيم الرقيق الذي
يعرض في الهواء فلا يمنع ضوء الشمس وكذلك لا يفهم من الحديث انه يغان على قلبه مائة
مرة او اكثر من سبعين في اليوم اذ ليس يقتضيه لفظه الذي ذكرناه وهو اكثر الروايات
وانما هذا عدد للاستغفار لا للغين فيكون المراد بهذا الغين اشارة الى غفلات قلبه
وفترات نفسه وسهوها عن مداومة الذكر ومشاهدة الحق بما كان دفع اليه
من مقاساة البشر وسياسة الامة ومعاناة الاهل ومقاومة الولي والعدو و
مصلحة النفس وكلفه من اعباء الرسالة وحمل الامانة وهو في كل هذا في طاعة ربه وعبادة
خالقه ولكن لما كان صلى الله عليه وسلم ارفع الخلق عند الله مكانا واعلاهم درجة واتمهم به
معرفة وكانت حاله عند خلوص قلبه وخلو همه وتفرده بربه واقباله بكليته عليه و
مقامه هنالك ارفع حاليه رأى عليه السلام حال فترته عنها وشغله بسواها غضا
من علي حاله وخفضا من رفيع مقامه فاستغفر الله من ذلك هذا اولى وجوه الحديث
واشهرها والى معنى ما اشرنا مال كثير من الناس وحام حوله فقارب ولم يرد وقد قربنا
غامض معناه وكشفنا للمستفيد محياه وهو مبني على جواز الفترات والغفلات والسهو
في غير طريق البلاغ على ما سيأتي وذهبت طائفة من ارباب القلوب ومشيخة المتصوفة
ممن قال بتنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا جملة واجله ان يجوز عليه في حال سهوا وفترة

الى ان معنى

الى ان معنى الحديث ما يهم خاطره ويغم فكره من امر امته عليه السلام لاهتمامه
بهم وكثرة شفقته عليهم فيستغفر لهم قالوا وقد يكون الغين هنا على قلبه
السكينة التي تغشاه لقوله تعالى فانزل الله سكينته عليه ويكون
استغفاره عليه السلام عندها اظهارا للعبودية والافتقار وقال
ابن عطاء استغفاره وفعله هذا تعريف للامة يحملهم على الاستغفار
وقال غيره ويستشعرون الحذر ولا يركنون الى الامن وقد يحتمل ان
يكون هذه الاغانة حالة خشية واعظام تغشى قلبه فيستغفر ربه
حينئذ شكرا لله وملازمة لعبوديته كما قال في ملازمة العبادة افلا
اكون عبدا شكورا وعلى هذه الوجوه الاخيرة يحمل ما روي في بعض طرق هذا الحديث
عنه عليه السلام انه ليغان على قلبي في اليوم اكثر من سبعين مرة فاستغفر الله فان قلت
فما معنى قوله تعالى لمحمد عليه السلام ولو شاء الله لجمعهم على الهدى فلا تكونن من الجاهلين
وقوله لنوح عليه السلام فلا تسألني ما ليس لك به علم اني اعظك ان تكون من
الجاهلين فاعلم انه لا يلتفت في ذلك الى قول من قال في آية نبينا عليه السلام
لا تكونن ممن يجهل ان وعد الله حق لقوله وان وعدك الحق ان فيه اثبات الجهل بصفة
من صفات الله تعالى وذلك لا يجوز على الانبياء والمقصود وعظهم ان لا يتشبهوا
في امورهم بسمات الجاهلين كما قال تعالى اني اعظك وليس في آية منها دليل على كونهم
على تلك الصفة التي نهاهم عن الكون عليها فكيف وآية نوح قبلها فلا تسألن
ما ليس لك به علم فحمل ما بعدها على ما قبلها اولى لان مثل هذا قد يحتاج الى
اذن وقد يجوز اباحة السؤال فيه ابتداء فنهاه الله ان يسأله عما طوى

عنه عليه واكنه من غيبه من السبب الموجب لهلاك ابنه ثم اكمل الله نعمته
عليه باعلامه ذلك بقوله انه ليس من اهلك انه عمل غير صالح حكى معناه
مكى كذلك امر نبينا صلى الله عليه وسلم فى الآية الاخرى بالتزام الصبر على اعراض
قومه ولا يحرج عند ذلك فيقارب حال الجاهل بشدة التحسر حكاه ابو بكر بن
فورك وقيل معنى الخطاب لامة محمد صلى الله عليه وسلم اى فلا تكونوا من الجاهلين
حكاه ابو محمد مكى وقال مثله فى القرآن كثير فبهذا الفصل وجب القول بعصمة
الانبياء منه بعد النبوة قطعا فان قلت فاذا قررت عصمتهم من هذا
وانه لا يجوز عليهم شئ من ذلك فما معنى اذا وعيد الله لنبينا عليه السلام
على ذلك ان فعله وتحذيره منه كقوله تعالى لئن اشركت ليحبطن عملك الآية
وقوله ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك الآية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة الآية وقوله لاخذنا منه باليمين وقوله وان تطع اكثر من فى
الارض يضلوك عن سبيل الله وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك وقوله
وان لم تفعل فما بلغت رسالته وقوله يا ايها النبى اتق الله ولا تطع الكافرين
والمنافقين فاعلم وفقنا الله واياك انه عليه السلام لا يصح ولا يجوز عليه
ان لا يبلغ وان يخالف امر ربه ولا ان يشرك ولا يتقول على الله ما لا يجب او
يفترى عليه او يضل او يختم على قلبه او يطيع الكافرين لكن الله يسر امره
بالمكاشفة والبيان فى البلاغ للمخالفين وان ابلاغه ان لم يكن بهذا السبيل
فكانه ما بلغ وطيب نفسه وقوى قلبه بقوله والله يعصمك من الناس
كما قال لموسى وهرون عليهما السلام لا تخافا اننى معكما ولتشتد

بصائرها

بصائرهما فى الابلاغ واظهار دين الله ويذهب عنهما خوف العدو المضعف
للنفس واما قوله ولو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقوله اذا لاذقناك
ضعف الحيوة فمعناه ان هذا جزاء من فعل هذا وجزاؤك لو كنت ممن يفعله
وهو لا يفعله وكذلك قوله وان تطع اكثر من فى الارض فالمراد غيره كما قال
ان تطيعوا الذين كفروا الآية وقوله فان يشأ الله يختم على قلبك ولئن اشركت
ليحبطن عملك وما اشبهه فالمراد غيره وان هذه حال من اشرك والنبى صلى
الله عليه وسلم لا يجوز عليه هذا وقوله اتق الله ولا تطع الكافرين فليس فيه انه اطاعهم
والله ينهاه عما يشاء ويامره بما يشاء كما قال ولا تطرد الذين يدعون ربهم الآية
وما كان طردهم عليه السلام ولا كان من الظالمين فصل واما عصمتهم من هذا
الفن قبل النبوة فللناس فيه خلاف والصواب انهم معصومون قبل النبوة من الجهل
بالله وصفاته والتشكك فى شئ من ذلك وقد تعاضدت الاخبار والآثار
عن الانبياء بتنزيههم عن هذه النقيصة منذ ولدوا ونشأتهم على التوحيد
والايمان بل على اشراق انوار المعارف ونفحات الطاف السعادة كما نبهنا عليه فى الباب
الثانى من القسم الاول من كتابنا هذا ولم ينقل احد من اهل الاخبار ان احدا من الناس
نبئ واصطفى ممن عرف بكفر واشراك قبل ذلك ومستند هذا الباب النقل وقد
استدل بعضهم بان القلوب تنفر عمن كانت هذه سبيله وانا اقول ان قريشا
رمت نبينا عليه السلام بكل ما افترته وعير كفار الامم انبياءها بكل ما امكنها
واختلقته مما نص الله عليه ونقلته الينا الرواة ولم نجد فى شئ من ذلك تعييرا
لواحد منهم برفضه آلهته وتقريعه بذمه بترك ما كان قد جامعهم عليه

ولو كان هذا لكانوا بذلك مبادرين وبتلونه في معبوده محتجين
ولكان توبيخهم له بنهيهم عما كان يعبد قبل افظع واقطع في الحجة من
توبيخه بنهيهم عن تركهم آلهتهم وما كان يعبد آباؤهم من قبل ففي اطباقهم على الاعراض
عنه دليل على انهم لم يجدوا سبيلا اليه اذ لو كان لنقلوه وما سكتوا عنه كما لم
يسكتوا عنه تحويل القبلة وقالوا ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها
كما حكاه الله عنهم وقد استدل القاضي القشيري على تنزيههم عن هذا بقوله تعالى
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ الآية وبقوله وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ
مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ الى قوله لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قال فطهره الله في الميثاق
وبعيد ان يأخذ منه الميثاق قبل خلقه ثم يأخذ ميثاق النبيين بالايمان به ونصره قبل
مولده بدهور ويجوز عليه الشرك او غيره من الذنوب هذا ما لا يجوزه الا ملحد
هذا معنى كلامه وكيف يكون ذلك وقد اتاه جبريل عليه السلام وشق قلبه صغيرا
واستخرج منه علقة وقال هذا حظ الشيطان منك ثم غسله وملأه حكمة و
ايمانا كما تظاهرت به اخبار المبدأ ولا تشتبه عليك بقول ابراهيم في الكوكب والقمر
والشمس هذا ربي فانه قد قيل كان هذا في سن الطفولية وابتداء النظر والاستدلال
وقبل لزوم التكليف وذهب معظم الحذاق من العلماء والمفسرين الى انه
انما قال ذلك مبكتا لقومه ومستدلا عليهم وقيل معناه الاستفهام
الوارد مورد الانكار والمراد فهذا ربي قال الزجاج قوله هذا ربي اي على
قولكم كما قال اين شركائي اي عندكم ويدل على انه لم يعبد شيئا من ذلك ولا
اشرك قط بالله طرفة عين قول الله تعالى عنه اذ قال لابيه وقومه ما تعبدون

ثم قال اف

ثم قال افرأيتم ما كنتم تعبدون انتم وآباؤكم الاقدمون فانهم عدو لي الا
رب العالمين وقال اذ جاء ربه بقلب سليم اي من الشرك وقوله واجنبني وبني
ان نعبد الاصنام فان قلت فما معنى قوله لئن لم يهدني ربي لاكونن من القوم
الضالين قيل انه ان لم يؤيدني بمعونته اكن مثلكم في ضلالكم وعبادتكم
على معنى الاشفاق والحذر والا فهو معصوم في الازل من الضلال فان
قلت فما معنى قوله وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من ارضنا او لتعودن
في ملتنا ثم قال بعد عن الرسل قد افترينا على الله كذبا ان عدنا في ملتكم بعد
اذ نجانا الله منها فلا يشكل عليك لفظة العود وانها تقتضي انهم انما
يعودون الى ما كانوا فيه من ملتهم فقد تأتي هذه اللفظة في كلام العرب لغير ما
ليس له ابتداء بمعنى الصيرورة كما جاء في حديث الجهنميين عادوا حمما ولم
يكونوا قبل ذلك كذلك ومثله قول الشاعر تلك المكارم لا قعبان من لبن شيبا بماء
فعادا بعد ابوالا وما كانا قبل كذلك فان قلت فما معنى قوله ووجدك ضالا
فهدى فليس هو من الضلال الذي هو الكفر قيل ضالا عن النبوة فهداك اليها
قاله الطبري وقيل وجدك بين اهل الضلال فعصمك من ذلك وهداك للايمان
والى ارشادهم ونحوه عن السدي وغير واحد وقيل ضالا عن شريعتك اي لا تعرفها
فهداك اليها والضلال ههنا التحير ولهذا كان عليه السلام يخلو بغار حراء في طلب
ما يتوجه به الى ربه ويتشرع به حتى هداه الله الى الاسلام قال معناه القشيري
وقيل لا تعرف الحق فهداك اليه وهذا مثل قوله تعالى وعلمك ما لم تكن تعلم
قاله علي بن عيسى قال ابن عباس رضي الله عنهما لم تكن له ضلالة معصية

وقيل هدى اى بين امرك بالبراهين وقيل ووجدك ضالا اى بين مكة والمدينة فهداك
الى المدينة وقيل المعنى ووجدك فهدى بك ضالا وعن جعفر بن محمد ووجدك ضالا عن
محبتى لك فى الازل اى لا تعرفها فمننت عليك بمعرفتى وقرا الحسن بن على ووجدك
ضال فهدى اى اهتدى بك وقال ابن عطاء ووجدك ضالا اى محبا لمعرفتى والضال
المحب كما قال انك لفى ضلالك القديم اى محبتك القديمة ولم يريد هاهنا
فى الدين اذ لو قالوا ذلك فى نبى الله لكفروا ومثله عند هذا انا لنراها فى
ضلال مبين اى محبة بينة وقال الجنيد ووجدك متحيرا فى بيان ما انزل
اليك فهداك لبيانه لقوله وانزلنا اليك الذكر الآية وقيل ووجدك
لم يعرفك احد بالنبوة حتى اظهرك فهدى بك السعداء ولا اعلم احدا من
المفسرين قال فيها ضالا عن الايمان وكذلك فى قصة موسى عليه السلام قوله
فعلتها اذا وانا من الضالين اى من المخطئين الفاعلين شيئا بغير قصد
قاله ابن عرفة وقال الازهرى معناه من الناسين وقد قيل ذلك فى قوله
ووجدك ضالا فهدى اى ناسيا كما قال تعالى ان تضل احديهما فان قلت
فما معنى قوله ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الايمان فالجواب ان السمرقندى
قال معناه ما كنت تدرى قبل الوحى ان تقرا القرآن ولا كيف تدعو الخلق الى
الايمان وقال بكر القاضى نحوه قال ولا الايمان الذى هو الفرائض والاحكام
قال فكان قبل مؤمنا بتوحيده ثم نزلت الفرائض التى لم يكن يدريها قبل
فزاد بالتكليف ايمانا وهذا احسن وجوهه فان قلت فما معنى قوله وان كنت من
قبله لمن الغافلين فاعلم انه ليس بمعنى قوله والذين هم عن آياتنا غافلون بل حكى

ابو عبيد

ابو عبيد محمد بن احمد الهروى ان معناه لمن الغافلين عن قصة يوسف
عليه السلام اذ لم تعلمها الا بوحينا وكذلك الحديث الذى يرويه عثمان بن ابى
شيبة بسنده عن جابر ان النبى صلى الله عليه وسلم قد كان يشهد مع المشركين
مشاهدهم فسمع ملكين خلفه احدهما يقول لصاحبه اذهب حتى تقوم
خلفه فقال الآخر كيف اقوم خلفه وعهده باستلام الاصنام فلم يشهدهم
بعد فهذا الحديث انكره احمد بن حنبل جدا وقال هذا موضوع او شبيه بالموضوع
وقال الدارقطنى يقال ان عثمان وهم فى اسناده والحديث بالجملة منكر غير متفق
على اسناده فلا يلتفت اليه والمعروف عن النبى صلى الله عليه وسلم خلافه عند اهل
العلم من قوله بغضت الى الاصنام وقوله فى الحديث الآخر الذى روته ام ايمن
حين كلمه عمه واله فى حضور بعض اعيادهم وعزموا عليه فيه بعد كراهته لذلك
فخرج معهم ورجع مرعوبا فقال كلما دنوت منها من صنم تمثل لى شخص ابيض
طويل يصيح بى وراءك لا تمسه فما شهد بعد لهم عيدا وقوله فى قصة بحيرا حين
استحلف النبى صلى الله عليه وسلم باللات والعزى اذ لقيه بالشام فى سفرته مع عمه
ابى طالب وهو صبى ورأى فيه علامات النبوة فاختبره بذلك فقال له النبى صلى
الله عليه وسلم لا تسألنى بهما فوالله ما ابغضت شيئا قط بغضهما فقال
بحيرا فبالله الا ما اخبرتنى عما اسألك عنه فقال سل عما بدا لك وكذلك
المعروف من سيرته عليه السلام وتوفيق الله له انه كان قبل نبوته يخالف فى وقوفهم
بمزدلفة فى الحج فكان يقف هو بعرفة لانه كان موقف ابراهيم عليه السلام فصل
قال القاضى ابو الفضل رضى الله عنه قد بان بما قدمناه عقود الانبياء فى التوحيد

والايمان والوحي وعصمتهم في ذلك على ما بيناه فاما ما عدا هذا الباب
من عقود قلوبهم فجماعها انها مملوءة علما ويقينا على الجملة وانها قد احتوت
من المعرفة والعلم بامور الدين والدنيا ما لا شيء فوقه ومن طالع الاخبار واعتنى
بالحديث وتامل ما قلناه وجده وقد قدمنا منه في حق نبينا عليه السلام في
الباب الرابع اول قسم من هذا الكتاب ما ينبه على ما وراءه الا ان احوالهم
في هذه المعارف تختلف فاما ما تعلق منها بامر الدنيا فلا تشترط في حق
الانبياء العصمة من عدم معرفة الانبياء ببعضها او اعتقادها على خلاف
ما هي عليه ولا وصم عليهم فيه اذ هممهم متعلقة بالاخرة وانبائها وامر الشريعة
وقوانينها وامور الدنيا تضادها بخلاف غيرهم من اهل الدنيا الذين يعلمون
ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون كما سنبين هذا في الباب الثاني
ان شاء الله تعالى ولكنه لا يقال انهم لا يعلمون شيئا من الدنيا فان ذلك يؤدي
الى الغفلة والبله وهم المنزهون عنه بل قد ارسلوا الى الدنيا وقلدوا سياستها
وهدايتهم والنظر في مصالح دينهم ودنياهم وهذا لا يكون مع عدم العلم بامور
الدنيا بالكلية واحوال الانبياء وسيرهم في هذا الباب معلومة ومعرفتهم بذلك
كله مشهورة واما ان كان هذا العقد مما يتعلق بالدين فلا يصح من النبي الا
العلم به ولا يجوز عليه جهله جملة لانه لا يخلو ان يكون حصل عنده ذلك عن
وحي من الله فهو ما لا يصح الشك منه فيه على ما قدمناه فكيف الجهل بل حصل
له العلم اليقين او يكون فعل ذلك باجتهاده فيما لم ينزل عليه فيه شيء على القول
بتجويز وقوع الاجتهاد منه في ذلك على قول المحققين وعلى مقتضى حديث ام سلمة

رضي الله عنها

رضي الله عنها اني انما اقضي بينكم برايي فيما لم ينزل علي فيه خرجه الثقات وكقصة
اسرى بدر والاذن للمتخلفين على راي بعضهم فلا يكون ايضا ما يعتقده مما يثمره
اجتهاده الا حقا وصحيحا هذا هو الحق الذي لا يلتفت الى خلاف من خالف فيه
ممن اجاز عليه الخطا في الاجتهاد اذ لو قام عليه دليل لا على القول بتصويب
المجتهدين الذي هو الحق والصواب عندنا ولا على القول الاخر بان الحق في
طرف واحد لعصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الخطا في الاجتهاد في الشرعيات ولان القول
في تخطئة المجتهدين انما هو بعد استقرار الشرع ونظر النبي صلى الله عليه وسلم
واجتهاده انما هو فيما لم ينزل عليه فيه شيء ولم يشرع له قبل هذا فيما عقد عليه
صلى الله عليه وسلم قلبه فاما ما لم يعقد عليه قلبه من امر النوازل الشرعية فقد
كان لا يعلم منها اولا الا ما علمه الله شيئا شيئا حتى استقر علم جملتها عنده
اما بوحي من الله او اذن ان يشرع في ذلك ويحكم بما اراه الله وقد كان ينتظر
الوحي في كثير منها ولكنه لم يمت حتى استفرغ علم جميعها عنده عليه السلام و
تقررت معارفها لديه على التحقيق ورفع الشك والريب وانتفى الجهل وبالجملة
فلا يصح منه الجهل بشيء من تفاصيل الشرع الذي امر بالدعوة اليه اذ لا تصح
دعوته الى ما لا يعلمه واما ما تعلق بعقده من ملكوت السموات والارض و
خلق الله وتعيين اسمائه الحسنى واياته الكبرى وامور الاخرة واشراط الساعة
واحوال السعداء والاشقياء وعلم ما كان وما يكون مما لم يعلمه الا بوحي فعلى
ما تقدم من انه معصوم فيه لا ياخذه فيما اعلم منه شك ولا ريب بل هو فيه على
غاية اليقين لكنه لا يشترط له العلم بجميع تفاصيل ذلك وان كان عنده

من علم ذلك ما ليس عند جميع البشر لقوله عليه السلام اني لا اعلم الا ما علمني ربي
ولقوله ولا خطر على قلب بشر فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين وقول موسى للخضر
عليهما السلام هل اتبعك على ان تعلمني مما علمت رشدا وقوله صلى الله عليه وسلم
اسالك باسمائك الحسنى ما علمت منها وما لم اعلم وقوله اسالك بكل اسم هو لك
سميت به نفسك او استاثرت به في علم الغيب عندك وقد قال الله وفوق
كل ذي علم عليم قال زيد بن اسلم وغيره حتى ينتهي العلم الى الله تعالى وهذا ما
لا خفاء به اذ معلوماته تعالى لا يحاط بها ولا منتهى لها هذا حكم عقد النبي صلى
الله عليه وسلم في التوحيد والشرع والمعارف والامور الدينية فصل واعلم ان
الامة مجتمعة على عصمة النبي صلى الله عليه وسلم من الشيطان وكفايته منه لا
في جسمه بانواع الاذى ولا على خاطره بالوسواس وقد اخبرنا القاضي الحافظ
رحمه الله قال ثنا ابو الفضل بن خيرون العدل ثنا ابو بكر البرقاني وغيره ثنا
ابو الحسن الدارقطني ثنا اسمعيل الصفار ثنا عباس الترقفي ثنا محمد بن يوسف
ثنا سفين عن منصور عن سالم بن ابي الجعد عن مسروق عن عبد الله بن مسعود
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما منكم من احد الا وقد وكل به قرينه
من الجن وقرينه من الملائكة قالوا واياك يا رسول الله قال واياي ولكن
الله تعالى اعانني عليه فاسلم زاد غيره عن منصور فلا يامرني الا بخير وعن عائشة
رضي الله عنها بمعناه روي فاسلم بضم الميم اي فاسلم انا منه وصحح بعضهم هذه
الرواية ورجحها وروي فاسلم يعني القرين انه انتقل عن حال كفره الى الاسلام
فصار لا يامر الا بخير كالملك وهو ظاهر الحديث ورواه بعضهم فاستسلم

قال القاضي

قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه فاذا كان هذا حكم شيطانه وقرينه المسلط على
بني آدم فكيف بمن بعد منه ولم يلزم صحبته ولا اقدر على الدنو منه وقد جاءت
الآثار بتصدي الشياطين له في غير موطن رغبة في اطفاء نوره واماتة نفسه
وادخال شغل عليه اذ يئسوا من اغوائه فانقلبوا خاسرين كتعرضه له في صلاته
فاخذه النبي صلى الله عليه وسلم واسره ففي الصحاح قال ابو هريرة رضي الله عنه عنه
عليه السلام ان الشيطان عرض لي قال عبد الرزاق في صورة هر فشد علي يقطع
علي الصلوة فامكنني الله منه فذعته ولقد هممت ان اوثقه الى سارية حتى
تصبحوا تنظرون اليه فذكرت قول اخي سليمان رب اغفر لي وهب لي ملكا لا ينبغي
لاحد من بعدي الآية فرده الله خاسئا وفي حديث ابي الدرداء عنه عليه السلام
ان عدو الله ابليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي والنبي صلى الله عليه وسلم في
الصلوة وذكر تعوذه بالله منه ولعنه له ثم اردت اخذه وذكر نحوه وقال لولا
صبح موثقا يتلاعب به ولدان اهل المدينة وكذلك في حديثه في الاسراء وطلب
عفريت له بشعلة نار فعلمه جبريل ما يتعوذ به منه وذكره في الموطا ولما
لم يقدر على اذاه بمباشرته تسبب بالتوسط لاعدائه كقضيته مع قريش في الائتمار
بقتل النبي صلى الله عليه وسلم وتصوره في صورة الشيخ النجدي ومرة اخرى في غزوة
يوم بدر في صورة سراقة بن مالك وهو قوله تعالى واذ زين لهم الشيطان اعمالهم
الآية ومرة ينذر بشانه عند بيعة العقبة وكل هذا فقد كفاه الله امره و
عصمه ضره وشره وقد قال عليه السلام ان عيسى عليه السلام كفي من لمسه فجاء
ليطعن بيده في خاصرته حين ولد فطعن في الحجاب وقال عليه السلام حين لد في مرضه

وقيل له خشينا ان يكون بك ذات الجنب فقال انها من الشيطان ولم يكن الله ليسلطه علي فان قيل فمعنى قوله واما ينزغنك من الشيطان نزغ فاستعذ بالله الاية فقد قال بعض المفسرين انها راجعة الى قوله واعرض عن الجاهلين ثم قال واما ينزغنك اي يستخفنك غضب يحملك على ترك الاعراض عنهم فاستعذ بالله وقيل النزغ هنا الفساد كما قال من بعد ان نزغ الشيطان بيني وبين اخوتي وقيل ينزغنك يغرينك ويحركنك والنزغ ادنى الوسوسة فامره الله تعالى انه متى تحرك عليه غضب على عدوه او رام الشيطان من اغرائه به وخواطر ادنى وساوسه ما لم يجعل له سبيل اليه ان يستعيذ منه فيكفى امره ويكون سبب تمام عصمته اذ لم يسلط عليه باكثر من التعرض له ولم يجعل له قدرة عليه وقد قيل في هذه الاية غير هذا وكذلك لا يصح ان يتصور له الشيطان في صورة الملك ويلبس عليه لا في اول الرسالة ولا بعدها والاعتماد في ذلك دليل المعجزة بل لا يشك النبي ان ما ياتيه من الله الملك ورسوله حقيقة اما بعلم ضروري يخلقه الله له او ببرهان يظهر لديه لتتم كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته فان قيل فما معنى قوله وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الا اذا تمنى القى الشيطان في امنيته الاية فاعلم ان للناس في معنى هذه الاية اقاويل منها السهل والوعث والسمين والغث واولى ما يقال فيها ما عليه الجمهور من المفسرين ان التمني هاهنا التلاوة والقاء الشيطان فيها شغله بخواطر واذكار من امور الدنيا للتالي حتى يدخل عليه الوهم والنسيان فيما تلاه او يدخل غير ذلك في افهام السامعين من التحريف وسوء التاويل ما يزيله الله وينسخه ويكشف لبسه ويحكم اياته وسياتي الكلام على هذه الاية بعد باشبع من هذا

١

هذا ان شاء الله

ان شاء الله تعالى وقد حكم السمرقندي انكار قول من قال بتسلط الشيطان على ملك سليمان وغلبته عليه وان مثل هذا لا يصح وقد ذكرنا قصة سليمان عليه السلام مبينة بعد هذا ومن قال ان الجسد هو الولد الذي ولد له وقال ابو محمد مكي في قصة ايوب عليه السلام وقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب انه لا يجوز لاحد ان يتاول ان الشيطان هو الذي امرضه والقى الضر في بدنه ولا يكون ذلك الا بفعل الله وامره ليبتليهم ويثيبهم قال مكي وقيل ان الذي اصابه الشيطان ما وسوس به الى اهله فان قلت فما معنى قوله تعالى عن يوشع وما انسانيه الا الشيطان وقوله تعالى عن يوسف فانساه الشيطان ذكر ربه وقول نبينا عليه السلام حين نام عن الصلاة يوم الوادي ان هذا واد به شيطان وقول موسى عليه السلام في وكزته هذا من عمل الشيطان فاعلم ان هذا الكلام قد يرد في جميع هذا على مورد مستمر كلام العرب في وصفهم كل قبيح من شخص او فعل بالشيطان او فعله كما قال تعالى كانه رؤس الشياطين وقال صلى الله عليه وسلم فليقاتله فانما هو شيطان وايضا فان قول يوشع لا يلزمنا الجواب عنه اذ لم يثبت له في ذلك الوقت نبوة مع موسى قال الله تعالى واذ قال موسى لفتاه والمروي انه انما نبئ بعد موت موسى عليه السلام وقيل قبيل موته وقول موسى كان قبل نبوته بدليل القرآن وقصة يوسف قد ذكر انها كانت قبل نبوته وقد قال المفسرون في قوله انساه الشيطان قولين احدهما ان الذي انساه الشيطان ذكر ربه احد صاحبي السجن وربه الملك اي انساه ان يذكر للملك شان يوسف عليه السلام وايضا فان مثل هذا من فعل الشيطان ليس فيه تسلط على يوسف ويوشع بوساوس ونزغ وانما هو شغل خواطرهما بامور اخر وتذكيرهما من امورهما ما ينسيهما ما نسيا

واما قوله عليه السلام ان هذا واد به شيطان فليس فيه ذكر تسلطه عليه و
لا وسوسته له بل ان كان بمقتضى ظاهره فقد بين امر ذلك الشيطان بقوله ان
الشيطان اتى بلالا فلم يزل يهدئه كما يهدأ الصبي حتى نام فاعلم ان تسلط الشيطان
في ذلك الوادي انما كان على بلال الموكل بكلاءة الفجر هذا ان جعلنا قوله ان هذا واد
به شيطان تنبيها على سبب النوم عن الصلوة واما ان جعلناه تنبيها على سبب الرحيل
عن الوادي وعلة لترك الصلوة به وهو دليل مساق حديث زيد بن اسلم فلا اعتراض
به في هذا الباب لبيانه وارتفاع اشكاله فصل واما اقواله عليه السلام فقامت
الدلائل الواضحة بصحة المعجزة على صدقه واجمعت الامة فيما كان طريقه البلاغ
انه معصوم فيه من الاخبار عن شيء منها بخلاف ما هو به لا قصدا ولا عمدا ولا
سهوا ولا غلطا اما تعمد الخلف في ذلك فمنتف بدليل المعجزة القائمة مقام قول
الله صدق فيما قال اتفاقا وباطباق اهل الملة اجماعا واما وقوعه على جهة الغلط
في ذلك فبهذه السبيل عند الاستاذ ابي اسحق الاسفرايني ومن قال بقوله
ومن جهة الاجماع فقط وورود الشرع بانتفاء ذلك وعصمة النبي صلى
الله عليه وسلم لا من مقتضى المعجزة نفسها عند القاضي ابي بكر الباقلاني ومن
وافقه لاختلاف بينهم في مقتضى دليل المعجزة ولا نطول بذكره فنخرج عن
غرض الكتاب فلنعتمد على ما وقع عليه اجماع المسلمين انه لا يجوز عليه خلف
في القول في ابلاغ الشريعة والاعلام بما اخبر عن ربه وما اوحاه اليه من وحيه
لا على وجه العمد ولا على غير عمد ولا في حال الرضاء والسخط والصحة والمرض
وفي حديث عبد الله بن عمرو قلت يا رسول الله اكتب كل ما اسمع منك قال نعم

اكتب

اكتب عني كل ما سمعت مني قلت في الرضاء والغضب قال نعم فاني لا اقول في
ذلك كله الا حقا ولنزد بما اشرنا اليه من دليل المعجزة عليه بيانا فنقول اذا
قامت المعجزة على صدقه وانه لا يقول الا حقا ولا يبلغ عن الله الا صدقا وان المعجزة
قائمة مقام قول الله له صدقت فيما تذكره عني وهو يقول اني رسول الله اليكم
لابلغكم ما ارسلت به اليكم وابين لكم ما نزل عليكم وما ينطق عن الهوى
ان هو الا وحي يوحى وقد جاءكم الرسول بالحق من ربكم وما اتيكم الرسول فخذوه
وما نهيكم عنه فانتهوا فلا يصح ان يوجد منه في هذا الباب خبر بخلاف مخبره على اي
وجه كان فلو جوزنا الغلط والسهو لما تميز لنا من غيره ولاختلط الحق بالباطل
فالمعجزة مشتملة على تصديقه جملة واحدة من غير خصوص فتنزيه النبي صلى الله عليه
وسلم عن ذلك كله واجب برهانا واجماعا كما قاله ابو اسحق فصل وقد توجهت
ها هنا لبعض الطاعنين سؤالات منها ما روي من ان النبي صلى الله عليه وسلم لما
قرأ سورة والنجم وقال افرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى قال
تلك الغرانيق العلى وان شفاعتها لترتجى ويروى ترتضى وفي رواية ان شفاعتها
لترتجى وانها لمع الغرانيق العلى وفي اخرى والغرانقة العلى تلك الشفاعة ترتجى
فلما ختم السورة سجد وسجد معه المسلمون والكفار لما سمعوه اثنى على
الهتهم وما وقع في بعض الروايات ان الشيطان القاها على لسانه وان النبي صلى
الله عليه وسلم كان تمنى ان لو نزل عليه شيء يقارب بينه وبين قومه وفي رواية اخرى
ان لا ينزل عليه شيء ينفرهم عنه وذكر هذه القصة وان جبريل عليه السلام جاءه
فعرض عليه السورة فلما بلغ الكلمتين قال له ما جئتك بهاتين فحزن لذلك

النبي صلى الله عليه وسلم فانزل الله تسلية له وما ارسلنا من قبلك من رسول
ولا نبي الآية وقوله وان كادوا ليفتنونك الآية فاعلم اكرمك الله ان لنا
في الكلام على مشكل هذا الحديث ماخذين احدهما في توهين اصله والثاني
على تسليمه اما الماخذ الاول فيكفيك ان هذا حديث لم يخرجه احد من اهل
الصحة ولا رواه ثقة بسند سليم متصل وانما اولع به وبمثله المفسرون
والمؤرخون المولعون بكل غريب المتلقفون من الصحف كل صحيح وسقيم و
صدق القاضي بكر بن العلاء المالكي حيث قال لقد بلي الناس ببعض اهل الاهواء
والتفسير وتعلق بذلك الملحدون مع ضعف نقلته واضطراب رواياته
وانقطاع اسناده واختلاف كلماته فقائل يقول انه في الصلوة وآخر
يقول قالها في نادي قومه حين انزلت عليه السورة وآخر يقول قالها وقد اصابه
سنة وآخر يقول بل حدث نفسه فسهى وآخر يقول ان الشيطان قالها على
لسانه وان النبي صلى الله عليه وسلم لما عرضها على جبريل قال ما هكذا اقرأتك وآخر
يقول بل اعلمهم الشيطان ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأها فلما بلغ النبي صلى الله عليه وسلم
ذلك قال والله ما هكذا انزلت الى غير ذلك من اختلاف الرواية ومن حكيت هذه
الحكاية عنه من المفسرين والتابعين لم يسندها احد منهم ولا رفعها الى صاحب
واكثر الطرق عنهم فيها ضعيفة واهية والمرفوع فيه حديث شعبة عن ابي بشر
عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال فيما احسب الشك في الحديث
ان النبي صلى الله عليه وسلم كان بمكة وذكر القصة قال ابو بكر البزار هذا الحديث
لا نعلمه يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم باسناد متصل يجوز ذكره الا هذا ولم يسنده

عن شعبة

عن شعبة امية بن خالد وغيره يرسله عن سعيد بن جبير وانما يعرف عن الكلبي
عن ابي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهم فقد بين لك ابو بكر رحمه الله انه لا يعرف
من طريق يجوز ذكره سوى هذا وفيه من الضعف ما نبه عليه مع وقوع الشك
فيه كما ذكرناه الذي لا يوثق به ولا حقيقة لصحة الحديث معه واما حديث الكلبي
فما لا يجوز الرواية عنه ولا ذكره لقوة ضعفه وكذبه كما اشار اليه البزار
رحمه الله والذي منه في الصحيح ان النبي صلى الله عليه وسلم قرأ والنجم وهو بمكة
فسجد معه المسلمون والمشركون والجن والانس هذا توهينه من طريق النقل
فاما من جهة المعنى فقد قامت الحجة واجمعت الامة على عصمته صلى الله عليه وسلم
ونزاهته عن مثل هذه الرذيلة اما من تمنيه ان ينزل عليه مثل هذا من مدح آلهة
غير الله وهو كفر او ان يتسور عليه الشيطان ويشبه عليه القرآن حتى يجعل فيه ما
ليس منه ويعتقد النبي صلى الله عليه وسلم ان القرآن ما ليس منه حتى ينبهه جبريل
عليه السلام وذلك كله ممتنع في حقه عليه السلام او يقول ذلك النبي صلى
الله عليه وسلم من قبل نفسه عمدا وذلك كفر او سهوا وهو معصوم من هذا كله
وقد قررنا بالبرهان والاجماع عصمته عليه السلام من جريان الكفر على قلبه او
لسانه لا عمدا ولا سهوا وان يتشبه عليه ما يلقيه الملك مما يلقي الشيطان او يكون
للشيطان عليه سبيل وان يتقول على الله لا عمدا ما لم ينزل عليه وقد قال الله و
لو تقول علينا بعض الاقاويل الآية وقال اذا لاذقناك ضعف الحيوة وضعف
الممات ووجه ثان وهو استحالة هذه القصة نظرا وعرفا وذلك
ان هذا الكلام لو كان كما روي لكان بعيد الالتئام متناقض الاقسام ممتزج

المدح بالذم متخاذلة التاليف ولما كان النبى صلى الله عليه وسلم ومن بحضرته
من المسلمين وصناديد المشركين ممن يخفى عليه ذلك وهذا لا يخفى على ادنى
متامل فكيف بمن رجح حلمه واتسع فى باب البيان ومعرفة فصيح الكلام علمه
ووجه ثالث انه قد علم من عادة المنافقين ومعاندى المشركين وضعفة
القلوب والجهلة من المسلمين نفورهم لاول وهلة وتخليط العدو على النبى
صلى الله عليه وسلم لاقل فتنة وتعييرهم المسلمين والشماتة بهم الفينة بعد الفينة
وارتداد من فى قلبه مرض ممن اظهر الاسلام لادنى شبهة ولم يحك احد
فى هذه القصة شيئا سوى هذه الرواية الضعيفة الاصل ولو كان
ذلك لوجدت قريش بها على المسلمين الصولة ولاقامت بها اليهود الحجة
عليهم كما فعلوا مكابرة فى قصة الاسرا حتى كانت فى ذلك لبعض الضعفاء
وكذلك ما روى فى قصة القضية ولا فتنة اعظم من هذه البلية لو
وجدت ولا تشغيب للمعادى حينئذ اشد من هذه الحادثة لو امكنت فما روى
عن معاند فيها كلمة ولا عن مسلم بسببها بنت شفة فدل على بطلها واجتثاث
اصلها ولا شك فى ادخال بعض شياطين الانس والجن هذا الحديث على بعض
مغفلى المحدثين ليلبس به على ضعفاء المسلمين ووجه رابع ذكر الرواة
لهذه القضية ان فيها نزلت وان كادوا ليفتنونك الآيتين وهاتان الآيتان
تردان الخبر الذى رووه لان الله تعالى ذكر انهم كادوا يفتنونه حتى يفترى
وانه لولا ان ثبته لكان يركن اليهم فمضمون هذا ومفهومه ان الله
عصمه من ان يفترى وثبته حتى لم يركن اليهم شيئا قليلا فكيف كثيرا وهم

يروون فى اخبارهم الواهية انه زاد على الركون والافترا بمدح آلهتهم وانه
قال عليه السلام حين قال له جبريل ما جئتك بهذا افتريت على الله وقلت
ما لم يقل وهذا ضد مفهوم الآية وهى تضعف الحديث لو صح فكيف ولا صحة له وهذا
مثل قوله تعالى فى الآية الاخرى ولولا فضل الله عليك ورحمته لهمت طائفة
منهم ان يضلوك وما يضلون الا انفسهم وما يضرونك من شى وقد روى
عن ابن عباس كل ما فى القرآن كاد فهو ما لا يكون قال الله تعالى يكاد سنا برقه
يذهب بالابصار ولم يذهب وقال اكاد اخفيها ولم يفعل قال القشيرى
القاضى ولقد طالبه قريش وثقيف اذ مر بآلهتهم ان يقبل بوجهه اليها
ووعدوه الايمان به ان فعل وما كان ليفعل وقال ابن الانبارى رحمه الله
ما قارب الرسول ولا ركن وقد ذكرت فى معنى الآية تفاسير اخر ما ذكرناه
من نص الله على عصمة رسوله يرد سفسافها فلم يبق فى الآية الا ان الله امتن
على رسوله بعصمته وتثبيته مما كاده به الكفار وراموا من فتنته ومرادنا
من ذلك كله تنزيهه وعصمته ومفهوم الآية واما المأخذ الثانى فهو مبنى
على تسليم الحديث لو صح وقد اعاذنا الله تعالى من صحته ولكن على كل حال فقد
اجاب عن ذلك ائمة المسلمين باجوبة منها الغث والسمين فمنها ما روى
قتادة ومقاتل ان النبى صلى الله عليه وسلم اصابته سنة عند قراءته هذه
السورة فجرى هذا الكلام على لسانه بحكم النوم وهذا لا يصح اذ لا يجوز
على النبى صلى الله عليه وسلم مثله فى حالة من احواله ولا يخلقه الله على لسانه
ولا يستولى الشيطان عليه فى نوم ولا يقظة لعصمته صلى الله عليه وسلم

في هذا الباب من جميع العمد والسهو اجماعاً وفي قول الكلبي ان النبي صلى الله عليه وسلم حدث نفسه فقال ذلك الشيطان على لسانه وفي رواية ابن شهاب عن ابي بكر بن عبد الرحمن قال وسها فلما اخبر بذلك قال انما ذلك من الشيطان وكل هذا لا يصح ان يقوله عليه السلام لا سهواً ولا قصداً ولا يتقوله الشيطان على لسانه وقيل لعل النبي صلى الله عليه وسلم قاله اثناء تلاوته على تقدير التقريع والتوبيخ للكفار كقول ابراهيم عليه السلام هذا ربي على احد التاويلات و كقوله بل فعله كبيرهم هذا بعد السكت وبيان الفصل بين الكلامين ثم رجع الى تلاوته وهذا يمكن مع بيان الفصل وقرينة تدل على المراد وانه ليس من المتلو وهو احد ما ذكره القاضي ابو بكر ولا يعترض على هذا بما روي انه كان في الصلوة فقد كان الكلام قبل فيها غير ممنوع والذي يظهر ويترجح في تاويله عنده وعند غيره من المحققين على تسليمه ان النبي صلى الله عليه وسلم كان كما امره ربه يرتل القرآن ترتيلا ويفصل الآي تفصيلا في قراءته كما رواه الثقات عنه فيمكن ترصد الشيطان لتلك السكتات ودسه فيها ما اختلقه من تلك الكلمات محاكيا نغمة النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يسمعه من دنا اليه من الكفار فظنوها من قول النبي صلى الله عليه وسلم واشاعوها ولم يقدح ذلك عند المسلمين لحفظ السورة قبل ذلك على ما انزلها الله وتحققهم من حال النبي صلى الله عليه وسلم في ذم الاوثان وعيبها على ما عرف منه وقد حكى موسى بن عقبة في مغازيه نحو هذا وقال ان المسلمين لم يسمعوها وانما القى الشيطان ذلك في اسماع المشركين وقلوبهم ويكون ما روي من حزن النبي صلى الله عليه وسلم لهذه الاشاعة والشبهة وسبب هذه

الفتنة

الفتنة وقد قال الله تعالى في هذه التسلية وما ارسلنا من قبلك من رسول ولا نبي الآية فمعنى تمنى تلى قال الله تعالى لا يعلمون الكتاب الا اماني اي تلاوة وقوله فينسخ الله ما يلقي الشيطان اي يذهبه ويزيل اللبس به ويحكم اياته وقيل معنى الآية هو ما يقع للنبي صلى الله عليه وسلم من السهو اذا قرأ فينتبه لذلك ويرجع عنه وهذا التاويل نحو قول الكلبي في الآية انه حدث نفسه وقال اذا تمنى اي حدث نفسه وفي رواية ابي بكر بن عبد الرحمن نحوه وهذا السهو في القراءة انما يصح فيما ليس طريقه تغيير المعاني وتبديل الالفاظ وزيادة ما ليس من القرآن بل السهو عن اسقاط آية منه او كلمة ولكنه لا يقر على السهو بل ينبه عليه ويذكر به للحين على ما سنذكره في حكم ما يجوز عليه من السهو والغلط وما لا يجوز ومما يظهر في تاويله ايضا ان مجاهدا روى هذه القصة والغرانقة العلا وان شفاعتهن لترتجى الملائكة على هذه الرواية وبهذا فسر الكلبي الغرانقة انها الملائكة وذلك ان الكفار كانوا يعتقدون الاوثان والملائكة بنات الله كما حكى الله عنهم ورد عليهم في هذه السورة بقوله الكم الذكر وله الانثى فانكر الله كل هذا من قولهم ورجاء الشفاعة من الملائكة صحيح فلما تاوله المشركون على ان المراد بهذا الذكر آلهتهم ولبس عليهم الشيطان ذلك وزينه في قلوبهم والقاه اليهم نسخ الله ما القى الشيطان واحكم اياته ورفع تلاوة تلك اللفظتين اللتين وجد الشيطان بهما سبيلا للتلبيس كما نسخ كثير من القرآن ورفعت تلاوته وكان في انزال الله تعالى لذلك حكمة وفي نسخه حكمة ليضل به من يشاء ويهدي من يشاء وما يضل به الا الفاسقين وليجعل ما يلقي الشيطان فتنة للذين في قلوبهم مرض

والقاسية قلوبهم وان الظالمين لفي شقاق بعيد وليعلم الذين اوتوا
العلم انه الحق من ربك فيؤمنوا به فتخبت له قلوبهم الاية وقيل ان النبي صلى الله
عليه وسلم لما قرا هذه السورة وبلغ ذكر اللات والعزى ومناة الثالثة الاخرى
خاف الكفار ان ياتي بشيء من ذمها فسبقوا الى مدحها بتلك الكلمتين ليخلطوا
في تلاوة النبي صلى الله عليه وسلم ويشغبوا عليه على عادتهم وقولهم لا تسمعوا لهذا
القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ونسب هذا الفعل الى الشيطان لحمله لهم
عليه واشاعوا ذلك واذاعوه وان النبي صلى الله عليه وسلم قاله فحزن لذلك من
كذبهم وافترائهم عليه فسلاه الله عن حزنه بقوله وما ارسلنا من قبلك
من رسول ولا نبي الاية وبين للناس الحق من ذلك من الباطل وحفظ القرآن
واحكم اياته ودفع ما لبس به العدو كما ضمنه تعالى من قوله انا نحن نزلنا الذكر
وانا له لحافظون ومن ذلك ما روي من قصة يونس عليه السلام انه وعد قومه
بالعذاب عن ربه فلما تابوا كشف عنهم العذاب فقال لا ارجع اليهم كذابا ابدا
فذهب مغاضبا فاعلم اكرمك الله انه ليس في خبر من الاخبار الواردة في
هذا الباب ان يونس قال لهم ان الله مهلككم وانما فيه انه دعا عليهم بالهلاك
والدعاء ليس بخبر يطلب صدقه من كذبه لكنه قال لهم ان العذاب مصبحكم
وقت كذا وكذا فكان ذلك كما قال ثم رفع الله عنهم العذاب وتداركهم
قال الله تعالى الا قوم يونس لما امنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي الاية وروي
في الاخبار انهم راوا دلائل العذاب ومخائله قاله ابن مسعود رضي الله عنه وقال
سعيد بن جبير غشاهم العذاب كما يغشى الثوب القبر فان قلت فما معنى ما روي

منان

من ان عبد الله بن ابي سرح كان يكتب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ارتد مشركا
وسار الى قريش فقال لهم اني كنت اصرف محمدا حيث اريد كان يملي علي عزيز حكيم
فاقول او عليم حكيم فيقول نعم كل صواب وفي حديث اخر فيقول له النبي صلى الله
عليه وسلم اكتب كذا فيقول اكتب كذا فيقول اكتب كيف شئت ويقول له
اكتب عليما حكيما فيقول اكتب سميعا بصيرا فيقول له اكتب كيف شئت
وفي الصحيح عن انس رضي الله عنه ان نصرانيا كان يكتب للنبي صلى الله عليه وسلم بعد ما
اسلم ثم ارتد وكان يقول ما يدري محمد الا ما كتبت له فاعلم ثبتنا الله واياك
على الحق ولا جعل للشيطان وتلبيسه الحق بالباطل الينا سبيلا ان مثل هذه الحكاية
اولا لا توقع في قلب مؤمن ريبا اذ هي حكاية عمن ارتد وكفر بالله ونحن لا نقبل
خبر المسلم المتهم فكيف بكافر افترى هو ومثله على الله ورسوله ما هو اعظم
من هذه الافتراء والعجب لسليم العقل يشغل بمثل هذه الحكاية سره وقد
صدرت من عدو كافر مبغض للدين مفتر على الله ورسوله ولم ترو عن احد من
المسلمين ولا ذكر احد من الصحابة انه شاهد ما قال له وافتراه على نبي الله و
انما يفتري الكذب الذين لا يؤمنون بايات الله واولئك هم الكاذبون ومن
ما وقع من ذكرها في حديث انس رضي الله عنه وظاهر حكايتها فليس فيه ما يدل
على انه شاهدها ولعله حكى ما سمع وقد علل البزار حديثه ذلك وقال
رواه ثابت عنه ولم يتابع عليه ورواه حميد عن انس قال واظن حميدا
انما سمعه من ثابت قال القاضي ابو الفضل ولهذا والله اعلم لم يخرج اهل
الصحيح حديث ثابت ولا حميد والصحيح حديث عبد العزيز بن رفيع عن انس الذي

خرجه اهل الصحيحة وذكرناه وليس فيه عن انس قول شيء من ذلك من قبل
نفسه الا من حكايته عن المرتد المتنصر ولو كانت صحيحة لما كان فيها قدح
ولا توهيم للنبي صلى الله عليه وسلم فيما اوحى اليه ولا جواز للنسيان والغلط عليه
والتحريف فيما بلغه ولا طعن في نظم القران وانه من عند الله اذ ليس فيه لو صح اكثر
من ان الكاتب قال له عليم حكيم او كتبه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم كذلك
هو فسبقه لسانه او قلمه لكلمة او كلمتين مما انزل على الرسول عليه السلام قبل
اظهار الرسول لها اذ كان ما تقدم مما املاه يدل عليها ويقتضي وقوعها بقوة
قدرة الكاتب على الكلام ومعرفته به وجودة حسه وفطنته كما يتفق ذلك
للعارف اذا سمع البيت ان يسبق الى قافيته او مبدا الكلام الحسن الى ما يتم به
ولا يتفق ذلك في جملة الكلام كما لا يتفق ذلك في آية ولا سورة وكذلك
قوله عليه السلام لعبد الله بن ابي سرح كل صواب ان صح فقد يكون هذا فيما كان فيه
من مقاطع الآي وجهان وقراءتان انزلتا جميعا على النبي صلى الله عليه وسلم فاملى
احديهما وتوصل الكاتب بفطنته ومعرفته بمقتضى الكلام الى الاخرى فذكرها
للنبي صلى الله عليه وسلم قبل ذكرها كما قدمناه فصوبها له النبي صلى الله عليه وسلم ثم احكم
الله من ذلك ما احكم ونسخ ما نسخ كما قد وجد ذلك في بعض مقاطع
الآي مثل قوله ان تعذبهم فانهم عبادك وان تغفر لهم فانك انت العزيز الحكيم و
هذه قراءة الجمهور وقد قرا جماعة فانك انت الغفور الرحيم وليست من المصحف
وكذلك كلمات جاءت على وجهين في غير المقاطع قراهما معا الجمهور وثبتتا
في المصحف مثل وانظر الى العظام كيف ننشرها ويقص الحق ويقض الحق

وكل هذا

وكل هذا لا يوجب ريبا ولا يسبب للنبي صلى الله عليه وسلم غلطا ولا وهما وقد
ان هذا يحتمل ان يكون فيما يكتبه عن النبي صلى الله عليه وسلم الى الناس غير القران فيصف
الله ويسميه في ذلك الكاتب كيف شاء **فصل** هذا القول فيما طريقه البلاغ
واما ما ليس سبيله سبيل البلاغ من الاخبار التي لا مستند لها الى الاحكام
ولا اخبار المعاد ولا تضاف الى وحي بل في امور الدنيا واحوال نفسه فالذي
يجب تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن ان يقع خبره في شيء من ذلك بخلاف مخبره
لا عمدا ولا سهوا ولا غلطا وانه معصوم من ذلك في حال رضاه وفي حال
سخطه وجده ومزحه وصحته ومرضه ودليل ذلك اتفاق السلف و
اجماعهم عليه وذلك انا نعلم من دين الصحابة وعادتهم مبادرتهم الى تصديق
جميع احواله والثقة بجميع اخباره في اي باب كانت وعن اي شيء وقعت وانه لم
يكن لهم توقف ولا تردد في شيء منها ولا استثبات عن حاله عند ذلك هل وقع
فيها سهو ام لا ولما احتج ابن ابي الحقيق اليهودي على عمر رضي الله عنه حين اجلاهم
من خيبر باقرار رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتج عليه عمر رضي الله عنه بقوله صلى
الله عليه وسلم كيف بك اذا اخرجت من خيبر فقال اليهودي كانت هزيلة من ابي القاسم
فقال له عمر رضي الله عنه كذبت يا عدو الله وايضا فان اخباره واثاره وسيره
وشمائله معتنى بها مستقصى في تفاصيلها ولم يرد في شيء منها استدراكه
عليه السلام لغلط في قول قاله واعترافه بوهم في شيء اخبر به ولو كان ذلك
لنقل كما نقل من قصته رجوعه عليه السلام عما اشار به على الانصار في تلقيح النخل
وكان ذلك رايا لا خبرا وغير ذلك من الامور التي ليست من هذا الباب كقوله

والله لا احلف على يمين فارى غيرها خيرا منها الا فعلت الذى حلفت عليه وكفرت
عن يمينى وقوله انكم تختصمون الى الحديث وقوله عليه السلام اسق يا زبير حتى يبلغ
الماء الجدر كما سنبين كل ما فى هذا من مشكل فى هذا الباب والذى بعده
ان شاء الله تعالى مع اشباهها وايضا فان الكذب متى عرف من احد فى شىء من
الاخبار بخلاف ما هو عليه على اى وجه كان استريب بخبره واتهم فى حديثه ولم يقع
قوله فى النفوس موقعا ولهذا ما ترك المحدثون والعلماء الحديث عمن عرف بالوهم
والغفلة وسوء الحفظ وكثرة الغلط مع ثقته وايضا فان تعمد الكذب فى
امور الدنيا معصية والاكثار منه كبيرة باجماع مسقط للمروءة وكل هذا
مما ينزه عنه منصب النبوة والمرة الواحدة منه فيما يستشنع ويستبشع
مما يخل بصاحبها ويزرى بقائلها لاحقة بذلك واما فيما لا يقع هذا الموقع
فان عددناها من الصغائر فهل تجرى على حكمها فى الخلاف فيها مختلف فيه والصواب
تنزيه النبوة عن قليله وكثيره وسهوه وعمده اذ عمدة النبوة البلاغ
والاعلام والتبيين وتصديق ما جاء به النبى وتجويز شىء من هذا قادح
فى ذلك ومشكك فيه مناقض للمعجزة فلنقطع عن يقين بانه لا يجوز على
الانبياء خلف فى القول فى وجه من الوجوه لا بقصد ولا بغير قصد ولا
نتسامح مع من تسامح فى تجويز ذلك عليهم حال السهو فيما ليس طريقه البلاغ
نعم وبانه لا يجوز عليهم الكذب قبل النبوة ولا الاتسام به فى امورهم واحوال
دنياهم لان ذلك كان يزرى ويريب بهم وينفر القلوب عن تصديقهم بعد
وانظر احوال اهل عصر النبى صلى الله عليه وسلم من قريش وغيرها من الامم وسؤالهم

عن حاله

عن حاله فى صدق لسانه وما عرفوا به من ذلك واعترفوا به مما عرف واتفق
النقل على عصمة نبينا صلى الله عليه وسلم منه قبل وبعد وقد ذكرنا من الآثار
فيه فى الباب الثانى اول الكتاب ما يبين لك صحة ما اشرنا اليه فصل
فان قلت فما معنى قوله عليه السلام فى حديث السهو الذى حدثنا به الفقيه ابو
اسحق ابراهيم بن جعفر ثنا القاضى ابو الاصبغ بن سهل قال ثنا حاتم بن محمد ثنا
ابو عبد الله بن الفخار ثنا ابو عيسى ثنا عبيد الله ثنا يحيى عن مالك عن داود
بن الحصين عن ابى سفين مولى بن ابى احمد انه قال سمعت ابا هريرة رضى الله عنه يقول
صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم صلوة العصر فسلم فى ركعتين فقام ذو اليدين
فقال يا رسول الله اقصرت الصلوة ام نسيت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل
ذلك لم يكن وفى رواية اخرى ما قصرت وما نسيت الحديث بقصته فاخبر
بنفى الحالتين وانهما لم تكن وقد كان احد ذلك كما قال له ذو اليدين قد كان
بعض ذلك يا رسول الله فاعلم وفقنا الله واياك ان للعلماء فى ذلك
اجوبة بعضها بصدد الانصاف ومنها ما هو بنية التعسف والاعتساف
وها انا اقول اما على القول بتجويز الوهم والغلط فيما ليس طريقه من القول البلاغ
وهو الذى زيفناه من القولين فلا اعتراض بهذا الحديث وشبهه واما
على مذهب من يمنع السهو والنسيان فى افعاله جملة ويرى انه فى مثل هذا
عامد لصورة النسيان ليسن فهو صادق فى خبره لانه لم ينس ولا قصرت
ولكنه على هذا القول تعمد هذا الفعل فى هذه الصورة ليسنه لمن اعتراه
مثله وهو قول مرغوب عنه نذكره فى موضعه واما على احالة السهو عليه

في الاقوال وتجويز السهو عليه فيما ليس طريقه القول كما سنذكره ففيه اجوبة
منها ان النبي صلى الله عليه وسلم اخبر عن اعتقاده وضميره اما انكار القصر فحق
وصدق باطنا وظاهرا واما النسيان فاخبر صلى الله عليه وسلم عن اعتقاده
وانه لم ينس في ظنه فكانه قصد الخبر بهذا عن ظنه وان لم ينطق به وهذا
صدق ايضا ووجه ثان ان قوله عليه السلام ولم انس يرجع الى السلام اي اني
سلمت قصدا وسهوت عن العدد اي لم انس في نفس السلام وهذا محتمل وفيه
بعد ووجه ثالث وهو ابعدها ما ذهب اليه بعضهم وان احتمله اللفظ
من قوله كل ذلك لم يكن اي لم يجتمع القصر والنسيان بل كان احدهما ومفهوم
اللفظ خلافه مع الرواية الاخرى الصحيحة وهو قوله ما قصرت الصلوة و
ما نسيت هذا ما رايت فيه لائمتنا وكل من هذه الوجوه محتمل للفظ
على بعد بعضها وتعسف الاخر منها وقال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه والذي اقول ويظهر لي انه اقرب من هذه الوجوه كلها ان قوله لم انس
انكار للفظ الذي نفاه عن نفسه وانكره على غيره بقوله بئسما لاحدكم ان
يقول نسيت اية كذا وكذا ولكنه نسي وبقوله في بعض روايات الحديث الاخر
لست انسى ولكن انسى فلما قال له السائل اقصرت الصلوة ام نسيت انكر
قصرها كما كان ونسيانه هو من قبل نفسه وانه ان كان جرى شيء من ذلك
فقد نسي حتى سال غيره فتحقق انه نسي واجري عليه ذلك ليسن فقوله على هذا لم
انس ولم تقصر وكل ذلك لم يكن صدق وحق لم تقصر ولم ينس حقيقة ولكنه
نسي ووجه اخر استثرته من كلام بعض المشايخ وذلك انه قال ان النبي صلى الله

عليه وسلم

عليه وسلم كان يسهو ولا ينسى ولذلك نفى عن نفسه النسيان قال لان النسيان
غفلة وآفة والسهو انما هو شغل بال قال فكان النبي صلى الله عليه وسلم يسهو
في صلاته ولا يغفل عنها وكان يشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا
بها لا غفلة عنها فهذا ان تحقق على هذا المعنى لم يكن في قوله ما قصرت وما
نسيت خلف في قوله واما قصة كلمات ابراهيم عليه السلام المذكورة
في الحديث انها كذبات الثلاث المنصوصة في القرآن منها اثنتان قوله اني سقيم
وبل فعله كبيرهم هذا وقوله للملك عن زوجته انها اختي فاعلم اكرمك
الله ان هذه خارجة كلها عن الكذب لا في القصد ولا في غيره
وهي داخلة في باب المعاريض التي فيها مندوحة عن الكذب اما قوله اني
سقيم فقال الحسن وغيره معناه سأسقم اي ان كل مخلوق معرض لذلك
فاعتذر لقومه من الخروج معهم الى عيدهم بهذا وقيل بل سقيم بما قدر
علي من الموت وقيل سقيم القلب بما اشاهده من كفركم وعنادكم وقيل بل كانت
الحمى تأخذه عند طلوع نجم معلوم فلما رآه اعتذر بعادته وكل هذا ليس
فيه كذب بل هو خبر صحيح صدق وقيل بل عرض بسقم حجته عليهم وضعف
ما اراد بيانه لهم من جهة النجوم التي كانوا يشتغلون بها وانه كان اثناء نظره
في ذلك وقيل استقامة حجته عليهم في حال سقم ومرض حال مع انه لم يشك
هو ولا ضعف ايمانه ولكنه ضعف في استدلاله عليهم وسقم نظره كما
يقال حجة سقيمة ونظر معلول حتى الهمه الله باستدلاله وصحة حجته
عليهم بالكواكب والشمس والقمر ما نصه الله تعالى وقدمنا بيانه واما
قوله بل فعله كبيرهم هذا الاية فانه علق خبره بشرط نطقه كانه قال ان كان

ينطق فهو فعل على طريق التنكيت لقومه وهذا صدق ايضا ولا خلف فيه واما الخبر
فقد بين في الحديث وقال لانك اختي في الاسلام وهو صدق قال الله تعالى يقول انما المؤمنون
اخوة فان قلت هذا النبي صلى الله عليه وسلم قد سماها كذبات وقال لم يكذب ابرهيم عليه السلام
الا ثلث كذبات وقال في حديث الشفاعة ويذكر كذباته فمعناه انه لم يتكلم بكلام صورته صورة
الكذب وان كان حقا في الباطن الا هذه الكلمات ولما كان مفهوم ظاهرها خلاف باطنها
اشفق ابرهيم عليه السلام بمؤاخذته بها واما الحديث كان النبي صلى الله عليه وسلم اذا اراد
غزوة ورى بغيرها فليس فيه خلف في القول وانما هو ستر مقصده لئلا ياخذ عدوه
حذره وكتم وجه ذهابه بذكر السؤال عن موضع آخر والبحث عن اخباره والتعريض
بذكره لا انه يقول تجهزوا الى غزوة كذا او وجهتنا الى موضع كذا خلاف مقصده
فهذا لم يكن والاول ليس فيه خبر يدخله الخلف فان قلت فما معنى قول موسى عليه السلام
وقد سئل اي الناس اعلم فعتب الله عليه في ذلك اذ لم يرد العلم اليه الحديث وفيه قال
بل عبد لنا بمجمع البحرين اعلم منك وهذا خبر قد انبا الله انه ليس كذلك فاعلم
انه وقع في هذا الحديث من بعض طرقه الصحيحة عن ابن عباس رضي الله عنهما
هل تعلم احدا اعلم منك فاذا كان جوابه على علمه فهو خبر حق وصدق لا خلف
فيه ولا شبهة وعلى الطريق الاخر فمحمله على ظنه ومعتقده كما لو صرح به
لان حاله في النبوة والاصطفاء تقتضي ذلك فيكون اخباره بذلك
ايضا عن اعتقاده وحسبانه صدقا لا خلف فيه وقد يريد بقوله انا
اعلم بما تقتضيه وظائف النبوة من علوم التوحيد وامور الشريعة وسياسة
الامة ويكون الخضر اعلم منه بامور اخر مما لا يعلمه احد الا باعلام الله تعالى
من علوم غيبه كالقصص المذكورة في خبرهما فكان موسى اعلم الجملة بما تقدم

وهذا اعلم

وهذا اعلم على الخصوص بما اعلم ويدل عليه قوله تعالى وعلمناه من لدنا
علما وعتب الله ذلك عليه فيما قاله العلماء انكاره هذا القول عليه
لانه لم يرد العلم اليه كما قالت الملائكة لا علم لنا الا ما علمتنا او
لانه لم يرض قوله شرعا وذلك والله اعلم لئلا يقتدى به فيه من لا
يبلغ كماله في تزكية نفسه وعلو درجته من امته فيهلك لما تضمنه
من مدح الانسان نفسه ويورثه ذلك من الكبر والعجب والتعاطي
والدعوى وان نزه عن هذه الرذائل الانبياء فغيرهم بمدرجة سبيلها
ودرك ليلها الا من عصمه الله تعالى فالتحفظ منها اولى لنفسه وليقتدى
به ولهذا قال صلى الله عليه وسلم تحفظا من مثل هذا مما قد علم به وانا سيد ولد
آدم ولا فخر وهذا الحديث احد حجج القائلين بنبوة الخضر لقوله فيه
انه اعلم من موسى ولا يكون الولي اعلم من النبي واما الانبياء عليهم
السلام فيتفاضلون في المعارف وبقوله وما فعلته عن امري فدل
انه بوحي ومن قال انه ليس بنبي قال يحتمل ان يكون فعله بامر نبي آخر وهذا يضعف
لانه ما علمنا انه كان في زمن موسى عليه السلام نبي غيره الا اخاه هرون وما
نقل احد من اهل الاخبار في ذلك شيئا يعول عليه واذا جعلنا اعلم منك
ليس على العموم وانما هو على الخصوص وفي قضايا معينة لم يحتج الى اثبات نبوة
الخضر ولهذا قال بعض الشيوخ كان موسى اعلم من الخضر فيما اخذ عن الله والخضر
اعلم فيما دفع اليه من موسى وقال آخر انما الجئ موسى الى الخضر للتاديب لا
للتعليم فصل واما ما يتعلق بالجوارح من الاعمال ولا يخرج من جملتها

القول باللسان فيما عدا الخبر الذي وقع فيه الكلام ولا الاعتقاد بالقلب
فيما عدا التوحيد وما قدمناه من معارفه المختصة به فاجمع المسلمون
على عصمة الانبياء من الفواحش والكبائر الموبقات ومستند الجمهور في ذلك
الاجماع الذي ذكرناه وهو مذهب القاضي ابي بكر ومنعها غيره بدليل العقل
مع الاجماع وهو قول الكافة واختاره الاستاذ ابو اسحق وكذلك لا خلاف
انهم معصومون من كتمان الرسالة والتقصير في التبليغ لان كل ذلك يقتضي
العصمة منه المعجزة مع الاجماع على ذلك من الكافة والجمهور قائل بانهم معصومون
من ذلك من قبل الله تعالى معتصمون باختيارهم وكسبهم الا حسينا النجار فانه
قال لا قدرة لهم على المعاصي اصلا واما الصغائر فجوزها جماعة من السلف و
غيرهم على الانبياء وهو مذهب ابي جعفر الطبري وغيره من الفقهاء و
المحدثين والمتكلمين وسنورد بعد هذا ما احتجوا به وذهبت طائفة
اخرى الى الوقف وقالوا العقل لا يحيل وقوعها منهم ولم يات في الشرع قاطع باحد
الوجهين وذهبت طائفة اخرى من المحققين من الفقهاء والمتكلمين الى عصمتهم
من الصغائر كعصمتهم من الكبائر قالوا لاختلاف الناس في الصغائر وتعيينها
من الكبائر واشكال ذلك وقول ابن عباس وغيره ان كل ما عصي الله به فهو كبيرة
وانه انما سمي منها الصغير بالاضافة الى ما هو اكبر منه ومخالفة الباري في اي امر كان
يجب كونه كبيرة قال القاضي ابو محمد عبد الوهاب لا يمكن ان يقال ان في معاصي الله صغيرة
الا على معنى انها تغتفر باجتناب الكبائر ولا يكون لها حكم مع ذلك بخلاف الكبائر
اذا لم يتب منها فلا يحبطها شيء والمشيئة في العفو عنها الى الله تعالى وهو قول القاضي

ابي بكر

ابي بكر رحمه الله وجماعة ائمة الاشعرية وكثير من ائمة الفقهاء وقال ائمتنا
ولا يجب على القولين ان يختلف انهم معصومون عن تكرار الصغائر وكثرتها
اذ يلحقها ذلك بالكبائر ولا في صغيرة ادت الى ازالة الحشمة واسقطت
المروءة واوجبت الازراء والخساسة فهذا ايضا مما يعصم منه الانبياء
اجماعا لان مثل هذا يحط منصب المتسم به ويزري بصاحبه وينفر
القلوب عنه والانبياء منزهون عن ذلك بل يلحق بهذا ما كان من قبيل
المباح فادى الى مثله لخروجه بما ادى اليه عن اسم المباح الى الحظر وقد
ذهب بعضهم الى عصمتهم من مواقعة المكروه قصدا وقد استدل بعض
الائمة على عصمتهم من الصغائر بالمصير الى امتثال افعالهم واتباع اثارهم و
سيرهم مطلقا وجمهور الفقهاء على ذلك من اصحاب مالك والشافعي وابي
حنيفة رحمهم الله من غير التزام قرينة بل مطلقا عند بعضهم وان اختلفوا
في حكم ذلك وحكى ابن خويز منداد وابو الفرج عن مالك التزام ذلك وجوبا
وهو قول الابهري وابن القصار واكثر اصحابنا وقول اكثر اهل العراق وابن
سريج والاصطخري وابن خيران من الشافعية واكثر الشافعية على ان ذلك
ندب وذهبت طائفة الى الاباحة وقيد بعضهم الاتباع فيما كان من
الامور الدينية وعلم به مقصد القربة ومن قال بالاباحة في افعاله لم
يقيد قال فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم في افعالهم اذ
ليس كل فعل من افعاله يتميز مقصده به من القربة والاباحة والحظر او
المعصية ولا يصح ان يؤمر المرء بامتثال امر لعله معصية لا سيما على من يرى

من الاصوليين تقديم الفعل على القول اذا تعارضا ويزيد هذا حجة بان يقول من جوز الصغائر ومن نفاها عن نبينا عليه السلام مجمعون على انه لا يقر على منكر من قول او فعل وانه متى راى شيئا فسكت عنه النبي صلى الله عليه وسلم فكيف يكون هذا حاله في حق غيره ثم يجوز وقوعه منه في نفسه وعلى هذا المأخذ تجب عصمتهم من مواقعة المكروه كما قيل واذ الحظر والندب على الاقتداء بفعله ينافي الزجر والنهي عن فعل المكروه وايضا فقد علم من دين الصحابة قطعا الاقتداء بافعال النبي صلى الله عليه وسلم كيف توجهت وفي كل فن كالاقتداء باقواله فقد نبذوا خواتمهم حين نبذ خاتمه وخلعوا نعالهم حين خلع و احتجاجهم برؤية ابن عمر اياه جالسا لقضاء حاجته مستقبلا بيت المقدس واحتج غير واحد منهم في غير شيء مما بابه العبادة او العادة بقوله رايت رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال صلى الله عليه وسلم هلا اخبرتيها اني اقبل وانا صائم وقالت عائشة محتجة كنت افعله انا ورسول الله صلى الله عليه وسلم وغضب عليه السلام على الذي اخبر بمثل هذا عنه فقال يحل الله لرسوله ما شاء وقال اني لاخشاكم لله واعلمكم بحدوده والاثار في هذا اعظم اكثر من ان نحيط عليها ولكنه يعلم من مجموعها على القطع اتباعهم افعاله واقتداؤهم بها ولو جوزوا عليه المخالفة في شيء منها لما اتسق ذلك هذا ولنقل عنهم وظهر بحثهم عن ذلك ولما انكر عليه السلام على الاخر قوله واعتذاره بما ذكرناه واما المباحات فجائز وقوعها منهم اذ ليس فيها قدح بل هي ماذون فيها وايديهم كايدي غيرهم مسلطة عليها الا انهم

بماخصوا

بما خصوا به من رفيع المنزلة وشرحت له صدورهم من انوار المعرفة واصطفوا له من تعلق الهمم بالله والدار الآخرة لا ياخذون من المباحات الا الضرورات مما يتقوون به على سلوك طريقهم وصلاح دينهم وضرورة دنياهم وما اخذ على هذا السبيل التحق طاعة وصار قربة كما بينا منه اولا لكلام في خصال نبينا عليه السلام فبان لك عظيم فضل الله على نبينا وعلى سائر انبيائه عليهم السلام بان جعل افعالهم قربات وطاعات بعيدة عن وجه المخالفة ورسم المعصية

فصل وقد اختلف في عصمتهم من المعاصي قبل النبوة فمنعها قوم وجوزها آخرون والصحيح ان شاء الله تنزيههم من كل عيب وعصمتهم من كل ما يوجب الريب فكيف والمسئلة تصورها كالممتنع فان المعاصي والنواهي انما تكون بعد تقرر الشرع وقد اختلف الناس في حال نبينا عليه السلام قبل ان يوحى اليه هل كان متبعا لشرع قبله ام لا فقال جماعة لم يكن متبعا لشيء وهذا قول الجمهور فالمعاصي على هذا القول غير موجودة ولا معتبرة في حقه حينئذ اذ الاحكام الشرعية انما تتعلق بالاوامر والنواهي وتقرر الشريعة ثم اختلفت حجج القائلين بهذه المقالة عليها فذهب سيف السنة ومقتدى فرق الائمة الامة القاضي ابو بكر الى ان طريق العلم بذلك النقل وموارد الخبر من طريق السمع وحجته انه لو كان ذلك لنقل ولما امكن كتمه وستره في العادة اذ كان من مهم امره واولى ما اهتبل به من سيرته ولفخر به اهل تلك الشريعة ولاحتجوا به عليه ولم يؤثر شيء من ذلك جملة وذهبت طائفة الى امتناع ذلك عقلا قالوا لانه يبعد ان يكون متبوعا من عرف تابعا وبنوا هذا على التحسين والتقبيح وهي

طريقه غير سديده واستناد ذلك الى النقل كما تقدم للقاضي ابي بكر اولى و
اظهر وقالت فرقة اخرى بالوقف فى امره عليه السلام وترك قطع الحكم عليه
بشيء فى ذلك اذ لم يحل الوجهين منها العقل ولا استبان عندها فى احدهما طريق
النقل وهو مذهب ابي المعالي وقالت فرقة ثالثة انه كان عاملا بشرع من
قبله ثم اختلفوا هل يتعين ذلك الشرع ام لا فوقف بعضهم عن تعيينه
واحجم وجسر بعضهم على التعيين وصمم ثم اختلفت هذه المعينة فيمن كان
يتبع فقيل نوح وقيل ابراهيم وقيل موسى وقيل عيسى صلوات الله عليهم اجمعين
فهذه جملة المذاهب فى هذه المسئلة والاظهر فيها ما ذهب اليه القاضي
ابو بكر وابعدها مذاهب المعينين اذ لو كان شيء من ذلك لنقل كما قد
مناه ولم يخف جملة ولا حجة لهم فى ان عيسى اخر الانبياء فلزمت شريعته
من جاء بعدها اذ لم يثبت عموم دعوة عيسى بل الصحيح انه لم يكن لنبي دعوة
عامة الا لنبينا عليه السلام ولا حجة ايضا للاخر فى قوله ان اتبع ملة
ابراهيم حنيفا وللاخرين فى قوله شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا فحمل هذه الاية
على اتباعهم فى التوحيد كقوله تعالى اولئك الذين هدى الله فبهديهم اقتده
وقد سمى الله تعالى فيهم من لم يبعث ولم تكن له شريعة تخصه كيوسف بن
يعقوب على قول من يقول انه ليس برسول قد سمى الله جماعة منهم فى هذه الاية
شرايعهم مختلفة لا يمكن الجمع بينها فدل على ان المراد ما اجمعوا عليه من
التوحيد وعبادة الله تعالى وبعد هذا فهل يلزم من قال بمنع الاتباع هذا
القول فى سائر الانبياء غير نبينا او يخالفون بينهم اما من منع الاتباع

عقائد

عقائد فيطرد اصله فى كل رسول بلا مرية واما من مال الى النقل فاينما
تصور له وتقرر اتبعه ومن قال بالوقف فعلى اصله ومن قال بوجوب
الاتباع لمن قبله يلزمه بمساقه حجته فى كل نبي فصل هذا حكم ما يكون
المخالفة فيه من الاعمال عن قصد وهو ما يسمى معصية ويدخل تحت
التكليف واما ما يكون بغير قصد وتعمد كالسهو والنسيان فى الوظائف
الشرعية مما تقرر الشرع بعدم تعلق الخطاب به وترك المؤاخذة عليه فاحوال
الانبياء فى ترك المؤاخذة به وكونه ليس بمعصية لهم مع اممهم سواء ثم
ذلك على نوعين ما طريقه البلاغ وتقرير الشرع وتعلق الاحكام وتعليم
الامة بالفعل واخذهم باتباعه فيه وما هو خارج عن هذا مما يختص
بنفسه اما الاول فحكمه عند جماعة من العلماء حكم السهو فى القول فى هذا
الباب وقد ذكرنا الاتفاق على امتناع ذلك فى حقه النبي عليه السلام وعصمته
من جوازه عليه قصدا او سهوا وكذلك قالوا الافعال فى هذا الباب لا يجوز
طرو المخالفة فيها لا عمدا ولا سهوا لانها بمعنى القول من جهة التبليغ والاداء
وطرو هذه العوارض عليها يوجب التشكيك وتسبب المطاعن واعتذروا
عن احاديث السهو بتوجيهات نذكرها بعد هذا والى هذا مال الاستاذ ابو
اسحق وذهب الاكثر من الفقهاء والمتكلمين الى ان المخالفة فى الافعال
البلاغية والاحكام الشرعية سهوا وعن غير قصد منه جائز عليه كما تقرر من احاديث
السهو فى الصلوة وفرقوا بين ذلك وبين الاقوال البلاغية لقيام المعجزة
على الصدق فى القول ومخالفة ذلك يناقضها واما السهو فى الافعال

نغير مناقض لها ولا قادح في النبوة بل غلطات الفعل وغفلات القلب من
سمات البشر كما قال عليه السلام انما انا بشر انسى كما تنسون فاذا نسيت
فذكروني نعم بل حالة النسيان والسهو هنا في حقه عليه السلام
سبب افادة علم وتقرير شرع كما قال عليه السلام اني لانسى او انسى
لاسن بل قد روي لست انسى ولكن انسى لاسن وهذه الحال زيادة في
التبليغ وتمام عليه في النعم بعيدة عن سمات النقص واعراض الطعن فان
القائلين بتجويز ذلك يشترطون ان الرسل لا يقر على السهو والغلط
بل ينتبهون عليه ويعرفون حكمه بالفور على قول بعضهم وهو الصحيح وقيل
انقراضهم على القول الاخرين واما ما ليس طريقه البلاغ ولا بيان الاحكام
في افعاله عليه السلام وما يختص به من امور دينه واذكار قلبه مما لم
يفعله ليتبع فيه فالاكثر من طبقات علماء الامة على جواز السهو والغلط
عليه فيها ولحوق الفترات والغفلات لقلبه وذلك بما كلفه من مقاسات
الخلق وسياسات الامة ومعاناة الاهل وملاحظة الاعداء ولكن ليس
على سبيل التكرار ولا الاتصال على سبيل الندور كما قال عليه السلام
انه ليغان على قلبي فاستغفر الله وليس في هذا شيء يحط من رتبته ويناقض
معجزته وذهب طائفة الى منع السهو والنسيان والغفلات والفترات في
حقه جملة وهو مذهب جماعة المتصوفة واصحاب علم القلوب ومقامات ولهم
في هذه الاحاديث مذاهب نذكرها بعدها ان شاء الله تعالى فصل في الكلام
على الاحاديث المذكورة فيها السهو منه عليه السلام قد قدمنا في الفصول

قبل هذا

قبل هذا ما يجوز فيه عليه السهو منه عليه السلام وما يمتنع واحلناه
في الاخبار جملة وفي الاقوال الدينية قطعا واجزنا وقوعه في الافعال الدينية
على الوجه الذي رتبناه واشرنا الى ما ورد في ذلك ونحن نبسط القول فيه
الصحيح من الاحاديث الواردة في سهوه عليه السلام في الصلوة ثلثة احاديث
اولها حديث ذي اليدين في السلام من اثنتين الثاني حديث ابن بحينة في القيام
من اثنتين الثالث حديث ابن مسعود ان النبي صلى الله عليه وسلم صلى الظهر
خمسا وهذه الاحاديث مبنية على السهو في الفعل الذي قررناه وحكمة الله
فيه ليستن به اذ البلاغ بالفعل اجلى منه بالقول وارفع للاحتمال و
شرطه ان لا يقر على السهو بل يشعر به ليرتفع الالتباس وتظهر فائدة الحكمة
فيه كما قدمناه فان النسيان والسهو في الفعل في حقه عليه السلام غير مضاد
للمعجزة ولا قادح في التصديق وقد قال عليه السلام إنما انا بشر انسى كما
تنسون فاذا نسيت فذكروني وقال رحم الله فلانا لقد اذكرني كذا و
كذا آية كنت اسقطهن ويروى انسيتهن وقال عليه السلام اني لانسى
او انسى لاسن قيل شك من الراوي وقد روي اني لا انسى ولكن انسى لاسن
وذهب ابن نافع وعيسى بن دينار انه ليس بشك وان معناه التقسيم اي انسى
او ينسيني الله قال القاضي ابو الوليد الباجي يحتمل ما قاله ان يريد اني انسى
في اليقظة وانسى في النوم او انسى على سبيل عادة البشر من الذهول عن
الشيء والسهو او انسى مع اقبالي عليه وتفرغي له فاضاف احد النسيانين
الى نفسه اذ كان له بعض السبب فيه ونفى الآخر عن نفسه اذ هو فيه

كالمضطر وذهبت طائفة من اصحاب المعاني والكلام على الحديث ان النبي صلى الله
عليه وسلم كان يسهو في الصلوة ولا ينسى لان النسيان ذهول وغفلة وآفة
قال والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عنها والسهو شغل فكان عليه السلام يسهو
في صلاته ويشغله عن حركات الصلوة ما في الصلوة شغلا بها لا غفلة
عنها واحتج بقوله في الرواية الاخرى اني لا انسى وذهبت طائفة الى
منع هذا كله عنه وقالوا ان سهوه عليه السلام كان عمدا وقصدا
ليسن وهذا قول مرغوب عنه متناقض لا يحلى منه بطائل لانه كيف يكون
متعمدا ساهيا في حال ولا حجة لهم في قولهم انه امر بتعمد صورة النسيان ليسن
لقوله اني لا انسى وانسى وقد اثبت احد الوصفين ونفى مناقضة التعمد
والقصد وقال انما انا بشر مثلكم انسى كما تنسون وقد مال الى
هذا عظيم من المحققين من ائمتنا وهو ابو المظفر الاسفرايني ولم يرضه غيره
منهم ولا ارضيه ولا حجة لهاتين الطائفتين في قوله اني لا انسى ولكن انسى
اذ ليس فيه نفي حكم النسيان بالجملة وانما فيه نفي لفظه وكراهة لقبه
كقوله بئسما لاحدكم ان يقول نسيت آية كذا ولكنه نسي او نفي الغفلة و
قلة الاهتمام بامر الصلوة عن قلبه ولكن شغل بها عنها ونسي بعضها
ببعضها كما ترك الصلوة يوم الخندق حتى خرج وقتها وشغل بالتحرز من
العدو عنها فشغل بطاعة عن طاعة وقيل ان الذي ترك يوم الخندق اربع
صلوات الظهر والعصر والمغرب والعشاء وبه احتج من ذهب الى جواز
تاخير الصلوة في الخوف اذا لم يتمكن من ادائها الى وقت الامن وهو مذهب

الشاميين والصحيح ان حكم صلوة الخوف كان بعد هذا فهو ناسخ له فان
قلت فما تقول في نومه عليه السلام عن الصلوة يوم الوادي وقد قال ان عيني تنامان
ولا ينام قلبي فاعلم ان للعلماء عن ذلك اجوبة منها ان المراد بان هذا حكم قلبه عند
نومه وعينه في غالب الاوقات وقد يندر منه غير ذلك كما يندر من غيره خلاف
عادته ويصح هذا التاويل قوله عليه السلام في الحديث نفسه ان الله قبض ارواحنا
وقول بلال فيه ما القيت علي نومة مثلها قط ولكن مثل هذا انما يكون منه
لامر يريده الله من اثبات حكم وتاسيس سنة واظهار شرع كما قال في الحديث
الآخر لو شاء الله لايقظنا ولكن اراد ان يكون لمن بعدكم الثاني
ان قلبه لا يستغرقه النوم حتى يكون منه الحدث فيه لما روي انه كان محروسا
وانه كان ينام حتى ينفخ وحتى يسمع غطيطه ثم يصلي ولا يتوضأ وحديث ابن
عباس المذكور فيه وضوؤه عند قيامه من النوم فيه مع اهله فلا يمكن
الاحتجاج به على وضوئه بمجرد النوم اذ لعل ذلك لملامسة الاهل او لحدث آخر
فكيف وفي آخر الحديث نفسه ثم نام حتى سمعت غطيطه ثم اقيمت الصلوة
فصلى ولم يتوضأ وقيل لا ينام قلبه من اجل انه يوحى اليه في النوم وليس في قصة
الوادي الا نوم عينيه عن رؤية الشمس وليس هذا من فعل القلب وقد قال
عليه السلام ان الله قبض ارواحنا ولو شاء لردها الينا في حين
غير هذا فان قيل فلولا عادته من استغراق النوم لما قال لبلال اكلأ
لنا الصبح فقيل في الجواب انه كان شأنه عليه السلام التغليس بالصبح
ومراعاة اول الفجر لا يصح ممن نامت عينه اذ هو ظاهر يدرك بالجوارح الظاهرة

وكل بلالا بمراعاة اوله ليعلمه بذلك كما لو شغل بشغل غير النوم من مراعاته
فان قيل فما نهيه عليه السلام عن قول نسيت وقد قال انى انسى كما تنسون
واذا نسيت فذكروني وقال لقد ذكرني كذا وكذا آية كنت انسيتها فاعلم
اكرمك الله انه لا تعارض في هذه الالفاظ اما نهيه عن ان يقال نسيت
آية كذا فمحمول على ما نسخ نقله وحفظه من القرآن اى ان الغفلة في هذا لم يكن
منه ولكن الله اضطره اليها ليمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وما كان من
سهو وغفلة من قبله فذكرها صلح ان يقال فيه انسى وقد قيل ان هذا منه
صلى الله عليه وسلم على طريق الاستحباب ان يضيف الفعل الى خالقه والاخر على
طريق الجواز لاكتساب العبد فيه واسقاطه عليه السلام كما اسقط من
هذه الآيات جائز عليه بعد بلاغ ما امر ببلاغه وتوصيله الى عباده ثم يستذكرها
من امته او من قبل نفسه الا ما قضى الله نسخه ومحوه من القلوب وترك
استذكاره وقد يجوز ان ينسى النبي صلى الله عليه وسلم ما هذا سبيله كرة ويجوز
ان ينسى منه قبل البلاغ ما لا يغير نظما ولا يخلط حكما مما لا يدخل خللا
في الخبر ثم يذكره اياه ويستحيل دوام نسيانه له لحفظ الله كتابه و
تكليفه بلاغه فصل في الرد على من اجاز عليهم الصغائر والكلام على ما احتجوا
به في ذلك اعلم ان المجوزين للصغائر على الانبياء من الفقهاء والمحدثين و
من شايعهم على ذلك من المتكلمين احتجوا على ذلك بظواهر كثيرة من القرآن و
الحديث ان التزموا ظواهرها افضت بهم الى تجويز الكبائر وخرق الاجماع وما لا
يقول به مسلم فكيف وكل ما احتجوا به مما اختلف المفسرون في معناه وتقابلت

الاحتمالات

الاحتمالات في مقتضاه وجاءت اقاويل فيها للسلف بخلاف ما التزموه
من ذلك فاذا لم يكن مذهبهم اجماعا وكان الخلاف فيما احتجوا به قديما وقامت
الدلالة على خطأ قولهم وصحة غيره وجب تركه والمصير الى ما صح وها نحن ناخذ في
النظر فيها ان شاء الله تعالى فمن ذلك قوله تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليغفر لك
الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر وقوله واستغفر لذنبك وللمؤمنين
والمؤمنات وقوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك وقوله عفا
الله عنك لم اذنت لهم وقوله لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما
اخذتم فيه عذاب عظيم وقوله عبس وتولى ان جاءه الاعمى الآية وما
قص من قصص غيره من الانبياء كقوله تعالى وعصى آدم ربه فغوى
وقوله فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء الآية وقوله عنه ربنا ظلمنا
انفسنا الآية وقوله عن يونس سبحانك اني كنت من الظالمين وما ذكر
من قصته وقصة داود وقوله وظن داود انما فتناه فاستغفر ربه و
خر راكعا واناب الى قوله مآب وقوله ولقد همت به وهم بها وما قص من
قصته مع اخوته وقوله عن موسى فوكزه موسى فقضى عليه قال هذا من عمل الشيطان
وقول النبي صلى الله عليه وسلم في دعائه اغفر لي ما قدمت وما اخرت واسررت واعلنت
ونحوه من ادعيته عليه السلام وذكر الانبياء في الموقف ذنوبهم في حديث الشفاعة
وقوله انه ليغان على قلبي فاستغفر الله واتوب اليه في اليوم اكثر من سبعين
مرة وقوله عن نوح والا تغفر لي الآية وقد كان قال الله له ولا تخاطبني في
الذين ظلموا انهم مغرقون وقال عن ابراهيم والذي اطمع ان يغفر لي خطيئتي

يَوْمَ الدِّينِ وقوله عن موسى تبت اليك وقوله ولقد فتنا سليمان الى ما
اشبه هذه الظواهر وقال القاضي رحمه الله فاما احتجاجهم بقوله ليغفر
لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فهذا قد اختلف فيه المفسرون
فقيل المراد ما كان قبل النبوة وبعدها وقيل المراد ما وقع لك من ذنب و
ما لم يقع لك اعلمه انه مغفور له وقيل ما كان قبل النبوة والمتأخر عصمتك
بعدها حكاه احمد بن نصر وقيل المراد بذلك امته عليه السلام وقيل المراد ما
كان عن سهو وغفلة وتاويل حكاه الطبري واختاره القشيري وقيل
ما تقدم لابيك آدم وما تأخر من ذنوب امتك حكاه السمرقندي و
السلمي عن ابن عطا وبمثله والذي قبله يتأول قوله واستغفر لذنبك و
للمؤمنين والمؤمنات قال مكي مخاطبة النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ههنا هي مخاطبة
لامته وقيل ان النبي صلى الله عليه وسلم لما امر ان يقول وما ادري ما يفعل بي ولا
بكم سر بذلك الكفار فانزل الله تعالى ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر
الاية وبما آل المؤمنين في الاية الاخرى بعدها قاله ابن عباس فمقصد الاية انك
مغفور لك غير مواخذ بذنب ان لو كان قال بعضهم المغفرة ههنا تبرئة من
العيوب واما قوله ووضعنا عنك وزرك الذي انقض ظهرك فقيل ما
سلف من ذلك قبل النبوة وهو قول ابن زيد والحسن ومعنى قول قتادة وقيل
معناه انه حفظ قبل النبوة منها وعصم ولولا ذلك لاثقلت ظهره الذنوب
حكى معناه السمرقندي وقيل المراد بذلك ما اثقل ظهره من اعباء الرسالة
حتى بلغها حكاه الماوردي والسلمي وقيل ادا حططنا عنك ثقل ايام

الجاهلية

الجاهلية حكاه مكي وقيل ثقل شغل سرك وحيرتك وطلب شريعتك
حتى عنا ذلك حكى معناه القشيري وقيل معنا خففنا عنك عليك ما حملت
لحفظنا لما استحفظت وحفظ عليك ومعنى انقض اي كاد ينقضه فيكون
المعنى على من جعل ذلك لما قبل النبوة اهتمام النبي صلى الله عليه وسلم بامور فعلها
قبل نبوته وحرمت عليه بعد النبوة فعدها اوزارا وثقلت عليه واشفق منها
او يكون الوضع عصمة الله له وكفايته من ذنوب لو كانت لانقضت ظهره او
يكون من ثقل الرسالة او ما ثقل عليه وشغل قلبه من امور الجاهلية واعلام
الله تعالى له بحفظ ما استحفظه من وحيه واما قوله عفا الله عنك لم اذنت لهم
فامر لم يتقدم للنبي صلى الله عليه وسلم فيه من الله تعالى نهي فيعد معصية ولا عده الله
عليه معصية بل لم يعده اهل العلم معاتبة وغلطوا من ذهب الى ذلك قال
نفطويه وقد شاه الله من ذلك بل كان مخيرا في امرين قالوا وقد كان له ان
يفعل ما يشاء فيما لم ينزل عليه فيه وحي فكيف وقد قال الله فاذن لمن شئت
منهم فلما اذن لهم اعلمه الله بما لم يطلع عليه من سرهم انه لو لم ياذن لهم
لقعدوا وانه لا حرج عليه فيما فعل وليس عفا ههنا بمعنى غفر بل كما قال
النبي صلى الله عليه وسلم عفا الله لكم عن صدقة الخيل والرقيق ولم تجب عليهم
قط اي لم يلزمكم ذلك ونحوه للقشيري قال وانما يقول العفو لا يكون
الا عن ذنب من لم يعرف كلام العرب قال ومعنى عفا الله عنك اي لم يلزمك
ذنبا قال الداودي روي انها كانت تكرمة له قال مكي هو استفتاح كلام
مثل اصلحك الله واعزك وحكى السمرقندي ان معناه عافاك الله اما

قوله في اسارى بدر ما كان لنبي صلى الله عليه وسلم ان يكون له اسرى الآيتين
فليس فيه الزام ذنب للنبي صلى الله عليه وسلم بل فيه بيان ما خص به وفضل من بين سائر
الانبياء فكانه قال ما كان هذا لنبي غيرك كما قال عليه السلام احلت لي الغنائم
ولم تحل لنبي قبلي فان قيل فما معنى قوله تريدون عرض الدنيا الآية قيل المعنى الخطاب
لمن اراد ذلك منهم وتجرد غرضه لعرض الدنيا وحده والاستكثار منها وليس
المراد بهذا النبي صلى الله عليه وسلم ولا علية اصحابه بل قد روي عن الضحاك انها نزلت حين
انهزم المشركون يوم بدر واشتغل الناس بالسلب وجمع الغنائم عن القتال
حتى خشي عمر ان يعطف عليهم العدو ثم قال الله تعالى لولا كتاب من الله سبق
فاختلف المفسرون في معنى الآية فقيل معناها لولا انه سبق مني ان لا اعذب
احداً الا بعد النهي لعذبتكم فهذا ينفي ان يكون امر الاسرى معصية وقيل
المعنى لولا ايمانكم بالقرآن وهو الكتاب السابق فاستوجبتم به الصفح
لعوقبتم على الغنائم ويزاد هذا القول تفسيراً وبياناً بان يقول لولا
كنتم مؤمنين بالقرآن وكنتم ممن احلت لهم الغنائم لعوقبتم كما عوقب من تعدى
وقيل لولا انه سبق في اللوح المحفوظ انها حلال لكم لعوقبتم فهذا كله ينفي
الذنب والمعصية لان من فعل ما احل له لم يعص قال الله تعالى فكلوا
مما غنمتم حلالاً طيباً وقيل بل كان عليه السلام قد خير في ذلك وقد روي
عن علي رضي الله عنه قال جاء جبريل عليه السلام الى النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر
فقال خير اصحابك في الاسارى ان شاؤوا القتل وان شاؤوا الفداء على ان
يقتل منهم عام المقبل مثلهم فقالوا الفداء ويقتل منا وهذا دليل على صحة

ما قلناه

ما قلناه وانهم لم يفعلوا الا ما اذن لهم فيه ولكن بعضهم مال الى اضعف
الوجهين مما كان الاصلح غيره من الاثخان والقتل فعوتبوا على ذلك وبين
لهم ضعف اختيارهم وتصويب اختيار غيرهم وكلهم غير عصاة ولا مذنبين و
الى نحو هذا اشار الطبري وقوله عليه السلام في هذه القضية لو نزل من
السماء عذاب ما نجا منه الا عمر اشارة الى هذا من تصويب رأيه ورأي من اخذ
بمأخذه في اعزاز الدين واظهار كلمته وابادة عدوه وان هذه القضية لو
استوجبت عذاباً نجا منه عمر ومثله وعين عمر لانه اول من اشار بقتلهم ولكن
الله لم يقدر عليهم في ذلك عذاباً لحله لهم فيما سبق وقال الداودي والخبر بهذا
لا يثبت ولو ثبت لما جاز ان يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم حكم بما لا نص فيه ولا
دليل من نص ولا جعل الامر اليه فيه وقد نزهه الله عن ذلك قال القاضي رضي الله عنه
خرج هذا الخبر اهل الصحيح وقال القاضي بكر بن العلاء اخبر الله نبيه في هذه الآية
انه تاويله وافق ما كتبه له من احلال الغنائم والفداء وقد كان قبل هذا فادوا
في سرية عبد الله بن جحش التي قتل فيها ابن الحضرمي بالحكم بن كيسان وصاحبه فما
عتب الله ذلك عليهم وذلك قبل بدر بازيد من عام فهذا كله يدل على ان فعل
النبي صلى الله عليه وسلم في شأن الاسرى كان على تاويل وبصيرة وعلى ما تقدم قبل مثله
فلم ينكره الله عليهم لكن الله تعالى اراد لعظم امر بدر وكثرة اسراها والله اعلم
اظهار نعمته وتاكيد منته بتعريفهم ما كتبه في اللوح المحفوظ من حل ذلك
لهم لا على وجه عتاب وانكار وتذنيب هذا معنى كلامه واما قوله عبس وتولى الآيات
فليس فيه اثبات ذنب له عليه السلام بل اعلام الله انه ذلك المتصدى له ممن لا يتزكى

وان الصواب والاولى له كان لو كشف لك حال الرجلين لاقبل على الاعمى
وفعل النبي صلى الله عليه وسلم لما فعل وتصديه لذلك الكافر كان طاعة لله وتبليغا
عنه واستيلافا له كما شرعه الله له لا معصية ولا مخالفة له وما قصه
الله عليه من ذلك اعلام بحال الرجلين وتوهين امر الكافر عنده والاشارة
الى الاعراض عنه بقوله وما عليك الا يزكى وقيل اراد بعبس وتولى الكافر
الذى كان مع النبي صلى الله عليه وسلم قاله ابو تمام واما قصة آدم عليه السلام
وقوله تعالى فاكلا منها بعد قوله ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين وقوله
الم انهكما عن تلكما الشجرة وتصريحه تعالى بالمعصية بقوله وعصى آدم ربه
فغوى اى جهل وقيل اخطا فان الله تعالى قد اخبر بعذره بقوله ولقد عهدنا
الى آدم من قبل فنسى ولم نجد له عزما قال ابن زيد نسى عداوة ابليس له و
ما عهد الله اليه من ذلك بقوله ان هذا عدو لك ولزوجك الآية قيل نسى
ذلك بما اظهر لهما وقال ابن عباس انما سمى الانسان انسانا لانه عهد اليه فنسى
وقيل لم يقصد المخالفة استحلالا لها ولكنهما اغترا بحلف ابليس لهما انى
لكما لمن الناصحين وتوهما ان احدا لا يحلف بالله حانثا وقد روى عذر آدم
بمثل هذا فى بعض الآثار وقال ابن جبير حلف بالله لهما حتى غرهما والمؤمن يخدع
وقد قيل نسى ولم ينو المخالفة فلذلك قال ولم نجد له عزما اى قصدا للمخالفة
واكثر المفسرين على ان العزم هنا الحزم والصبر وقيل كان عند اكله سكرانا
وهذا فيه ضعف لان الله تعالى وصف خمر الجنة انها لا تسكر فاذا كان
ناسيا لم يكن معصية وكذلك ان كان ملتبسا عليه غالطا اذ الاتفاق

على خروج

على خروج الناسى والساهى عن حكم التكليف وقال الشيخ ابو بكر بن فورك وانه
يمكن ان يكون ذلك قبل النبوة ودليل ذلك قوله وعصى آدم ربه فغوى
ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى فذكر ان الاجتباء والهداية كانا
بعد العصيان وقيل بل اكلها متأولا وهو لا يعلم انها الشجرة التى نهى عنها
لانه تأول نهى الله عن شجرة مخصوصة لا على الجنس ولهذا قيل انما كانت التوبة من
ترك التحفظ لا من المخالفة وقيل تأول ان الله لم ينهه عنها نهى تحريم فان قيل فعلى
كل حال فقد قال الله تعالى فعصى آدم ربه فغوى وقال فتاب عليه وقوله فى
حديث الشفاعة ويذكر ذنبه وانى نهيت عن اكل الشجرة فعصيت فسياتى
الجواب عنه وعن اشباهه مجملا آخر الفصل ان شاء الله تعالى واما قصة يونس
فقد مضى الكلام على بعضها آنفا وليس فى قصة يونس نص على ذنب وانما فيه ابق
وذهب مغاضبا وقد تكلمنا عليه وقيل انما نقم الله عليه خروجه عن قومه
فارا من نزول العذاب وقيل انما وعدهم العذاب ثم عفا الله عنهم قال والله
لا القاهم بوجه كذاب ابدا وقيل بل كانوا يقتلون من كذب فخاف ذلك وقيل
ضعف عن حمل اعباء الرسالة وقد تقدم الكلام انه لم يكن يكذبهم وهذا كله
ليس فيه نص على معصية الا على قول مرغوب عنه وقوله اذ ابق الى الفلك
المشحون قال المفسرون تباعد واما قوله انى كنت من الظالمين فالظلم وضع
الشئ فى غير موضعه فهذا اعتراف منه عند بعضهم بذنبه فاما ان يكون لخروجه
عن قومه بغير اذن ربه او لضعفه عما حمله او لدعائه بالعذاب على قومه
وقد دعا نوح بهلاك قومه فلم يؤاخذ وقال الواسطى فى معناه نزه

ربه عن التظلم واضاف التظلم الى نفسه اعترافا واستحقاقا ومثل هذا
قول آدم وحوا ربنا ظلمنا انفسنا وان لم تغفر لنا اذ كان السبب في موضعها
غير المنزل الموضع الذى انزلا فيه واخراجهما من الجنة وانزالهما الى الارض
واما قصة داوود عليه السلام فلا يجب ان يلتفت الى ما سطره الاخباريون
عن اهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين ولم ينص الله
على شى من ذلك ولا ورد في حديث صحيح والذى نص الله عليه قوله وظن داود و
انما فتناه الى قوله وحسن مآب وقوله فيه اواب فمعنى فتناه اى اختبرناه
واواب قال قتادة مطيع وهذا التفسير اولى قال ابن عباس وابن مسعود
ما زاد داود على ان قال للرجل انزل لى عن امرأتك واكفلنيها فعاتبه الله
على ذلك ونبهه عليه وانكر عليه شغله بالدنيا وهذا الذى ينبغى ان
يقول عليه من امره وقد قيل خطبها على خطبته وقيل بل احب بقلبه ان يستشهد
وحكى السمرقندى ان ذنبه الذى استغفر منه قوله لاحد الخصمين لقد
ظلمك فظلمه بقول خصمه وقيل لما اخشى على نصيبه وظن به من الفتنة
بما بسط له من الملك والدنيا والى نفى ما اضيف فى الاخبار الى داود من ذلك
ذهب احمد بن نصر وابو تمام وغيرهما من المحققين قال الداودى ليس فى قصة داوود
واوريا خبر يثبت ولا يظن بنبى محبة قتل مسلم وقيل ان الخصمين الذين
اختصما اليه رجلان فى نتاج غنم على ظاهر الاية واما قصة يوسف واخوته
فليس على يوسف منها تعقيب واما اخوته فلم يثبت نبوتهم فيلزم الكلام على
افعالهم وذكر الاسباط وعدهم في القرآن عند ذكر الانبياء قال المفسرون

يريد من

يريد من بنى من ابناء الاسباط وقد قيل انهم كانوا حين فعلوا بيوسف ما فعلوه
صغار الاسنان ولهذا لم يميزوا يوسف حين اجتمعوا به ولهذا قالوا
ارسله معنا غدا يرتع ويلعب وان ثبتت لهم نبوة فبعد هذا والله اعلم و
اما قول الله تعالى فيه ولقد همت به وهم بها لولا ان راى برهان ربه فعلى مذهب
كثير من الفقهاء والمحدثين ان هم النفس لا يؤاخذ به وليست سيئة لقوله عليه
السلام عن ربه اذا هم عبدى بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة وان هم بسيئة
فلم يعملها كتبت له حسنة فلا معصية فى همه اذا واما مذهب المحققين من
الفقهاء والمتكلمين فان الهم اذا وطنت عليه النفس سيئة واما ما لم
توطن عليه النفس من همومها وخواطرها فهو المعفو عنه وهذا هو الحق فيكون
ان شاء الله هم يوسف من هذا ويكون قوله وما ابرئ نفسى الاية اى ما ابرئها
من هذا الهم او يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة النفس
لما زكى قبل وبرئ فكيف وقد حكى ابو حاتم عن ابى عبيدة ان يوسف لم يهم
وان الكلام فيه تقديم وتأخير ولقد همت به ولولا ان راى برهان ربه لهم بها
وقد قال الله تعالى عن المرأة ولقد راودته عن نفسه فاستعصم
وقال الله تعالى كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء وقال وغلقت الابواب وقالت
هيت لك قال معاذ الله انه ربى احسن مثواى الاية قيل فى تفسير ربى ان الله
وقيل الملك وقيل هم بها اى بزجرها ووعظها وقيل همّ بها اى غمها امتناعه عنها و
قيل هم بها نظر اليها وقيل هم بضربها ودفعها وقيل هذا كله كان قبل نبوته وذكر
بعضهم ما زال النساء يملن الى يوسف ميل شهوة حتى نباه الله فالقى عليه

هيبة النبوة فشغلت هيبته كل من رآه عن حسنه واما خبر موسى مع قتيل
الذي وكزه فقد نص الله تعالى انه من عدوه قال وكان من القبط الذي على دين
فرعون ودليل السورة في هذا كله انه قبل نبوته وقال قتادة وكزه بالعصا ولم
يتعمد قتله فعلى هذا لا معصية في ذلك وقوله هذا من عمل الشيطان وقوله ظلمت
نفسي فاغفر لي قال ابن جريج قال ذلك من اجل انه لا ينبغي لنبي ان يقتل حتى يؤمر
قال النقاش لم يقتله عن عمد مريدا للقتل وانما وكزه يريد بها دفع ظلمه قال وقد
قيل ان هذا كان قبل النبوة وهو مقتضى التلاوة وقوله تعالى في قصته وفتناك
فتونا اي ابتليناك ابتلاء بعد ابتلاء قيل في هذه القصة وما جرى له
مع فرعون وقيل القاؤه في التابوت واليم وغير ذلك وقيل معناه اخلصناك
اخلاصا قاله ابن جبير ومجاهد من قولهم فتنت الفضة في النار اذا
خلصتها واصل الفتنة معنى الاختبار واظهار ما بطن الا انه استعمل في
عرف الشرع في اختبار ادى الى ما يكره وكذلك ما روي في الخبر الصحيح
من ان ملك الموت جاءه فلطم عينه ففقأها الحديث ليس فيه ما يحكم على موسى
عليه السلام بالتعدي وفعل ما لا يجب له اذ هو ظاهر الامر بين الوجه جائز
الفعل لان موسى دافع عن نفسه من اتاه لاتلافها وقد تصور له في صورة
آدمي ولا يمكن انه علم حينئذ انه ملك الموت فدافعه عن نفسه مدافعة
ادت الى ذهاب عين تلك الصورة التي تصور له فيها الملك امتحانا من الله
فلما جاءه بعد واعلمه الله انه رسوله استسلم وللمتقدمين والمتأخرين
عن هذا الحديث اجوبة هذا اسدها عندي وهو تاويل شيخنا الامام ابي

عبدالله

عبدالله المازري وقد تاوله قديما ابن عائشة وغيره على صكه ولطمه
بالحجة وفقء عين حجته وهو كلام مستعمل في هذا الباب في اللغة معروف
واما قصة سليمان وما حكى فيها اهل التفسير من ذنبه وقوله ولقد فتنا
سليمان فمعناه ابتليناه وابتلاؤه ما حكي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
لاطوفن الليلة على مائة امرأة وقال تسع وتسعين كلهن يأتين بفارس يجاهد
في سبيل الله فقال له صاحبه يعني الملك قل ان شاء الله يجاهدوا في سبيل
الله فلم يقل فلم تحمل منهن الا امرأة واحدة فجاءت بشق رجل قال النبي صلى
الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لو قال ان شاء الله لجاهدوا في سبيل الله قال
اصحاب المعاني والشق هو الجسد الذي القي على كرسيه حين عرض عليه وهي عقوبته
ومحنته وقيل بل مات فالقي على كرسيه ميتا وقيل ذنبه حرصه على ذلك وتمنيه و
قيل لانه لم يستثن لما استغرقه من الحرص وغلب عليه من التمني وقيل عقوبته
ان سلب ملكه وذنبه ان احب بقلبه ان يكون الحق لاختانه على خصمائهم
وقيل اخذ بذنب قارفه بعض نسائه ولا يصح ما نقله الاخباريون من تشبه
الشيطان به وتسلطه على ملكه وتصرفه في امته بالجور في حكمه لان الشياطين
لا يسلطون على مثل هذا وقد عصم الانبياء من مثله وان سئل لم لم يقل سليمان
في القصة المذكورة ان شاء الله فعنه اجوبة احدها ما روي في الحديث
الصحيح انه نسي ان يقولها وذلك لينفذ مراد الله تعالى والثاني انه لم يسمع
صاحبه وشغل عنه وقوله هب لي ملكا لا ينبغي لاحد من بعدي لم يفعل هذا
سليمان غيرة على الدنيا ولا نفاسة بها ولكن مقصده في ذلك على ما ذكره

المقصود ان لا يسلط عليه احد كما سلط عليه الشيطان الذي سلبه
اياه مدة امتحانه على قول من قال ذلك وقيل بل اراد ان يكون له من الله
فضيلة وخاصة يختص بها كاختصاص غيره من انبياء الله ورسله بخواص
منه وقيل ليكون ذلك دليلا وحجة على نبوته كالانة الحديد لابيه واحياء
الموتى لعيسى واختصاص محمد صلى الله عليه وسلم بالشفاعة ونحو هذا واما قصة
نوح عليه السلام فظاهرة العذر وانه اخذ فيها بالتاويل وظاهر اللفظ لقوله
تعالى انا منجوك واهلك وطلب مقتضى هذا اللفظ واراد علم ما طوي عنه
من ذلك لا انه شك في وعد الله فبين الله له انه ليس من اهله الذين
وعدهم بنجاتهم لكفره وعمله الذي هو غير صالح وقد اعلمه انه مغرقهم للذين
ظلموا ونهاه عن مخاطبته فيهم فاوخذ بهذا التاويل وعتب عليه واشفق هو
من اقدامه على ربه لسؤاله ما لم يوذن له في السؤال فيه وكان نوح فيما حكاه
النقاش لا يعلم بكفر ابنه وقيل في الاية غير هذا وكل هذا لا يقضي على نوح
بمعصية سوى ما ذكرناه من تاويله واقدامه بالسؤال فيما لم يؤذن له فيه
ولا نهي عنه وما روي في الصحيح ان نبيا قرصته نملة فحرق قرية النمل فاوحى
الله اليه ان قرصتك نملة احرقت امة من الامم تسبح فليس في هذا الحديث ان هذا
الذي اتى معصية بل فعل ما راه مصلحة وصوابا بقتل من يوذي جنسه
ويمنع المنفعة بما اباح الله الا ترى ان هذا النبي كان نازلا تحت
الشجرة فلما اذته النملة تحول برحله عنها مخافة تكرار الاذى عليه
وليس فيما اوحى الله اليه ما يوجب معصية بل ندبه الى احتمال الصبر

وترك التشفي

وترك التشفي كما قال تعالى ولئن صبرتم لهو خير للصابرين اذ ظاهر فعله انما
كان لاجل انها اذته هو في خاصته فكان انتقاما لنفسه وقطع مضرة يتوقعها
من بقية النمل هناك ولم يات في كل هذا امر نهي عنه فيعصي به ولا نص فيما اوحى
الله اليه بذلك ولا بالتوبة والاستغفار منه والله اعلم فان قيل فما
معنى قوله عليه السلام ما من احد الا الم بذنب او كاد الا يحيى بن زكريا او كما قال
عليه السلام فالجواب عنه كما تقدم في ذنوب الانبياء التي وقعت من غير قصد
وعن سهو وغفلة والله اعلم فصل فان قلت فاذا نفيت عنهم صلوات
الله عليهم الذنوب والمعاصي بما ذكرته من اختلاف المفسرين وتاويل المحققين
فما معنى قوله تعالى وعصى ادم ربه فغوى وما تكرر في القران والحديث الصحيح
من اعتراف الانبياء بذنوبهم وتوبتهم واستغفارهم وبكائهم على ما سلف
منهم واشفاقهم وهل يشفق ويتاب ويستغفر من لا شيء فاعلم وفقنا الله
واياك ان درجة الانبياء في الرفعة والعلو والمعرفة بالله وسنته في
عباده وعظيم سلطانه وقوة بطشه مما يحملهم على الخوف منه جل جلاله
والاشفاق من المواخذة بما لا يواخذ به غيرهم وانهم في تصرفهم
بامور لم ينهوا عنها ولا امروا بها ثم اخذوا عليها وعوتبوا بسببها او حذروا من
المواخذة بها واتوها على وجه التاويل او السهو او تزيد من امور الدنيا
المباحة خائفون وجلون وهي ذنوب بالاضافة الى علو منصبهم ومعاصي
بالنسبة الى كمال طاعتهم لا انها كذنوب غيرهم ومعاصيهم فان الذنب ماخوذ
من الشيء الدني الرذل ومنه ذنب كل شيء اي اخره واذناب الناس رذالهم

كان هذه ادنى افعالهم واسوى ما يجرى من احوالهم لتطهيرهم وتنزيههم وعمارة بواطنهم وظواهرهم بالعمل الصالح والكلم الطيب والذكر الظاهر والخفى والخشية لله واعظامه فى السر والعلانية وغيرهم يتلوثون من الكبائر والقبائح و الفواحش ما تكون بالاضافة الى هذه الهيئات فى حقه كالحسنات كما قيل حسنات الابرار سيئات المقربين اى يرونها بالاضافة الى علو احوالهم كالسيئات و كذلك العصيان الترك والمخالفة فعلى مقتضى اللفظ كيف ما كان من سهو او تاويل فهى مخالفة وترك وقوله غوى اى جهل ان تلك الشجرة هى التى نهى عنها والغى الجهل وقيل اخطأ ما طلب من الخلود اذ اكلها وخابت امنيته وهذا يوسف عليه السلام قد اخذ بقوله لاحد صاحبى السجن اذكرنى عند ربك فانسيه الشيطان ذكر ربه فلبث فى السجن بضع سنين قيل انسى يوسف ذكر ربه وقيل انسى صاحبه ان يذكره سيده الملك قال النبى صلى الله عليه وسلم لولا كلمة يوسف ما لبث فى السجن ما لبث قال ابن دينار لما قال ذلك يوسف قيل له اتخذت من دونى وكيلا لاطيلن حبسك فقال يا رب انسى قلبى كثرة البلوى وقال بعضهم يؤاخذ الانبياء بمثاقيل الذر لمكانتهم عنده ويجاوز عن سائر الخلق لقلة مبالاته بهم فى اضعاف ما اتوا به من سوء الادب وقد قال المحتج للفرقة الاولى على سياق ما قلناه اذا كان الانبياء يؤاخذون بهذا مما لا يؤاخذ به غيرهم من السهو والنسيان وما ذكرته وحالهم ارفع فحالهم اذا فى هذا اسوء حالا من غيرهم فاعلم اكرمك الله انا لا نثبت لك المؤاخذة فى هذا على حد مؤاخذة غيرهم بل نقول انهم يؤاخذون بذلك فى الدنيا ليكون ذلك زيادة فى درجاتهم ويبتلون بذلك

ليكون

ليكون استشعارهم له سببا لمنماة رتبتهم كما قال تعالى ثم اجتباه ربه فهدى وقال لداود فغفرنا له ذلك الاية وقال بعد قول موسى تبت اليك انى اصطفيتك على الناس وقال بعد ذكر فتنة سليمان وانابته فسخرنا له الريح الى قوله وحسن مآب وقال بعض المتكلمين زلات الانبياء فى الظاهر زلات وفى الحقيقة كرامات وزلف واشار الى نحو مما قدمناه وايضا فلينبه غيرهم من البشر منهم او ممن ليس فى درجتهم بمؤاخذتهم بذلك فيستشعروا الحذر و يعتقدوا المحاسبة ليلتزموا الشكر على النعم ويعدوا الصبر على المحن بملاحظة ما وقع باهل هذا النصاب الرفيع المعصوم فكيف بمن سواهم ولهذا قال صالح المرى ذكر داود بسطة للتوابين قال ابن عطاء لم يكن ما نص الله من قصة صاحب الحوت نقصا له ولكن استزادة من نبينا عليه السلام و ايضا فيقال لهم فانكم ومن وافقكم تقولون بغفران الصغائر باجتناب الكبائر ولا خلاف فى عصمة الانبياء من الكبائر فما جوزتم من وقوع الصغائر عليهم هى مغفورة على هذا فما معنى المؤاخذة بها اذا عندكم وخوف الانبياء و توبتهم منها وهى مغفورة لو كانت فما اجابوا به فهو جوابنا على المؤاخذة بافعال السهو والتاويل وقد قيل ان كثرة استغفار النبى صلى الله عليه وسلم وتوبته وغيره من الانبياء على وجه ملازمة الخضوع والعبودية والاعتراف بالتقصير شكرا لله على نعمه كما قال عليه السلام وقد امن من المؤاخذة بما تقدم وتأخر افلا اكون عبدا شكورا وقال انى لاخشاكم لله واعلمكم بما اتقى قال الحرث بن اسد خوف الملائكة والانبياء خوف اعظام وتعبد لله لانهم امنون

وقيل فعلوا ذلك ليقتدي بهم ويستن بهم اممهم كما قال عليه السلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وايضا فان في التوبة والاستغفار
معنى آخر لطيفا اشار اليه بعض العلماء وهو استدعاء محبة الله قال
الله تعالى ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين فاحداث الرسل والانبياء
الاستغفار والتوبة والانابة في كل حين استدعاء لمحبة الله و
الاستغفار فيه معنى التوبة وقد قال الله تعالى لنبيه بعد ان غفر له ما تقدم
وما تأخر من ذنبه لقد تاب الله على النبي والمهاجرين والانصار الآية وقال
الله تعالى فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا فصل قد استبان
ايها الناظر بما قررناه ما هو الحق من عصمته عليه السلام عن الجهل بالله
وصفاته او كونه على حالة تنافي العلم بشيء من ذلك كله جملة بعد النبوة
عقلا واجماعا سمعا وعقلا و[illegible] نقلا ولا بشيء مما قرره من امور الشرع
واداه عن ربه من الوحي قطعا عقلا وشرعا وعصمته من الكذب وخلف
القول منذ نبأه الله وارسله قصدا او غير قصد واستحالة ذلك
عليه شرعا واجماعا ونظرا وبرهانا وتنزيهه عنه قبل النبوة قطعا عن
الكبائر اجماعا وعن الصغائر تحقيقا وعن استدامة السهو والغفلة
واستمرار الغلط والنسيان عليه فيما شرعه للامة وعصمته في كل حالاته
من رضى وغضب وجد ومزح فيجب لك ان تتلقاه باليمين وتشد عليه يد
الضنين وتقدر هذه الفصول حق قدرها وتعلم عظيم فائدتها وخطرها
فان من يجهل ما يجب للنبي ويجوز او يستحيل عليه ولا يعرف صور احكامه لا يأمن

الا يعتقد

ان يعتقد في بعضها خلاف ما هي عليه ولا ينزهه عما لا يجب ان يضاف اليه فيهلك
من حيث لا يدري ويسقط في هوة الدرك الاسفل من النار اذ ظن الباطل
به واعتقاد ما لا يجوز عليه يحل بصاحبه دار البوار ولهذا ما احتاط
عليه السلام على الرجلين اللذين رأياه ليلا وهو معتكف في المسجد مع
صفية فقال لهما انها صفية ثم قال لهما ان الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم
واني خشيت ان يقذف في قلوبكما شيئا فتهلكا هذه اكرمك الله احدى
فوائد ما تكلمنا عليه في هذه الفصول ولعل جاهلا لا يعلم بجهله اذا
سمع شيئا من هذا يرى ان الكلام فيها جملة من فضول العلم وان السكوت اولى
وقد استبان لك انه متعين للفائدة التي ذكرناها وفائدة ثانية
يضطر اليها في اصول الفقه وتنبني عليها مسائل لا تتعدد من الفقه ويتخلص
بها من تشعيب مختلفي الفقهاء في عدة منها وهي الحكم في اقوال النبي صلى الله عليه وسلم
وافعاله وهو باب عظيم واصل كبير من اصول الفقه ولا بد من بنائه على صدق النبي
صلى الله عليه وسلم في اخباره وبلاغه وانه لا يجوز عليه السهو فيه وعصمته من
المخالفة في افعاله عمدا وبحسب اختلافهم في وقوع الصغائر وقع خلاف
في امتثال الفعل بسط بيانه في كتب ذلك العلم فلا نطول به وفائدة ثالثة يحتاج
الحاكم والمفتي فيمن اضاف الى النبي صلى الله عليه وسلم شيئا من هذه الامور ووصفه
بها فمن لم يعرف ما يجوز وما يمتنع عليه وما وقع الاجماع فيه والخلاف كيف يصمم
في الفتيا في ذلك ومن اين يدري هل ما قاله فيه نقص او مدح فاما ان يجترئ
على سفك دم مسلم حرام او يسقط حقا ويضيع حرمة للنبي عليه السلام وبسبيل هذا

هذا ما قد اختلف ارباب الاصول وائمة العلماء والمحققين في عصمة الملائكة

فصل في القول في عصمة الملائكة اجمع المسلمون ان الملائكة مؤمنون فضلاء واتفق ائمة المسلمين ان حكم المرسلين منهم حكم النبيين سواء في العصمة مما ذكرنا عصمتهم منه وانهم في حقوق الانبياء والتبليغ اليهم كالانبياء مع الامم واختلفوا في غير المرسلين منهم فذهبت طائفة الى عصمة جميعهم عن المعاصي واحتجوا بقوله تعالى لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ وبقوله وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ وبقوله وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ وقوله كِرَامٍ بَرَرَةٍ وَلَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ ونحوه من السمعيات وذهب طائفة الى ان هذا خصوص المرسلين منهم والمقربين واحتجوا باشياء ذكرها اهل الاخبار والتفاسير نحن نذكرها ان شاء الله بعد ونبين الوجه فيها ان شاء الله تعالى والصواب عصمة جميعهم وتنزيه نصابهم الرفيع عن جميع ما يحط من رتبتهم ومنزلتهم عن جليل مقدارهم ورأيت بعض شيوخنا اشار الى ان لا حاجة بالفقيه الى الكلام في عصمتهم وانا اقول ان للكلام في ذلك ما للكلام في عصمة الانبياء من الفوائد التي ذكرناها سوى فائدة الكلام في الاقوال والافعال فهي ساقطة ههنا فمما احتج به من لم يوجب عصمة جميعهم قصة هاروت وماروت وما ذكر فيها اهل الاخبار ونقلة المفسرين وما روي عن علي وابن عباس في خبرهما وابتلائهما فاعلم اكرمك الله ان هذه الاخبار لم يرو منها شيء لا سقيم ولا صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو

جنبي

جنبي

يؤخذ بقياس والذي منه في القرآن اختلف المفسرون في معناه وانكر ما قال بعضهم فيه كثير من السلف كما سنذكره وهذه الاخبار من كتب اليهود وافترائهم كما نصه الله اول الآيات من افترائهم بذلك على سليمان وتكفيرهم اياه وقد انطوت القصة على شنع عظيمة وها نحن نخبر في ذلك ما يكشف غطاء هذه الاشكالات ان شاء الله تعالى فاختلف اولا في هاروت وماروت هل هما ملكان او انسيان وهل هما المراد بالملكين ام لا وهل القراءة ملكين او ملكين وهل ما في قوله وما انزل وما يعلمان من احد نافية او موجبة فاكثر المفسرين ان الله امتحن الناس بالملكين لتعليم السحر وتبيينه وان عمله كفر ومن تركه امن قال الله تعالى انما نحن فتنة فلا تكفر وتعليمهما الناس له تعليم انذار اي لا يقولان لمن جاء يطلب تعلمه لا تفعلوا كذا فانه يفرق بين المرء وزوجه ولا تتخيلوا بكذا فانه سحر فلا تكفر وانما هذا فعل الملكين طاعة وتصرفهما فيما امرا به ليس بمعصية وهي لغيرهما فتنة وروى ابن وهب عن خالد بن ابي عمران انه ذكر عنده هاروت وماروت وانهما يعلمان السحر فقال نحن ننزههما عن هذا فقرأ بعضهم وَمَا أُنْزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ فقال خالد لم ينزل عليهما فهذا خالد مع جلالته وعلمه نزههما عن تعليم السحر الذي قد ذكر غيره انهما مأذون لهما في تعليمه بشريطة ان يبينا انه كفر وامتحان من الله وابتلاء فكيف لا ينزههما عن الكبائر والمعاصي والكفر المذكورة في تلك الاخبار وقول خالد لم ينزل يريد ان ما نافية وهو قول ابن عباس قال مكي وتقدير الكلام وما كفر سليمان يريد بالسحر الذي افتعلته عليه الشياطين واتبعتهم في ذلك اليهود

وما انزل على الملكين وقال مكي هما جبرئل وميكائل ادعا اليهود عليهما
المجئ به كما ادعوا على سليمان فاكذبهم الله في ذلك ولكن الشياطين
كفروا يعلمون الناس السحر ببابل هاروت وماروت قيل هما رجلان تعلماه
قال الحسن هاروت وماروت علجان من اهل بابل وقرأ وما انزل على الملكين
بكسر اللام ويكون ما ايجابا على هذا وكذلك قرأ عبد الرحمن بن ابزى بكسر
اللام ولكنه قال الملكان هنا داود وسليمان ويكون ما نفيا على ما تقدم
وقيل كانا ملكين من بني اسرائل فمسخهما الله حكاه السمرقندي والقراءة بكسر
اللام شاذة فحمل الآية على تقدير ما حكى مكي احسن تنزه الملائكة ويذهب الرجس
عنهم ويطهرهم تطهيرا وقد وصفهم الله بانهم مطهرون وكرام بررة ولا يعصون
الله ما امرهم ومما يذكرونه من قصة ابليس وانه كان من الملائكة ورئيسا فيهم
ومن خزان الجنة الى اخر ما حكوه وانه استثناه من الملائكة بقوله فسجدوا
الا ابليس وهذا ايضا لم يتفق عليه بل الاكثر ينفون ذلك وانه ابو الجن كما آدم ابو الانس
وهو قول الحسن وقتادة وابن زيد وقال شهر بن حوشب كان من الجن الذين طردتهم
الملائكة في الارض حين افسدوا والاستثناء من غير الجنس شايع في كلام العرب سائغ
وقد قال الله تعالى ما لهم به من علم الا اتباع الظن ومما رووه من الاخبار ان خلقا
من الملائكة عصوا الله فحرقوا وامروا ان تسجد لآدم فابوا فحرقوا ثم آخرون
كذلك حتى سجد له من ذكر الله الا ابليس في اخبار لا اصل لها تردها صحاح الاخبار
فلا نشتغل بها

الباب الثاني

فيما يخصهم من الامور الدنيوية ويطرأ عليهم من العوارض البشرية وقد قدمناه

انه عليه السلام

انه عليه السلام وسائر الانبياء والرسل من البشر وان جسمه وظاهره خالص
للبشر يجوز عليه من الآفات والتغيرات والآلام والاسقام وتجرع كاس الحمام ما يجوز
على البشر وهذا كله ليس بنقيصة فيه لان الشيء انما يسمى ناقصا بالاضافة الى
ما هو اتم منه واكمل من نوعه وقد كتب الله على اهل هذه الدار فيها تحيون وفيها
تموتون ومنها تخرجون وخلق جميع البشر بمدرجة الغير فقد مرض عليه السلام
واشتكى واصابه الحر والقر وادركه الجوع والعطش ولحقه الغضب
والضجر وناله الاعياء والتعب ومسه الضعف والكبر وسقط فجحش
شقه وشجه الكفار وكسروا رباعيته وسقي السم وسحر وتداوى واحتجم وتنشر
وتعوذ ثم قضى نحبه فتوفي صلى الله عليه وسلم ولحق بالرفيق الاعلى وتخلص من دار
الامتحان والبلوى وهذه سمات البشر التي لا محيص عنها واصاب غيره من الانبياء ما هو اعظم
منه فقتلوا قتلا ورموا في النار ونشروا بالمناشير ومنهم من وقاه الله ذلك
في بعض الاوقات ومنهم من عصمه الله كما عصم بعد نبينا من الناس فلئن لم
يكف نبينا ربه يد ابن قميئة يوم احد ولا حجبه عن عيون عداه عند دعوته اهل
الطائف فلقد اخذ على عيون قريش عند خروجه الى ثور وامسك عنه سيف
غورث وحجر ابي جهل وفرس سراقة ولئن لم يقه من سحر ابن الاعصم فلقد وقاه
ما هو اعظم من سم اليهودية وهكذا سائر انبيائه مبتلى ومعافى
وذلك من تمام حكمته ليظهر شرفهم في هذه المقامات ويبين امرهم ويتم كلمته فيهم
وليحقق بامتحانهم بشريتهم ويرتفع الالتباس عن اهل الضعف فيهم لئلا
يضلوا بما يظهر من العجائب على ايديهم ضلال النصارى بعيسى وليكون في محنهم

تسلية لاممهم ووفور لاجورهم عند ربهم تماما على الذى احسن اليهم قال
بعض المحققين وهذه الطوارى والتغيرات المذكورة انما يختص باجسامهم
البشرية المقصود بها مقاومة البشر ومعاناة بنى آدم لمشاكلة الجنس
واما بواطنهم فمنزهة غالبا عن ذلك معصومة منه متعلقة بالملأ الاعلى
والملائكة لاخذها عنهم وتلقيها الوحى منهم وقد قال عليه السلام
ان عينى تنامان ولا ينام قلبى وقال انى لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى
ربى ويسقينى وقال لست انسى ولكن انسى ليستن بى فاخبر ان سره و
باطنه وروحه بخلاف جسمه وظاهره وان الآفات التى تحل ظاهره من ضعف
وجوع وسهر ونوم لا يحل منها شئ باطنه بخلاف غيره من البشر فى حكم الباطن
لان غيره اذا نام استغرق النوم جسمه وقلبه وهو عليه السلام فى نومه
حاضر القلب كما هو فى يقظته حتى قد جاء فى بعض الآثار انه كان محروسا من الحدث
فى نومه لكون قلبه يقظان كما ذكرناه وكذلك غيره اذا جاع ضعف لذلك
جسمه وخارت قوته فبطلت بالكلية جملة وهو عليه السلام قد اخبر انه
لا يعتريه ذلك وانه بخلافهم لقوله لست كهيئتكم انى ابيت يطعمنى ربى
ويسقينى وكذلك اقول انه فى هذه الاحوال كلها من وصب وسحر وغضب
لم يجر على باطنه ما يخل به ولا فاض منه على لسانه وجوارحه ما لا يليق به
كما يعترى غيره من البشر مما نأخذ بعد فى بيانه فصل فان قلت فقد جاءت
الاخبار الصحيحة انه عليه السلام سحر كما حدثنا الشيخ ابو محمد العتابى
بقراءتى عليه ثنا حاتم بن محمد ثنا ابو الحسن على بن خلف ثنا محمد بن احمد

ثنا محمد

ثنا محمد بن يوسف ثنا البخارى ثنا عبيد بن اسمعيل ثنا ابو اسامة عن
هشام بن عروة عن ابيه عن عائشة قالت سحر رسول الله صلى الله عليه
وسلم حتى انه ليخيل اليه انه فعل الشئ وما فعله وفى رواية اخرى حتى كان يخيل
اليه انه كان ياتى النساء ولا ياتيهن الحديث واذا كان هذا من التباس
الامر على المسحور فكيف حال النبى صلى الله عليه وسلم فى ذلك وكيف جاز عليه وهو معصوم
فاعلم وفقنا الله واياك ان هذا الحديث صحيح متفق عليه وقد طعنت فيه الملحدة
وتذرعت به لسخف عقولها وتلبيسها على امثالها الى التشكيك فى الشرع و
قد نزه الله الشرع والنبى عما يدخل فى امره لبسا وانما السحر مرض من الامراض و
عارض من العلل يجوز عليه كانواع الامراض مما لا ينكر ولا يقدح فى نبوته صلى الله
عليه وسلم واما ورد انه كان يخيل اليه انه فعل الشئ ولا يفعله فليس فى هذا ما يدخل
عليه داخلة فى شئ من تبليغه او شريعته او يقدح فى صدقه لقيام الدليل
والاجماع على عصمته من هذا وانما هذا فيما يجوز طروه عليه فى امر دنياه التى لم
يبعث بسببها ولا فضل من اجلها وهو فيها عرضة للآفات كسائر البشر فغير بعيد
ان يخيل اليه من امورها ما لا حقيقة له ثم تنجلى عنه كما كان وايضا فقد فسر هذا
الفصل الحديث الآخر من قوله حتى يخيل اليه انه ياتى اهله ولا ياتيهن وقد قال سفين
وهذا اشد ما يكون من السحر ولم يات فى خبر منها انه نقل عنه فى ذلك قول بخلاف ما
كان اخبر انه فعله ولم يفعله وانما كانت خواطر وتخيلات وقد قيل ان المراد بالحديث انه
كان يتخيل الشئ انه فعله وما فعله لكنه تخييل لا يعتقد صحته فيكون
اعتقاداته كلها على السداد واقواله على الصحة هذا ما وقفت عليه لائمتنا

من الاجوبة عن هذا الحديث مما اوضحناه من معنى كلامهم وزدناه بيانا من تلويحاتهم
وكل وجه منها مقنع لكنه قد ظهر لي في هذا الحديث وضحاه من معنى مطاعن ذوي
الاضاليل يستفاد من نفس الحديث وهو ان عبد الرزاق قد روى هذا الحديث
عن ابن المسيب وعروة بن الزبير وقالا فيه عنهما سحر يهود بني زريق رسول الله
صلى الله عليه وسلم فجعلوه في بئر حتى كاد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان ينكر بصره
ثم دله الله على ما صنعوا فاستخرجه من البئر وروى نحوه الواقدي عن
عبد الرحمن بن كعب وعمر بن الحكم وذكر عن عطاء الخراساني عن يحيى بن يعمر حبس
رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عائشة سنة فبينا هو نائم اتاه ملكان فقعد
احدهما عند رأسه والآخر عند رجليه الحديث قال عبد الرزاق حبس رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن عائشة خاصة سنة حتى انكر بصره وروى محمد بن سعد عن
ابن عباس مرض النبي صلى الله عليه وسلم وحبس عن النساء والطعام والشراب فهبط
عليه ملكان وذكر القصة فقد استبان لك من مضمون هذه الروايات ان السحر
انما تسلط على ظاهره وجوارحه لا على قلبه واعتقاده وعقله وانه انما
اثر في بصره وحبسه عن وطء نسائه ومتقدم عاداته القدرة على النساء
فاذا دنا منهن اصابته اخذة السحر فلم يقدر على اتيانهن كما يعتري من اخذ
واعترض ولعله لمثل هذا اشار سفيان بقوله هذا اشد ما يكون من السحر
ويكون قول عائشة في الرواية الاخرى انه ليخيل اليه انه فعل الشيء وما فعله
من باب ما اختل من بصره كما ذكر في الحديث فيظن انه رأى شخصا من بعض
ازواجه او شاهد فعلا من غيره ولم يكن على ما يخيل اليه لما اصابه في بصره

وضعف

وضعف نظره لا لشيء طرأ عليه في اعتقاد ميزه واذا كان هذا لم يكن فيما ذكر
من اصابة السحر له وتاثيره فيه ما يدخل لبسا ولا يجد به الملحد المعترض انسا

فصل هذه حاله في جسمه فاما احواله في امور الدنيا فنحن نسبرها على
اسلوبها المتقدم بالعقد والقول والفعل اما العقد منها فقد يعتقد
في امور الدنيا الشيء على وجه ويظهر خلافه او يكون منه على شك او ظن
بخلاف امور الشرع حدثنا ابو بحر سفيان بن العاص وغير واحد سماعا وقراءة
قالوا ثنا ابو العباس احمد بن عمر ثنا ابو العباس الرازي ثنا ابو احمد بن عمرويه
ثنا ابن سفيان ثنا مسلم ثنا عبد الله بن الرومي وعباس العنبري واحمد
المعقري قالوا ثنا النضر بن محمد قال حدثني عكرمة ثنا ابو النجاشي ثنا
رافع بن خديج قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة وهم يابرون
النخل فقال ما تصنعون قالوا كنا نصنعه قال لعلكم لو لم تفعلوا كان خيرا
فتركوه فنقصت فذكروا ذلك له فقال انما انا بشر اذا امرتكم بشيء
من دينكم فخذوا به واذا امرتكم بشيء من رأيي فانما انا بشر وفي رواية
انس انتم اعلم بامر دنياكم وفي حديث ابن عباس في قصة الخرص فقال رسول الله
انما انا بشر فما حدثتكم عن الله فهو حق وما قلت فيه من قبل نفسي فانما انا
بشر اخطئ واصيب وهذا على ما قررناه فيما قاله من قبل نفسه في امور الدنيا
وظنه من احوالها لا ما قاله من قبل نفسه واجتهاده في شرع شرعه وسنة سنها
وكما حكى ابن اسحق انه عليه السلام لما نزل بادنى مياه بدر قال له الحباب بن المنذر
اهذا منزل انزلكه الله ليس لنا ان نتقدمه ام هو الرأي والحرب والمكيدة

قال فانه ليس بمنزل انهض حتى تأتى ادنا ماء من القوم فننزله ثم نغور ما وراءه
من القلب فنشرب ولا يشربون فقال اشرت بالرأى وفعل ما قاله وقد قال له الله
وشاورهم فى الامر واراد مصالحة بعض عدوه على ثلث تمر المدينة فاستشار
الانصار فلما اخبروه برأيهم رجع عنه فمثل هذا واشباهه من امور الدنيا التى
لا مدخل فيها لعلم ديانة ولا اعتقادها ولا تعليمها يجوز عليه فيها ما ذكرناه اذ
ليس فى هذا كله نقيصة ولا محطة وانما هى امور اعتيادية يعرفها من جربها
وجعلها همه وشغل نفسه بها والنبى صلى الله عليه وسلم مشحون القلب بمعرفة الربوبية
ملآن الجوانح بعلوم الشريعة مقيد البال بمصالح الامة الدينية والدنيوية
ولكن هذا انما يكون فى بعض الامور ويجوز فى النادر وفيما سبيله التدقيق
فى حراسة الدنيا واستثمارها لا فى الكثير المؤذن بالبله والغفلة وقد تواتر
بالنقل عنه عليه السلام من المعرفة بامور الدنيا ودقائق مصالحها وسياسة
فرق اهلها ما هو معجز فى البشر مما قد نبهنا عليه فى باب معجزاته من هذا الكتاب فصل
واما ما يعتقد فى امور احكام البشر الجارية على يديه وقضاياهم ومعرفة المحق من المبطل
وعلم المصلح من المفسد فبهذه السبيل لقوله السلام انما انا بشر وانكم
تختصمون الى ولعل بعضكم ان يكون الحن بحجته من بعض فاقضى له على
نحو ما اسمع منه فمن قضيت له من حق اخيه بشىء فلا يأخذ منه شيئا فانما
اقطع له قطعة من النار حدثنا الفقيه ابو الوليد رحمه الله ثنا الحسين
بن محمد الحافظ ثنا ابو عمر ثنا ابو محمد ثنا ابو بكر ثنا ابو داود ثنا محمد بن
كثير اخبرنا سفيان عن هشام بن عروة عن ابيه عن زينب بنت ام سلمة عن

عن ام سلمة

عن ام سلمة قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث وفى رواية الزهرى
عن عروة فلعل بعضكم ان يكون ابلغ من بعض فاحسب انه صادق فاقضى له
وتجرى احكامه عليه السلام على الظاهر وموجب غلبات الظن بشهادة الشاهد
ويمين الحالف ومراعاة الاشبه ومعرفة العفاص والوكاء مع مقتضى حكمة
الله فى ذلك فانه تعالى لو شاء لاطلعه على سرائر عباده ومخبآت ضمائر امته
فتولى الحكم بينهم بمجرد يقينه وعلمه دون حاجة الى اعتراف وبينة او يمين
او شبهة ولكن لما امر الله امته باتباعه والاقتداء به فى افعاله واقواله و
قضاياه وسيره وكان هذا لو كان مما يختص بعلمه ويؤثره الله به لم يكن للامة
سبيل الى الاقتداء به فى شىء من ذلك ولا قامت حجة بقضية من قضاياه
لاحد فى شريعته لانا لا نعلم ما اطلع عليه هو فى تلك القضية لحكمه هو اذا
فى ذلك بالمكنون من اعلام الله له بما اطلع عليه من سرائرهم وهذا مما لا تعلمه
الامة فاجرى الله احكامه على ظواهرهم التى يستوى فى ذلك هو وغيره من البشر
ليتم اقتداء امته به فى تعيين قضاياه وتنزيل احكامه ويأتون ما اتوا من ذلك
على علم ويقين من سنته اذ البيان بالفعل اوقع منه بالقول وارفع لاحتمال
اللفظ وتأويل المتأول وكان حكمه على الظاهر اجلى فى البيان واوضح فى وجوه الاحكام
واكثر فائدة لموجبات التشاجر والخصام وليقتدى بذلك كله حكام امته
ويستوثق بما يؤثر عنه وينضبط قانون شريعته وطى ذلك عنه من علم الغيب
الذى استأثر به عالم الغيب فلا يظهر على غيبه احدا الا من ارتضى من رسول فيعلمه
بما شاء ويستأثر بما شاء ولا يقدح هذا فى نبوته ولا يفصم عروة من عصمته

فصل وأما أقواله الدنيوية من اخباره عن احوال غيره وما يفعله او فعل فقد قدمنا ان
الخلف فيها ممتنع عليه في كل حال وعلى اي وجه من عمد او سهو او صحة او مرض او رضا او غضب
وانه معصوم منه صلى الله عليه وسلم هذا فيما طريقه الخبر المحض مما يدخله الصدق والكذب فاما
المعاريض الموهم ظاهرها خلاف باطنها فجائز ورودها منه في الامور الدنيوية لا سيما لقصد
المصلحة كتوريته عن وجه مغازيه لئلا ياخذ العدو حذره وكما روى من ممازحته ودعابته
بسط امته وتطييب قلوب المؤمنين من صحابته وتاكيدا في تحببهم ومسرة في
نفوسهم كقوله لاحملنك على ابن الناقة وقوله للمراة سالته عن زوجها اهو الذي
بعينه بياض وهذا كله صدق لان كل جمل ابن ناقة وكل انسان بعينه بياض
وقد قال عليه السلام اني لامزح ولا اقول الا حقا هذا كله فيما بابه الخبر فاما غير الخبر
مما صورته صورة الامر والنهي في الامور الدنيوية فلا يصح منه ايضا ولا يجوز عليه
ان يامر احدا بشيء او ينهى احدا عن شيء وهو يبطن خلافه وقد قال عليه السلام ما كان
لنبي ان يكون له خائنة الاعين فكيف ان يكون له خيانة قلب فان قلت فما معنى اذا قوله
تعالى في قصة زيد واذ تقول للذي انعم الله عليه وانعمت عليه امسك عليك زوجك
فاعلم اكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي صلى الله عليه وسلم عن هذا الظاهر وان يامر زيدا
بامساكها وهو يحب تطليقه اياها كما ذكر عن جماعة من المفسرين واصح ما في هذا ما حكاه
اهل التفسير عن علي بن حسين ان الله تعالى كان اعلم نبيه ان زينب ستكون من ازواجه
فلما شكاها اليه زيد قال له امسك عليك زوجك واتق الله واخفى في
نفسه ما اعلمه الله به من انه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج
وطلاق زيد لها وروى نحوه عمرو بن فائد عن الزهري قال نزل جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم

يعلمه

يعلمه ان الله يزوجه زينب بنت جحش فذلك الذي اخفى في نفسه ويصحح هذا
قول المفسرين في قوله بعد هذا وكان امر الله مفعولا اي لا بد لك ان تزوجها ويوضح
هذا ان الله تعالى لم يبد من امره معها غير زواجه لها فدل انه الذي
اخفاه عليه السلام مما كان اعلمه به تعالى في قصة ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له
سنة الله في الذين خلوا من قبل الاية فدل انه لم يكن عليه حرج في الامر قال الطبري
ما كان الله ليؤثم نبيه فيما احل له مثال فعله لمن قبله من الرسل قال الله سبحانه
سنة الله في الذين خلوا من قبل اي من النبيين فيما احل لهم ولو كان على ما روي في حديث
قتادة من وقوعها من قلب النبي صلى الله عليه وسلم عندما اعجبته ومحبته طلاق زيد
لها لكان فيه اعظم الحرج وما لا يليق به من مد عينيه لما نهي عنه من زهرة الحيوة
الدنيا ولكان هذا نفس الحسد المذموم الذي لا يرضاه ولا يتسم به الاتقياء
فكيف سيد الانبياء قال القشيري وهذا اقدام عظيم من قائله وقلة معرفة بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وبفضله وكيف يقال رآها فاعجبته وهي بنت عمته ولم يزل يراها منذ ولدت
ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام وهو زوجها لزيد وانما جعل الله طلاق
زيد لها وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم اياها لازالة حرمة التبني وابطال سنته كما قال ما
كان محمد ابا احد من رجالكم وقال لكيلا يكون على المؤمنين حرج في ازواج ادعيائهم
ونحوه لابن فورك وقال ابو الليث السمرقندي فان قيل فما الفائدة في امر النبي صلى الله عليه وسلم
لزيد بامساكها فهو ان الله اعلم نبيه انها زوجته فنهاه النبي صلى الله عليه وسلم عن طلاقها
اذ لم تكن بينهما الفة واخفى في نفسه ما اعلمه الله به فلما طلقها زيد خشي قول الناس
يتزوج امراة ابنه فامر الله بزواجها ليباح مثل ذلك لامته كما قال تعالى لكيلا يكون على المؤمنين

حرج في أزواج أدعيائهم وقد قيل كان تزيد بإمساكها قمعاً للشهوة ورداً للنفس عن هواها
وهذا إذا جوزنا عليه أنه رآها فجأة واستحسنها ومثل هذا لا نكرة فيه لما طبع عليه ابن
آدم من استحسانه للحسن ونظرة الفجاءة معفو عنها ثم قمع نفسه عنها وأمر زيداً بإ
مساكها وإنما تنكر تلك الزيادة التي في قصة والتطويل والتعويل والأولى ما ذكرناه
عن علي بن حسين وحكاه السمرقندي وهو قول ابن عطاء واستحسنه القاضي القشيري
وعليه عول أبو بكر بن فورك وقال إنه معنى ذلك عند المحققين من أهل التفسير قال
والنبي صلى الله عليه وسلم منزه عن استعمال النفاق وإظهار خلاف ما في نفسه وقد نزهه
الله تعالى عن ذلك بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له قال ومن ظن ذلك
بالنبي صلى الله عليه وسلم فقد أخطأ قال وليس معنى الخشية هنا الخوف وإنما معناه الاستحياء
أي يستحيي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه وأن خشيته عليه السلام من الناس
كانت من إرجاف المنافقين واليهود وتشغيبهم على المسلمين بقولهم تزوج زوجة
ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء كما قال فعتبه الله على هذا ونزهه
عن الالتفات إليهم فيما أحله له كما عتبه على مراعاة رضى أزواجه في سورة
التحريم بقوله لم تحرم ما أحل الله لك الآية كذلك قوله ههنا وتخشى
الناس والله أحق أن تخشاه وقد روي عن الحسن وعائشة لو كتم رسول
الله صلى الله عليه وسلم شيئاً لكتم هذه الآية لما فيها من عتبه وإبداء ما أخفاه
فصل فإن قلت قد تقررت عصمته عليه السلام في أقواله في جميع أحواله
وأنه لا يصح منه فيها خلف ولا اضطراب في عمد ولا سهو ولا صحة ولا مرض
ولا جد ولا مزح ولا رضى ولا غضب لكن ما معنى الحديث في وصيته عليه السلام

الذي حدثنا

الذي

حدثنا به القاضي الشهيد أبو علي رحمه الله ثنا القاضي أبو الوليد ثنا أبو ذر ثنا أبو محمد
وأبو الهيثم وأبو إسحاق قالوا ثنا محمد بن يوسف ثنا محمد بن إسمعيل ثنا علي بن عبد الله
ثنا عبد الرزاق أخبرنا معمر عن الزهري عن عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس لما
احتضر رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي البيت رجال فقال النبي صلى الله عليه وسلم
هلموا أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعده فقال بعضهم إن رسول الله صلى الله
عليه وسلم قد غلبه الوجع الحديث وفي رواية ائتوني أكتب لكم كتاباً لن تضلوا بعدي
أبداً فتنازعوا فقالوا ما له أهجر استفهموه فقال دعوني فإن الذي أنا فيه خير
وفي بعض طرقه فقال إن النبي صلى الله عليه وسلم يهجر ويروى أهجر وفيه فقال عمر إن النبي صلى الله
عليه وسلم قد اشتد به الوجع وعندنا كتاب الله حسبنا وكثر اللغط فقال قوموا عني
وفي رواية اختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم رسول
الله صلى الله عليه وسلم كتاباً ومنهم من يقول ما قال عمر قال أئمتنا في هذا الحديث النبي صلى
الله عليه وسلم غير معصوم من الأمراض وما يكون من عوارضها من شدة وجع وغشي
ونحوه مما يطرأ على جسمه معصوم أن يكون منه من القول أثناء ذلك ما يطعن في
معجزته ويؤدي إلى فساد في شريعته من هذيان أو اختلال في كلام وعلى هذا لا
يصح على ظاهره رواية من روى في الحديث هجر إذ معناه هذى يقال هجر هجراً إذا هذى
وأهجر هجراً وإنما الأصح والأولى أهجر على طريق الإنكار على من قال لا يكتب وهكذا
روايتنا فيه في صحيح البخاري من رواية جميع الرواة وفي رواية حديث الزهري
المتقدم وفي حديث محمد بن سلام عن ابن عيينة وكذا ضبطه الأصيلي بخطه في
كتابه وغيره من هذه الطريق وكذا رويناه عن مسلم في حديث سفيان وعن غيره وقد تحمل

عليه رواية من رواه هجر على حذف ألف الاستفهام والتقدير أهجر أو أن يحمل قول القائل
هجر أو أهجر على أنه دهشة من قائل ذلك وحيرة لعظيم ما شاهد من حال الرسول صلى الله
عليه وسلم وشدة وجعه وهول المقام الذي اختلف فيه عليه والأمر الذي هم بالكتاب فيه
حتى لم يضبط هذا القائل لفظه وأجرى الهجر مجرى شدة الوجع لا أنه اعتقد أنه يجوز
عليه الهجر كما حملهم الإشفاق على حراسته والله يقول والله يعصمك من الناس
ونحو هذا وأما على رواية أهجرا وهي رواية أبي إسحق المستملي في الصحيح في حديث ابن جبير
عن ابن عباس من رواية قتيبة فقد يكون هذا راجعا إلى المختلفين عنده ومخاطبة
لهم من بعضهم أي جئتم باختلافكم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه هجرا و
منكرا من القول والهجر بضم الهاء الفحش في النطق وقد اختلف العلماء في معنى هذا
الحديث كيف اختلفوا بعد أمره عليه السلام أن يأتوه بالكتاب فقال بعضهم أوامر النبي
صلى الله عليه وسلم يفهم إيجابها من ندبها من إباحتها بقرائن فلعل قد ظهر من قرائن قوله عليه
السلام لبعضهم ما فهموا أنه لم تكن منه عزمة بل أمر رده إلى اختيارهم وبعضهم
لم يفهم ذلك فقال استفهموه فلما اختلفوا كف عنه إذ لم يكن عزمة فلما رأوه
من صواب رأي عمر ثم هؤلاء قالوا ويكون امتناع عمر إشفاقا على النبي صلى الله عليه وسلم
من تكليفه في تلك الحال إملاء الكتاب وأن تدخل عليه مشقة من ذلك كما قال إن
النبي صلى الله عليه وسلم اشتد به الوجع وقيل خشي عمر أن يكتب أمورا يعجزون عنها فيحصلون
في الحرج بالمخالفة ورأى أن الأرفق بالأمة في تلك الأمور سعة الاجتهاد وحكم
النظر وطلب الصواب فيكون المصيب والمخطئ مأجورا وقد علم عمر تقرر الشريعة
وتأسيس الملة وأن الله قال اليوم أكملت لكم دينكم وقوله عليه السلام أوصيكم

بكتاب الله

بكتاب الله وعترتي وقول عمر حسبنا كتاب الله رد على من نازعه لا على أمر النبي صلى
الله عليه وسلم وقيل إن عمر خشي تطرق المنافقين ومن في قلبه مرض لما كتب في ذلك الكتاب
في الخلوة وأن يتقولوا في ذلك الأقاويل كادعاء الرافضة الوصية وغير ذلك
وقيل إنه كان من النبي صلى الله عليه وسلم على طريق المشورة والاختبار هل يتفقون
على ذلك أو يختلفون فلما اختلفوا تركه وقالت طائفة أخرى إن معنى الحديث أن النبي
صلى الله عليه وسلم مجيبا في هذا الكتاب لما طلب منه لا أنه ابتداء بالأمر به بل اقتضاه منه
بعض أصحابه فأجاب رغبتهم وكره ذلك غيرهم للعلل التي ذكرناها واستدل
في مثل هذه القصة بقول العباس لعلي انطلق بنا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فإن كان الأمر فينا علمناه وكراهة علي هذا وقوله والله لا أفعل الحديث واستدل
بقوله دعوني فإن الذي أنا فيه خير أي الذي أنا فيه خير من إرسال الأمر وترككم
وكتاب الله وأن تدعوني مما طلبتم وذكر أن الذي طلب كتابة أمر الخلافة بعده و
تعيين ذلك فصل فإن قيل فما وجه ما ثبت أيضا الذي حدثنا الفقيه أبو محمد
الخشني بقراءتي عليه ثنا أبو علي الطبري ثنا عبد الغافر الفارسي ثنا أبو أحمد الجلودي
قال ثنا إبراهيم بن سفيان ثنا مسلم بن الحجاج ثنا قتيبة ثنا الليث عن سعيد بن
أبي سعيد عن سالم مولى النصريين قال سمعت أبا هريرة يقول سمعت رسول الله صلى
الله عليه وسلم يقول اللهم إنما محمد بشر كما يغضب البشر وإني قد اتخذت عندك
عهدا لن تخلفنيه فأيما مؤمن آذيته أو سببته أو جلدته فاجعلها له كفارة و
قربة تقربه بها إليك يوم القيامة وفي رواية فأيما أحد دعوت عليه دعوة وفي رواية
ليس لها بأهل وفي رواية فأيما رجل من المسلمين سببته أو لعنته أو جلدته

فاجعلها له صلوة وزكوة ورحمة وكيف يصح ان يلعن النبي صلى الله عليه وسلم من لا يستحق اللعن ويسب من لا يستحق السب ويجلد من لا يستحق الجلد او يفعل مثل ذلك وهو معصوم من ذلك كله فاعلم شرح الله صدرك ان قوله اولا ليس لها باهل اي عندك يا رب في باطن امره فان حكمه عليه السلام على الظاهر كما قال والحكم التي ذكرناها حكم عليه السلام بجلده او اذيته بسبه او لعنه بما اقتضاه عنده حال الظاهر ثم دعا عليه السلام لشفقته على امته ورأفته ورحمته للمؤمنين التي وصفه الله بها وحذره ان يتقبل في من دعا عليه دعوة ان يجعل دعاءه ولعنه له رحمة فهو معنى قوله ليس لها باهل لا انه عليه السلام يحمله الغضب ويستفزه الضجر على ان يفعل مثل هذا بمن لا يستحقه من مسلم وهذا معنى صحيح ولا يفهم من قوله اغضب كما يغضب البشر ان الغضب حمله على ما لا يجب بل يجوز ان يكون المراد بهذا ان الغضب لله حمله على معاقبة بلعنته او سبه و انه مما كان يحتمل ويجوز عفوه عنه او كان مما خير بين المعاقبة والعفو عنه وقد يحمل على انه خرج مخرج الاشفاق وتعليم امته الخوف والحذر من تعدي حدود الله وقد يحمل ما ورد من دعائه هنا ومن دعواته على غير واحد في غير موطن على غير العقد والقصد بل ما جرت به عادة العرب وليس المراد بها الاجابة كقوله تربت يمينك ولا اشبع الله بطنك وعقري وحلقي وغيرها من دعواته وقد ورد في صفته في غير حديث انه عليه السلام لم يكن فحاشا وقال انس لم يكن سبابا ولا لعانا وكان يقول لاحدنا عند المعاتبة ما له تربت جبينه فيكون حمل الحديث على هذا المعنى ثم اشفق عليه السلام من موافقة امثالها اجابة فعاهد

ربه كما قال

ربه كما قال في الحديث ان يجعل ذلك للمقول له زكوة ورحمة وقربة وقد يكون ذلك اشفاقا على المدعو عليه وتانيسا له لئلا يلحقه من استشعار الخوف والحذر من لعن النبي صلى الله عليه وسلم وتقبل دعائه ما يحمله على اليأس والقنوط وقد يكون ذلك سؤالا منه لربه لمن جلده او سبه على حق وبوجه صحيح ان يجعل ذلك كفارة لما اصاب وتمحية لما اجترم وان يكون عقوبته له في الدنيا سبب العفو و الغفران كما جاء في الحديث الآخر ومن اصاب من ذلك شيئا فعوقب به فهو له كفارة

فان قلت فما معنى حديث الزبير وقول النبي صلى الله عليه وسلم حين تخاصم مع الانصاري في شراج الحرة اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الكعبين فقال له الانصاري ان كان ابن عمتك يا رسول الله فتلون وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال اسق يا زبير ثم احبس حتى يبلغ الجدر الحديث فالجواب ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه ان يقع بنفس مسلم منه في هذه القضية امر يريب ولكنه صلى الله عليه وسلم ندب الزبير اولا الى الاقتصار على بعض حقه على طريق التوسط والصلح فلما لم يرض بذلك الآخر ولج وقال ما لا يجب استوفى النبي صلى الله عليه وسلم للزبير حقه ولهذا ترجم البخاري على هذا الحديث اذا اشار الامام بالصلح فابى حكم عليه بالحكم وذكر في آخر الحديث فاستوفى رسول الله صلى الله عليه وسلم حينئذ حقه للزبير وقد جعل المسلمون هذا الحديث اصلا في قضيته وفيه الاقتداء به صلى الله عليه وسلم في كل ما فعله في حال غضبه ورضاه وانه وان نهى ان يقضي القاضي وهو غضبان فانه في حكمه في حال الغضب والرضا سواء لكونه فيهما معصوما وغضب النبي صلى الله عليه وسلم في هذا انما كان لله تعالى لا لنفسه كما جاء في الحديث الصحيح ولذلك الحديث في اقادته عكاشة من نفسه لم يكن لتهمة حمل الغضب عليه بل وقع في الحديث نفسه ان عكاشة

قال له وضربني بالقضيب فلا ادري أعمدا اردت ضرب الناقة فقال النبي صلى
الله عليه وسلم أعيذك بالله أن يتعمدك رسول الله وكذلك في حديثه الآخر مع الاعرابي
حين طلب عليه السلام الاقتصاص منه فقال الاعرابي قد عفوت عنك وكان النبي صلى
الله عليه وسلم قد ضربه بالسوط لتعلقه بزمام ناقته مرة بعد اخرى والنبي صلى الله
عليه وسلم ينهاه ويقول له تدرك حاجتك وهو يأبى فضربه بعد ثلث مرات وهذا منه
عليه السلام لمن لم يقف عند نهيه صواب وموضع ادب لكنه عليه السلام
اشفق اذ كان حق نفسه من الامر حتى عفى عنه واما حديث سواد بن عمرو اتيت النبي صلى الله
وانا متخلق فقال ورس ورس حط حط وغشيني بقضيب في يده في بطني فا
وجعني قلت القصاص يا رسول الله فكشف لي عن بطنه انما ضربه عليه السلام
لمنكر رآه به ولعله لم يرد بضربه بالقضيب الا تنبيهه فلما كان منه ايجاع
لم يقصده طلب التحلل منه على ما قدمناه فصل واما افعاله عليه السلام
الدنيوية فحكمه فيها من توقي المعاصي والمكروهات ما قدمناه ومن جواز السهو
او الغلط في بعضها ما ذكرناه وكله غير قادح في النبوة بل ان هذا فيها على الندور
اذ عامة افعاله على السداد والصواب بل اكثرها وكلها جارية مجرى العبادات والقرب
على ما بيناه اذ كان عليه السلام لا ياخذ منها لنفسه الا الضرورة وما يقيم به رمق جسمه
وفيه مصلحة ذاته التي بها يعبد ربه ويقيم شريعته ويسوس امته وما كان فيما
بينه وبين الناس من ذلك فبين معروف يصنعه او بر يوسعه او كلام حسن يقوله
او يسمعه او تألف شارد او قهر معاند او مداراة حاسد وكل هذا لاحق بصالح
اعماله منتظم في زاكي وظائف عباداته وقد كان يخالف في افعاله الدنيوية بحسب اختلاف

الاحوال

الاحوال وبعد الامور اشباهها فيركب في تصرفه لما قرب الحمار وفي اسفاره الراحلة
ويركب البغلة في معارك الحرب دليلا على الثبات ويركب الخيل ويعدها ليوم الفزع و
اجابة الصارخ وكذلك عليه السلام في لباسه وسائر احواله بحسب اعتبار مصالحه
امته وكذلك يفعل الفعل من امور الدنيا مساعدة لامته وسياسة وكراهية
لخلافها وان كان قد يرى غيره خيرا منه كما يترك الفعل لهذا وقد يرى فعله خيرا منه
وقد يفعل هذا في الامور الدينية مما له الخيرة في احد وجهيه كخروجه من المدينة
لاحد وكان مذهبه التحصن بها وتركه قتل المنافقين وهو على يقين من امرهم مؤالفة
لغيرهم ورعاية للمؤمنين من قرابتهم وكراهة لان يقول الناس ان محمدا يقتل
اصحابه كما جاء في الحديث الصحيح وتركه بناء الكعبة على قواعد ابراهيم عليه السلام
مراعاة لقلوب قريش وتعظيمهم لتغييرها وحذرا من نفار قلوبهم لذلك و
تحريك متقدم عداوتهم للدين واهله فقال لعائشة في الحديث الصحيح لولا
حدثان قومك بالكفر لاتممت البيت على قواعد ابراهيم ويفعل الفعل ثم يتركه لكون
غيره خيرا منه كانتقاله من ادنى مياه بدر الى اقربها للعدو من قريش وكقوله
لو استقبلت من امري ما استدبرت ما سقت الهدي ويبسط وجهه للكافر
والعدو رجاء استيلافه ويصبر للجاهل ويقول ان من شرار الناس من اتقاه
الناس لشره ويبذل له الرغائب ليحبب اليه شريعته ودين ربه ويتولى في منزله
ما يتولى الخادم من مهنته ويتسمت في ملائه حتى لا يبدو شيء من اطرافه
وحتى كأن على رؤوس جلسائه الطير ويتحدث مع جلسائه بحديث اولهم ويتعجب مما
يتعجبون منه ويضحك مما يضحكون منه قد وسع الناس بشره وعدله لا يستفزه

الغضب ولا ينقص عن الحق ولا يبطن على جلسائه بقول ما كان لنبي ان يكون له خائنة
الاعين فان قلت فما معنى قوله لعائشة في الذي دخل عليه بئس اخو العشيرة فلما
دخل الان له القول وضحك معه فلما خرج سألته عن ذلك قال ان من اتقاء الناس
لشره وكيف جاز ان يظهر له خلاف ما يبطن ويقول في ظهره ما قال فالجواب ان فعله
عليه السلام كان استيلافا لمثله وتطييبا لنفسه ليتمكن ايمانه ويدخل في
الاسلام بسببه اتباعه ويراه مثله فينجذب بذلك الى الاسلام ومثل هذا
على الوجه قد خرج من حد المداراة الدنيا الى السياسة الدينية وقد كان
يستألفهم باموال الله العريضة فكيف بالكلمة اللينة قال صفوان لقد
اعطاني وهو ابغض الخلق الي فما زال يعطيني حتى صار احب الخلق الي وقوله فيه
بئس اخو العشيرة هو غير غيبة بل هو تعريف ما علمه منه لمن لا يعلم ليحذر حاله
ويحترز منه ولا يوثق بجانبه كل الثقة لا سيما وكان مطاعا متبوعا ومثل
هذا اذا كان لضرورة ودفع مضرة لم يكن بغيبة بل كان جائزا بل واجبا
في بعض الاحيان كعادة المحدثين في تجريح الرواة والمزكين في الشهود
فان قيل فما معنى المفصل الوارد في حديث بريرة من قوله عليه السلام لعائشة
وقد اخبرته ان موالي بريرة ابوا بيعها الا ان يكون لهم الولاء فقال لها عليه
السلام اشتريها واشترطي لهم الولاء ففعلت ثم قام خطيبا فقال ما بال
اقوام يشترطون شروطا ليست في كتاب الله كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل و
النبي صلى الله عليه وسلم قد امرها بالشرط لهم وعليه باعوا ولولاه والله اعلم لما
باعوها من عائشة كما لم يبيعوها من قبل حتى شرطوا ذلك ثم ابطله

عليه السلام

عليه السلام وهو قد حرم الغش والخديعة فاعلم اكرمك الله
ان النبي صلى الله عليه وسلم منزه عما يقع في بال الجاهل من هذا ولتنزيه
النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك ما قد انكر قوم هذه الزيادة قوله اشترطي
لهم الولاء اذ ليست في اكثر طرق الحديث ومع ثباتها فلا اعتراض بها اذ يقع
لهم بمعنى عليهم قال الله تعالى اولئك لهم اللعنة وقال وان اسأتم فلها
فعلى هذا اشترطي عليهم الولاء لك ويكون قيام النبي صلى الله عليه وسلم
ووعظه لما سلف لهم من شرط الولاء لانفسهم قبل ذلك ووجه ثان
قوله عليه السلام اشترطي لهم الولاء ليس على معنى الامر لكن على معنى التسوية
والاعلام بان شرطه لهم لا ينفعهم بعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لهم
قبل ان الولاء لمن اعتق فكانه قال اشترطي فانه شرط غير نافع والى هذا
ذهب الداودي وغيره وتوبيخ النبي صلى الله عليه وسلم وتقريعهم على ذلك
يدل على علمهم به قبل هذا الوجه الثالث ان معنى قوله اشترطي لهم
الولاء اي اظهري لهم حكمه وبيني عندهم سنته ان الولاء انما هو
لمن اعتق ثم بعد هذا قام هو صلى الله عليه وسلم مبينا ذلك وموبخا
على مخالفة ما تقدم منه فيه فان قيل فما معنى فعل يوسف عليه السلام
باخيه اذ جعل السقاية في رحل اخيه واخذه باسم سرقتها وما جرى
على اخوته في ذلك وقوله انكم لسارقون ولم يسرقوا فاعلم اكرمك
الله ان الاية تدل على ان فعل يوسف كان عن امر الله لقوله تعالى كذلك
كدنا ليوسف ما كان ليأخذ اخاه في دين الملك الا ان يشاء الله

الاية فاذا كان ذلك فلا اعتراض به ويكون فيه ما فيه وايضا فان يوسف
كان اعلم اخاه باني انا اخوك فلا تبتئس فكان ما جرى عليه بعد هذا من وفقه
ورغبته وعلى يقين من عقبى الخير له به وازاحة السوء والمضرة عنه
بذلك واما قوله ايتها العير انكم لسارقون فليس من قول يوسف
فيلزم عليه جواب بحل شبهته ولعل قائله ان احسن له التاويل كائنا
من كان ظن على صورة الحال ذلك وقد قيل قال ذلك لفعلهم قبل بيوسف
وبيعهم له وقيل غير هذا ولا يلزم ان نقول للانبياء ما لم يثبت انهم
قالوه حتى يطلب لخلاصه منه ولا يلزم الاعتذار عن زلات غيرهم فصل
فان قيل فما الحكمة في اجراء الامراض وشدتها عليه وعلى غيره من الانبياء وما
الوجه فيما ابتلاهم الله به من البلاء وامتحانهم بما امتحنوا به كايوب
ويعقوب وداود ويحيى وزكريا وعيسى وابرهيم ويوسف وغيرهم
صلوات الله عليهم وهم خيرته من خلقه واحباؤه واصفياؤه فاعلم
وفقنا الله واياك ان افعال الله تعالى كلها عدل وكلماته جميعها
صدق لا مبدل لكلماته يبتلي عباده كما قال لهم لينظر كيف تعملون و
ليبلوكم احسن عملا ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم
الصابرين حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلوا اخبارهم
فامتحانه اياهم بضروب المحن زيادة في مكانتهم ورفعة في درجاتهم واسباب
لاستخراج حالات الصبر والرضا والشكر والتسليم والتوكل والتفويض
والدعاء والتضرع منهم وتاكيدا لبصائرهم في رحمة الممتحنين والشفقة

على المبتلين

على المبتلين وتذكرة لغيرهم وموعظة لسواهم ليتاسوا في البلاء بهم
ويتسلوا في المحن بما جرى عليهم ويقتدوا بهم في الصبر ومحو لهنات اذا
فرطت منهم وغفلات سلفت لهم ليلقوا الله تعالى طيبين مهذبين وليكون
اجرهم اكمل وثوابهم اوفر واجزل حدثنا القاضي ابو علي الحافظ ثنا ابو
الحسين الصيرفي وابو الفضل بن خيرون قالا ثنا ابو يعلى البغدادي
ثنا ابو علي السنجي ثنا محمد بن محبوب ثنا ابو عيسى الترمذي قال ثنا قتيبة
حدثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن مصعب بن سعد عن ابيه
قال قلت يا رسول الله اي الناس اشد بلاء قال الانبياء اشد بلاء
قال الانبياء ثم الامثل فالامثل يبتلي الرجل على حسب دينه فما يبرح
البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الارض وما عليه خطيئة وكما قال
الله تعالى وكاين من نبي قاتل معه ربيون كثير الايات الثلاث وعن
ابي هريرة ما يزال البلاء بالمومنين في نفسه وولده وماله حتى
يلقى الله وما عليه خطيئة وعن انس عليه السلام اذا اراد الله بعبده
الخير عجل له العقوبة في الدنيا واذا اراد الله بعبده الشر امسك
عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيمة وفي حديث آخر اذا احب الله عبدا
ابتلاه ليسمع تضرعه وحكى السمرقندي ان كل من كان اكرم على الله
تعالى كان بلاؤه اشد كي يتبين فضله ويستوجب الثواب كما روى
عن لقمان انه قال يا بني الذهب والفضة تختبران بالنار والمومن
تختبر بالبلاء وقد حكي ان ابتلاء يعقوب بيوسف كان سببه

التفاته في صلوته اليه ويوسف نافر محبة له وقيل بلا اجتمع
يوماً هو وابنه يوسف على اكل حمل مشوى وهما يضحكما ولهم جارية
فشمّت ريحه واشتهاه وبكى وبكت جدّة له عجوز لبكائه وبينهما
جدار ولا علم يعقوب وابنه فعوقب يعقوب بالبكاء اسفاً على
يوسف الى ان سالت حدقتاه وابيضت عيناه من الحزن فلما علم
بذلك كان بقية حياته يامر منادياً ينادى على سطحه الا من كان
مفطراً فليتغدّ عند آل يعقوب وعوقب يوسف بالمحنة التى
نص عليها وروى عن الليث في سبب بلاء ايوب انه دخل مع اهل قريته على
ملكهم فكلّموه في ظلمه واغلظوا له الا ايوب فانه رفق به مخافة على زرعه
فعاقبه الله ببلائه ومحنة سليمان لما ذكرناه من بنيته في كون الحق
من جنب اصهاره او للعمل بالمعصية في داره ولا علم عنده وهذه فائدة
شدة المرض والوجع بالنبى صلى الله عليه وسلم قالت عائشة ما رأينا الوجع
على احد اشد منه على رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه يوعك وعكاً
شديداً فقلت انك لتوعك وعكاً شديداً قال اجل انى اوعك كما يوعك
رجلان منكم قلت ذلك ان لك الاجر مرتين قال اجل ذلك كذلك و
في حديث ابى سعيد ان رجلاً وضع يده على النبى صلى الله عليه وسلم فقال والله
ما اطيق اضع يدى عليك من شدة حماك فقال النبى صلى الله عليه وسلم فقال
انا معشر الانبياء يضاعف لنا البلاء ان كان النبى صلى الله عليه وسلم
ليبتلى بالقمل حتى يقتله وان النبى ليبتلى بالفقر فان كانوا ليفرحون

بالبلاء

بالبلاء كما تفرحون بالرخاء وعن انس رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم ان عظم الجزاء مع عظم
البلاء وان الله اذا احب قوماً ابتلاهم فمن رضى فله الرضاء ومن سخط و
قد قال المفسرون في قوله تعالى من يعمل سوءاً يجز به ان المسلم يجزى بمصائب الدنيا
فيكون كفارة وروى مثل هذا عن عائشة وابى ومجاهد وقال ابو هريرة
عنه عليه السلام من يرد الله به خيراً يصب منه وقال في رواية عائشة
ما من مصيبة يصيب المسلم الا يكفر الله بها عنه حتى الشوكة يشاكها
وقال في رواية ابى سعيد ما يصيب المؤمن من نصب ولا وصب ولا هم و
لا حزن ولا اذى ولا غم حتى الشوكة يشاكها الا كفر الله بها من خطاياه
وفي حديث ابن مسعود ما من مسلم يصيبه اذى الا حات الله عنه خطاياه كما
تحت ورق الشجر وحكمة اخرى اودعها الله في الامراض لاجسامهم وتعاقب
الاوجاع عليها وشدتها عند مماتهم لتضعف قوى نفوسهم فيسهل خروجها
عند قبضهم وتخفف عليهم مؤنة النزع وشدة السكرات بتقدم المرض و
ضعف الجسم والنفس لذلك بخلاف موت الفجاة واخذه كما يشاهد من اختلاف
احوال الموتى في الشدة واللين والصعوبة والسهولة وقد قال عليه السلام
مثل المؤمن مثل خامة الزرع يفيئها الريح هكذا وهكذا وفي رواية ابى هريرة
من حيث اتتها الريح تكفئها فاذا سكنت اعتدلت وكذلك المؤمن يكفى بالبلاء
ومثل الكافر كمثل الارزة صماء معتدلة حتى يقصمه الله معناه ان المؤمن
مرزاً مصاباً بالبلاء والامراض راض بتصريفه بين اقدار الله منطاع لذلك لين
الجانب برضاه وقلة تسخطه كطاعة خامة الزرع وانقيادها للرياح وتمايلها

لهيوبها وترتيجها من حيث ما اشتهاها فاذا راح الله عن المؤمنين رياح البلا دمه فاعتدل
صحيحا كما اعتدلت خامة الزرع عند سكون رياح الجو ويرجع الى شكر ربه ومعرفة
نعمته عليه برفع بلائه منتظرا رحمته وثوابه عليه فاذا كان بهذه السبيل لم يصعب
عليه مرض الموت ولا نزوله ولا اشتدت عليه سكراته ونزعه لعادته بما
تقدمته من الالام ومعرفتها له فيها من الاجر وبوطينه نفسه عن المصائب و
رقتها وضعفها بتوالي المرض واشتدته والكافر بخلاف هذا معافا في غالب حاله
ممتنع بصحة جسمه كالارزة الصماء حتى اذا اراد الله هلاكه قصمه لحينه على غرة
واحدة بغتة من غير لطف ولا رقة وكان موته اشد عليه حسرة ومقاساة نزعه
مع قوة نفسه وصحة جسمه اشد الما وعذابا ولعذاب الاخرة اشد كانجعاف
الارزة وكما قال تعالى فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ وكذلك عادة الله
في اعدائه كما قال تعالى فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ
مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ الاية فيجاء جميعهم بالموت على حال عتو وغفلة وصبحهم
به على غير استعداد بغتة ولهذا كره السلف موت الفجاءة ومنهم منه في حديث
ابرهيم كانوا يكرهون اخذة كاخذة الاسف يريد موت الفجاءة وحكمة ثالثة ان
الامراض نذير الممات وتقدر شدتها شدة الخوف من نزول الموت فيستعد من اصابته
وعلم تعاهد حاله للقاء ربه ويعرض عن دار الدنيا الكثيرة الانكاد ويكون قلبه
متعلقا بالمعاد فيتنصل من كل ما يخشى تباعته من قبل الله وقبل العباد ويؤدي
الحقوق الى اهلها وينظر فيما يحتاج اليه من وصية فيمن يخلفه وامر يعهده و
هذا نبينا صلى الله عليه وسلم المغفور له ما تقدم وما تأخر قد طلب التنصل

ثم رضه

210

ثم رضه ممن كان له عليه مالا وحق في بدنه واقاد من نفسه وماله و
امكن من القصاص منه على ما ورد في الحديث الفضل وحيث الوفاة و
اوصى بالثقلين بعده كتاب الله وعترته وبالانصار عيبته ودعا الى
كتب كتاب لئلا تضل امته بعده اما في النص على الخلافة او الله اعلم
بمراده ثم راى الامساك عنه افضل وخيرا وهكذا سيرة عباد الله المؤمنين
واوليائه المتقين وهذا كله يحرمه غالبا الكفار لامهال الله لهم ليزدادوا
اثما وليستدرجهم من حيث لا يعلمون قال الله تعالى مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً
وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى
أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ولذلك قال عليه السلام في رجل مات فجاءة
سبحان الله كانه على غضب المحروم من حرم وصية وقال موت الفجاءة
راحة المؤمن واخذة اسف للكافر وقال الفاجر وذلك لان الموت
ياتي المؤمن وهو غالبا مستعد له منتظر لحلوله فيهان امره عليه
كيف ما جاء وافضى الى راحته من نصب الدنيا واذاها كما قال عليه السلام
مستريح ومستراح منه ويأتي الكافر وقال الفاجر منه على غير استعداد
ولا اهبة ولا مقدمات منذرة مزعجة ياتيهم بغتة فتبهتهم فلا
يستطيعون ردها ولا هم ينظرون فكان الموت اشد عليه وفراق
الدنيا افضع لمرصدة واكره شيء له والى هذا المعنى اشار عليه السلام
بقوله من احب لقاء الله احب الله لقائه ومن كره لقاء الله
كره الله لقائه القسم الرابع في تصرف وجوه الاحكام

فيمن تنقصه او سبه عليه السلام قال القاضي ابو الفضل رضي الله
عنه قد تقدم من الكتاب والسنة واجماع الامة ما يجب من الحقوق للنبي
صلى الله عليه وسلم وما يتعين له من بر وتوقير وتعظيم واكرام وبحسب هذا حرم
الله تعالى اذاه في كتابه واجمعت الامة على قتل منتقصه من المسلمين وسابه
قال الله تعالى ﴿ان الذين يؤذون الله ورسوله لعنهم الله في الدنيا
والاخرة واعد لهم عذابا مهينا﴾ وقال ﴿والذين يؤذون رسول الله لهم
عذاب اليم﴾ وقال الله تعالى ﴿وما كان لكم ان تؤذوا رسول الله ولا ان
تنكحوا ازواجه من بعده ابدا ان ذلكم كان عند الله عظيما﴾ وقال
في تحريم التعريض له ﴿يا ايها الذين امنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا
واسمعوا﴾ الاية وذلك ان اليهود كانوا يقولون راعنا يا محمد اي ارعنا
سمعك واسمع منا ويعرضون بالكلمة يريدون الرعونة فنهى الله
المؤمنين عن التشبه بهم وقطع الذريعة بنهي المؤمنين عنها لئلا يتوصل
بها الكافرون والمنافقون الى سبه والاستهزاء به وقيل بل لما فيها من
مشاركة اللفظ لانها عند اليهود بمعنى اسمع لا سمعت وقيل لما فيها من قلة الاد
وعدم توقير النبي صلى الله عليه وسلم وتعظيمه لانها في لغة الانصار بمعنى ارعنا نرعك
فنهوا عن ذلك اذ مضمنه انهم لا يرعونه الا برعايته لهم وهو عليه السلام واجب
الرعاية بكل حال وهذا هو عليه السلام قد نهى عن التكني بكنيته فقال تسموا
باسمي ولا تكنوا بكنيتي صيانة لنفسه وحماية عن اذاه اذ كان صلى الله عليه وسلم
استجاب لرجل نادى يا ابا القاسم فقال لم اعنك انما دعوت هذا فنهى حينئذ عن التكني

بكنيته

بكنيته لئلا يتأذى باجابة دعوة غيره ممن لم يدعه ويجد بذلك المنافقون
والمستهزئون ذريعة الى اذاه والازراء به فينادونه فاذا التفت
قالوا انما اردنا هذا لسواه تعنيتا له واستخفافا بحقه على عادة المجان
والمستهزئين فحمى عليه السلام حمى اذاه بكل وجه فحمل محققو العلماء
نهيه عن هذا على مدة حياته واجازوه بعد وفاته لارتفاع العلة
وللناس في هذا الحديث مذاهب ليس هذا موضعها وما ذكرناه هو مذهب
الجمهور والصواب ان شاء الله تعالى وان ذلك على طريق تعظيمه وتوقيره على
سبيل الندب والاستحباب لا على التحريم ولذلك لم ينه عن اسمه لانه قد
كان الله منع ان ينادى به بقوله ﴿لا تجعلوا دعاء الرسول بينكم كدعاء بعضكم
بعضا﴾ وانما كان المسلمون يدعونه يا رسول الله ويا نبي الله وقد يدعوه
بكنيته ابا القاسم بعضهم في بعض الاحوال وقد روى انس رضي الله
عنه عنه عليه السلام ما يدل على كراهة التسمي باسمه وتنزيهه عن ذلك
اذا لم يوقر فقال تسمون اولادكم محمدا ثم تلعنونهم وروي ان عمر كتب الى اهل
الكوفة ان لا يسم احد باسم النبي صلى الله عليه وسلم وابو جعفر الطبري والصواب
جواز هذا كله بعده عليه السلام بدليل اطباق الصحابة على ذلك
وقد سمى جماعة منهم ابنه محمدا وكناه بابي القاسم وروي ان النبي صلى الله عليه وسلم
اذن في ذلك لعلي رضي الله عنه وقد اخبر عليه السلام ان ذلك اسم المهدي
وكنيته وقد سمى به النبي صلى الله عليه وسلم محمد بن طلحة ومحمد بن عمرو بن حزم ومحمد
بن ثابت بن قيس وغير واحد وقال ما ضر احدكم ان يكون في بيته محمد ومحمدان

وثلثة وقد فصلنا الكلام في هذا القسم على ما بين كما قدمناه

وفيه — الباب الاول — عشرة فصول

في بيان ما هو في حقه عليه السلام سب او نقص من تعريض او نص اعلم وفقنا الله واياك ان جميع من سب النبي صلى الله عليه وسلم او عابه او الحق به نقصا في نفسه او نسبه او دينه او خصلة من خصاله او عرض به او شبهه بشيء على طريق السب له او الازراء عليه او التصغير لشانه او الغض منه والعيب له فهو ساب له والحكم فيه حكم الساب يقتل كما نبينه ولا نستثني فصلا من فصول هذا الباب على هذا المقصد ولا نمتري فيه تصريحا كان او تلويحا وكذلك من لعنه او دعا عليه او تمنى مضرة له او نسب اليه ما لا يليق بمنصبه على طريق الذم او عبث في جهته العزيزة بسخف من الكلام وهجر ومنكر من القول وزور او عيره بشيء مما جرى من البلاء والمحنة عليه او غمصه ببعض العوارض البشرية الجائزة والمعهودة لديه وهذا كله اجماع من العلماء وائمة الفتوى من لدن الصحابة رضوان الله عليهم الى هلم جرا قال ابو بكر بن المنذر اجمع عوام اهل العلم على ان من سب النبي صلى الله عليه وسلم يقتل وممن قال ذلك مالك بن انس والليث واحمد واسحق وهو مذهب الشافعي قال القاضي ابو الفضل وهو مقتضى قول ابي بكر الصديق رضي الله عنه ولا يقبل توبته عند هؤلاء وبمثله قال ابو حنيفة واصحابه والثوري واهل الكوفة والاوزاعي والمسلم لكنهم قالوا هي ردة وروى مثله الوليد بن مسلم عن مالك وحكى الطبري مثله عن ابي حنيفة واصحابه فيمن تنقص النبي صلى الله عليه وسلم او برئ

منه

منه او كذبه وقال سحنون فيمن سبه ذلك ردة كالزندقة وعلى هذا وقع الخلاف في استتابته وتكفيره وهل قتله حد او كفر كما سنبينه في الباب الثاني ان شاء الله تعالى ولا نعلم خلافا في استباحة دمه بين علماء الامصار وسلف الامة وقد ذكر غير واحد الاجماع على قتله وتكفيره واشار بعض الظاهرية وهو ابو محمد علي بن احمد الفارسي الى الخلاف في تكفير المستخف به والمعروف ما قدمناه قال محمد بن سحنون اجمع العلماء ان شاتم النبي صلى الله عليه وسلم المتنقص له كافر والوعيد جار عليه بعذاب الله له وحكمه عند الامة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر واحتج ابرهيم بن حسين بن خالد الفقيه في مثل هذا بقتل خالد بن الوليد مالك بن نويرة لقوله عن النبي صلى الله عليه وسلم صاحبكم وقال ابو سليمان الخطابي لا اعلم احدا من المسلمين اختلف في وجوب قتله اذا كان مسلما وقال ابن القاسم عن مالك في كتاب ابن سحنون والمبسوط والعتبية وحكى مطرف عن مالك في كتاب ابن حبيب من سب النبي صلى الله عليه وسلم قتل ولم يستتب قال ابن القاسم في العتبية من سبه او شتمه او عابه او تنقصه فانه يقتل وحكمه عند الامة القتل كالزنديق وقد فرض الله توقيره وبره وفي المبسوط عن عثمان بن كنانة من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من المسلمين قتل او صلب حيا ولم يستتب والامام مخير في صلبه حيا او قتله ومن رواية ابي المصعب وابن ابي اويس سمعنا مالكا يقول من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او شتمه او عابه او تنقصه قتل مسلما كان او كافرا ولا يستتاب وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب مالك انه قال من سب النبي صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من مسلم او كافر قتل ولم يستتب وقال اصبغ يقتل على كل حال اسر ذلك او اظهره

ولا يستتاب ولا توبة له لا تعرف وقال عبد الله بن عبد الحكم من سب النبي صلى الله عليه
وسلم او كافر قتل ولم يستتب وحكى الطبري مثله عن اشهب عن مالك وروى ابو
وهب عن مالك انه قال من قال ان رداء النبي صلى الله عليه وسلم ويروى زر النبي صلى الله عليه وسلم
وسخ واراد به عيبه قتل وقال بعض علمائنا اجمع العلماء على ان من دعا على نبي
من الانبياء بالويل او بشيء من المكروه انه يقتل بلا استتابة وافتى ابو
الحسن القابسي فيمن قال في النبي الجمال يتيم ابي طالب بالقتل وافتى محمد بن ابي زيد
بقتل رجل سمع قوما يتذاكرون صفة النبي صلى الله عليه وسلم اذ مر بهم رجل قبيح الوجه
واللحية فقال لهم تريدون تعرفون صفته هي صفة هذا المار في خلقه ولحيته
قال ولا تقبل توبته وقد كذب لعنه الله وليس يخرج من قلب سليم الايمان و
قال احمد بن ابي سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اسود يقتل
وقال في رجل قيل له لا وحق رسول الله فقال فعل الله برسول الله كذا وذكر كلاما
قبيحا فقيل له ما تقول يا عدو الله فقال اشد من كلامه الاول ثم قال انما
اردت برسول الله العقرب فقال ابن ابي سليمان للذي سأله اشهد عليه وانا
شريكك يريد في قتله وثواب ذلك قال حبيب بن الربيع لان ادعاء التأويل في
لفظ صراح لا يقبل لانه امتهان وهو غير معزر لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولا موقر له
فوجبت اباحة دمه وافتى ابو عبد الله بن عتاب في عشار قال لرجل ادّ واشك
الى النبي صلى الله عليه وسلم وقال ان سألت او جهلت فقد جهل وسأل النبي بالقتل وافتى
فقهاء الاندلس بقتل ابن حاتم المتفقه الطليطلي وصلبه بما شهد عليه به
من استخفافه بحق النبي صلى الله عليه وسلم وتسميته اياه اثناء مناظرته باليتيم

وختن

ختن حيدرة وزعمه ان زهده لم يكن قصدا ولو قدر على الطيبات
لاكلها الى اشباه لهذا وافتى فقهاء القيروان واصحاب سحنون بقتل
ابرهيم الفزاري وكان شاعرا متفننا في كثير من العلوم وكان ممن يحضر مجلس
القاضي ابي العباس بن طالب للمناظرة فرفعت عليه امور منكرة من هذا الباب
في الاستهزاء بالله وانبيائه ونبينا عليه السلام فاحضر له القاضي
يحيى بن عمر وغيره من الفقهاء وامر بقتله وصلبه فطعن بالسكين ثم انزل
واحرق بالنار وحكى بعض المؤرخين انه لما رفعت خشبته وزالت عنها
الايدي استدارت وحولته عن القبلة فكان آية للجميع من حضر وكبر
الناس وجاء كلب فولغ في دمه فقال يحيى بن عمر صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم
وذكر حديثا انه قال لا يلغ الكلب في دم مسلم وقال القاضي ابو عبد الله بن
المرابط قال ان النبي صلى الله عليه وسلم هزم يستتاب فان تاب والا يقتل لانه تنقص
اذ لا يجوز ذلك عليه في خاصته اذ هو على بصيرة من امره ويقين من عصمته
قال حبيب بن ربيع القروي مذهب مالك واصحابه ان من قال فيه عليه السلام
ما فيه نقص قتل دون استتابة قال ابن عتاب الكتاب والسنة موجبان
ان من قصد النبي صلى الله عليه وسلم باذى او نقص معرضا او مصرحا وان قل
فقتله واجب فهذا الباب كله مما عده العلماء سبا وتنقصا يجب قتل
قائله لم يختلف في ذلك متقدمهم ولا متأخرهم وان اختلفوا في حكم قتله
على ما اشرنا اليه ونبينه بعد وكذلك اقول حكم من غمصه او عيره برعاية
الغنم او السهو او النسيان او السحر او ما اصابه من جرح او هزيمة لبعض

جيوشه او اذى من عدوه او اشده من زمنه او بالميل الى نسائه
فحكم هذا كله لمن قصده نقصه القتل وقد مضى من مذاهب العلماء
في ذلك ويأتي ما يدل عليه. فصل في الحجة في ايجاب قتل من سبه او
عابه عليه السلام فمن القرآن لعنه الله تعالى لمؤذيه في الدنيا والآخرة
وقرنه تعالى اذاه باذاه صلى الله عليه وسلم ولا خلاف في قتل من سبه وان
اللعن انما يستوجبه من هو كافر وحكم الكافر القتل فقال ان الذين
يؤذون الله ورسوله وقال في قاتل المؤمن مثل ذلك فمن لعنته في الدنيا
القتل قال الله تعالى ملعونين اينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا وقال
في المحاربين وذكر عقوبتهم ذلك لهم خزي في الدنيا وقد يقع القتل بمعنى اللعن
قال الله تعالى قتل الخراصون وقاتلهم الله اى لعنهم الله ولانه فرق بين اذاه
واذى المؤمنين وفي اذى المؤمنين ما دون القتل من الضرب والنكال
فكان حكم موذى الله ونبيه اشد من ذلك وهو القتل وقال تعالى فلا
وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم الآية فسلب اسم الايمان عمن
وجد في صدره حرجا من قضائه صلى الله عليه وسلم ولم يسلم له ومن تنقصه
فقد ناقض هذا وقال تعالى يا ايها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق
صوت النبي الى قوله ان تحبط اعمالكم ولا يحبط العمل الا الكفر والكافر يقتل
وقال تعالى واذا جاؤك حيوك بما لم يحيك به الله ثم قال حسبهم جهنم
يصلونها فبئس المصير وقال تعالى ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون
هو اذن ثم قال تعالى والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب اليم وقال تعالى

ولئن

ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب الى قوله قد كفرتم بعد ايمانكم
قال اهل التفسير كفرتم بقولكم في رسول الله صلى الله عليه وسلم واما الاجماع
فقد ذكرناه واما الآثار فحدثنا الشيخ ابو عبد الله احمد بن محمد بن غلبون
عن الشيخ ابي ذر الهروي اجازة قال ثنا ابو الحسن الدارقطني وابو عمر بن
حيويه قالا ثنا محمد بن نوح ثنا عبد العزيز بن محمد بن الحسن بن زبالة ثنا
عبد الله بن موسى بن جعفر عن علي بن موسى عن ابيه عن جده عن محمد بن علي
بن الحسين عن ابيه عن الحسين بن علي عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال من سب نبيا فاقتلوه ومن سب اصحابي فاضربوه وفي الحديث الصحيح
ان النبي صلى الله عليه وسلم امر بقتل كعب بن الاشرف وقوله من لكعب بن الاشرف
فانه يؤذي الله ورسوله ووجه اليه من قتله غيلة دون دعوة بخلاف
غيره من المشركين وعلل باذاه له فدل ان قتله اياه لغير الاشراك بل للاذى
وكذلك قتل ابا رافع قال البراء رضي الله عنه وكان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم
ويعين عليه وكذلك امره يوم الفتح بقتل ابن خطل وجاريتيه اللتين كانتا
تغنيان بسبه عليه السلام وفي حديث اخر ان رجلا كان يسبه عليه السلام
فقال من يكفيني عدوي فقال خالد انا فبعثه النبي صلى الله عليه وسلم فقتله وكذلك
امر بقتل جماعة ممن كان يؤذيه من الكفار ويسبه كالنضر بن الحارث وعقبة
بن ابي معيط وعهد بقتل جماعة منهم قبل الفتح وبعده فقتلوا الا من بادر
بالاسلام قبل القدرة عليه وروى البزار عن ابن عباس ان عقبة بن ابي معيط
نادى يا معاشر قريش ما لي اقتل من بينكم صبرا فقال له النبي صلى الله عليه وسلم

بحضرتك وافترائك على رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر عبد الرزاق ان النبي صلى الله
عليه وسلم سبه رجل فقال من يكفيني عدوي فقال الزبير انا فبارزه فقتله
الزبير وروى ايضا ان امرأة كانت تسبه عليه السلام فقال من يكفيني عدوي
فخرج اليها خالد بن الوليد فقتلها وروى ان رجلا كذب على النبي صلى الله
عليه وسلم فبعث عليا والزبير ليقتلاه وروى ابن قانع ان رجلا جاء الى النبي
صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله سمعت ابي يقول فيك قولا قبيحا فقتلته
فلم يشق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم وبلغ المهاجر بن ابي
امية امير اليمن لابي بكر رضي الله عنه ان امرأة هناك في الردة غنت
بسب النبي صلى الله عليه وسلم فقطع يدها ونزع ثنيتها فبلغ ابا بكر ذلك
فقال له لولا فعلت لامرتك بقتلها لان حد الانبياء ليس يشبه
الحدود وعن ابن عباس هجت امرأة من خطمة النبي صلى الله عليه وسلم فقال
من لي بها فقال رجل من قومها انا يا رسول الله فنهض فقتلها فاخبر النبي صلى
الله عليه وسلم فقال لا ينتطح فيها عنزان وعن ابن عباس ان اعمى كانت له ام
ولد تسب النبي صلى الله عليه وسلم فيزجرها فلما كانت ذات ليلة جعلت
تقع في النبي صلى الله عليه وسلم وتشتمه فقتلها واعلم النبي صلى الله عليه وسلم
بذلك فاهدر دمها وفي حديث ابي برزة الاسلمي كنت يوما جالسا
عند ابي بكر الصديق رضي الله عنه فغضب على رجل من المسلمين وحكى
القاضي اسمعيل وغير واحد من الائمة في هذا الحديث انه سب ابا بكر ورواه
النسائي قال اتيت ابا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه فقلت يا خليفة

رسول الله دعني اضرب عنقه لسبه اياك فقال اجلس فليس ذلك
لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قال القاضي ابو محمد بن نصر ولم يخالف
عليه احد فاستدل الائمة بهذا الحديث على قتل من اغضب النبي صلى الله عليه وسلم
بكل ما اغضبه او اذاه او سبه ومن ذلك كتاب عمر بن عبد العزيز الى
عامله بالكوفة وقد استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه فكتب
عمر اليه انه لا يحل قتل امرئ مسلم بسب احد من الناس الا رجلا سب رسول
الله صلى الله عليه وسلم فمن سبه فقد حل دمه وسأل الرشيد مالكا في
رجل شتم النبي صلى الله عليه وسلم وذكر له ان فقهاء العراق افتوه بجلده
فغضب مالك وقال يا امير المؤمنين ما بقاء الامة بعد شتم نبيها من شتم
الانبياء قتل ومن شتم اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم جلد قال القاضي ابو الفضل
كذا وقع في هذه الحكاية رواها غير واحد من اصحاب مناقب مالك و
مؤلفي اخباره وغيرهم من هؤلاء الفقهاء بالعراق الذين افتوا
الرشيد بما ذكر وقد ذكرنا مذهب العراقيين بقتله ولعلهم ممن لم
يشتهر بعلم او ممن لا يوثق بفتواه او يميل به هواه او يكون ما قال
يحمل على غير السب فيكون الخلاف هل هو سب او غير سب او يكون رجع
وتاب غير سب فلم يقله مالك على اصله والا فالاجماع على قتل من سبه كما
قدمناه ويدل على قتله من جهة النظر والاعتبار ان من سبه او تنقصه
فقد ظهرت علامة مرض قلبه وبرهان سر طويته ذكره ولهذا ما حكم له كثير
من العلماء بالردة وهي رواية الشاميين عن مالك والاوزاعي وقول

وابي حنيفه والكوفيين والقول الآخر انه دليل على الكفر فيقتل جدا وان لم
يحكم له بالكفر الا ان يكون متماديا على قوله غير منكر له ولا مقلع عنه فهذا
كافر وقوله اما صريح كفر كالتكذيب ونحوه او من كلمات الاستهزاء والذم فا
عترافه بها وترك توبته عنها دليل استحلاله لذلك وهو كفر ايضا فهذا كافر
بلا خلاف قال الله تعالى في مثله يحلفون بالله ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا
بعد اسلامهم قال اهل التفسير هي قولهم ان كان ما يقول محمد حقا لنحن شر من الحمير
وقيل قولهم بعضهم ما مثلنا ومثل محمد الا قول القائل سمن كلبك يأكلك ولئن
رجعنا الى المدينة ليخرجن الاعز منها الاذل وقد قيل ان قائل مثل هذا ان كان
مستترا به ان حكمه حكم الزنديق يقتل ولانه قد غير دينه وقد قال عليه السلام
من غير دينه فاضربوا عنقه ولان حكم النبي صلى الله عليه وسلم في الحرمة مزية على
امته وساب الحر من امته يحد فكانت العقوبة لمن سبه عليه السلام القتل
لعظيم قدره وشفوف منزلته على غيره فصل فان قلت فلم لم يقتل النبي
صلى الله عليه وسلم اليهودي الذي قال له السام عليك وهذا دعاء له ولا قتل
الآخر الذي قال له ان هذه القسمة ما اريد بها وجه الله وقد تأذى النبي
صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال وقد اوذي موسى باكثر من هذا فصبر ولا قتل
المنافقين الذين كانوا يؤذونه في اكثر الاحيان فاعلم وفقنا الله
واياك ان النبي صلى الله عليه وسلم كان اول الاسلام يستألف عليه الناس
ويميل قلوبهم اليه ويحبب اليهم الايمان ويزينه في قلوبهم ويداريهم ويقول
لاصحابه انما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا منفرين ويقول يسروا ولا تعسروا

وسكتوا

وسكتوا ولا تنفروا ويقول لا يتحدث الناس ان محمدا يقتل اصحابه
وكان صلى الله عليه وسلم يداري الكفار والمنافقين ويجمل صحبتهم ويغضي عليهم
ويحتمل من اذاهم ويصبر على جفائهم ما لا يجوز لنا اليوم الصبر لهم عليه وكان
يرفقهم بالعطاء والاحسان وبذلك امره الله تعالى فقال تعالى ولا تزال تطلع على
خائنة منهم الا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح ان الله يحب المحسنين وقال
تعالى ادفع بالتي هي احسن فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميد
وذلك لحاجة الناس للتأليف اول الاسلام وجمع الكلمة عليه فلما استقر
واظهره الله على الدين كله قتل من قدر عليه واشتهر امره كفعله بابن خطل
ومن عهد بقتله يوم الفتح ومن امكنه قتله غيلة من اليهود وغيرهم
او غلبه ممن لم ينظمه قبل سلك صحبته والانخراط في جملة مظهري الايمان به ممن
كان يؤذيه كابن الاشرف وابي رافع والنضر وعقبة وكذلك نذر دم
جماعة سواهم ككعب بن زهير وابن الزبعرى وغيرهما ممن آذوه حتى القوا
بايديهم ولقوه مسلمين وبواطن المنافقين مستترة وحكمه عليه
السلام على الظاهر واكثر تلك الكلمات انما كان يقولها القائل منهم
خفية ومع امثاله ويحلفون عليها اذا نميت وينكرونها ويحلفون بالله
ما قالوا ولقد قالوا كلمة الكفر وكفروا وكان مع هذا يطمع في فيئتهم و
رجوعهم الى الاسلام وتوبتهم فيصبر عليه السلام على هناتهم وجفاتهم
كما صبر اولوا العزم من الرسل حتى فاء كثير منهم باطنا كما فاء ظاهرا واخلص سرا
كما اظهر جهرا ونفع الله بعد بكثير منهم وقام منهم للدين وزراء واعوان

وحماة وانصاد كم جات به الاخبار وبهذا اجاب بعض ائمتنا رحمهم الله
من هذا السؤال وقال لعله لم يثبت عنده عليه السلام من اقوالهم ما رفع
وانما نقله الواحد ومن لم يصل رتبة الشهادة في هذا الباب من صبي او
عبد وامرأة والدماء لا تستباح الا بعدلين وعلى هذا يحمل امر اليهود في
السلام وانهم لووا به السنتهم ولم يبينوه الا ترى كيف نبهت عليه
عائشة رضي الله عنها ولو كان صرح بذلك لم تنفرد بعلمه ولهذا
نبه صلى الله عليه وسلم اصحابه على فعلهم وقلة صدقهم في سلامهم وخيانتهم في
ذلك ليا بالسنتهم وطعنا في الدين فقال ان اليهود اذا سلم احدهم فانما يقول
السام عليكم فقولوا عليكم وكذلك قال بعض اصحابنا البغداديين
ان النبي صلى الله عليه وسلم لم يقتل المنافقين بعلمه فيهم ولم يأت بانه قامت
بينة على نفاقهم فلذلك تركهم وايضا فان الامر كان سرا وباطنا وظاهرهم
الايمان والاسلام وان كان من اهل الذمة بالعهد والجوار والناس قريب
عهدهم بالاسلام لم يتميز وابعد الخبيث من الطيب وقد شاع خبره عن
المذكورين من العرب كون من يتهم بالنفاق من جملة المؤمنين وصحابة سيد
المرسلين وانصار الدين بحكم ظاهرهم فلو قتلهم النبي صلى الله عليه وسلم لنفاقهم
وما يبدو منهم وعلمه بما اسروا في انفسهم لوجد المنفر عن الاسلام ما يقول
ولارتاب الشارد وارجف المعاند وارتاع من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم
والدخول في الاسلام غير واحد ولزعم الزاعم وظن العدو الظالم ان
القتل انما كان للعداوة وطلب اخذ الترة وقد رايت معنى ما حررته منسوبا

الى مالك

الى مالك بن انس رحمه الله ولهذا قال عليه السلام لا يتحدث الناس ان
محمدا يقتل اصحابه وقال اولئك الذين نهاني الله عن قتلهم وهذا بخلاف
اجراء الاحكام الظاهرة عليهم من حدود الزنا والقتل وشبههم لظهورها
واستواء الناس في علمها وقد قال محمد بن المواز لو اظهر المنافقون نفاقهم
لقتلهم النبي صلى الله عليه وسلم وقاله القاضي ابو الحسن القصار وقال قتادة في
تفسير قوله لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون
في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها الا قليلا ملعونين اينما ثقفوا
اخذوا وقتلوا تقتيلا سنة الله الاية معناه اذا اظهروا النفاق وحكى محمد بن
مسلمة في المبسوط عن زيد بن اسلم ان قوله تعالى يا ايها النبي جاهد الكفار و
المنافقين واغلظ نسخها ما كان قبلها وقال بعض مشايخنا لعل القائل
هذه قسمة ما اريد بها وجه الله وقوله اعدل لم يفهم النبي صلى الله عليه وسلم
منه الطعن عليه والتهمة له وانما رآها من وجه الغلط في الراي وامور
الدنيا والاجتهاد في مصالح اهلها فلم ير ذلك سبا وراى انه من الاذى
له العفو عنه والصبر عليه فلذلك لم يعاقبه وكذلك يقال في اليهود
اذ قالوا السام عليكم ليس فيه صريح سب ولا دعاء الا بما لا بد منه من
الموت الذي لا بد من لحاقه جميع البشر وقيل بل المراد تسامون دينكم
والسام والسآمة الملال وهو دعاء على سآمة الدين ليس بصريح ولهذا
ترجم البخاري على هذا الحديث في باب والله الموفق اذا عرض الذمي وغيره بسب
النبي صلى الله عليه وسلم قال بعض علمائنا ليس هذا بتعريض بالسب وانما هو

تعريض بالاذى قال القاضي ابو الفضل قد قدمنا ان الاذى والسب عليه
السلام في حقه سواء وقال القاضي ابو محمد بن نصر مجيبا عن هذا الحديث ببعض
ما تقدم ثم قال ولم يذكر في الحديث هل كان هذا اليهودي من اهل العهد والذمة
او الحرب ولا يترك موجب الادلة للامر المحتمل والاولى في ذلك كله والاظهر من
هذه الوجوه مقصد الاستيلاف والمداراة على الدين لعلهم يؤمنون
ولذلك ترجم البخاري على حديث القسمة والخوارج في باب من ترك قتال الخوارج للتالف
ولئلا ينفر الناس عنه ولما ذكرنا معناه عن مالك وقررناه قبل وقد صبر لهم عليه
السلام على سحره وسمه وهو اعظم من سبه الى ان نصره الله عليهم واذن له في
القتل من حينه منهم وانزالهم من صياصيهم وقذف في قلوبهم الرعب وكتب على
من شاء منهم الجلاء واخرجهم من ديارهم وخرب بيوتهم بايديهم وايدي
المؤمنين وكاشفهم بالسب فقال يا اخوة القردة والخنازير وحكم فيهم
سيوف المسلمين واجلاهم من جوارهم واورثهم ارضهم وديارهم واموالهم
لتكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى فان قلت فقد جاء
في الحديث الصحيح عن عائشة رضي الله عنها انه عليه السلام ما انتقم
لنفسه في شيء يؤتى اليه قط الا ان تنتهك حرمة الله فينتقم لله
فاعلم هذا لا يقتضي انه لم ينتقم ممن سبه او اذاه او كذبه فان هذه
من حرمات الله التي انتقم لها وانما يكون ما لا ينتقم فيه منها فيما تعلق بسوء
الادب والمعاملة من القول والفعل بالنفس والمال مما لم يقصد فاعله
بها اذاه لكن مما جبلت عليه الاعراب من الجفاء والجهل او جبل عليه البشر

من الغفلة

من الغفلة كجبذ الاعرابي بازاره حتى اثر في عنقه وكرفع الصوت الاخر
عنده وكجحد الاعرابي بشراه منه التي شهد فيها خزيمة وكما كان من تظاهر زوجيه
عليه واشباه هذا مما يحسن الصفح عنه وقد قال بعض علمائنا ان اذى
النبي صلى الله عليه وسلم حرام لا يجوز بفعل مباح ولا غيره واما غيره من الناس فيجوز
بفعل مباح ما لا يجوز للانسان فعله وان تأذى به غيره واحتج بعموم قوله
ان الذين يؤذون الله ورسوله وبقوله صلى الله عليه وسلم انها بضعة مني يؤذيني
ما اذاها الا واني لا احرم ما احل الله ولكن لا تجتمع ابنة رسول الله صلى الله
عليه وسلم وابنة عدو الله عند رجل ابدا او يكون هذا مما اذاه به كافر رجا
بعد ذلك اسلامه كعفوه عن اليهودي الذي سحره وعن الاعرابي الذي اراد قتله
وعن اليهودية التي سمته وقد قيل قتلها ومثل هذا مما يبلغه من اذى اهل
الكتاب والمنافقين فصفح عنهم رجاء استيلاف غيرهم كما قدمناه قبل
والله الموفق والمرشد فصل تقدم الكلام في قتل القاصد لسبه و
الازرآء به وغمصه باي وجه كان من ممكن او محال فهذا وجه بين
لا اشكال فيه

الوجه الثاني

وفقـــ

لاحق به في البيان والجلاء وهو ان يكون القائل لما قال في جهته عليه السلام غير
قاصد للسب والازراء ولا معتقد له ولكنه تكلم في جهته صلى الله عليه وسلم
بكلمة الكفر من لعنه او سبه او تكذيبه او اضافة ما لا يجوز عليه او نفي ما يجب
مما هو في حقه عليه السلام نقيصة مثل ان ينسب اليه اتيان كبيرة او مداهنة
في تبليغ الرسالة او في الحكم بين الناس او نقص من مرتبته او شرف نسبه



او وقر عليه او زهد او يكذب بما اشتهر من امور اخبر بها عليه السلام
وتواتر الخبر بها عن عن قصد لرد خبره او ياتي بسفه من القول وقبيح من
الكلام ونوع من السب في حقه وان ظهر بدليل حاله انه لم يتعمد ذمه
ولم يقصد سبه اما لجهالة حملته على ما قاله او لضجر او سكر اضطره اليه
او قلة مراقبة وضبط للسانه وعجرفة وتهور في كلامه فحكم هذا الوجه
حكم الوجه الاول القتل دون تلعثم اذ لا يعذر احد في الكفر بالجهالة ولا
بدعوى زلل اللسان ولا بشيء مما ذكرناه اذا كان عقله في فطرته سليما
الا من اكره وقلبه مطمئن بالايمان وبهذا افتى الاندلسيون على ابن حاتم في
نفيه الزهد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي قدمناه وقال محمد بن
سحنون في المأسور يسب النبي صلى الله عليه وسلم في ايدي العدو يقتل الا ان يعلم تنصره
او اكراهه وعن محمد بن ابي زيد لا يعذر بدعوى زلل اللسان في مثل هذا وافتى ابو الحسن القابسي
فيمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم في سكره يقتل لانه يظن انه يعتقد هذا ويفعله في صحوه
وايضا فانه حد لا يسقطه السكر كالقذف والقتل وسائر الحدود لانه ادخله
على نفسه لان من شرب الخمر على علم من زوال عقله بها واتيان ما ينكر منه فهو كا
لعامد لما يكون بسببه وعلى هذا الزمناه الطلاق والعتاق والقصاص
والحدود ولا يعترض على هذا بحديث حمزة وقوله للنبي صلى الله عليه وسلم وهل انتم
الا عبيد لابي فعرف النبي صلى الله عليه وسلم انه ثمل فانصرف لان الخمر كانت حينئذ غير محرمة فلم
يكن في جناياتها اثم فكان حكم ما يحدث عنها معفوا عنه كما يحدث من النوم وشرب الدواء
المأذون

فصل الوجه الثالث

ان يقصد

ان يقصد الى تكذيبه فيما قاله او اتى به او ينفي نبوته او رسالته او وجوده
او يكفر به انتقل بقوله ذلك الى دين آخر غير ملته ام لا فهذا كافر بالاجماع
يجب قتله ثم ينظر فان كان مصرحا بذلك كان حكمه اشبه بحكم المرتد وقوي
الخلاف في استتابته وعلى القول الآخر لا يسقط القتل عنه توبته لحق
النبي صلى الله عليه وسلم وان كان ذكره بنقيصة فيما قاله من كذب او غيره
وان كان مستترا بذلك فحكمه حكم الزنديق لا تسقط قتله التوبة عندنا
كما سنبينه قال ابو حنيفة واصحابه من برئ من محمد او كذب به فهو مرتد حلال
الدم الا ان يرجع وقال ابن القاسم في المسلم اذا قال ان محمدا ليس بنبي او لم يرسل
او لم ينزل عليه قرآن وانما هو شيء تقوله يقتل قال ومن كفر برسول الله
وانكره من المسلمين فهو بمنزلة المرتد وكذلك من اعلن بتكذيبه انه
كالمرتد يستتاب وكذلك قال فيمن تنبأ وزعم انه يوحى اليه وقاله سحنون
قال ابن القاسم دعا الى ذلك سرا او جهرا قال اصبغ وهو كالمرتد لانه
قد كفر بكتاب الله مع الفرية على الله وقال اشهب في يهودي تنبأ وزعم
انه ارسل الى الناس او قال بعد نبيكم نبي انه يستتاب ان كان معلنا
بذلك فان تاب والا قتل وذلك انه مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم في قوله
لا نبي بعدي على الله في دعواه عليه الرسالة والنبوة وقال محمد بن سحنون
من شك في حرف واحد مما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم عن الله فهو كافر
جاحد وقال من كذب النبي صلى الله عليه وسلم كان حكمه عند الامة القتل
وقال احمد بن سليمان صاحب سحنون من قال ان النبي صلى الله عليه وسلم اسود

قتل لم يكن عليه السلام باسود وقال نحوه ابو عثمان الحداد قال لو قال انه
مات قبل ان يلتحي او انه كان بتاهرت ولم يكن بتهامة قتل لان هذا نفي قال حبيب
بن ربيع تبديل صفته ومواضعه كفر ونفي المظهر وفيه الاستتابة والمسرله
زنديق يقتل دون استتابة

فصل الوجه الرابع

ان ياتي من الكلام بمجمل من القول يشكل يمكن حمله على النبي صلى الله عليه وسلم
او غيره او يتردد في المراد به من سلامته من المكروه او شره فهنا متردد
النظر وحيرة العبر ومظنة اختلاف المجتهدين ووقفة استبراء المقلدين
ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة فمنهم من غلب حرمة
النبي صلى الله عليه وسلم وحمى حمى عرضه فجسر على القتل ومنهم من عظم حرمة الدم
ودرا الحد بالشبهة لاحتمال القول وقد اختلف ائمتنا في رجل اغضبه
غريمه فقال له النبي صلى الله عليه وسلم على الله محمد فقال له الطالب لا صلى الله
على من صلى عليه فقيل لسحنون هل هو كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم او شتم
الملائكة الذين يصلون عليه قال لا اذا كان على ما وصفت من الغضب لانه لم يكن
مضمرا للشتم وقال ابو اسحق البرقي واصبغ بن الفرج لا يقتل لانه انما شتم الناس
وهذا نحو قول سحنون لانه لم يعذره بالغضب في شتم النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه
لما احتمل الكلام عنده ولم يكن معه قرينة تدل على شتم النبي صلى الله عليه وسلم
او شتم الملائكة صلوات الله عليهم اجمعين ولا مقدمة يحمل عليها كلامه
بل القرينة تدل على ان مراده الناس غير هؤلاء لاجل قول الآخر له صلى الله عليه وسلم
صل على محمد فحمل قوله وسبه لمن يصلي عليه الآن لاجل امر الآخر له بهذا عند

غضبه

غضبه هذا معنى قول سحنون وهو مطابق لعلة صاحبيه وذهب الحرث بن
مسكين القاضي وغيره في مثل هذا الى القتل وتوقف ابو الحسن القابسي في قتل رجل قال
كل صاحب فندق قرنان ولو كان نبيا مرسلا فامر بشده في القيود والتضييق
عليه حتى يستفهم البينة عن جملة الفاظه وما يدل على مقصده هل اراد
اصحاب الفنادق الآن فمعلوم انه ليس فيهم نبي مرسل فيكون امره اخف وادل
ولكن ظاهر لفظه العموم لكل صاحب فندق من المتقدمين والمتأخرين وقد
كان فيمن تقدم من الانبياء والرسل من اكتسب المال قال ودم المسلم
لا يقدم عليه بامر بين وما يرد اليه التأويلات لا بد من انعام النظر فيه هذا
معنى كلامه وحكي عن ابي محمد بن ابي زيد فيمن قال لعن الله العرب ولعن الله
بني اسرائيل ولعن الله بني آدم وذكر انه لم يرد الانبياء وانما اردت
الظالمين منهم ان عليه الادب بقدر اجتهاد السلطان وكذلك افتى فيمن
قال لعن الله من حرم المسكر وقال لم اعلم من حرمه وفيمن لعن حديث لا يبيع
حاضر لباد ولعن الله من جاء به انه كان يعرف بالجهل وعدم معرفة السنن
فعليه الادب الوجيع وذلك ان هذا لم يقصد بظاهر حاله سب الله ولا سب
رسوله وانما لعن من حرمه من الناس على نحو فتوى سحنون واصحابه في
المسئلة المتقدمة ومثل هذا ما يجري في كلام سفهاء الناس من قول بعضهم
لبعض يا ابن الف خنزير ويا ابن مائة كلب وشبهه من هجر القول ولا شك انه
يدخل في مثل هذا العدد من آبائه واجداده جماعة من الانبياء ولعل
بعض هذين العددين منقطع الى آدم عليه السلام فينبغي الزجر عنه وتبيين

ماجهل قائل صمته وشدة الادب فيه ولو علم انه قصد سب من في ابائه من
الانبياء على علم لقتل وقد نضيق القول في نحو هذا لو قال لرجل هاشمي لعن
الله بني هاشم وقال اردت الظالمين منهم او قال لرجل من ذرية النبي صلى الله
عليه وسلم قولا قبيحا في ابائه ومن نسله وولده على علم منه انه من ذرية النبي صلى
الله عليه وسلم ولم تكن قرينة في المسئلتين تقتضي تخصيص بعض ابائه واخراج النبي
صلى الله عليه وسلم ممن سبه منهم وقد رايت لابي موسى بن مياس فيمن قال لرجل
لعنك الله الى ادم انه ان ثبت عليه ذلك قتل وقد كان اختلف شيوخنا فيمن قال
لشاهد شهد عليهم بشيء ثم قال له تتهمني فقال له الاخر الانبياء يتهمون
فكيف انت فكان شيخنا ابو اسحق بن جعفر يرى قتله لشناعة ظاهر اللفظ
وكان القاضي ابو محمد بن منصور يتوقف عن القتل لاحتمال اللفظ عنده ان يكون
خبرا عمن اتهمهم من الكفار وافتى فيه قاضي قرطبة ابو عبد الله بن الحاج
بنحو من هذا وشدد القاضي ابو محمد تصفيده واطال سجنه ثم استحلفه بعد
على تكذيب ما شهد به عليه اذ دخل في شهادة بعض من شهد عليه وهن ثم
اطلقه وشاهدت شيخنا القاضي ابا عبد الله بن محمد بن عيسى ايام قضائه اتي
برجل هاتر رجلا اسمه محمد ثم قصد الى كلب فضربه برجله وقال له قم يا محمد فانكر الرجل
ان يكون قال ذلك وشهد عليه لفيف من الناس فامر به الى السجن وتقصى عن
حاله وهل يصحب من يستراب بدينه فلما لم يجد ما يقوي الريبة باعتقاده
ضربه بالسوط واطلقه وقد غير عمر بن الخطاب اسم محمد بن زيد بن الخطاب لمثل
ذلك انه سمع رجلا يسب رجلا اسمه محمد ويقول له فعل الله بك يا محمد وصنع

فقال عمر

فقال عمر لابن اخيه محمد لا ارى رسول الله صلى الله عليه وسلم يسب بك والله
لا تدعى محمدا ما دمت حيا وسماه عبد الرحمن ثم هم بتغيير اسما من باسماء
الملائكة اكراما لهم لذلك فغير اسماء قوم معروفين ثم ترك ذلك

فصل الوجه الخامس ان لا يقصد نقصا

ولا يذكر عيبا ولا سبا لكنه ينزع بذكر بعض اوصافه او يستشهد ببعض
احواله عليه السلام الجائزة عليه في الدنيا على طريق ضرب المثل والحجة
لنفسه او لغيره او سبيل التمثيل وعدم التوقير لنبيه عليه السلام و
قصد الهزل والتندير بقوله كقول القائل ان قيل في السوء فقد قيل في النبي
صلى الله عليه وسلم او ان كذبت فقد كذب الانبياء او ان اذنبت فقد اذنبوا
وانا اسلم من السنة الناس ولم يسلم منهم انبياء الله ورسله او قد صبرت
كما صبر اولوا العزم من الرسل او كصبر ايوب او قد صبر نبي الله عن عداه وحلم
على اكثر مما صبرت وكقول المتنبي انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود
ونحوه من اشعار المتعجرفين في القول المتساهلين في الكلام كقول المعري كنت موسى
وافته بنت شعيب غير ان ليس فيكما من فقير على ان اخر البيت شديد عند
تدبره وداخل في باب الازراء والتحقير بالنبي صلى الله عليه وسلم وتفضيل حال غيره عليه
وكذلك قوله لولا الانقطاع وحي بعد محمد قلنا محمد من ابيه بديل هو مثله في
الفضل الا انه لم ياته برسالة جبريل فصدر البيت الثاني من هذا الفصل شديد
لتشبيهه غير النبي صلى الله عليه وسلم في فضله بالنبي والعجز محتمل لوجهين احدهما ان
هذه الفضيلة نقصت الممدوح والاخر استغناؤه عنها وهذه اشد

ونحو منه قول الآخر واذا ما رفعت راياته صفقت بين جناحي جبرائيل وقول
الآخر من اهل العصر فر من الخلد واستجار بنا فصبر الله قلب
رضوان وكقول حسان المصيصي من شعراء الاندلس في محمد بن عباد المعروف بالمعتمد
ووزيره ابي بكر بن زيدون يمدحهم كان ابا بكر ابو بكر الرضى وحسان حسان وانت محمد الى
امثال هذا وانما اكثرنا بشاهدها مع استثقالنا حكايتها لتعريف امثالها و
لتساهل كثير من الناس في ولوج هذا الباب الضنك واستخفافهم فادح هذا العبء
وقلة علمهم بعظيم ما فيه من الوزر وكلامهم منه بما ليس لهم به علم ويحسبونه هينا
وهو عند الله عظيم لا سيما الشعراء واشدهم فيه تصريحا وللسانه تسريحا ابن هاني
الاندلسي وابن سليمان المعري بل قد خرج كثير من كلامهما الى حد الاستخفاف و
والنقص وصريح الكفر واجبنا عنه وغرضنا الآن الكلام في هذا الفصل الذي
سقنا امثلته فان هذه كلها وان لم تتضمن سبا ولا اضافت الى الملائكة و
الانبياء نقصا ولست اعني عجزي بيتي المعري ولا قصد قائلها ازراء وغضبا فما
وقر النبوة ولا عظم الرسالة ولا عزر حرمة الاصطفاء ولا عزز حظوة الكرامة
حتى شبه في كرامة نالها او معرة قصد الانتفاء منها او ضرب مثل لتطييب مجلسه او اعلاء
في وصف لتحسين كلامه بمن عظم الله خطره وشرف قدره والزم توقيره وبره
ونهى عن جهر القول له ورفع الصوت عنده فحق هذا ان درئ عنه القتل الادب
والسجن وقوة تعزيره بحسب شنعة مقاله ومقتضى قبح ما نطق به وما
لوف عادته لمثله او ندوره او قرينة كلامه او ندمه على ما سبق منه ولم يزل
المتقدمون ينكرون مثل هذا ممن جاء به وقد انكر الرشيد على ابي نواس قوله

فان يك

فان يك باقي سحر فرعون فيكم فان عصا موسى بكف خصيب وقال يا ابن
اللخناء انت المستهزئ بعصا موسى وامر باخراجه عن عسكره من ليلته
وذكر القتيبي ان مما اخذ عليه ايضا وكفر به او قارب قوله في محمد الامين
وتشبيهه اياه بالنبي صلى الله عليه وسلم وقوله تنازع الاحمدان الشبه
فاشتبها خلقا وخلقا كما قد الشراكان وقد انكروا ايضا عليه قوله كيف
لا يدنيك من امل من رسول الله من نفره لان حق الرسول وموجب
تعظيمه وانافة منزلته ان يضاف اليه ولا يضاف هو الى غيره فالحكم
في امثال هذا ما بسطناه في طريق الفتيا على هذا المنهج جاءت فتيا امام
مالك بن انس رحمه الله واصحابه ففي النوادر من رواية ابن ابي مريم عنه
في رجل عير رجلا بالفقر فقال تعيرني بالفقر وقد رعى النبي صلى الله
عليه وسلم فقال مالك رضي الله عنه قد عرض بذكر النبي صلى الله عليه وسلم في غير
موضعه ارى ان يؤدب قال ولا ينبغي لاهل الذنوب اذا عوتبوا ان
يقولوا قد اخطأت الانبياء قبلنا وقال عمر بن عبد العزيز لرجل انظر لنا
كاتبا يكون ابوه عربيا فقال كاتب له قد كان ابو النبي كافرا فقال جعلت
هذا مثلا فعزله وقال لا تكتب لي ابدا وقد كره سحنون ان يصلي على النبي صلى
الله عليه وسلم عند التعجب الا على طريق الثواب والاحتساب توقيرا له وتعظيما
كما امرنا الله وسئل القابسي عن رجل قال لرجل قبيح الوجه كانه وجه
نكير ولرجل عبوس كانه وجه مالك الغضبان فقال اي شيء اراد بهذا ونكير
احد فتاني القبر وهما ملكان فما الذي اراد اروع دخل عليه حين رآه

من وجهه ام عاف النظر اليه لدمامة لخلقته فان كان فهو شديد لانه
جرى مجرى التحقير والتهوين فهو اشد عقوبة وليس فيه تصريح بالسب للملك
وانما السب واقع على المخاطب وفي الادب بالسوط والسجن نكال
للسفهاء قال واما ذاكر مالك خازن النار فقد جفا الذي ذكره
عندما انكر من عبوس الآخر الا ان يكون المعبس له يد فيرهب بعبسته
فيشبهه القائل على طريق الذم لهذا في فعله فيقول كانه لله يغضب غضب
مالك فيكون اخف وما كان ينبغي له التعرض لمثل هذا ولو كان اثنى على
العبوس بعبسته واحتج بصفة مالك كان اشد ويعاقب المعاقبة الشديدة
وليس في هذا ذم الملك ولو قصد ذمه لقتل وقال ابو الحسن ايضا في
شاب معروف بالخير قال لرجل شيئا فقال له الرجل اسكت فانك امي فقال
الشاب اليس كان النبي اميا فشنع عليه مقاله وكفره الناس واشفق
الشاب مما قال واظهر الندم عليه فقال ابو الحسن اما اطلاق الكفر عليه
فخطأ لكنه مخطئ في استشهاده بصفة النبي صلى الله عليه وسلم وكون النبي صلى الله
عليه وسلم اميا آية له وكون هذا نقيصة فيه وجهالة ومن جهالته احتجاجه
بصفة النبي صلى الله عليه وسلم لكنه اذا استغفر الله وتاب واعترف ولجأ الى
الله فيترك لان قوله لا ينتهي الى حد القتل وما طريقه الادب فطوع فاعله
بالندم عليه يوجب الكف عنه ونزلت ايضا مسئلة استفتى فيه بعض قضاة
الاندلس شيخنا القاضي ابا محمد بن منصور رحمه الله في رجل تنقصه الآخر بشيء
فقال له انما تريد نقصي بقولك وانا بشر وجميع البشر يلحقهم النقص حتى النبي صلى الله عليه

فافتاه

فافتاه باطالة سجنه وايجاع ادبه اذ لم يقصد السب وكان بعض فقهاء الاندلس
افتى بقتله **فصل الوجه السادس** ان يقول القائل ذلك حاكيا عن
غيره وآثرا له عن سواه فهذا ينظر في صورة حكايته وقرينة مقالته و
يختلف الحكم باختلاف ذلك على اربعة اوجه الوجوب والندب والكراهة
والتحريم فان كان اخبر به على وجه الشهادة والتعريف بقائله والانكار و
الاعلام بقوله والتنفير منه والتجريح له فهذا مما ينبغي امتثاله ويحمد فاعله
كذلك ان حكاه في كتاب او في مجلس على طريق الرد له والنقض على قائله والفتيا
بما يلزمه وهذا منه ما يجب ومنه ما يستحب بحسب حالات الحاكي لذلك والمحكي عنه
فان كان القائل لذلك ممن تصدى لان يؤخذ عنه العلم او رواية الحديث او يقطع
بحكمه او شهادته او فتياه في الحقوق وجب على سامعه الشهادة بما سمع منه
والتنفير للناس والشهادة عليه بما قاله ووجب على من بلغه ذلك من ائمة
المسلمين انكاره وبيان كفره وفساد قوله لقطع ضرره عن المسلمين
وقياما بحق سيد المرسلين وكذلك ان كان ممن يعظ العامة او يؤدب
الصبيان فان من كان هذه سريرته لا يؤمن على القاء ذلك في قلوبهم فيتأكد
في هؤلاء الايجاب بحق النبي صلى الله عليه وسلم وبحق شريعته وان لم يكن القائل بهذه
السبيل فالقيام بحق النبي صلى الله عليه وسلم واجب وحماية عرضه متعين ونصرته
عن الاذى حيا وميتا مستحق على كل مؤمن لكنه اذا قام بهذا من ظهر به
الحق وفصلت به القضية وبان به الا سقط عن الباقي الفرض وبقي الاستحباب
في تكثير الشهادة عليه وعضد التحذير منه وقد اجمع السلف على بيان

حال المتهم في الحديث فكيف بمثل هذا وقد سئل ابو محمد بن ابي زيد عن شاهد
يسمع مثل هذا في حق الله تعالى ايسعه ان لا يؤدي شهادته قال ان رجا نفاذ
الحاكم بشهادته فليشهد وكذلك ان علم ان الحاكم لا يرى القتل بما شهد به
ويرى الاستتابة والادب فيشهد ويلزمه ذلك واما الاباحة لحكاية
قوله لغير هذين المقصدين فلا ارى لها مدخلا في الباب فليس التفكه
بعرض النبي صلى الله عليه وسلم والتمضمض بسوء ذكره لاحد لا ذاكرا ولا آثرا لغير
غرض شرعي بمباح واما الاغراض المتقدمة فمتردد بين الايجاب والاستحباب
وقد حكى الله تعالى مقالات المفترين عليه وعلى رسله في كتابه على وجه الانكار
لقولهم والتحذير من كفرهم والوعيد عليه والرد عليهم بما تلاه الله علينا في محكم كتابه
وكذلك وقع من امثاله في احاديث النبي صلى الله عليه وسلم الصحيحة على الوجوه المتقدمة
واجمع السلف والخلف من ائمة الهدى على حكايات مقالات الكفرة والملحدين في كتبهم
ليبينوها للناس وينقضوا شبهها عليهم وان كان ورد لاحمد بن حنبل انكار لبعض
هذا على الحارث بن اسد فقد صنع احمد مثله في رده على الجهمية والقائلين بالمخلوق
هذه الوجوه السابعة الحكاية عنها فاما ذكرها على غير هذا من حكاية سبه والازراء
بمنصبه على وجه الحكايات والاسمار والطرف واحاديث الناس ومقالاتهم في الغث
والسمين ومضاحك المجان ونوادر السخفاء والخوض في قيل وقال وما لا يعني فكل هذا
ممنوع وبعضه اشد في المنع والعقوبة من بعض فما كان من قائله الحاكي له على غير
قصد او معرفة بمقدار ما حكاه او لم يكن عادته او لم يكن الكلام من البشاعة حيث هو ولم
يظهر على حاكيه استحسانه واستصوابه زجر عن ذلك ونهي عن العودة اليه وان

وقوم

قوم ببعض الادب فهو مستوجب له وان كان لفظه من البشاعة حيث هو كان الادب اشد
وقد حكي ان رجلا سأل مالكا عمن يقول القرآن مخلوق فقال مالك هو كافر فاقتلوه
فقال انما حكيته عن غيري فقال مالك انما سمعناه منك وهذا من مالك رحمه الله على
طريق الزجر والتغليظ بدليل انه لم ينفذ قتله وان اتهم هذا الحاكي فيما حكاه انه
اختلقه ونسبه الى غيره او كانت تلك عادة له او ظهر استخفافه له او
التحفظ لمثله وطلبه او رواية اشعار هجوه عليه السلام وسبه فحكم هذا حكم
الساب نفسه يؤاخذ بقوله ولا تنفعه نسبته الى غيره فيبادر بقتله
ويعجل الى الهاوية وامه وقد قال ابو عبيد القاسم بن سلام فيمن حفظ شطر
بيت مما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم فهو كفر وقد ذكر بعض من الف في الاجماع اجماع
على تحريم رواية ما هجي به النبي صلى الله عليه وسلم وكتابه وقراءته وتركه متى وجد دون محو
ورحم الله اسلافنا المتقين المتحرزين لدينهم فقد اسقطوا من احاديث
المغازي والسير ما كان هذا سبيله وتركوا روايته الا اشياء ذكروها
يسيرة وغير مستبشعة على نحو الوجوه الاول ليروا نقمة الله من قائلها واخذه المفتري
عليه بذنبه وهذا ابو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله قد تحرى فيما اضطر الى الاستشهاد
به من اهاجي اشعار العرب في كتبه فكنى عن اسم المهجو بوزن اسمه استبراء لدينه وتحفظا
من المشاركة في ذم احد بروايته او نشره فكيف بما يتطرق الى عرض سيد البشر صلى الله
عليه وسلم **فصل الوجه السابع** ان يذكر ما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم او يختلف في
جوازه عليه وما يطرأ من الامور البشرية ويمكن اضافتها اليه او يذكر ما امتحن به وصبر
في ذات الله على شدته من مقاساة اعدائه واذاهم له ومعرفة ابتداء حاله وسيره

وما القيه من بؤس زمنه ومر عليه من معاناة عيشته كل ذلك على طريق الرواية
ومذاكرة العلم ومعرفة ما صحت منه العصمة للانبياء وما يجوز عليهم فهذا
فن خارج عن هذه الفنون الستة اذ ليس فيه غمص ولا نقص ولا ازراء ولا استخفاف
لا في ظاهر اللفظ ولا في مقصد اللافظ لكن يجب ان يكون الكلام فيه مع اهل العلم وفهماء
طلبة الدين ممن يفهم مقاصده ويحققون فوائده ويجنب ذلك من عساه لا يفقه او
يخشى به فتنته فقد كره بعض السلف تعليم النساء سورة يوسف لما انطوت عليه
من تلك القصص لضعف معرفتهن ونقص عقولهن وادراكهن فقد قال عليه
السلام مخبرا عن نفسه باستيجاره الغنم في ابتداء حاله وقال ما من نبي الا وقد
رعى الغنم واخبرنا الله بذلك عن موسى عليه السلام وهذا لا غضاضة فيه
جملة واحدة لمن ذكره على وجهه بخلاف من قصد به الغضاضة والتحقير بل كانت
عادة جميع العرب نعم في ذلك للانبياء حكمة بالغة وتدريج لله لهم الى كرامته
وتدريب برعايتها لسياسة اممهم من خليقته بما سبق لهم من الكرامة في الازل ومتقدم
العلم وكذلك قد ذكر الله يتمه وعيلته على طريق المنة عليه والتعريف بكرامته
له فذكر الذاكر لها على وجه تعريف حاله والخبر عن مبتدئه والتعجب من منح الله
قبله وعظيم منته عنده ليس فيه غضاضة بل فيه دلالة على نبوته اذ اظهره الله تعالى
بعد هذا على صناديد العرب ومن ناواه من اشرافهم شيئا فشيئا ونمى امره حتى قهرهم
وتمكن من ملك مقاليدهم واستباحة ممالك كثير من الامم غيرهم باظهار الله تعالى
له وتاييده بنصره وبالمؤمنين والف بين قلوبهم وامداده بالملائكة المسومين
ولو كان ابن ملك او ذا اشياع متقدمين لحسب كثير من الجهال ان ذلك موجب

ظهوره

ظهوره ومقتضى علوه ولهذا قال هرقل حين سأل ابا سفيان عنه هل في ابائه
من ملك ثم قال له ولو كان في ابائه ملك لقلنا رجل يطلب ملك ابيه واذا اليتيم
من صفته واحدى علاماته في الكتب المتقدمة واخبار الامم السالفة وكذا
وقع ذكره في كتاب ارميا وبهذا وصفه ابن ذي يزن لعبد المطلب و
بحيرا لابي طالب واذا وصف بانه امي كما وصفه الله به فهي مدحة له و
فضيلة ثابتة فيه وقاعدة معجزته اذ معجزته العظمى من القرآن العظيم انما
هي متعلقة بطريق المعارف والعلوم مع ما منح صلى الله عليه وسلم وفضل به من
ذلك كما قدمناه في القسم الاول ووجود مثل ذلك من رجل لم يقرأ ولم يكتب
ولم يدارس ولا لقن مقتضى العجب ومنتهى العبر ومعجزة البشر وليس في ذلك
نقيصة اذ المطلوب من الكتابة والقراءة المعرفة وانما هي آلة لها وواسطة
موصلة اليها غير مرادة في نفسها فاذا حصلت الثمرة والمطلوب استغني عن الواسطة
والسبب والامية في غيره نقيصة لانها سبب الجهالة وعنوان الغباوة فسبحان من باين امره
من امر غيره وجعل شرفه فيما فيه محطة سواه وحياته فيما فيه هلاك من عداه
هذا شق قلبه واخراج حشوته كان تمام حياته وغاية قوة نفسه وثبات روعه
وهو فيمن سواه منتهى هلاكه وحتم موته وفنائه وهلم جرا الى سائر ما روي من اخباره
وسيره وتقلله من الدنيا ومن الملبس والمطعم والمركب وتواضعه ومهنته نفسه
في اموره وخدمة بيته زهدا ورغبة عن الدنيا وتسوية بين حقيرها وخطيرها
لسرعة فناء امورها وتقلب احوالها كل هذا من فضائله ومآثره وشرفه كما ذكرناه فمن اورد
شيئا منها موردها وقصد بها مقصدها كان حسنا ومن اورد ذلك على غير وجهه

وعلم انه بذلك سوء قصده ويحقق الفصول التي قدمناها وكذلك ما ورد من اخباره و
اخبار سائر الانبياء عليهم السلام في الاحاديث مما في ظاهره اشكال يقتضي امورا
لا يليق بهم بحال ويحتاج الى تاويل وتردد احتمال فلا يجب ان يتحدث منها الا بالصحيح ولا يروى
منها الا المعلوم الثابت ورحم الله مالكا فلقد كره التحدث بمثل ذلك من الاحاديث الموهمة
للتشبيه والمشكلة المعنى وقال ما يدعو الناس الى التحدث بمثل هذا فقيل له ان ابن عجلان
يحدث بها فقال لم يكن من الفقهاء وليت الناس وافقوه على ترك الحديث بها وساعدوه
على طيها فاكثرها ليس تحته عمل وقد حكي عن جماعة من السلف بل عنهم على الجملة انهم كانوا
يكرهون الكلام فيما ليس تحته عمل والنبي صلى الله عليه وسلم اوردها على قوم عرب يفهمون كلام
العرب على وجهه وتصرفاتهم في حقيقته ومجازه واستعارته وبليغه وايجازه فلم تكن
في حقهم مشكلة ثم جاء من غلبت عليه العجمة وداخلته الامية فلا يكاد يفهم من مقاصد
العرب الا نصها وصريحها ولا يتحقق اشاراتها الى غرض الايجاز ووحيها وتبليغها
وتلويحها فتفرقوا في تاويلها او حملها على ظاهرها شذر مذر فمنهم من امن به ومنهم
من كفر فاما ما لا يصح من هذه الاحاديث فواجب الا يذكر منها شيء في حق الله تعالى ولا في حق
انبيائه ولا يتحدث بها ولا يتكلف الكلام على معانيها والصواب طرحها وترك
الشغل بها الا ان تذكر على وجه التعريف بانها ضعيفة المعنى واهية الاسناد وقد
انكر الاشياخ على ابي بكر بن فورك تكلفه في مشكله الكلام على احاديث ضعيفة
موضوعة لا اصل لها او منقولة عن اهل الكتاب الذين يلبسون الحق بالباطل كان يكفيه
طرحها ويغنيه عن الكلام عليها التنبيه على ضعفها اذ المقصود بالكلام على مشكل
ما فيها ازالة اللبس بها واجتثاثها من اصلها وطرحها اكشف للبس واشفى

للنفس

للنفس

فصل

ومما يجب على المتكلم فيما يجوز على النبي صلى الله عليه وسلم وما لا يجوز
والذاكر من حالاته ما قدمناه في الفصل قبل هذا على طريق المذاكرة و
التعليم ان يلتزم في كلامه عند ذكره عليه السلام وذكر تلك الاحوال
الواجب من توقيره وتعظيمه ويراقب حال لسانه ولا يهمله وتظهر عليه
علامات الادب عند ذكره فاذا ذكر ما قاساه من الشدائد ظهر عليه الاشفاق
والارتماض والغيظ على عدوه ومودة الفداء للنبي صلى الله عليه وسلم لو قدر
عليه والنصرة له لو امكنته واذا اخذ في ابواب العصمة وتكلم على مجاري
اعماله واقواله عليه السلام تحرى احسن اللفظ وادب العبارة ما امكنه
واجتنب بشيع ذلك وهجر من العبارة ما يقبح كلفظة الجهل والكذب
والمعصية فاذا تكلم في الاقوال قال هل يجوز عليه الخلف في القول والاخبار
بخلاف ما وقع سهوا او غلطا ونحوه من العبارة ويتجنب لفظة الكذب
جملة واحدة واذا تكلم على العلم قال هل يجوز الا يعلم وهل يمكن ان لا يكون
عنده علم من بعض الاشياء حتى يوحى اليه ولا يقول يجهل لقبح اللفظ
وبشاعته واذا تكلم في الافعال قال هل يجوز منه المخالفة في بعض
الاوامر والنواهي ومواقعة الصغائر فهو اولى وادب من قوله هل يجوز ان
يعصي او يذنب او يفعل كذا وكذا من انواع المعاصي فهذا من حق توقيره عليه
السلام وما يجب له من تعزير واعظام وقد رايت بعض العلماء لم يتحفظ من
هذا فقبح منه ولم استصوب عبارته فيه ووجدت بعض الجائرين قوله لاجل
ترك تحفظه في العبارة ما لم يقله وشنع عليه بما ياباه ويكفر قائله

واذا كان مثل هذا بين الناس مستعملا في ادابهم وحسن معاشرتهم وخطابهم
فاستعماله في حقه عليه السلام اوجب والتزامه اكد فجودة العبارة تقبح الشي
او تحسنه وتحريرها وتهذيبها يعظم الامر او يهونه ولهذا قال عليه السلام ان من
البيان لسحرا فاما ما ورده على جهة النفي عنه والتنزيه فلا حرج في تسريح العبارة
وتصريحها كقوله لا يجوز عليه الكذب جملة ولا اتيان الكبائر بوجه ولا الجور
في حكم على حال ولكن مع هذا يجب ظهور توقيره وتعظيمه وتعزيره عند ذكره مجردا
فكيف عند ذكر مثل هذا وقد كان السلف تظهر عليهم حالات شديدة عند مجرد ذكره
كما قدمناه في القسم الثاني وكان بعضهم يلتزم مثل ذلك عند تلاوة اي من القرآن
حكى الله تعالى فيها مقال عداه ومن كفر باياته وافترى عليه الكذب فكان يخفض بها صوته اعظاما
لربه واجلالا له واشفاقا من التشبه بمن كفر به **الباب الثالث** في حكم سابه وشانئه
ومنتقصه ومؤذيه وعقوبته وذكر استتابته ووراثته قد قدمنا ما هو
سب واذى في حقه عليه السلام وذكرنا اجماع العلماء على قتل فاعل ذلك وقائله
وتخيير الامام في قتله او صلبه على ما ذكرناه وقررنا الحجج عليه وبعد فاعلم ان
مشهور مذهب مالك واصحابه وقول السلف وجمهور العلماء قتله حدا لا كفرا ان
اظهر التوبة منه ولهذا لا يقبل عندهم توبته ولا تنفعه استقالته ولا فيئته
كما قدمناه قبل وحكمه حكم الزنديق ومسر الكفر في هذا القول وسواء كانت توبته
على هذا بعد القدرة عليه والشهادة على قوله او جاء تائبا من قبل نفسه لانه حد وجب
عليه لا تسقطه التوبة كسائر الحدود وقال الشيخ ابو الحسن القابسي رحمه الله اذا
اقر بالسب وتاب منه واظهر التوبة قتل بالسب لانه هو حده وقال ابو محمد بن ابي

مثله واما ما بينه وبين الله تعالى فتوبته تنفعه وقال ابن سحنون من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم من الموحدين ثم تاب عن ذلك لم تزل توبته عنه القتل وكذلك قد
اختلف في الزنديق اذا جاء تائبا فحكى القاضي ابو الحسن بن القصار في ذلك قولين
قال من شيوخنا من قال اقتله بالاقرار لانه كان يقدر على ستر نفسه فلما
اعترف خفنا انه خشي الظهور عليه فبادر لذلك ومنهم من قال اقبل توبته
لاني استدل على صحتها بمجيئه تائبا فكاننا وقفنا على باطنه بخلاف من اسرته
البينة قال القاضي رضي الله عنه وهذا قول اصبغ ومسألة ساب النبي صلى الله
عليه وسلم اقوى لا يتصور فيها الخلاف على الاصل المتقدم لانه حق متعلق للنبي صلى الله
عليه وسلم ولامته بسببه لا تسقطه التوبة كسائر حقوق الادميين والزنديق اذا
تاب بعد القدرة عليه فعند مالك والليث واسحق واحمد لا يقبل
توبته وعند الشافعي يقبل واختلف فيه عن ابي حنيفة وابي يوسف وحكى
ابن المنذر عن علي بن ابي طالب رضي الله عنه يستتاب قال محمد بن سحنون ولم يزل
القتل عن المسلم بالتوبة من سبه عليه السلام لانه لم ينتقل من دين الى
دين غيره وانما فعل شيئا حده عندنا القتل لا عفو فيه لاحد كالزنديق لانه
لا ينتقل من ظاهر الى ظاهر وقال القاضي ابو محمد بن نصر محتجا لسقوط اعتبار
توبته والفرق بينه وبين من سب الله على مشهور القول باستتابته ان النبي صلى الله عليه وسلم
بشر والبشر جنس تلحقهم المعرة الا من اكرمه الله بنبوته والباري تعالى منزه
عن جميع المعايب قطعا وليس من جنس تلحق المعرة بجنسه وليس سبه عليه السلام
كالارتداد المقبول فيه التوبة لان الارتداد معنى ينفرد به المرتد لا حق فيه لغيره من الادميين

قبلت توبته ومن سب النبي تعلق فيه حق لآدمي فكان كالمرتد يقتل حين ارتداده
او كقاذف فان توبته لا تسقط عنه حد القتل والقذف وايضا فان توبة المرتد
اذا قبلت لا تسقط ذنوبه من زنا وسرقة وغيرها ولم يقتل ساب النبي صلى الله عليه وسلم
لكفره لكن لمعنى يرجع الى تعظيم حرمته وزوال المعرة به وذلك لا يسقطه التوبة قال
القاضي ابو الفضل يريد والله اعلم لان سبه لم يكن بكلمة تقتضي الكفر ولكن بمعنى
الازراء والاستخفاف او لان توبته واظهار انابته ارتفع عنه اسم الكفر
ظاهرا والله اعلم بسريرته وبقي حكم السب عليه وكلام شيوخنا هؤلاء مبني
على القول بقتله حدا لا كفرا وهو يحتاج الى تفصيل واما على رواية الوليد بن
مسلم عن مالك ومن وافقه على ذلك ممن ذكرناه وقال به من اهل العلم فقد
صرحوا انه ردة قالوا ويستتاب منها فان تاب نكل وان ابى قتل فحكم له بحكم
المرتد مطلقا في هذا الوجه والوجه الاول اشهر واظهر لما قدمناه ونحن
نبسط الكلام فنقول من لم يره ردة فهو يوجب القتل فيه حدا وانما نقول ذلك
مع فصلين اما مع انكاره ما شهد عليه به او اظهاره الاقلاع والتوبة عنه
فنقتله حدا لثبات كلمة الكفر عليه في حق النبي صلى الله عليه وسلم وتحقيره ما عظم الله من
حقه واجرينا حكمه في ميراثه وغير ذلك حكم الزنديق اذا ظهر عليه وانكر او تاب فان
قيل فكيف تثبتون عليه الكفر ويشهد عليه بكلمة الكفر ولا تحكمون عليه بحكمه من
الاستتابة وتوابعها قلنا نحن وان اثبتنا له حكم الكافر في القتل فلا نقطع
عليه بذلك لاقراره بالتوحيد والنبوة وانكاره ما شهد به عليه او زعمه ان
ذلك كان منه وهلا ومعصية وانه مقلع عن ذلك نادم عليه ولا يمتنع اثبات

بعض احكام الكافر على بعض الاشخاص وان لم يثبت له خصائصه كقتل تارك الصلاة
واما من علم انه سبه معتقدا لاستحلاله فلا شك في كفره بذلك وكذلك
ان كان سبه في نفسه كفرا كتكذيبه او تكفيره ونحوه فهذا مما لا اشكال
فيه ويقتل وان تاب منه لانا لا نقبل توبته ونقتله بعد التوبة حدا لقوله ومتقدم
كفره وامره بعد الى الله المطلع على صحة اقلاعه العالم بسره وكذلك من لم يظهر
التوبة واعترف بما شهد به عليه وصمم عليه فهو كافر بقوله وباستحلاله هتك حرمة الله
وحرمة نبيه يقتل كافرا بلا خلاف فعلى هذه التفصيلات خذ كلام العلماء ونزل مختلف
عباراتهم في الاحتجاج عليها واجر اختلافهم في الموارثة وغيرها على ترتيبها تتضح
لك مقاصدهم ان شاء الله تعالى فصل اذا قلنا بالاستتابة حيث تصح فالاختلاف في
توبة المرتد اذ لا فرق وقد اختلف السلف في وجوبها وصورتها ومدتها فذهب
جمهور اهل العلم الى ان المرتد يستتاب وحكى ابن القصار انه اجماع من الصحابة
على تصويب قول عمر في الاستتابة ولم ينكره واحد منهم وهو قول عثمان وعلي وابن
مسعود رضي الله عنهم وبه قال عطاء بن ابي رباح والنخعي والثوري ومالك و
اصحابه والاوزاعي والشافعي واحمد واسحق واصحاب الرأي وذهب طاوس وعبيد
بن عمير والحسن في احدى الروايتين عنه انه لا يستتاب وقال عبد العزيز بن ابي سلمة
وذكره عن معاذ وانكره سحنون عن معاذ وحكاه الطحاوي عن ابي يوسف
وهو قول اهل الظاهر قالوا وتنفعه توبته عند الله ولكن لا ندرأ القتل
عنه لقوله صلى الله عليه وسلم فاقتلوه وحكي ايضا عن عطاء انه ان كان ممن
ولد في الاسلام لم يستتب ويستتاب الاسلامي وجمهور العلماء على ان المرتدة

في ذلك سواء وروي عن علي لا تقتل المرتدة وتسترق وقاله عطاء وقتادة
وروي عن ابن عباس لا تقتل النساء في الردة وقاله ابو حنيفة قال مالك
والحر والعبد والذكر والانثى في ذلك سواء واما مذهب الجمهور وروي
عن عمر انه يستتاب ثلاثة ايام يحبس فيها وقد اختلف فيه عن عمر وهو احد قولي الشافعي
وقول احمد واسحق واستحسنه مالك وقال لا ياتي الاستظهار الا بخير و
ليس عليه جماعة الناس قال الشيخ ابو محمد بن ابي زيد يريد في الاستتابة ثلاثا وقال
مالك ايضا الذي اخذ به في المرتدة قول عمر يحبس ثلاثة ايام ويعرض عليه كل يوم
فان تاب والا قتل وقال الحسن بن القصار في تاخيره ثلاثا روايتان عن مالك
هل ذلك واجب او مستحب واستحسن الاستتابة والاستيناء ثلاثا اصحاب
الراي وروي عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه انه استتاب امراة فلم تتب
فقتلها وقال الشافعي مرة فقال ان لم يتب مكانه قتل واستحسنه المزني
وقال الزهري يدعى الى الاسلام ثلاث مرات فان ابى قتل وروي عن علي
يستتاب شهرين وقال النخعي يستتاب ابدا وبه اخذ الثوري ما رجيت
توبته وحكى ابن القصار عن ابي حنيفة انه يستتاب ثلاث مرات في ثلاثة ايام
او ثلاث جمع كل يوم او جمعة مرة وفي كتاب محمد عن ابن القاسم يدعى المرتد الى
الاسلام ثلاث مرات فان ابى ضربت عنقه واختلف على هذا هل يهدد
او يشدد عليه ايام الاستتابة ليتوب ام لا فقال مالك ما علمت في الاستتابة
تجويعا ولا تعطيشا ويؤتى من الطعام بما لا يضره وقال اصبغ يخوف ايام
الاستتابة بالقتل ويعرض عليه الاسلام وفي كتاب ابي الحسن الطابسي

يوعظ

يوعظ في تلك الايام ويذكر بالجنة ويخوف بالنار قال اصبغ واي المواضع حبس
فيها من السجون مع الناس او وحده اذا استوثق منه سواء ويوقف ماله اذا
خيف ان يتلفه على المسلمين ويطعم منه ويسقى وكذلك يستتاب ابدا كلما رجع
وارتد وقد استتاب النبي صلى الله عليه وسلم نبهان الذي ارتد اربع مرات او خمسا قال
ابن وهب عن مالك يستتاب ابدا كلما رجع وهو قول الشافعي واحمد وقاله ابن القاسم
وقال اسحق يقتل في الرابعة وقال اصحاب الراي ان لم يتب في الرابعة قتل دون
استتابة وان تاب ضرب ضربا وجيعا ولم يخرج من السجن حتى يظهر عليه
خشوع التوبة قال ابن المنذر ولا نعلم احدا اوجب على المرتد في المرة
الاولى ادبا اذا رجع وهو على مذهب مالك والشافعي والكوفي فصل
هذا حكم من ثبت عليه ذلك بما يجب ثبوته من اقرار او عدول لم يدفع
فيهم فاما من لم تتم الشهادة عليه بما شهد عليه الواحد او اللفيف من
الناس او ثبت قوله لكن احتمل ولم يكن صريحا وكذلك ان تاب على القول
بقبول توبته فهذا يدرا عنه القتل ويتسلط عليه اجتهاد الامام بعد
شهرة حاله وقوة الشهادة عليه وضعفها وكثرة السماع عنه وصورة حاله
من التهمة في الدين والنبز بالسفه والمجون فمن قوي امره اذاقه من شديد
النكال من التضييق في السجن والشد في القيود الى الغاية التي هي منتهى
طاقته مما لا يمنعه القيام لضرورته ولا يقعده عن صلاته وهو حكم
كل من وجب عليه القتل لكن وقف عن قتله لمعنى اوجبه وتربص به
لاشكال وعائق اقتضاه امره وحالات الشدة في نكاله تختلف بحسب

اختلاف حاله وقد روى الوليد عن مالك والاوزاعي انها ردة
فاذا تاب نكل ولمالك في العتبية وكتاب محمد من رواية اشهب اذا تاب المرتد
فلا عقوبة عليه وقاله سحنون وافتى ابو عبد الله بن عتاب
فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم فشهد عليه شاهدان عدل احدهما بالادب
الموجع والتنكيل في السجن الطويل حتى يظهر توبته وقال القابسي في مثل
هذا ومن كان اقصى امره القتل فعاق عائق اشكل في القتل لم ينبغ ان يطلق
من السجن ويستطال سجنه ولو كان فيه من المدة ما عسى ان يقيم ويحمل
عليه من القيود ما يطيق وقال في مثله ممن اشكل امره يشد في القيود شدا
ويضيق عليه في السجن حتى ينظر فيما يجب عليه وقال في مسئلة اخرى مثلها
ولا تهراق الدماء الا بالامر الواضح وفي الادب بالسوط والسجن نكال للسفهاء
ويعاقب عقوبة شديدة فاما ان لم يشهد عليه سوى شاهدين فاثبت
من عداوتهما او جرحتهما ما اسقطهما عنه ولم يسمع ذلك من غيرهما
فامره اخف لسقوط الحكم عنه فكانه لم يشهد عليه الا ان يكون ممن يليق به
ذلك ويكون الشاهدان من اهل التبريز فاسقطهما بعداوة فهو وان لم ينفذ
الحكم عليه بشهادتهما فلا يدفع الظن صدقهما وللحاكم في تنكيله موضع
اجتهاد والله ولي الارشاد فصل هذا حكم المسلم فاما الذمي اذا صرح بسبه
او عرض او استخف بقدره او وصفه بغير الوجه الذي كفر به فلا خلاف
عندنا في قتله ان لم يسلم لانا لم نعطه الذمة او العهد على هذا وهو قول عامة
العلماء الا ابا حنيفة والثوري واتباعهما من اهل الكوفة فانهم قالوا لا يقتل

ما هو عليه من الشرك اعظم ولكن يؤدب ويعزر واستدل بعض شيوخنا
على قتله بقوله تعالى وان نكثوا ايمانهم من بعد عهدهم وطعنوا في دينكم الاية ويستدل
ايضا عليه بقتل النبي صلى الله عليه وسلم لابن الاشرف واشباهه ولانا لم نعاهدهم
ولم نعطهم الذمة على هذا ولا يجوز لنا ان نفعل ذلك معهم فاذا اتوا ما لم
يعطوا عليه العهد ولا الذمة فقد نقضوا ذمتهم وصاروا كفارا اهل حرب
يقتلون بكفرهم وايضا فان ذمتهم لا تسقط حدود الاسلام عنهم من القطع
في سرقة اموالهم والقتل لمن قتلوه منهم وان كان ذلك حلالا عندهم فكذلك
سبهم للنبي صلى الله عليه وسلم يقتلون به ووردت لاصحابنا ظواهر تقتضي الخلاف
اذا ذكره الذمي بالوجه الذي كفر به ستقف عليها من كلام ابن القاسم وابن
سحنون بعد وحكى ابو المصعب الخلاف فيها عن اصحابه المدنيين واختلفوا
اذا سبه ثم اسلم فقيل يسقط اسلامه قتله لان الاسلام يجب ما قبله
بخلاف اذا سبه ثم تاب لانا نعلم باطنه الكافر في بغضه له وتنقصه بقلبه لكنا
منعناه من اظهاره فلم يزدنا ما اظهره الا مخالفة للامر ونقضا للعهد فاذا
رجع عن دينه الاول الى الاسلام سقط ما قبله قال الله قل للذين كفروا ان
ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف والمسلم بخلافه اذ كان ظننا بباطنه حكم ظاهره
وخلاف ما بدا منه الآن فلم يقبل بعد رجوعه ولا استنمنا الى باطنه اذ قد بدت
سرائره وما ثبت عليه من الاحكام باقية عليه لم يسقط اسلام الذمي الساب
قتله لانه حق للنبي صلى الله عليه وسلم وجب عليه لانتهاكه حرمته وقصده الحاق
النقيصة والمعرة به فلم يكن رجوعه الى الاسلام بالذي يسقطه كما وجب عليه

من حقوق المسلمين من قبل اسلامه من قتل وقذف واذا كنا لا نقبل توبة
المسلم فان لا نقبل توبة الكافر اولى قال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوط
وابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ فيمن شتم نبينا من اهل
الذمة او احدا من الانبياء عليهم السلام قتل الا ان يسلم وقاله ابن القاسم
في العتبية وعند محمد وابن سحنون وقال سحنون واصبغ لا يقال
له ولا لا تسلم ولكن ان اسلم فذلك توبته وفي كتاب محمد اخبرنا اصحاب
مالك انه قال من سب رسول الله صلى الله عليه وسلم او غيره من النبيين من
مسلم او كافر قتل ولم يستتب وروي لنا عن مالك الا ان يسلم الكافر
وقد روى بن وهب عن ابن عمر ان راهبا تناول النبي صلى الله عليه وسلم فقال ابن عمر
فهلا قتلتموه وروى عيسى عن ابن القاسم في ذمي قال ان محمدا لم يرسل
الينا انما ارسل اليكم وانما نبينا موسى او عيسى ونحو هذا لا شيء عليهم
لان الله اقرهم على مثله واما ان سبه فقال ليس بنبي او لم ينزل عليه قران وانما
هو شيء تقوله او نحو هذا فيقتل قال ابن القاسم واذا قال النصراني ديننا
خير من دينكم انما دينكم دين الحمير ونحو هذا من القبيح او سمع المؤذن
يقول اشهد ان محمدا رسول الله فقال كذلك يعطيكم الله ففي هذا الادب
الوجيع والسجن الطويل واما ان شتم النبي شتما يعرف فانه يقتل الا ان
يسلم قاله مالك وغير مرة ولم يقل يستتاب قال ابن القاسم ومحمل قوله عندي
ان اسلم طائعا وقال ابن سحنون في سؤالات سليمان بن سالم في اليهودي
يقول للمؤذن اذا تشهد كذبت يعاقب العقوبة الموجعة مع السجن الطويل

وفي

وفي النوادر من رواية سحنون عنه من شتم الانبياء من اليهود و
النصارى بغير الوجه الذي به كفروا ضربت عنقه الا ان يسلم قال
محمد بن سحنون فان قيل لم قتلته في سب النبي صلى الله عليه وسلم ومن دينه سبه
وتكذيبه قيل لانا لم نعطهم العهد على ذلك ولا على قتلنا واخذ اموالنا فاذا
قتل واحدا منا قتلناه وان كان من دينه استحلاله فكذلك لسب
نبينا صلى الله عليه وسلم قال سحنون كما لو بذل لنا اهل الحرب الجزية على
اقرارهم على سبه لم يجز لنا ذلك في قول قائل كذلك ينتقض عهد من سب منهم
ويحل لنا دمه وكما لم يحصن الاسلام من سبه من القتل كذلك لا تحصنه
الذمة قال القاضي ابو الفضل رضي الله عنه ما ذكره سحنون عن نفسه وعن
ابيه مخالف لقول ابن القاسم فيما خفف عقوبتهم فيه مما به كفروا فتامله
ويدل على انه خلافه ما روي عن المدنيين في ذلك فحكى ابو المصعب الزهري
قال اتيت بنصراني قال والذي اصطفى عيسى على محمد فاختلف علي فيه
فضربته حتى قتلته او عاش يوما وليلة وامرت من جر برجله وطرح على مزبلة
فاكلته الكلاب وسئل ابو المصعب عن نصراني قال عيسى خلق محمدا فقال
يقتل وقال ابن القاسم سألنا مالكا عن نصراني بمصر شهد عليه انه قال مسكين
محمد يخبركم انه في الجنة ما له لم ينفع نفسه اذ كانت الكلاب تاكل ساقيه لو
قتلتموه استراح الناس منه قال مالك ارى ان تضرب عنقه قال ولقد
كدت الا اتكلم فيها بشيء ثم رايت انه لا يسعني الصمت قال ابن كنانة في المبسوط
من شتم النبي صلى الله عليه وسلم من اليهود والنصارى فارى للامام ان يحرقه

بالنار وان شاء قتله ثم حرق جثته بالنار وان شاء احرقه بالنار حيا
اذا تهافتوا في سبه ولقد كتب الى مالك من مصر وذكر مسئلة ابن القاسم المتقدمة
قال فامرني مالك فكتبت بان يقتل وان تضرب عنقه فكتبت ثم قلت يا ابا عبد الله
واكتب ثم يحرق بالنار فقال انه لحقيق بذلك فقتل وحرق وافتى عبيد الله بن
يحيى وابن لبابة في جماعة سلف اصحابنا الاندلسيين بقتل نصرانية استهلت
بنفي الربوبية ونبوة عيسى لله وتكذيب محمد في النبوة وبقبول اسلامها ودرء
القتل عنها به قال غير واحد من المتاخرين منهم القابسي وابن الكاتب وقال
ابو القاسم بن الجلاب في كتابه من سب الله ورسوله من مسلم او كافر قتل ولا يستتاب
وحكى القاضي ابو محمد في الذمي يسب ثم يسلم روايتين في درء القتل عنه باسلامه
وقال ابن سحنون وحد القذف وشبهه من حقوق العباد لا يسقط عن الذمي
اسلامه وانما تسقط عنه باسلامه حدود الله فاما حد القذف فحق
العباد كان ذلك لنبي او غيره فاوجب على الذمي اذا قذف النبي صلى الله عليه وسلم
ثم اسلم حد القذف ولكن انظر ماذا يجب عليه هل حد القذف في حق النبي صلى الله
عليه وسلم وهو القتل لزيادة حرمة النبي صلى الله عليه وسلم على غيره ام هل يسقط القتل
باسلامه ويحد ثمانين فتامله فصل في ميراث من قتل في سب النبي صلى الله عليه وسلم
وغسله والصلوة عليه اختلف العلماء في ميراث من قتل بسب النبي صلى الله
عليه وسلم فذهب سحنون الى انه لجماعة المسلمين من قبل ان شتم النبي صلى الله عليه وسلم
كفر يشبه كفر الزنديق وقال اصبغ ميراثه لورثته من المسلمين ان كان مستترا
بذلك وان كان مظهرا له مستهلا به فميراثه للمسلمين ويقتل على كل حال

ولا

ولا يستتاب قال ابو الحسن القابسي ان قتل وهو منكر للشهادة فالحكم في ميراثه
على ما اظهر من اقراره يعني لورثته والقتل حد ثبت عليه ليس من الميراث في شيء و
كذلك لو اقر بالسب واظهر التوبة لقتل اذ هو حده وحكمه في ميراثه وسائر
احكامه حكم الاسلام ولو اقر بالسب وتمادى عليه وابى التوبة منه فقتل على
ذلك كان كافرا وميراثه للمسلمين ولا يغسل ولا يصلى عليه ولا يكفن وتستر
عورته ويوارى كما يفعل بالكفار وقول الشيخ ابي الحسن في المجاهر المتمادي بين لا يمكن
الخلاف فيه لانه كافر مرتد غير تائب ولا مقلع وهو مثل قول اصبغ وكذلك
في كتاب ابن سحنون في الزنديق يتمادى على قوله ومثله لابن القاسم في العتبية
ولجماعة من اصحاب مالك في كتاب ابن حبيب فيمن اعلن كفره مثله قال ابن القاسم
وحكمه حكم المرتد لا يرثه ورثته من المسلمين ولا من اهل الدين الذي ارتد اليه
ولا تجوز وصاياه ولا عتقه وقاله اصبغ قتل على ذلك او مات عليه وقال ابو محمد
بن ابي زيد وانما يختلف في ميراث الزنديق الذي يستهل بالتوبة فلا يقبل
منه فاما المتمادي فلا خلاف انه لا يورث وقال ابو محمد فيمن سب الله تعالى ثم مات ولم تعد
عليه بينة او لم يقبل يصلى عليه وروى اصبغ عن ابن القاسم في كتاب ابن حبيب فيمن
كذب برسول الله صلى الله عليه وسلم واعلن دينا مما يفارق به الاسلام ان ميراثه
للمسلمين وقال بقول مالك ان ميراث المرتد للمسلمين ولا يرثه ورثته ربيعة
والشافعي وابو ثور وابن ابي ليلى واختلف فيه عن احمد وقال علي ابن ابي
طالب رضي الله عنه وابن مسعود وابن المسيب والحسن والشعبي وعمر بن
عبد العزيز والحكم والاوزاعي والليث واسحق وابو حنيفة يرثه ورثته

من المسلمين وقيل ذلك فيما كسبه قبل ارتداده وما يكسبه في الارتداد
فللمسلمين وتفصيل ابي الحسن فيما قبل وبعد احسن بين وعلى رأى اصبغ
وخلاف قول سحنون واختلافهما على قول مالك في ميراث الزنديق فرقة ورثة
ورثته من المسلمين قامت عليه بينة بذلك فانكرها او اعترف بذلك واظهر
التوبة وقاله اصبغ ومحمد بن مسلمة وغيرهم من اصحابه لانه مظهر للاسلام
بانكاره او توبته وحكم حكم المنافقين الذين كانوا على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم
وروى ابن نافع عنه في العتبية وكتاب محمد ان ميراثه لجماعة المسلمين لان ماله تبع
لدمه وقال به جماعة من اصحابه وقاله اشهب والمغيرة وعبد الملك ومحمد وسحنون
وذهب ابن القاسم في العتبية الى انه ان اعترف بما شهد عليه به وتاب فقتل فلا يورث
وان لم يقر حتى قتل او مات ورث قال وكذلك كل من اسر كفرا فانهم يتوارثون بوراثة الاسلام
وسئل ابو القاسم بن الكاتب عن نصراني سب النبي صلى الله عليه وسلم فقتل هل يرثه
اهل دينه ام المسلمون فاجاب انه للمسلمين ليس على جهة الميراث لانه لا توارث
بين اهل ملتين ولكن لانه من فيئهم لنقضه العهد هذا معنى قوله واختصاره
فصل في حكم من سب الله تعالى وملائكته وانبيائه وكتبه وآل النبي صلى
الله عليه وسلم وازواجه واصحابه لا خلاف ان من سب الله تعالى من المسلمين كافر حلال
الدم واختلف في استتابته فقال ابن القاسم في المبسوط وفي كتاب ابن سحنون
ومحمد ورواه ابن القاسم عن مالك في كتاب اسحق بن يحيى من سب الله تعالى من
المسلمين قتل ولم يستتب الا ان يكون افتراء على الله بارتداده الى دين دان به و
اظهره فيستتاب وان لم يظهره لم يستتب وقال في المبسوط مطرف وعبد الملك
مثله

مثله وقال المخزومي ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل المسلم بالسب حتى
يستتاب وكذلك اليهود والنصارى فان تابوا قبل منهم وان لم يتوبوا قتلوا
ولا بد من الاستتابة وذلك كله كالردة وهو الذي حكاه القاضي ابن نصر
عن المذهب وافتى ابو محمد بن ابي زيد فيما حكي عنه في رجل لعن رجلا ولعن الله
فقال انما اردت ان العن الشيطان فزل لساني فقال يقتل بظاهر كفره ولا يقبل عذره
واما فيما بينه وبين الله فمعذور واختلف فقهاء قرطبة في مسئلة هرون بن حبيب
اخي عبد الملك الفقيه وكان ضيق الصدر كثير التبرم وكان قد شهد عليه بشهادات
منها انه قال عند استقلاله من مرض لقيت في مرضي هذا ما لو قتلت ابا بكر وعمر لم
استوجب هذا كله فافتى ابراهيم بن حسين بن خالد بقتله وان مضمن قوله
تجوير لله تعالى وتظلم منه والتعريض فيه كالتصريح وافتى اخوه عبد الملك بن حبيب
وابراهيم بن حسين بن عاصم وسعيد بن سليمان القاضي بطرح القتل عنه الا ان
القاضي رأى عليه التثقيل في الحبس والشدة في الادب لاحتمال كلامه وصرفه الى التشكي
فوجه من قال في ساب الله بالاستتابة انه كفر وردة محضة لم يتعلق بها
حق لغير الله فاشبه قصد الكفر بغير سب الله واظهار الانتقال الى دين آخر
من الاديان المخالفة للاسلام ووجه ترك استتابته انه لما ظهر منه
ذلك بعد اظهار الاسلام معتقد له اذ لا يتساهل في هذا احد فحكم
له بحكم الزنديق ولم يقبل توبته واذا انتقل من دين الى آخر واظهر
السب بمعنى الارتداد فهذا قد اعلم انه قد خلع ربقة الاسلام
من عنقه بخلاف الاول المستمسك به وحكم هذا حكم المرتد يستتاب

على مشهور مذاهب اكثر العلماء وهو مذهب مالك واصحابه على ما بيناه
قبل وذكرنا الحجة في فصول **فصل** واما من اضاف الى الله تعالى ما لا يليق به
ليس على طريق السب ولا الردة وقصد الكفر ولكن على طريق التاويل
والاجتهاد والخطأ المفضي الى الهوى والبدعة من تشبيه او نعت بجارحة
او نفي صفة كمال فهذا مما اختلف السلف والخلف في تكفير قائله ومعتقده و
اختلف قول مالك واصحابه في ذلك ولم يختلفوا في قتالهم اذا تحيزوا فئة وانهم
يستتابون فان تابوا والا قتلوا وانما اختلفوا في المنفرد منهم فاكثر قول مالك
واصحابه ترك القول بتكفيرهم وترك قتلهم والمبالغة في عقوبتهم واطالة
سجنهم حتى يظهر اقلاعهم وتستبين توبتهم كما فعل عمر بصبيغ **وهذا** قول محمد
بن المواز في الخوارج وعبد الملك بن الماجشون وقول سحنون في جميع اهل
الاهواء وبه فسر قول مالك في الموطأ وما رواه عن عمر بن عبد العزيز وجده
وعمه قولهم في القدرية يستتابون فان تابوا والا قتلوه **وقال** عيسى عن
ابن القاسم في اهل الاهواء من الاباضية والقدرية وشبههم ممن خالف الجماعة
من اهل البدع والتحريف لتاويل كتاب الله يستتابون اظهروا ذلك واسروه
فان تابوا والا قتلوا وميراثهم لورثتهم وقال مثله ايضا ابن القاسم في كتاب محمد في اهل
القدر وغيرهم قال واستتابتهم ان يقال لهم اتركوا ما انتم عليه ومثله له في
المبسوط في الاباضية والقدرية وسائر اهل البدع قال وهم مسلمون وانما قتلوا
لرايهم السوء وبهذا عمل عمر بن عبد العزيز قال ابن القاسم من قال ان الله لم
يكلم موسى تكليما استتيب فان تاب والا قتل وابن حبيب وغيره من اصحابنا

يرى تكفيرهم وتكفير امثالهم من الخوارج والقدرية والمرجئة **وقد روى** ايضا
عن سحنون مثله فيمن قال ليس لله كلام انه كافر واختلفت الروايات عن مالك
فاطلق في رواية الشاميين ابي مسهر ومروان بن محمد الطاهري الكفر عليهم
وقد شوور في زواج القدري **فقال** لا تزوجه قال الله تعالى ولعبد مؤمن خير
من مشرك **وروى** عنه ايضا اهل الاهواء كلهم كفار **وقال** من وصف شيئا
من ذات الله تعالى واشار الى شيء من جسده بيد او سمع او بصر قطع ذلك
منه لانه شبه الله بنفسه **وقال** فيمن قال القرآن مخلوق كافر فاقتلوه
وقال ايضا في رواية ابن نافع يجلد ويوجع ضربا ويحبس حتى يتوب **وفي**
رواية بشر بن بكر التنيسي عنه يقتل ولا يقبل توبته **قال** القاضي ابو عبد
الله البرنكاني والقاضي ابو عبد الله التستري من ائمة العراقيين جوابه
مختلف يقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف اختلف **قوله** في اعادة
الصلوة خلفهم وحكى ابن المنذر عن الشافعي من ائمة العراقيين جوابه مختلف
بقتل المستبصر الداعية وعلى هذا الخلاف في واختلف قوله في اعادة الصلوة
خلفهم **وحكى** ابن المنذر عن الشافعي لا يستتاب القدرية واكثر اقوال السلف
تكفيرهم وممن قاله الليث وابن عيينة وابن لهيعة روي عنهم ذلك فيمن
قال بخلق القرآن وقاله ابن المبارك والاودي ووكيع وحفص بن غياث وابو
اسحق الفزاري وهشيم وعلي بن عاصم في آخرين وهو من قول اكثر المحدثين و
الفقهاء والمتكلمين فيهم **وفي** الخوارج والقدرية واهل الاهواء المضلة واصحاب
البدع المتاولين وهو قول احمد بن حنبل وكذلك قالوا في الواقفة والشاكة

في هذه الاصول وممن روى عنه معنى القول الآخر بترك تكفيرهم علي بن ابي طالب
رضي الله عنه وابن عمر والحسن البصري وهو راي جماعة من الفقهاء النظار والمتكلمين
واحتجوا بتوريث الصحابة والتابعين ورثة اهل حروراء ومن عرف بالقدر ممن مات
منهم ودفنهم في مقابر المسلمين وجري احكام الاسلام عليهم قال القاضي وانما
قال مالك في القدرية وسائر اهل البدع يستتابون فان تابوا والا قتلوا
لانه من الفساد في الارض كما قال في المحارب اذا راى الامام قتله وان لم يقتل
قتله وفساد المحارب انما هو في الاموال ومصالح الدنيا وان كان قد يدخل ايضا
في امر الدين من سبيل الحج والجهاد وفساد اهل البدع معظمه على الدين وقد يدخل
في امر الدنيا بما يلقون بين المسلمين من العداوة فصل في تحقيق القول في
اكفار المتأولين قد ذكرنا مذاهب السلف في اكفار اصحاب البدع والاهواء
المتأولين ممن قال قولا يؤديه مساقه الى كفر هو اذا وقف عليه لا يقول بما
يؤديه قوله اليه وعلى اختلافهم اختلف الفقهاء والمتكلمون في ذلك
فمنهم من صوب التكفير الذي قال به الجمهور من السلف ومنهم من اباه ولم ير اخراجهم
من سواد المسلمين المؤمنين وهو قول اكثر الفقهاء والمتكلمين وقالوا هم فساق
عصاة ضلال ونوارثهم من المسلمين ويحكم لهم باحكامهم ولهذا قال سحنون
لا اعادة على من صلى خلفهم قال وهو قول جميع اصحاب مالك المغيرة وابن كنانة
واشهب قال لانه مسلم وذنبه لم يخرجه من الاسلام واضطرب آخرون في ذلك
ووقفوا عن القول بالتكفير وضده واختلاف قول مالك في ذلك وتوقفه
من اعادة الصلاة خلفهم منه والى نحو من هذا ذهب القاضي ابو بكر امام اهل

التحقيق والحق وقال انها من المعوصات اذ القوم لم يصرحوا باسم الكفر وانما
قالوا قولا يؤدي اليه واضطرب قوله في المسألة على نحو اضطراب قول امامه
مالك بن انس حتى قال في بعض كلامه انهم على راي من كفرهم بالتأويل لا تحل
مناكحتهم ولا تؤكل ذبائحهم ولا يصلى على ميتهم ويختلف في موارثتهم
على الخلاف في ميراث المرتد وقال ايضا نورث ميتهم ورثتهم من المسلمين و
لا نورثهم من المسلمين واكثر ميله الى ترك التكفير بالمآل وكذلك اضطرب
فيه قول شيخه ابي الحسن الاشعري واكثر قوله ترك التكفير وان الكفر خصلة واحدة
وهو الجهل بوجود الباري تعالى وقال مرة من اعتقد ان الله جسم او المسيح
او بعض من يلقاه في الطرق فليس بعارف به وهو كافر ولمثل هذا ذهب ابو المعالي
رحمه الله في اجوبته لابي محمد عبد الحق وكان ساله عن المسألة فاعتذر له بان
الغلط فيها يصعب لان ادخال كافر في الملة او اخراج مسلم عنها عظيم في الدين
وقال غيرهما من المحققين الذي يجب الاحتراز من التكفير في اهل التأويل فان
استباحة دماء المصلين الموحدين خطر والخطأ في ترك الف كافر اهون من الخطأ
في سفك محجمة من دم مسلم واحد وقد قال عليه السلام فاذا قالوا يعني الشهادة
عصموا مني دماءهم واموالهم الا بحقها وحسابهم على الله فالعصمة مقطوع بها
مع الشهادة ولا ترتفع ويستباح خلافها الا بقاطع ولا قاطع من شرع ولا
قياس عليه والفاظ الاحاديث الواردة في الباب معرضة للتأويل فما جاء منها
في التصريح بكفر القدرية وقوله لا سهم لهم في الاسلام وتسميته الرافضة بالشرك
واطلاق اللعنة عليهم وكذلك في الخوارج وغيرهم من اهل الاهواء فقد يحتج بها من

من يقول بالتكفير وقد يجب الاخر عنها بانه قد ورد مثل هذه الالفاظ في
الحديث في غير الكفر على طريق التغليظ وكفر دون كفر واشراك دون اشراك
وقد ورد مثله في الرياء وعقوق الوالدين والزوج وغير معصية واذا
كان محتملا للامرين فلا يقطع على احدهما الا بدليل قاطع وقوله في الخوارج
هم شر البرية وهذه صفة الكفار وقال شر قتيل تحت اديم السماء طوبى
لمن قتلهم وقتلوه وقال فاذا وجدتموهم فاقتلوهم قتل عاد وظاهر هذا
الكفر لاستماع تشبيههم بعاد فيحتج به من يرى تكفيرهم فيقول له الاخر انما
ذلك من قتلهم لخروجهم على المسلمين وبغيهم عليهم بدليل من الحديث
نفسه يقتلون اهل الاسلام فقتلهم هاهنا حد لا كفر وذكر عاد تشبيه
للقتل وحله لا المقتول وليس كل من حكم بقتله يحكم بكفره ويعارضه
بقول خالد في الحديث دعني اضرب عنقه يا رسول الله فقال لعله يصلي فان
احتجوا بقوله عليه السلام يقرؤن القران لا يجاوز حناجرهم فاخبر
ان الايمان لم يدخل قلوبهم وكذلك قوله يمرقون من الدين مروق السهم من
الرمية ثم لا يعودون اليه حتى يعود السهم على فوقه وبقوله سبق
الفرث والدم يدل على انه لم يتعلق من الاسلام بشي اجابه الاخرون
ان معنى لا يجاوز حناجرهم لا يفهمون معانيه بقلوبهم ولا ينشرح له صدورهم
ولا يعمل به جوارحهم وعارضوهم بقوله ويتمارى في الفوق وهذا يقتضي
التشكيك في حاله واذا احتجوا بقول ابي سعيد الخدري في هذا الحديث
سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يخرج في هذه الامة ولم يقل من هذه

وتحرير

وتحرير ابي سعيد الرواية واتقانه اللفظ اجابهم الاخرون بان العبارة
بفي لا تقتضي تصريحا لكونهم من غير الامة بخلاف لفظة من التي هي للتبعيض
وكونهم من الامة مع انه قد روي عن ابي ذر وعلي وابي امامة وغيرهم في هذا
الحديث يخرج من امتي وسيكون من امتي وحروف المعاني مشتركة فلا تعويل
على اخراجهم من الامة بفي ولا على ادخالهم فيها بمن لكن ابا سعيد رحمه الله
اجاد ما شاء في التنبيه الذي نبه عليه وهذا مما يدل على سعة فقه الصحابة
رضي الله وتحقيقهم للمعاني واستنباطهم من الالفاظ وتحريرهم لها وتوقيهم
في الرواية هذه المذاهب المعروفة لاهل السنة ولغيرهم من الفرق فيها مقالات
كثيرة مضطربة سخيفة اقربها قول جهم ومحمد بن شبيب ان الكفر
بالله الجهل به لا يكفر احد بغير ذلك وقال ابو الهذيل ان كل متأول كان
تاويله تشبيها لله تعالى بخلقه وتجويرا له في فعله وتكذيبا لخبره
فهو كافر وكل من اثبت شيئا قديما لا يقال له الله فهو كافر وقال بعض
المتكلمين ان كان ممن عرف الاصل وبنى عليه وكان فيما هو من اوصاف
الله فهو كافر وان لم يكن من هذا الباب ففاسق الا ان يكون ممن لم يعرف
الاصل فهو مخطئ غير كافر وذهب عبد الله بن الحسن العنبري الى
تصويب اقوال المجتهدين في اصول الدين فيما كان عرضة للتأويل
وفارق في ذلك فرق الامة اذ اجمعوا سواه على ان الحق في اصول
الدين في واحد والمخطئ فيه اثم عاص فاسق وانما الخلاف في تكفيره
وقد حكى القاضي ابو بكر الباقلاني مثل قول عبيد الله عن داود الاصبهاني

قال وحكى قوم عنهما انهما قالا ذلك في كل من علم الله سبحانه من
حاله استفراغ الوسع في طلب الحق من اهل ملتنا ومن غيرهم وهذا
القول للجاحظ وثمامة وان كثيرا من العامة والنساء والبله و
مقلدة النصارى واليهود وغيرهم لا حجة لله عليهم اذ لم يكن لهم
طباع يمكن معها الاستدلال وقد نحا الغزالي قريبا من هذا المنحى في
كتاب التفرقة وقائل هذا كله كافر بالاجماع على كفر من لم يكفر احدا من النصارى واليهود
وكل من فارق دين المسلمين او وقف في تكفيرهم او شك قال القاضي ابو بكر
لان التوقيف والاجماع على كفرهم فمن وقف في ذلك فقد كذب النص والتوقيف
والشك فيه والتكذيب فيه والشك فيه لا يقع الا من كافر فصل في بيان
ما هو من المقالات كفر وما يتوقف او يختلف فيه وما ليس بكفر اعلم ان تحقيق
هذا الفصل وكشف اللبس فيه مورده الشرع ولا مجال للعقل فيه والفصل
البين في هذا ان كل مقالة صرحت بنفي الربوبية او الوحدانية او عبادة
احد غير الله او مع الله فهي كفر كمقالة الدهرية وسائر فرق اصحاب الاثنين
من الديصانية والمانوية واشباههم من الصابئين والنصارى والمجوس
المجوس والذين اشركوا بعبادة الاوثان او الملائكة او الشياطين
او الشمس او القمر او النجوم او النار او احد غير الله من مشركي العرب واهل
الهند والصين والسودان وغيرهم ممن لا يرجع الى كتاب وكذلك القرامطة
واصحاب الحلول والتناسخ من الباطنية والطيارة من الروافض وكذلك من
اعترف بالهية الله ووحدانيته ولكنه اعتقد انه غير حي او غير قديم

وانه محدث

وانه محدث او مصور او ادعى له ولدا او صاحبة او والدا او انه متولد من شيء
او كائن عنه او ان معه في الازل شيئا قديما غيره او ان ثم صانعا للعالم
سواه او مدبرا غيره فذلك كله كفر باجماع المسلمين كقول الالهيين
من الفلاسفة والمنجمين والطبائعيين وكذلك من ادعى مجالسة الله
والعروج اليه ومكالمته او حلوله في احد الاشخاص كقول بعض المتصوفة
والباطنية والنصارى والقرامطة وكذلك نقطع على كفر من قال بقدم العالم
او بقائه او شك في ذلك على مذهب بعض الفلاسفة والدهرية او قال
بتناسخ الارواح وانتقالها ابدا الاباد في الاشخاص وتعذيبها او تنعيمها
فيها بحسب زكائها وخبثها وكذلك من اعترف بالالهية والوحدانية ولكنه
جحد النبوة من اصلها عموما او نبوة نبينا صلى الله عليه وسلم خصوصا او
احد من الانبياء الذين نص الله عليهم بعد علمه بذلك فهو كافر بلا ريب
كالبراهمة ومعظم اليهود والاروسية من النصارى والغرابية من الروافض
الزاعمين ان عليا كان المبعوث اليه جبريل وكالمعطلة والقرامطة و
الاسماعيلية والعنبرية من الرافضة وان كان بعض هؤلاء قد اشركوا
في كفر آخر مع من قبلهم وكذلك من دان بالوحدانية وصحة النبوة ونبوة
نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن جوز على الانبياء الكذب فيما اتوا به ادعى
في ذلك المصلحة بزعمه او لم يدعها فهو كافر باجماع كالمتفلسفين و
بعض الباطنية والروافض وغلاة المتصوفة واصحاب الاباحة
فان هؤلاء زعموا ان ظواهر الشرع واكثر ما جاءت به الرسل من الاخبار

عما كان ويكون من امور الآخرة والحشر والقيمة والجنة والنار ليس منها شيء
على مقتضى لفظها ومفهوم خطابها وانما خاطبوا بها الخلق على جهة المصلحة
لهم اذ لم يمكنهم التصريح لقصور افهامهم فمضمن مقالاتهم ابطال الشرايع و
تعطيل الاوامر والنواهي وتكذيب الرسل والارتياب فيما اتوا به وكذلك من
اضاف الى نبينا تعمد الكذب فيما بلغه واخبر به او شك في صدقه او سبه
او قال انه لم يبلغ او استخف به او باحد من الانبيا او ازرى عليهم او
آذاهم او قتل نبيا او حاربه فهو كافر بالاجماع وكذلك نكفر من ذهب
مذهب بعض القدماء في ان في كل جنس من الحيوان نذيرا ونبيا من
القردة والخنازير والدواب والدود وغير ذلك ويحتج بقوله تعالى وان
من امة الا خلا فيها نذير اذ ذلك يؤدي الى ان يوصف انبياء هذه
الاجناس بصفاتهم المذمومة وفيه من الازراء على هذا المنصب المنيف ما
فيه مع اجماع المسلمين على خلافه وتكذيب قائله وكذلك نكفر من اعترف
من الاصول الصحيحة بما تقدم وبنبوة نبينا صلى الله عليه وسلم ولكن
قال كان اسود او مات قبل ان يلتحي وليس الذي كان بمكة والحجاز او ليس
بقرشي لان وصفه بغير صفاته المعلومة نفي له وتكذيب به وكذلك
من ادعى نبوة احد مع نبينا صلى الله عليه وسلم او بعده كالعيسوية من اليهود
والقائلين بتخصيص رسالته الى العرب وكالخرمية القائلين بتواتر
الرسل وكاكثر الرافضة القائلين بمشاركة علي في الرسالة للنبي صلى الله عليه وسلم
او بعده وكذلك كل امام عند هؤلاء يقوم مقامه في النبوة والحجة وكالبزيعية

والبيانية

والبيانية منهم القائلين بنبوة بزيع وبيان واشباه هؤلاء او من ادعى
النبوة لنفسه او جوز اكتسابها والبلوغ بصفاء القلب الى مرتبتها كالفلاسفة
وغلاة المتصوفة وكذلك من ادعى منهم انه يوحى اليه وان لم يدع النبوة او انه يصعد
الى السماء ويدخل الجنة ويأكل من ثمارها ويعانق الحور العين فهؤلاء كلهم
كفار مكذبون للنبي صلى الله عليه وسلم لانه اخبر صلى الله عليه وسلم انه خاتم النبيين ولا نبي بعده
واخبر عن الله انه خاتم النبيين وانه ارسل الى الناس كافة واجمعت الامة على حمل
هذا الكلام على ظاهره وان مفهومه المراد به دون تاويل ولا تخصيص فلا شك
في كفر هؤلاء الطوائف كلها قطعا اجماعا وسمعا وكذلك وقع الاجماع على تكفير
كل من دافع نص الكتاب او خص حديثا مجمعا على نقله مقطوعا به مجمعا على
حمله على ظاهره كتكفير الخوارج بابطال الرجم ولهذا نكفر من لم يكفر من دان
بغير ملة المسلمين من الملل او وقف فيهم او شك او صحح مذهبهم وان اظهر مع
ذلك الاسلام اعتقده واعتقد ابطال كل مذهب سواه فهو كافر باظهار ما
اظهر من خلاف ذلك وكذلك نقطع بتكفير كل قائل قولا يتوصل به الى
تضليل الامة وتكفير جميع الصحابة كقول الكميلية من الروافض بتكفير
جميع الامة بعد موت النبي صلى الله عليه وسلم اذ لم تقدم عليا وكفرت عليا اذ لم
يتقدم ويطلب حقه في التقديم فهؤلاء قد كفروا من وجوه لانهم ابطلوا
الشريعة باسرها اذ قد انقطع نقلها ونقل القران اذ ناقلوه كفرة على
زعمهم ولهذا والله اعلم اشار مالك في احد قوليه بقتل من كفر الصحابة
ثم كفروا من وجه آخر بسبهم النبي صلى الله عليه وسلم على مقتضى قولهم وزعمهم انه صلى الله

عليه وسلم

عهد الى علي رضي الله عنه وهو يعلم انه يكفر بعده على قولهم لعنة الله عليهم و
صلى الله على رسوله واله وكذلك نكفر بكل فعل اجمع المسلمين انه لا يصدر
الا من كافر وان كان صاحبه مصرحا بالاسلام مع فعله ذلك الفعل كالسجود
للصنم وللشمس والقمر والصليب والنار والسعي الى الكنايس والبيع
من اهلها والتزي بزيهم من شد الزنانير وفحص الروس فقد اجمع المسلمون
ان هذا لا يوجد الا من كافر وان هذه الافعال علامة على الكفر وان صرح فاعلها
بالاسلام وكذلك اجمع المسلمين على تكفير كل من استحل القتل او شرب الخمر
او الزنا مما حرم الله بعد علمه بتحريمه كاصحاب الاباحة من القرامطة وبعض
غلاة المتصوفة وكذلك نقطع بتكفير كل من كذب وانكر قاعدة من
قواعد الشرع وما عرف يقينا بالنقل المتواتر من فعل الرسول صلى الله عليه وسلم
ووقع الاجماع المتصل عليه كمن انكر وجوب الصلوة الخمس وعدد ركعاتها
وسجداتها ويقول انما اوجب الله علينا في كتابه الصلوة على الجملة وكونها
خمسا وعلى هذه الصفات والشروط لا اعلمه اذ لم يرد فيه في القران نص
جلي والخبر به عن الرسول خبر واحد وكذلك اجمع المسلمون على تكفير من قال
من الخوارج ان الصلوة طرفي النهار وعلى تكفير الباطنية في قولهم ان
الفرايض اسماء رجال امروا بولايتهم والخبايث والمحارم اسماء رجال
امروا بالبراءة منهم وقول بعض المتصوفة ان العبادة وطول المجاهدة
اذا صفت نفوسهم افضت بهم الى اسقاطها واباحة كل شي لهم
ورفع عهد الشرايع عنهم وكذلك ان انكر منكر مكة او البيت

او المسجد

او المسجد الحرام او صفة الحج واجب في القران واستقبال القبلة كذلك
ولكن كونه على هذه الهيئة المتعارفة وان تلك البقعة هي مكة والبيت
والمسجد الحرام لا ادري هل هي تلك او غيرها ولعل الناقلين ان النبي
صلى الله عليه وسلم فسرها بهذه التفاسير غلطوا ووهموا فهذا ومثله
لا مرية في تكفيره وان كان ممن يظن به علم ذلك وممن خالطه المسلمين
واستدلت صحبته لهم الا ان يكون حديث عهد بالاسلام فيقال له
سبيلك ان تسال عن هذا الذي لم تعلمه بعد كافة المسلمين فلا تجد
بينهم خلافا كافة عن كافة الى معاصري الرسول صلى الله عليه وسلم ان
هذه الامور كما قيل لك وان تلك البقعة هي مكة والبيت الذي
هو فيها هي الكعبة والقبلة التي صلى لها الرسول صلى الله عليه وسلم
والمسلمون وحجوا اليها وطافوا بها وان تلك الافعال هي صفات
عبادة الحج والمراد به وهي التي فعلها النبي صلى الله عليه وسلم والمسلمون
وان صفات الصلوة المذكورة هي التي فعل النبي صلى الله عليه وسلم وشرح
مراد الله بذلك وابان حدودها فيقع لك العلم كما وقع لهم ولا ترتاب بذلك
بعد والمرتاب في ذلك او المنكر بعد البحث وصحبة المسلمين كافر باتفاق
لا يعذر بقوله لا ادري ولا يصدق فيه بل ظاهره التستر عن التكذيب
اذ لا يمكن انه لا يدري وايضا فانه اذا جوز على جميع الامة الوهم والغلط
فيما نقلوه في ذلك واجمعوا انه قول الرسول وفعله وتفسير مراد الله به
ادخل الاسترابة في جميع الشريعة اذ هم ناقلون لها وللقران وانحلت

عن الدين كله ومن قال هذا كافر وكذلك من انكر القرآن او حرفا منه او غير شيئا منه او زاد فيه كفعل الباطنية والاسماعيلية او من زعم انه ليس بحجة للنبي صلى الله عليه وسلم او ليس فيه حجة ولا معجزة كقول هشام الفوطي ومعمر القوى انه لا يدل على الله ولا حجة فيه لرسوله ولا يدل على ثواب ولا عقاب ولا حكم ولا محالة في كفرهما بذلك القول وكذلك تكفيرهما بانكارهما ان يكون في سائر معجزات النبي صلى الله عليه وسلم حجة له او في خلق السموات والارض دليل على الله لمخالفتهم الاجماع والنقل المتواتر عن النبي صلى الله عليه وسلم باحتجاجه بهذا كله وتصريح القرآن به وكذلك من انكر شيئا مما نص فيه القرآن بعد علمه انه من القرآن الذي في ايدي الناس ومصاحف المسلمين ولم يكن جاهلا به ولا قريب عهد بالاسلام واحتج لانكاره اما بانه لم يصح النقل عنده ولا بلغه العلم به او لتجويز الوهم على ناقليه فنكفره بالطريقين المتقدمين لانه مكذب للقرآن مكذب للنبي صلى الله عليه وسلم لكنه تستر بدعواه وكذلك من انكر الجنة او النار او البعث والحساب او القيمة فهو كافر باجماع للنص عليه واجماع الامة على صحة نقله متواترا وكذلك من اعترف بذلك ولكنه قال ان المراد بالجنة والنار والحشر والنشر والثواب والعقاب معنى غير ظاهره وانها لذات روحانية ومعان باطنة كقول النصارى والفلاسفة والباطنية وبعض المتصوفة وزعم ان معنى القيمة الموت او فناء محض وانتقاض هيئة الافلاك وتحليل العالم كقول بعض الفلاسفة وكذلك نقطع بتكفير غلاة الرافضة في قولهم

ان

ان الائمة افضل من الانبياء فاما من انكر ما عرف بالتواتر من الاخبار والسير والبلاد التي لا يرجع الى ابطال شريعة ولا تفضي الى انكار قاعدة من الدين كانكار غزوة تبوك او مؤتة او وجود ابي بكر وعمر او قتل عثمان وخلافة علي رضي الله عنه مما علم بالنقل ضرورة وليس في انكاره جحد شريعة فلا سبيل الى تكفيره بجحد ذلك وانكار وقوع العلم له اذ ليس في ذلك اكثر من المباهتة كانكار هشام وعباد وقعة الجمل ومحاربة علي من خالفه فاما ان ضعف ذلك من اجل تهمة الناقلين ووهم اجماع المسلمين فنكفره بذلك لسريانه الى ابطال الشريعة فاما من انكر الاجماع المجرد الذي ليس طريقه النقل المتواتر عن الشارع فاكثر المتكلمين من الفقهاء والنظار في هذا الباب قالوا بتكفير كل من خالف الاجماع الصحيح الجامع لشروط الاجماع المتفق عليه عموما وحجتهم قوله تعالى ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين لهم الهدى وقوله عليه السلام من خالف الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه وحكوا الاجماع على تكفير من خالف الاجماع وذهب اخرون الى الوقوف عن القطع بتكفير من خالف الاجماع الذي يختص بنقله العلماء وذهب آخرون الى التوقف في تكفير من خالف الاجماع الكائن عن نظر كتكفير النظام بانكاره الاجماع لانه بقوله هذا مخالف اجماع السلف على احتجاجهم به خارق للاجماع قال القاضي ابو بكر القول عندي ان الكفر بالله هو الجهل بوجوده والايمان بالله هو العلم بوجوده وانه لا يكفر احد بقوله ولا راي الا ان يكون هو الجهل

بالله فلو عصى بقول او فعل نص الله ورسوله واجمع المسلمون انه
لا يوجد الا من كافر او يقوم دليل على ذلك فقد كفر ليس لاجل قوله او
فعله لكن لما يقارنه من الكفر فالكفر بالله لا يكون الا باحد ثلثة امور
احدها الجهل بالله والثاني ان ياتي فعلا او يقول قولا يخبر الله و
رسوله او يجمع المسلمون ان ذلك لا يكون الا من كافر كالسجود للصنم
والمشي الى الكنائس بالتزام الزنار مع اصحابها في اعيادهم ويكون
القول والفعل لا يمكن معه العلم بالله قال فهذان الضربان وان لم
يكونا جهلا بالله فهو علامة ان فاعلهما كافر منسلخ من الايمان فاما من نفى
صفة من صفات الله الذاتية او جحدها مستبصرا في ذلك كقوله ليس بعالم
ولا قادر ولا مريد ولا متكلم وشبه ذلك من صفات الكمال الواجبة له
تعالى فقد نص ائمتنا على الاجماع على كفر من نفى عنه تعالى الوصف بها واعراه
عنها وعلى هذا احمل قول سحنون من قال ليس لله كلام فهو كافر وهو
لا يكفر المتأولين كما قدمناه واما من جهل صفة من هذه الصفات فاختلف
العلماء ههنا فكفره بعضهم وحكي ذلك عن ابي جعفر الطبري وغيره و
قال به ابو الحسن الاشعري مرة وذهبت طائفة الى ان هذا لا يخرجه عن
اسم الايمان واليه رجع الاشعري قال لانه لم يعتقد ذلك اعتقادا
يقطع بصوابه ويراه دينا وشرعا وانما نكفر من اعتقد ان مقالته حق
واحتج هؤلاء بحديث السوداء وان النبي صلى الله عليه وسلم انما طلب منها التوحيد
لا غير وبحديث القائل لئن قدر الله علي وفي رواية فيه لعلي اضل الله ثم

قال

قال فغفر الله له قالوا ولو بوحث اكثر الناس عن الصفات وكوشفوا
عنها لما وجد من يعلمها الا الاقل وقد اجاب الاخر عن هذا الحديث بوجوه
منها ان قدر بمعنى قدر ولا يكون شكه في القدرة على احيائه بل في نفس البعث الذي
لا يعلم الا بشرع ولعله لم يكن ورد عندهم به شرع يقطع عليه فيكون
الشك فيه حينئذ كفرا فاما ما لم يرد به شرع فهو من مجوزات العقل
او يكون قدر بمعنى ضيق ويكون ما فعله بنفسه ازراء عليها وغضبا
لعصيانها وقيل قال ما قاله وهو غير عاقل لكلامه وهو غير عاقل لكلامه ولا
ضابط للفظه مما استولى عليه من الجزع والخشية التي اذهلت لبه فلم
يؤاخذ به وقيل كان هذا في زمن الفترة وحيث ينفع مجرد التوحيد
وقيل بل هذا من مجاز كلام العرب الذي صورته الشك ومعناه التحقيق
وهو يسمى تجاهل العارف وله امثلة في كلامهم كقوله تعالى لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى وقوله تعالى وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ
فاما من اثبت الوصف ونفى الصفة فقال اقول عالم ولكن لا علم له
ومتكلم ولكن لا كلام له وهكذا في سائر الصفات على مذهب المعتزلة
فمن قال بالمآل لما يؤديه اليه قوله ويسوقه مذهبه كفره لانه اذا نفى
العلم انتفى وصف عالم اذ لا يوصف بعالم الا من له علم فكانهم صرحوا
عنده بما ادى اليه قولهم وهكذا عند سائر فرق اهل التاويل من المشبهة
والقدرية وغيرهم ومن لم ير اخذهم بمآل قولهم ولا الزمهم موجب مذهبهم لم ير
اكفارهم قال لانهم اذا وقفوا على هذا قالوا لا نقول ليس بعالم ونحن ننتفي

من القول بما لا الذي الترموه لنا ونعتقد نحن وانتم انه كفر بل نقول ان قولنا لا يؤول اليه على ما اصلناه فعلى هذين الماخذين اختلف الناس في ذلك فالصواب ترك اكفارهم والاعراض عن الحتم عليهم بالخسران واجراء حكم الاسلام عليهم ودفنهم في مقابر المسلمين وسائر معاملاتهم ولكنهم يغلظ عليهم بوجيع الادب وشديد الزجر والهجر حتى يرجعوا عن بدعتهم وهذه كانت سيرة الصدر الاول فيهم فقد كان نشا على زمن الصحابة وبعدهم في التابعين من قال بهذه الاقوال من القدر ورأى الخوارج والاعتزال فما ازاحوا لهم قبرا ولا قطعوا لاحد منهم ميراثا لكنهم هجروهم وادبوهم بالضرب والنفي والقتل على قدر احوالهم لانهم فساق ضلال عصاة اصحاب كبائر عند المحققين واهل السنة ممن لم يقل بكفرهم منهم خلافا لمن راى غير ذلك والله الموفق للصواب. **قال القاضي** ابو بكر رحمه الله واما مسائل الوعد والوعيد والرؤية والمخلوق وخلق العباد الافعال وبقاء الاعراض والتولد وشبهها من الدقائق فالمنع في من اكفار المتاولين فيها اوضح اذ ليس في الجهل بشيء منها جهل بالله تعالى ولا اجمع المسلمون على اكفار من جهل شيئا منها وقدمناه في الفصل قبله من الكلام وصورة الخلاف في هذا ما اغنى عن اعادته بحول الله تعالى **فصل** هذا حكم المسلم الساب لله تعالى **واما** الذمي فروى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه في ذمي تناول من حرمة الله تعالى غير ما عليه من دينه وحاج فيه وخرج ابن عمر رضي الله عنه بالسيف فطلبه فهرب وقال مالك في كتاب ابن حبيب والمبسوطة وابن القاسم في المبسوط

وكتاب محمد

وكتاب محمد وابن سحنون من شتم الله تعالى من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفروا قتل ولم يستتب **قال** ابن القاسم الا ان يسلم **قال** في المبسوطة طوعا **قال** اصبغ لان الوجه الذي به كفروا هو دينهم وعليه عوهدوا من دعوى الصاحبة والشريك والولد واما غير هذا من الفرية والشتم فلم يعاهدوا عليه فهو نقض للعهد **قال** ابن القاسم في كتاب محمد ومن شتم من غير اهل الاديان الله تعالى بغير الوجه الذي ذكر في كتابه قتل الا ان يسلم **وقال** المخزومي في المبسوطة ومحمد بن مسلمة وابن ابي حازم لا يقتل حتى يستتاب مسلما كان او كافرا فان تاب والا قتل **وقال** مطرف وعبد الملك قول مالك **وقال** ابو محمد بن ابي زيد من سب الله تعالى بغير الوجه الذي به كفر قتل الا ان يسلم وقد ذكرنا قول ابن الجلاب قبل وقد ذكرنا قول عبيد الله وابن لبابة وشيوخ الاندلسيين في النصرانية وفتياهم بقتلها لسبها بالوجه الذي كفرت به لله تعالى والنبي صلى الله عليه وسلم واجماعهم على ذلك وهو نحو القول الآخر فيمن سب النبي صلى الله عليه وسلم منهم بالوجه الذي كفر به ولا فرق في ذلك بين من سب الله تعالى به او سب نبيه صلى الله عليه وسلم لانا عاهدناهم على ان لا يظهروا لنا شيئا من كفرهم وان لا يسمعونا شيئا من ذلك فمتى فعلوا شيئا منه فهو نقض لعهدهم واختلف العلماء في الذمي اذا تزندق **فقال** مالك ومطرف وابن عبد الحكم واصبغ لا يقتل لانه خرج من كفر الى كفر

وقال عبد الملك بن الماجشون يقتل لانه دين لا يقر عليه جزية قال ابن
حبيب ولا اعلم من قاله غيره فصل هذا حكم من صرح بسبه و
اضافة ما لا يليق بجلاله والهيته فاما مفتري الكذب عليه تبارك
وتعالى بادعاء الالهية او الرسالة او النافي ان يكون الله خالقه
او ربه او قال ليس لي رب والمتكلم بما لا يعقل من ذلك في سكره او غمرة
جنونه فلا خلاف في كفر قائل ذلك ومدعيه مع سلامة عقله كما قدمناه
لكنه تقبل توبته على المشهور وتنفعه انابته وتنجيه من القتل فيئته
لكنه لا يسلم من عظيم النكال ولا يرفه عن شديد العقاب ليكون
ذلك زجرا لمثله عن قوله وله عن العودة لكفره او جهله الا من تكرر ذلك
منه وعرف استهانته بما اتى به فهو دليل على سوء طويته وكذب توبته
وصار كالزنديق الذي لا نامن باطنه ولا نقبل رجوعه وحكم السكران
في ذلك حكم الصاحي واما المجنون والمعتوه فما علم انه قاله من ذلك
في غمرته وذهاب ميزه بالكلية فلا نظر فيه وما فعله من ذلك في حال تميزه
وان لم يكن معه عقله وسقط تكليفه ادب على ذلك لينزجر عنه
كما يؤدب على قبائح الافعال ويوالي ادبه على ذلك حتى يكف عنه كما تؤدب
البهيمة على سوء الخلق حتى تراض وقد حرق علي بن ابي طالب رضي الله عنه من ادعى
الالهية وقتل عبد الملك بن مروان الحارث المتنبي وصلبه وحرق علي بن
ابي طالب رضي الله عنه من ادعى الالهية وفعل ذلك غير واحد من
الخلفاء والملوك باشباههم واجمع علماء وقتهم على صواب فعلهم

والمخالف

والمخالف في ذلك من كفرهم كافر واجمع فقهاء بغداد ايام المقتدر من المالكية
وقاضي قضاتها ابو عمر المالكي على قتل الحلاج وصلبه لدعواه الالهية وقوله
بالحلول وقوله انا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشريعة ولم يقبلوا توبته
وكذلك حكموا في ابن ابي الغراقيد وكان على نحو مذهب الحلاج بعد هذا
ايام الراضي بالله وقاضي قضاة بغداد يومئذ ابو الحسين بن ابي عمر المالكي وقال
ابن عبد الحكم في المبسوط من تنبأ قتل وقال ابو حنيفة رحمه الله واصحابه
من جحد ان الله تعالى خالقه او ربه او قال ليس لي رب فهو مرتد وقال ابن
القاسم في كتاب ابن حبيب ومحمد والعتبية فيمن تنبأ يستتاب اسر ذلك
او اعلنه فهو كالمرتد وقاله سحنون وغيره وقال اشهب في يهودي
تنبأ وادعى انه رسول الينا ان كان معلنا بذلك استتيب فان تاب
والا قتل وقال ابو محمد بن ابي زيد فيمن لعن بارئه وادعى ان لسانه زل
وانما اراد لعن الشيطان يقتل بكفره ولا يقبل عذره وهذا على
القول الآخر انه لا يقبل توبته وقال ابو الحسن القابسي في سكران
قال انا الله انا الله ان تاب ادب فان عاد الى مثل قوله طولب
مطالبة الزنديق لان هذا كفر المتلاعبين فصل واما من تكلم بكلام
من سقط القول وسخف اللفظ ممن لم يضبط كلامه واهمل لسانه
بما يقتضي الاستخفاف بعظمة ربه وجلالة مولاه او تمثل في بعض الاشياء
ببعض ما عظم الله من ملكوته او نزع من الكلام المخلوق بما لا يليق
الا في حق خالقه غير قاصد للكفر والاستخفاف ولا عامد للالحاد

فان تكرر هذا منه وعرف به دل على تلاعبه بدينه واستخفافه بحرمة ربه
وجهله بعظيم عزته وكبريائه وهذا كفر لا مرية فيه وكذلك ان كان ما اورده
يوجب الاستخفاف والتنقص لربه وقد افتى ابن حبيب واصبغ بن خليل من
فقهاء قرطبة بقتل المعروف بابن اخي عجب وكان خرج يوما فاخذه المطر
فقال بدا الخراز يرش جلوده وكان بعض الفقهاء بها ابو زيد صاحب
الثمانية وعبد الاعلى بن وهب وابان بن عيسى قد توقفوا عن سفك دمه واشاروا
الى انه عبث من القول يكفي فيه الادب وافتى بمثله القاضي حينئذ موسى بن
زياد فقال ابن حبيب دمه في عنقي أيشتم ربا عبدناه ثم لا ننتصر له انا
اذا لعبيد سوء ما نحن له بعابدين وبكى ورفع المجلس الى الامير بها عبد
الرحمن بن الحكم الاموي وكانت عجب عمة هذا المطلوب من حظاياه واعلم باختلاف
الفقهاء فخرج الاذن من عنده بالاخذ بقول ابن حبيب وصاحبه وامر
بقتله فقتل وصلب بحضرة الفقيهين وعزل القاضي لتهمته بالمداهنة
في هذه القصة ووبخ بقية الفقهاء وسبهم واما من صدرت عنه من
ذلك الهنة الواحدة والفلتة الشاردة ما لم يكن تنقصا وازراء
فيعاقب عليها ويؤدب بقدر مقتضاها وشنعة معناها وصورة حال
قائلها وشرح سببها ومقارنها وقد سئل ابن القاسم عن رجل نادى رجلا
باسمه فاجابه لبيك اللهم لبيك قال ان كان جاهلا او قاله على
وجه سفه فلا شيء عليه وقال القاضي ابو الفضل وشرح قوله انه لا
قتل عليه والجاهل يزجر ويعلم والسفيه يؤدب ولو قالها على اعتقاد

انزاله

انزاله منزلة ربه لكفر هذا مقتضى قوله وقد اسرف كثير من سفهاء الشعراء
ومتهميهم في هذا الباب واستخفوا عظيم هذه الحرمة فاتوا من ذلك بما
ننزه كتابنا ولساننا واقلامنا عن ذكره ولولا ان قصدنا نص مسائل حكيناها
لما ذكرنا شيئا مما يثقل ذكره علينا فيما حكيناه في هذه الفصول واما ما
ورد في هذا من اهل الجهالة واغاليط اللسان كقول بعض الاعراب رب
العباد ما لنا وما لكا قد كنت تسقينا فما بدا لكا انزل علينا الغيث لا
ابا لكا في اشباه لهذا من كلام الجهال ومن لم يقومه ثقاف تاديب الشريعة
والعلم في هذا الباب فقل ما يصدر الا من جاهل يجب تعليمه وزجره والاغلاظ
له عن العودة الى مثله قال ابو سليمان الخطابي وهذا تهور من القول والله
منزه عن هذه الامور وقد روينا عن عون بن عبد الله انه قال ليعظم
احدكم ربه ان يذكر اسمه في كل شيء حتى يقول اخزى الله الكلب وفعل به
كذا وكذا وكان بعض من ادركنا من مشايخنا قل ما يذكر اسم الله تعا
الا فيما يتصل بطاعته وكان يقول للانسان جزيت خيرا وقل ما يقول جزاك
الله خيرا اعظاما لاسم الله تعا ان يمتهن في غير قربة وحدثنا الثقة
ان الامام ابا بكر الشاشي كان يعيب على اهل الكلام لكثرة خوضهم فيه
تعا وفي ذكر صفاته اجلالا لاسمه تعا ويقول هؤلاء يتمندلون بالله عز وجل
وينزل الكلام في هذا الباب تنزيله في باب ساب النبي صلى الله عليه وسلم على الوجوه
التي فصلناها والموفق الله تعا فصل وحكم من سب سائر الانبياء
الله تعا وملائكته واستخف بهم او كذبهم فيما اتوا به او انكرهم وجحدهم

حكم نبينا صلى الله عليه وسلم على مساق ما قدمناه قال الله تعالى ان الذين يكفرون
بالله ورسله ويريدون ان يفرقوا بين الله ورسله الآية وقال الله تعالى قولوا آمنا
بالله وما انزل الينا وما انزل الى ابراهيم الآية الى قوله لا نفرق بين احد منهم
وقال كل امن بالله وملئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين احد من رسله قال مالك
في كتاب ابن حبيب ومحمد وقاله ابن القاسم وابن الماجشون وابن عبد الحكم واصبغ
وسحنون فيمن شتم الانبياء او واحدا منهم او تنقصه قتل ولم يستتب
ومن سبهم من اهل الذمة قتل الا ان يسلم وروى سحنون عن ابن القاسم من
سب الانبياء من اليهود والنصارى بغير الوجه الذي به كفر فاضرب عنقه
الا ان يسلم وقد تقدم الخلاف في هذا الاصل وقال القاضي بقرطبة سعيد بن
سليمان في بعض اجوبته من سب الله وملئكته او انبيائه قتل وقال
سحنون من شتم ملكا من الملائكة فعليه القتل وفي النوادر عن مالك
فيمن قال ان جبريل اخطا بالوحي وانما كان النبي علي بن ابي طالب استتيب
فان تاب والا قتل ونحوه عن سحنون وهذا قول الغرابية من الروافض سموا
بذلك لقولهم كان النبي اشبه بعلي من الغراب بالغراب وقال ابو حنيفة
واصحابه رحمهم الله على اصلهم من كذب باحد من الانبياء او تنقص احدا
منهم او برئ منه فهو مرتد وقال ابو الحسن القابسي في الذي قال لآخر
كانه وجه مالك الغضبان لو عرف انه قصد ذم الملك قتل قال القاضي ابو الفضل
وهذا كله فيمن تكلم فيهم بما قلناه على جملة الملئكة والنبيين او على
معين ممن حققنا كونه من الملئكة والنبيين ممن نص الله عليه في كتابه

اوحققنا

او حققنا ما علم بالخبر المتواتر والمشتهر المتفق عليه بالاجماع القاطع
كجبرائيل وميكائيل ومالك وخزنة الجنة والجهنم والزبانية وحملة
العرش المذكورين في القرآن من الملئكة ومن سمي فيه من الانبياء
وكعزرائيل واسرافيل ورضوان والحفظة ومنكر ونكير من الملائكة المتفق
على قبول الخبر بهم فاما من لم يثبت الاخبار بتعيينه ولا وقع الاجماع على كونه
من الملائكة او الانبياء كهاروت وماروت في الملئكة والخضر
ولقمن وذي القرنين ومريم وآسية وخالد بن سنان المذكور انه
نبي اهل الرس وزرادشت الذي يدعي المجوس والمؤرخون نبوته
فليس الحكم في سابهم والكافر بهم كالحكم فيمن قدمناه اذ لم يثبت
لهم تلك الحرمة ولكن يزجر من تنقصهم واذاهم ويؤدب بقدر حال المقول
فيهم لا سيما من عرفت صديقيته وفضله منهم وان لم يثبت نبوته واما
انكار نبوتهم او كون الآخر من الملائكة فان كان المتكلم في ذلك من اهل العلم
فلا حرج لاختلاف العلماء في ذلك وان كان من عوام الناس زجر عن الخوض
في مثل هذا فان عاد ادب اذ ليس لهم الكلام في مثل هذا وقد كره السلف الكلام في مثل هذا مما ليس تحته عمل لاهل العلم
فكيف للعامة فصل واعلم ان من استخف بالقرآن او المصحف او بشيء
منه او سبهما او جحده او حرفا منه او كذب به او بشيء منه او كذب بشيء
مما صرح به فيه من حكم او خبر او اثبت ما نفاه او نفى ما اثبته على علم منه
بذلك او شك في شيء من ذلك فهو كافر عند اهل العلم باجماع قال الله تعالى
وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ

حكيم حميد

حدثنا الفقيه ابو الوليد هشام بن احمد ثنا ابو علي ثنا ابن عبد البر
ثنا ابن عبد المؤمن ثنا ابن داسه ثنا ابو داود ثنا احمد بن حنبل ثنا يزيد
بن هرون ثنا محمد بن عمرو عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله عنهم عن النبي صلى
الله عليه وسلم قال المراء في القرآن كفر تأول بمعنى الشك وبمعنى الجدل وعن ابن عباس
رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم من جحد آية من كتاب الله من المسلمين فقد حل
ضرب عنقه وكذلك ان جحد التورية والانجيل وكتب الله المنزلة او كفر بها او
لعنها او سبها او استخف بها فهو كافر وقد اجمع المسلمون ان القرآن المتلو في جميع
اقطار الارض المكتوب في المصحف بايدي المسلمين مما جمعه الدفتان من اول الحمد
لله رب العالمين الى آخر قل اعوذ برب الناس انه كلام الله ووحيه المنزل
على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وان جميع ما فيه حق وان من نقص منه حرفا قاصدا
لذلك او بدله بحرف آخر مكانه او زاد فيه حرفا مما لم يشتمل عليه المصحف الذي
وقع الاجماع عليه واجمع على انه ليس من القرآن عامدا لكل هذا انه كافر ولهذا رأى
مالك قتل من سب عائشة رضي الله عنها بالفرية لانه خالف القرآن ومن خالف
القرآن قتل لانه كذب بما فيه وقال ابن القاسم من قال ان الله لم يكلم موسى تكليما
يقتل وقاله عبد الرحمن بن مهدي وقال محمد بن سحنون فيمن قال المعوذتان
ليستا من كتاب الله يضرب عنقه الا ان يتوب وكذلك ان يشهد عدل على من قال
ان الله لم يكلم موسى تكليما وشهد آخر عليه انه قال لم يتخذ الله ابراهيم خليلا
قتل اجتمعا على ان كذب النبي صلى الله عليه وسلم وقال ابو عثمان الحداد جميع من ينتحل
التوحيد متفقون على ان الجحد لحرف من التنزيل كفر وكان ابو العالية اذا قرأ

عنده

عنده رجل لم يقل له ليس كما قرأت ويقول اما انا فاقرأ كذا فبلغ ذلك
ابراهيم فقال اراه سمع انه من كفر بحرف منه فقد كفر به كله وقال عبد الله
بن مسعود من كفر بآية من القرآن فقد كفر به كله قيل وقال اصبغ بن
الفرج من كذب ببعض القرآن فقد كذب به كله ومن كذب به فقد
كفر به فقد كفر بالله تعالى وقد سئل القابسي عمن خاصم يهوديا فحلف
له بالتورية فقال الآخر لعن الله التورية فشهد عليه بذلك شاهد
ثم شهد آخر انه عن القضية فقال انما لعنت تورية اليهود فقال ابو
الحسن الشاهد الواحد لا يوجب القتل والثاني علق الامر بصفة تحتمل
التأويل اذ لعله لا يرى اليهود متمسكين بشيء من عند الله
لتبديلهم وتحريفهم ولو اتفق الشاهدان على لعن التورية مجرد
لضاق التأويل وقد اتفق فقهاء بغداد على استتابة ابن شنبوذ
المقرئ احد ائمة المقرئين المتصدرين بها مع ابن مجاهد لقراءته و
اقرائه بشواذ من الحروف مما ليس من المصحف وعقدوا عليه بالرجوع
عنه والتوبة منه سجلا اشهد فيه بذلك على نفسه في
مجلس الوزير ابي علي بن مقلة سنة ثلث وعشرين وثلثمائة وكان
فيمن افتى عليه بذلك ابو بكر الابهري وغيره وافتى ابو محمد بن ابي
زيد بالادب فيمن قال لصبي لعن الله معلمك وما علمك وقال اردت
سوء الادب ولم ارد القرآن قال ابو محمد واما من لعن المصحف
فانه يقتل فصل وسب آل بيته وازواجه واصحابه

وتنقصهم حرام ملعون فاعله ثنا القاضي الشهيد ابو علي رحمه
الله ثنا ابو الحسين الصيرفي وابو الفضل العدل قالا ثنا ابو يعلى
ثنا ابو علي السنجي ثنا ابن محبوب ثنا الترمذي ثنا محمد بن يحيى ثنا
يعقوب بن ابراهيم ثنا عبيدة بن ابي رابطة عن عبد الرحمن بن
زياد عن عبد الله بن مغفل رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم الله الله في اصحابي الله الله في اصحابي لا تتخذوهم غرضا
بعدي فمن احبهم فبحبي احبهم ومن ابغضهم فببغضي ابغضهم ومن اذاهم
فقد اذاني واذاني فقد اذى الله ومن اذى الله يوشك ان ياخذه وقال
رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فمن سبهم فعليه لعنة الله
والملائكة والناس اجمعين لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا وقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا اصحابي فانه يجيء قوم في اخر الزمان
يسبون اصحابي فلا تصلوا عليهم ولا تصلوا معهم ولا تناكحوهم ولا
تجالسوهم وان مرضوا فلا تعودوهم وعنه صلى الله عليه وسلم من سب
اصحابي فاضربوه وقد اعلم النبي صلى الله عليه وسلم ان سبهم واذاهم يؤذيه
واذى النبي صلى الله عليه وسلم حرام فقال لا تؤذوني في اصحابي فمن اذاهم فقد
اذاني وقال صلى الله عليه وسلم لا تؤذوني في عائشة رضي الله عنها وقال في فاطمة
رضي الله عنها بضعة مني يؤذيني ما اذاها وقد اختلف العلماء في هذا فمشهور
مذهب مالك في ذلك الاجتهاد والادب الموجع قال مالك رحمه الله من شتم
النبي صلى الله عليه وسلم قتل ومن شتم اصحابه ادب وقال ايضا من شتم احدا

من اصحابه

من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ابا بكر او عمر او عثمان او عليا او معاوية او عمرو
بن العاص فان قال كانوا على ضلال وكفر قتل وان شتمهم بغير هذا من مشاتمة
الناس نكل نكالا شديدا وقال ابن حبيب من غلا من الشيعة الى بغض عثمان
والبراءة منه ادب ادبا شديدا ومن زاد الى بغض ابي بكر وعمر فالعقوبة
عليه اشد ويكرر ضربه ويطال سجنه حتى يموت ولا يبلغ به القتل الا في
سب النبي صلى الله عليه وسلم وقال سحنون من كفر احدا من اصحاب
النبي عليا او عثمان او غيرهما يوجع ضربا وحكى ابو محمد بن زيد عن سحنون
من قال في ابي بكر وعمر وعثمان وعلي انهم كانوا على ضلالة وكفر قتل ومن
شتم غيرهم من الصحابة بمثل هذا نكل النكال الشديد وروي عن مالك
من سب ابا بكر جلد ومن سب عائشة قتل قيل له لم قال من رماها فقد
خالف القران وقال ابن شعبان عنه لان الله يقول يعظكم الله ان
تعودوا لمثله ابدا ان كنتم مؤمنين فمن عاد لمثله فقد كفر وحكى ابو
الحسن الصيقلي ان القاضي ابا بكر بن الطيب رحمه الله قال ان الله
تعالى اذا ذكر في القران ما نسبه اليه المشركون سبح نفسه لنفسه
كقوله وقالوا اتخذ الرحمن ولدا سبحانه في اي كثيرة وذكر تعالى ما
نسبه المنافقون الى عائشة فقال ولولا اذ سمعتموه قلتم ما
يكون لنا ان نتكلم بهذا سبحانك سبح نفسه في تبرئتها من
السوء وهذا يشهد لقول مالك في قتل من سب عائشة ومعنى
هذا والله اعلم ان الله لما عظم سبها كما عظم سبه وكان سبها

سبّ النبيه صلى الله عليه وسلم وفرعون سبّ نبيه واذاه باذاه تعالى وكان
حكم موذيه تعالى القتل كان حكم موذي نبيه صلى الله عليه وسلم كذلك كما قررناه
وقد شتم رجل عائشة رضي الله عنها بالكوفة فقدم الى موسى بن عيسى العباسي
فقال من سمع حضر هذا فقال ابن ابي ليلى انا فجلده ثمانين جلدة وحلق رأسه
واسلمه في الحجامين وروي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه نذر على قطع
لسان عبيد الله بن عمر اذا شتم مقداد بن الاسود فكلم في ذلك فقال دعوني
اقطع لسانه حتى لا يشتم احد بعد اصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وروى ابو ذر
الهروي ان عمر بن الخطاب اتي باعرابي يهجو الانصار فقال لولا انه له صحبة
لكفيتموه قال مالك من انتقص احدا من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم فليس له في هذا
الفيء حق قد قسم الله الفيء في ثلاثة اصناف فقال تعالى للفقراء المهاجرين
الآية ثم قال والذين تبوؤا الدار والايمان وهؤلاء الانصار ثم قال والذين
جاؤا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان
الآية فمن تنقصهم فلا حق له في فيء المسلمين وفي كتاب ابن شعبان من قال في واحد
منهم انه ابن زانية وامه مسلمة حد عند بعض اصحابنا حدين حدا له وحدا لامه
ولا اجعله كقاذف الجماعة في كلمة لفضل هذا على غيره ولقوله صلى الله عليه وسلم
من سب اصحابي فاجلدوه وقال ومن قذف ام احدهم وهي كافرة حد حد
الفرية لانه سب له فان كان احد من ولد هذا الصحابي حيا قام بما يجب له
والا فمن قام من المسلمين كان على الامام قبول قيامه قال وليس هذا
كحقوق غير الصحابة لحرمة هؤلاء بنبيهم صلى الله عليه وسلم ولو سمعه

الامام

الامام واشهد عليه كان ولي القيام به قال ومن سب غير عائشة رضي
الله عنها من ازواج النبي صلى الله عليه وسلم ففيها قولان احدهما يقتل لانه
سب النبي صلى الله عليه وسلم بسبب حليلته والآخر انها كسائر الصحابة
يجلد حد المفتري قال وبالاول اقول وروى ابو مصعب عن مالك من
انتسب الى بيت النبي صلى الله عليه وسلم يضرب ضربا شديدا وجيعا
ويشهر ويحبس طويلا حتى تظهر توبته لانه استخفاف بحق النبي صلى الله
عليه وسلم وافتى ابو المطرف الشعبي فقيه مالقه في رجل انكر تحليف امرأة بالليل
وقال لو كانت بنت ابي بكر الصديق ما حلفت الا بالنهار وصوب
قوله بعض المتسمين بالفقه فقال ابو المطرف ذكر هذا لابنة ابي
بكر في مثل هذا يوجب عليه الضرب الشديد والسجن الطويل والفقيه الذي صوب
قوله اخق باسم الفسق من اسم الفقيه فيتقدم اليه في ذلك ويزجر ولا يقبل
فتواه ولا شهادته وهي جرحة ثابتة فيه ويبغض في الله وقال ابن عمر رضي
الله عنه في رجل قال لو شهد علي ابو بكر الصديق انه ان كان في مثل ما لا يجوز فيه
الشاهد الواحد فلا شيء عليه وان كان اراد غير هذا فيضرب ضربا يبلغ به
حد الموت وذكروها رواية قال القاضي ابو الفضل رحمه الله هنا انتهى القول
بنا فيما حررناه وانتجز الغرض الذي انتحيناه واستوفي الشرط الذي شرطناه
مما ارجوا ان في كل قسم منه للمريد مقنع ومن كل باب منهج الى بغيته ومنزع و
قد سفرت فيه عن نكت تستغرب وتستبدع وكرعت في مشارب من التحقيق
لم يورد لها قبل في اكثر التصانيف مشرع واودعته غير ما فصل وددت لو وجدت

من بسط قبلي الكلام فيها ومقتدى يفيد نيله عن كتابه وفيه لا اكتفي بما
اوردته عما ادونه الى الله جزيل التضرع في المنة بقبول ما منه لوجهه والعفو
عما تخلله من تزيين وتصنع لغيره وان يهب لنا ذلك بجميل كرمه وعفوه
لما اودعناه من شرف مصطفاه وامين وحيه واسهرنا به جفوننا
لتتبع فضائله واعملنا فيه خواطرنا من ابراز خصائصه ووسائله ويحمي
اعراضنا عن ناره الموقدة لحمايتنا كريم عرضه ويجعلنا ممن لا يذاد اذ
اذيد المبدل عن حوضه ويجعله لنا ولمن تهمم باكتسابه وذخيرة
نجدها يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضرا ونحوز بها رضاه
وجزيل ثوابه يخصنا بخصيصي زمرة نبينا وجماعته ويحشرنا في الرعيل
الاول واهل الباب الايمن من اهل شفاعته ونحمد الله تعالى على ما هدانا
اليه من جمعه والهم وفتح البصيرة لدرك حقائق ما اودعناه وفهمه
ونستعيذه جل اسمه من دعاء لا يسمع وعمل لا يرفع فهو الجواد الذي
لا يخيب من امله ولا ينتصر من خذله ولا يرد دعوة القاصدين
ولا يصلح عمل المفسدين وهو حسبنا
ونعم الوكيل

وقف — وقف



